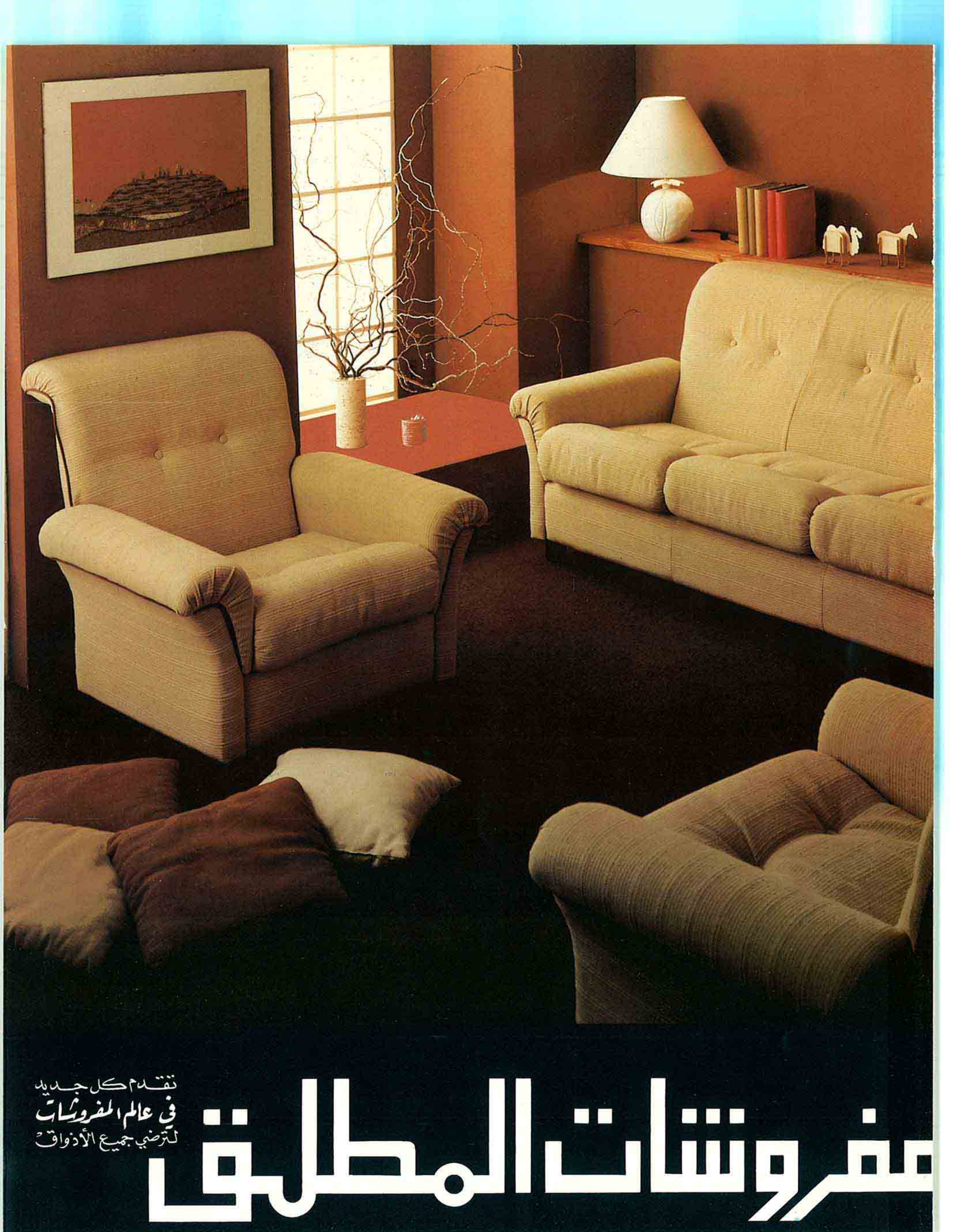


مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 35 MARCH-APRIL 1980.

العدد (٣٥) ـ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ/مارس ـ ابريل ١٩٨٠ م (السنة الثالثة)


مفروشات المطلق
تقدم كل جديد
في عالم المفروشات
لترضي جميع الأذواق

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٣٥) جمادى الأولى ١٤٠٠هـ مارس / إبريل ١٩٨٠م

هذا العدد

★ استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالكتابة وصناعة الكتب أطلق عليهم «الوراقون»، كما أطلق على ما يؤدونه من عمليات النسخ وبيع المخطوطات والورق «الوراقة»، حيث كانوا يقومون بما يقوم به الناشرون في زماننا هذا. «طالع المخطوط العربي» ص (١٠٧) ★



★ تعد رسومات «عيش الغراب» التي عثر عليها منذ ٣٠٠٠ سنة داخل مقابر قدماء المصريين من أوائل السجلات التي أوضحت أشكاله كما كتب الرومان والإغريقيون قبل ظهور المسيح الكثير عنه. «طالع فطر عيش الغراب» ص (٩١) ★



★ يحظى موضوع الطاقة على الدوام بأهمية خاصة، وتأتي فترات تزداد فيها أهمية هذا الموضوع ويعظم الاهتمام به وعلى الرغم من وجود عدة مصادر للطاقة كالأرض والماء وحركات المد والجزر والريح والشمس والفضلات، إلا أنها جميعاً تعتبر متممة لمصادر الطاقة التقليدية لا بديلة عنها. «طالع رحلة في كتاب» ص (٨٣) ★



من كتاب هذا العدد



د . يوسف نوفل

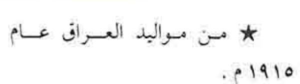
★ من مواليد بور سعيد — مصر ١٩٣٨ م .

★ دكتوراه في الدراسات الأدبية .

★ عمل في حقل التعليم بمعهد التربية للمعلمين في الكويت ، وبكلية البنات في جامعة عين شمس ، وفي جامعة الرياض .

★ من مؤلفاته : قضايا الفن القصصي ، القصة بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ ، ديوان الشعر في الأدب العربي ، كلمات حب «ديوان شعر» ، قراءات ومحادثات ، ومجموعة قصص (الزاوية المعتمة) تحت الطبع .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً في كلية التربية — جامعة الرياض .



سليم طه التكريتي

★ من مواليد العراق عام ١٩١٥ م .

★ ليسانس حقوق عام ١٩٤٣ م .

★ مارس المحاماة ، ثم جذبته الصحافة إليها .

★ أصدر جريدة «العصور» اليومية السياسية .

★ آخر عمل له كان رئاسة تحرير جريدة «الوقائع العراقية» باللغة الإنجليزية .

★ عدد مؤلفاته المطبوعة ٤٠ مؤلفاً .



د . عبد الرؤوف مصطفى ثابت

★ تخرج في كلية الطب ، جامعة القاهرة عام ١٩٤٩ م .

★ عمل في الطب النفسي بعد فترة التمرين العام .

★ انتدب للعمل بالطائف بالمملكة العربية السعودية في الفترة بين عام ١٩٥٨ — ١٩٦٢ م .

★ اتجه بعدها كزميل في منظمة الصحة الدولية إلى جامعة كنتكي بأمريكا ، ثم عمل في بريطانيا مستشاراً للطب النفسي بمستشفى كرولي .

★ يعمل حالياً في كلية الطب ، بالرياض .

★ له كتب وأبحاث في الطب النفسي والأدب بالعربية والإنجليزية .



د . ماجد فخري

★ من مواليد الزرارية «لبنان» ١٩٢٣ م .

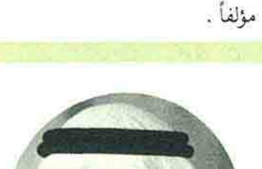
★ دكتوراه في الفلسفة — جامعة أدنبره ١٩٤٩ م .

★ محاضر في معهد الدراسات الشرقية — جامعة لندن — مساعد أستاذ في الفلسفة الجامعة الأمريكية ببيروت ، رئيس دائرة الفلسفة ، أستاذ زائر بجامعة جورجتنون واشنطن ، محاضر في الجامعة اللبنانية .

★ من مؤلفاته :

أرسطوطاليس المعلم الأول ، ابن رشد فيلسوف قرطبة ، رسائل ابن باجة ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، الحركات الفكرية في عصر النهضة في لبنان .

★ له مجموعة مقالات ومجموعة ترجمات بالإضافة إلى بعض المنشورات باللغة الإنجليزية .





د . أحمد نبيل أبو خطوة

★ من مواليد مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ م .

★ بكالوريوس العلوم الزراعية من جامعة الإسكندرية .

★ دكتوراه — جامعة بوردو بالولايات المتحدة الأمريكية .

★ عمل أستاذاً مساعداً في جامعة برن بسويسرا .

★ شغل وظيفة أستاذ باحث بالمركز الدولي لبحوث الحشرات في نيروبي — كينيا .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية العلوم — جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

★ له العديد من البحوث العلمية في مجالات الكيمياء الحيوية وعلم السموم .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي :

- إنشاء متاحف جديدة للآثار في المدينة المنورة .
- مؤتمر عن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .
- مسابقة لكتابة أدب الأطفال في فلسطين .
- مؤتمر في تونس للعناية بالأدب الشعبي .
- بعثة المانية لترميم الآثار في الأردن .
- موسوعة حضارية عن معطيات الفن العربي الإسلامي .

في العالم :

- إقامة معرض للرسام «دالي» في العاصمة الفرنسية .
- في اليابان قطع من الحرير تحمل آيات قرآنية .
- معرض دولي للكتاب في فرانكفورت .
- معرض في لندن عن المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات .
- ترجمة كتاب «رسالة الغفران» إلى اليوغسلافية .

السعودية

متاحف بالمدينة المنورة

سيقام في **المدينة المنورة** ثلاثة متاحف جديدة تضم كل ما تم اكتشافه من آثار خلال الحفريات التي قام بها الباحثون عن الآثار، وتقرر إقامتها في مناطق **(العلا ، ودومة الجندل ، وتيماء)** أعلن ذلك رئيس قسم الآثار والمتاحف بمنطقة المدينة المنورة وذلك ضمن خطة **(مصلحة الآثار)** التابعة لوزارة المعارف .

مسابقة نادي (أبها) الأدبي الثقافية

أعلن **نادي أبها الأدبي** عن أولى مسابقاته الثقافية في مجالات : الشعر والقصة القصيرة ، فبالنسبة للشعر ومسابقته فتشمل : قصيدة شعرية باللغة الفصحى لا تقل عن ثلاثين بيتاً ، وقصيدة شعرية شعبية (نبطية) تتناول أي غرض من أغراض الشعر .

وقد اشترط لمسابقته هذه : بأن تكون القصائد والقصص هادفة وذات مدلول ايجابي للمجتمع . وقد وضع النادي جوائز تتراوح ما بين (٦٠٠٠) ريال إلى (١٥٠٠) ريال تقسم بالتساوي بين الفائزين .

التوباد

عنوان المجلة الجديدة التي ستصدرها اللجنة الثقافية بجمعية الثقافة والفنون ضمن اصداراتها الثقافية ، ومن المعروف أن **(التوباد)** اسم جبل موجود بمنطقة الأفلاج .

ندوة عالمية عن (الجمل)

سوف تعقد في **كلية الطب البيطري التابعة لجامعة الملك فيصل** بالمنطقة الشرقية ، ندوة عالمية عن **(الجمل)** ، يحضرها كبار الباحثين والعلماء في مجال تربية الحيوان والهيئات الدولية المتخصصة ، وقد سبق أن عقدت ندوة (بالسويد) نظمتها المنظمة العالمية للعلوم حضرها (٢١) عالماً من المهتمين بعلوم الجمال ، وكانت جامعة الملك فيصل هي الجامعة العربية الوحيدة التي اشتركت في هذه الندوة .

كتاب عن الحضارة الإسلامية

تعتزم **رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** إصدار كتاب كبير يحوي ما كتب عن **الحضارة الإسلامية** ، وقد اتصلت الأمانة بالأساتذة والمختصين في هذا المجال على اختلاف تخصصاتهم وذلك لتزويدهم بما هو خاص عن تلك الحضارة .

الدليل والجامعات

ستصدر **وزارة التعليم العالي** ، ممثلة في **مركز المعلومات الإحصائية** ، دليلاً شاملاً عن **الجامعات في المملكة** يتضمن معلومات عن كل جامعة من حيث عدد الكليات وأعضاء هيئة التدريس والطلاب والإمكانات المتوفرة إضافة إلى رسوم بيانية توضح تطور كل جامعة من تاريخ إنشائها حتى الآن .

الخويطر والمجمع العراقي

تم اختيار معالي **الدكتور عبد العزيز الخويطر** وزير المعارف ليكون عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العراقي ، والمعروف أن الدكتور الخويطر له نشاطات في كتابة التاريخ ، وله كتاب صدر أخيراً بعنوان « حاطب ليل » .

كلية الطب والمؤتمر الطبي

سيعقد المؤتمر الطبي الخامس وذلك في **كلية طب جامعة الرياض** في شهر جمادى الثانية ، وسيحضر هذا المؤتمر أطباء من داخل المملكة وخارجها ، ويبحث فيه عدد من المواضيع الهامة حول السرطان والمناعة ووسائل التشخيص في الأمراض المختلفة .

مواقع أثرية

سعت **إدارة الآثار ، بوزارة المعارف** ، وما زالت تسعى إلى اكتشاف العديد من المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية ، وقد بلغ حتى الآن عدد المواقع الأثرية التي تم اكتشافها (٤٠٠٠) موقع أثري في مناطق المملكة المختلفة . ومن المعروف أن طبيعة هذه المملكة غنية بالآثار مما يجعل الأمل لدى هذه الإدارة قوياً في اكتشاف المزيد من المواقع .

تكريم مفكر سعودي

تنوي الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون إقامة حفل تكريم لأول مفكر سعودي هو **الشيخ محمد طاهر الكردي** ، الذي يعتبر أول خطاط في المملكة ، كما أنه قام بتحقيق عدد كبير من الكتب في مختلف ألوان الأدب والفنون .



★ الشيخ حمد الجاسر ★



★ د. عبدالعزيز الخويطر ★

كتب جديدة

● «**ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة**»، تأليف **الدكتور عبد الحليم عويس**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**جرح الآباء**»، ديوان شعري للشاعر **أحمد فرج عقيلان**، صدر عن **نادي المدينة المنورة الأدبي**.

● «**محاضرات نادي جازان**»، كتاب يضم المحاضرات التي ألقيت في النادي لعام ٩٧ ـ ١٣٩٨ هـ.

● «**من وجع الغربة**»، تأليف **حمد المرزوقي**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**رجل على الرصيف**»، مجموعة قصصية للقاص **عبد الله سعيد جمعان**، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي**.

● «**ترانيم الصباح**»، ديوان شعري للشاعر **عبد السلام هاشم حافظ**، صدر عن **نادي الطائف الأدبي**.

● «**صراع مع النفس**»، ديوان شعري للشاعر **عبد الرحمن صالح العشماوي**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**أدب الخواص**»، تحقيق **حمد الجاسر**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**ثمن التضحية**»، طبعة ثانية، رواية من تأليف **حامد دمنهوري**، صدرت عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**بين الغزل والهزل**»، ديوان شعر شعبي للشاعر **هويشل ابن عبد الله بن هويشل**، جمعه ورتبه **سعد عبد الله جنيدل**.

● «**رحلات في بلاد العرب ـ شمال الحجاز والأردن**»، تأليف **عاتق بن غيث البلادي**، صدر عن **دار المجمع العلمي بجدة**.

● «**العقوبات الشرعية ـ وكيفية تطبيقها في المملكة العربية السعودية القصاص، الدية، الكفارة**»، تأليف **محمد ابن إبراهيم الهويش**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي**.

● «**دموع الوجد**»، ديوان شعر شعبي للشاعر **الحميدي حمد نفجان**.

كلمة

المجلات المتخصصة

الفكرة تطرح نفسها في صيغة علامة استفهام.

لماذا لم تنتشر المجلات المتخصصة في الوطن العربي بصورة تتناسب وانتشار المجلات الثقافية العامة التي تعنى بمختلف فروع المعرفة الإنسانية؟

ومع طرح القضية بهذه الصورة المبسطة نقر أن كل مجلة لا تنشأ من فراغ، ولا تصدر في فراغ.. فهي تصدر لحاجة، واستجابة لميول ورغبات وإقبال شرائح من القراء.

فهل يعني أن المجتمعات العربية الثقافية ما زالت محكومة بظاهرة «الحانوت» الذي يعرض كل أنواع السلع مثل «السوبرماركت» بأسلوب العصر بدلا من التخصص في عرض سلعة معينة من السلع؟

أم أن الشرائح القارئة للمجلات المتخصصة بأعدادها وإقبالها لا تشجع على إصدار مثل هذه المجلات نتيجة ضعف المناهج التعليمية، وقدرتها على خلق جيل متخصص قارئ لمثل هذه المجلات؟

أم أن المجتمعات العربية ما زالت تؤمن بالطريقة التراثية وهو الأخذ من كل علم أو فن بطرف. وهذا ما يجعل الإقبال على المجلات الثقافية العامة شديداً أو متزايداً مع مرور الأيام، بحيث أصبحت هذه المجلات ـ المجلات الثقافية العامة ـ غير المتخصصة بعلم أو فن ظاهرة عامة في الوطن العربي.

ولكننا مع كل ذلك نجد في الساحة الثقافية بعض المجلات المتخصصة ظهرت رغم ما تعانيه من متاعب التسويق، بكل ثبات ونجاح مثل مجلة «العرب»، ومجلة «الدارة»، ومجلة «البناء»، ومجلة «الصقر» في المملكة العربية السعودية، ومجلة «دراسات الخليج والجزيرة العربية» في الكويت، ومجلة «الرواق» في العراق، ومجلة «الفنون» في المغرب.

ومع قلة إقبال الفئة القارئة لهذا النوع من المجلات إلا أنها استطاعت أن تكسر الجدار القائم في وجهها لمقابلة شرائح قليلة من القراء، واستمرت تصدر بتواضع مع ما تحفل به من بحوث ودراسات جيدة.

واليوم حين نسمع عن صدور مجلة تختص بالمكتبات والكتب في المملكة العربية السعودية، وأخرى في القاهرة، فإن ذلك يدعو للسرور، وإن المجتمعات الثقافية في الوطن العربي بدأت تحس بحاجتها إلى مثل هذه المجلات.

أملنا أن نسمع أيضاً عن صدور مجلات للهندسة.. والكيمياء.. والقانون.. والزراعة.. وغيرها من العلوم.

وحين يتحقق هذا العمل بصورة ناجحة بحيث تلقى هذه المجلات الترحاب والاستقبال من القراء، عندها تكون المجتمعات الثقافية استطاعت أن تتجاوز نفسها، وتعد بنيتها الثقافية المستقبلية بشكل معاصر.

علوي طه الصافي

مقابلات عربية لمصطلحات جديدة

يعكف خبراء في **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط** على إضافة المقابلات العربية لمصطلحات علمية جديدة في مختلف العلوم الطبيعية في الجيولوجيا ، والكيمياء ، والأحياء ، وعلم الأتربة ، وعلوم البيئة والمحيط وغيرها ، وكان المكتب قد حصل على هذه القوائم من **اتحاد المترجمين الدولي** (F. I. T.) والذي يتخذ من **مدينة (فارصوفيا) في بولونيا** مقراً له ، ويتمتع بدعم ورعاية **منظمة اليونسكو** ، ويقوم هذا الاتحاد بحصر المصطلحات العلمية المستجدة في جميع حقول العلم والمعرفة ، ثم يقوم بوضعها على شكل قوائم يرسلها إلى أكثر من خمسين بلداً لوضع المقابلات لها في اللغات المختلفة .

ومن المعروف أنه يصدر عن هذا الاتحاد مجلة فصلية تسمى **(بابل)** BABEL ، تنشر فيها المقابلات العلمية ، وقوائم المصطلحات العلمية الحديثة لاطلاع الباحثين والمتخصصين عليها .

نـــــــدوة
تعليم العربية لغير الناطقين بها

ينوي **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي** التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، والذي يتخذ من (الرباط) مقراً له ، عقد ندوة خلال الفترة من ٤/١٤ إلى ١٤٠٠/٤/٢٠ هـ ، عن **(تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)** ، وذلك بالتعاون مع **المركز الثقافي الألماني** والمسمى بمعهد **(جوته)** ، وسيشترك في هذه الندوة عدد من الخبراء والأساتذة وذوي الاختصاص في هذا المجال من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ومن معهد (جوته) في ميونخ ، وسوف تتناول هذه الندوة عدداً من المواضيع الهامة منها : مشكلات تعليم هذه اللغة لغير الناطقين بها ، وافتقار المكتبات إلى كتب



● **الكتاب : شرح أبيات مغني اللبيب**

● **تصنيف : عبد القادر البغدادي**

● **تحقيق : عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق**

عن دار المأمون للتراث بدمشق صدر مؤخراً الجزء السادس من كتاب « شرح أبيات مغني اللبيب » للعلامة اللغوي **عبد القادر بن عمر البغدادي** (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ) ، صاحب « **خزانة الأدب** » ، بتحقيق الأستاذين **عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق** .

وكانت الأجزاء الخمسة الأولى قد صدرت تباعاً منذ عام ١٣٩٣ هـ ، والكتاب كما يعرف أهل الاختصاص اللغوي ، **موسوعة أدبية قيمة** لكون المؤلف رحمه الله من رجال القرن الحادي عشر ، وهذا يعني أنه استفاد الكثير من مصنفات ومخلفات الكثيرين من علماء اللغة ممن سبقوه في البحث والتصنيف ، وأول من استفاد من وافر علمه هو **السيوطي** (أحد رجال القرن التاسع) الذي سبقه إلى شرح أبيات **المغني لابن هشام** ، إلا أن الموازنة بين العملين تثبت رجاحة كفة **البغدادي** كماً وكيفاً ، فقد بلغ ما شرحه البغدادي في مصنفه هذا (٩٤٦) بيتاً ، وما شرحه السيوطي (٨٧٩) بيتاً ، أي باسقاط سبعة وستين بيتاً .

ونظرة سريعة يلقيها المرء على سيرة البغدادي العلمية تلقي الضوء على سعة تحصيله ووافر ثقافته في علوم العربية ، ولا غرو فالرجل جلس إلى كبار علماء عصره الذين يشار إليهم بالبنان في علوم العربية ، والتفسير ، والنحو ، منهم العلامة **كمال الدين الحسيني** ، والعلامة **محمد بن يحيى الفرضي** ، هذا في الشام أما في مصر التي رحل إليها سنة (١٠٥٠ هـ) فقد أخذ العلم عن جمع من مشاهير علماء **الأزهر** العامر ، وكان أجل أولئك العلماء ، شيخه الأكبر **الشهاب الخفاجي** ، والشيخ **ياسين الحمصي** ، **والنور الشبرامسلي** ، **وسري الدين الدروري** . إلا أن الذي يأسف له المرء أن لا يجد عنه شيئاً من الأخبار لدى **المحبي** صاحب « **خلاصة الأثر** » أشهر من ترجم له من المؤرخين ، عن نشأته في **بغداد** مسقط رأسه وحاضنة طفولته وسنوات شبابه الأولى .

أما عمل المحققين في الكتاب فقد تمثل في الرجوع إلى مخطوطات الكتاب التي توفرت لهما وهي ثلاث نسخ ، الأولى مخطوطة مكتبة **(أيا صوفيا)** التركية ، والثانية مخطوطة مكتبة **(عارف حكمة)** في **المدينة المنورة** ، والثالثة نسخة

تعليم اللغة العربية المخصصة لغير الناطقين بها .

مركز ثقافي سعودي بالمغرب

سوف يفتتح مركز ثقافي سعودي بالمغرب ، وسيضم قاعتين ومكتبة عامة ، تضم أهم المراجع والمخطوطات ، وسيتم تخصيص يوماً واحداً في الأسبوع للقراءة والاطلاع .



كتب جديدة

● « **عرزال حمد السالم** » ، رواية من تأليف **عادل عبد الجبار** ، صدرت عن **وزارة الثقافة والفنون العراقية** .

● كما صدر عن وزارة الثقافة والفنون العراقية الكتب التالية :

★ « **غرف نصف مضاءة** » ، مجموعة قصصية **تأليف موسى كريدي** .

★ « **الأعمال القصصية الكاملة** » ، للقاص **عبد الحق فاضل** .

(**دار الكتب المصرية**) **بالقاهرة** ، وقد قاما بمقابلة المخطوطات على بعضها أول الأمر ، ثم اعتمدا نسختين خطيتين من الكتاب في التحقيق هما (أيا صوفيا وعارف حكمة) لكونهما أقرب في النسخ إلى عصر المؤلف رحمه الله ،

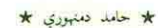
ثم اعتمدا نسخة (أيا صوفيا) لدقة ضبطها من جهة ، ولكونها معارضة على نسخة المؤلف من جهة ثانية ، كما قاما بتخريج أبيات **الشواهد المنشدة** من المصادر النحوية والأدبية وغيرها ، وترجما كثيراً من الشخصيات التي مرت في تضاعيف الشرح ، وخرجا **الآيات والأحاديث** الواردة في الكتاب ، وفسرا كثيراً من الكلمات المبهمة ، كما قاما بكتابة مقدمة وافية للكتاب سجلا فيها ما انتهت إليه دراستهما له ، وعرجا فيها على ترجمة المصنف ترجمة مقتضبة لا هي بالطويلة المملة ، ولا القصيرة المخلة ، والحقيقة أن المرء يسعد أيما سعادة حين يرى هذا الكتاب ، وقد صدر بعناية عالمين جليلين من علماء العربية في دمشق الشام عرفا بتخصصهما في هذا الفن منذ أكثر من ربع قرن .

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى أن الجزء السابع وهو الأخير من هذا الكتاب ملحقاً بالفهارس العامة سوف يصدر خلال هذا العام (١٤٠٠ هـ) كما صرح لنا أحد المحققين الأستاذ أحمد يوسف الدقاق حين حصولنا منه حفظه الله على الجزء السادس من الكتاب .

محمود الأرناؤوط
دمشق ـ سورية



★ حامد دمنهوري ★ ★ الخطاط محمد طاهر كردي ★



★ « **القرارة** » ، مجموعة قصصية تأليف **خضير عبد الأمير** .

★ « **الطفل .. هذا الكائن العجيب** » ، تأليف **الدكتور ضياء الدين أبو الحب** .

● « **تماس المدن** » ، رواية تأليف **نجيب المانع** ، صدرت عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **فعلت وأفعلت** » ، تأليف **أبي حاتم السجستاني** ، تحقيق **الدكتور خليل إبراهيم العطية** ، صدر عن **جامعة البصرة** .

الفن العربي والإسلامي

تعتزم **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** إصدار موسوعة حضارية في خمسة مجلدات ، تتناول « **معطيات الفن العربي الإسلامي في مختلف البلدان العربية والإسلامية عبر عصور التاريخ** » .

معرض للكتاب

أقيم (**بدار ابن رشيق**) معرض للكتاب التونسي استمر أسبوعاً عرضت فيه مجموعة من المؤلفات والكتب والمطبوعات التونسية التي ساهمت فيها دور النشر المحلية .

كتب جديدة

● « **يا ليل الصب ومعارضاتها** » ، تحقيق وتعليق **الجيلاني بن الحاج يحيى محمد المرزوقي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس وليبيا** .

● « **طه حسين : نقده الأدبي ومصادره الفرنسية** » ، تأليف **مفتاح طاهر** ، صدر **باللغة الفرنسية** عن **الدار العربية للكتاب في تونس وليبيا** .

● صدر عن **الدار التونسية** الكتب التالية :

★ « **الإسلام والمستقبل** » ، تأليف **إسكندر فونتان** ، صدر باللغة الفرنسية .

★ « **الإسلام والحوار** » ، تأليف **محمد الطالبي** ، صدر باللغة الفرنسية .

★ « **فراشة جميلة** » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف **بيار اليفي** .

★ « **قذور والنجوم** » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف **بيار اليفي** .

★ « **الراعي تحت القمر** » ، قصة للأطفال بالفرنسية ، تأليف **بيار اليفي** .

★ « **المسرح الصغير** » ، تأليف **مصطفى عزوز** .

فلسطين

مسابقة كتابة أدب الأطفال

أعلنت اللجنة الثقافية **لجمعية الهلال الأحمر في قطاع (غزة)** عن مسابقة في **(كتابة أدب الأطفال)** قصص ، مسرحيات ، أشعار ، أناشيد ، على أن تكون ملائمة للأطفال ومستوحاة من الواقع الفلسطيني .

كتب جديدة

● « **مغناة الطائر الأخضر** » ، مجموعة شعرية للشاعر **سليمان مصالحة** ، صدرت عن **دار الكاتب في القدس** .

● « **الجبل لا يأتي** » ، المجموعة القصصية الثانية للقاص **زكي العيلة** ، صدرت عن **دار الكاتب بالقدس** .

● « **ليل الغرباء متى يرحل** » ، ديوان شعري للشاعر **محمد الأسمر** ، صدر عن **مطبعة الأمل التجارية في القدس** .

● « **الوجه والعجيزة** » ، مجموعة قصصية للقاص **أحمد حسين** ، صدر عن **دار الصوت في عكا** .

● « **رحلة الشوق والعناق** » ، مجموعة شعرية للشاعر **محمود عبد الله الصح** ، صدرت عن **مكتبة المجتمع في الناصرة** .

● « **جعفر ينهض من قبره** » ، مجموعة شعرية للشاعر **عبد الحكيم سمارة** ، صدرت عن **دار الأسوار في عكا** .

● « **طليعة الفكر التقدمي** » ، تناول عدد من الكتّاب والمؤلفين منهم **فدوى طوقان** ، صدر عن **دار الأسوار في عكا** .

● **من منشورات دار صلاح الدين بالقدس** الكتب التالية :

★ « **الحركات الاجتماعية في الإسلام** » ، تأليف **الدكتور إميل توما** .

★ « **أغاني العمل والعمال في فلسطين** » ، تأليف **علي الخليلي** .

سورية

كتب جديدة

● « **الورد الآن ... والسكين** » ، مجموعة قصصية قصيرة تأليف **زهير جبور** ، صدرت عن **اتحاد الكتاب العرب بدمشق** .

● « **مهنة الجلاد** » ، تأليف **جان دولاري** ، ترجمة **نزار الدراوشة** ، صدر عن **دار الجماهير بدمشق** .

● « **التخوم** » ، مجموعة شعرية للشاعر **زهير غانم** ، صدرت عن **اتحاد الكتاب بدمشق** .

لبنان

كتب جديدة

● « **يحيى بن الحكم الغزال ـ أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري ، وسفير الأندلس لدى إمبراطورية القسطنطينية وملك النورمان ١٥٠ ـ ٢٥٠ هـ ، ٧٧٠ ـ ٨٦٤ م** » ، تأليف **محمد صالح البنداق** ، صدر عن **دار الآفاق في بيروت** .

● « **الفرائض وشرح آيات الوصية في القرآن الكريم** » ، تأليف الإمام السهيلي ، تحقيق الدكتور **محمد إبراهيم البنا** ، صدر عن مطبعة **دار الشرق للنشر والتوزيع** .

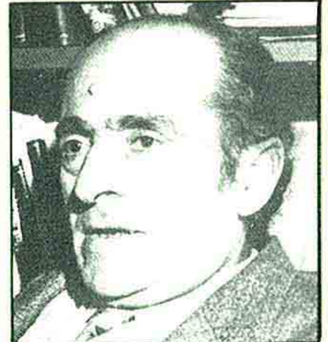
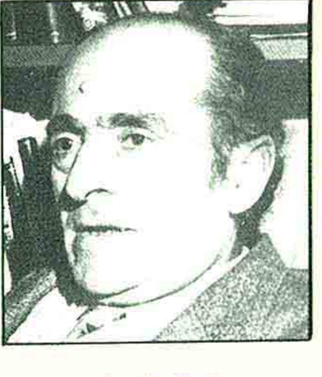
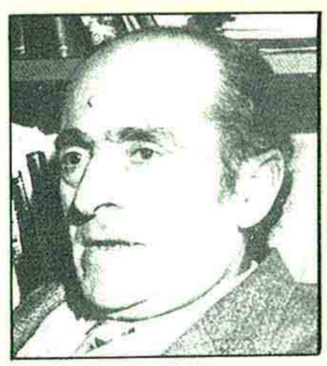
● « **الفكر الأخلاقي العربي** » ، ج ١ ، تأليف **الدكتور ماجد فخري** ، صدر عن **الدار الأهلية للنشر والتوزيع ببيروت** .

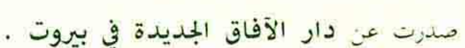
● « **لبنان المهجر** » ، تأليف **الياس عبود** ، وهو عبارة عن دراسة ميدانية وثائقية ، صدرت عن **المركز العربي في بيروت** .

● « **الرحيل بين السهم والوتر** » ، رواية جديدة تأليف **حليم بركات** ، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر**

● « **الفلسطيني الطيب** » ، رواية تأليف **علي فودة** ، صدرت عن **دار ابن خلدون** .

● « **الصورة في الحلم** » ، مجموعة قصصية **لرجاء نعمة** ،



★ فدوى طوقان ★ ★ خليل حاوي ★

صدرت عن **دار الآفاق الجديدة في بيروت** .

● « **علم نفس الحاسة السادسة** » ، تأليف الكاتبتان الأمريكيتان **شيلا أوستراند** ، **ولين شرودر** ، ترجمة **هنريت عبودي** ، صدر عن **دار الطليعة** .

● « **الإنسان والتحدي التكنولوجي** » ، تأليف **ج . فولكوف** . ترجمة **سامي كعكي** ، صدر عن **دار الطليعة** .

● « **الفرنسية في لبنان** » ، تأليف **الدكتور عبد الله نعمان** ، صدر عن **دار نعمان للثقافة ببيروت** .

● « **بحوث في الثقافة الإسلامية** » ، تأليف **الدكتور محمد خدوري** ، صدر عن **الدار المتحدة في بيروت** .

● « **ديوان خليل مطران** » ، ثلاثة أجزاء صدرت عن **دار مارون عبود** .

● « **الإسلام ومنطق القوة** » ، تأليف **محمد حسين فضل الله** ، صدر عن **الدار الإسلامية في بيروت** .

● « **في المركبة** » ، مجموعة شعرية للشاعر اليمني **محمد عبده غانم** ، صدرت عن **دار العودة** .

● « **عمر بن عبد العزيز ـ خامس الخلفاء الراشدين** » ، تأليف **الدكتور محمد عمارة** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **صفحات في القضية العربية** » ، تأليف **أحمد الشقيري** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **الفحص النفساني ـ مبادئ الممارسة النفسانية ، تقنياتها ، خطواتها واشكالاتها** » ، تأليف **الدكتور مصطفى حجازي** ، صدر عن **دار الطليعة في بيروت** .

● « **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** » ، تأليف **محمد ناصر الدين الألباني** ، يقع في عشرة أجزاء في مجلد واحد ، صدر عن **المكتب الإسلامي في بيروت** .

● « **من جحيم الكوميديا** » ، ديوان شعري للدكتور **خليل حاوي** ، صدر عن دار العودة .

● « **سلخ الجلد** » ، مجموعة قصصية تأليف **محمد برادة** ، صدرت عن **دار الآداب** .

● « **الفكر اليوناني قبل أفلاطون** » ، تأليف **الدكتور حسين**

نافذة

الحرم القدسي الشريف ••• ومخطط الصهيونية

إن أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، المسجد الاقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة ، والحرم القدسي الشريف ، إنها جميعاً في خطر ماثل . . .

هكذا أنذرت وثيقة أصدرها أهالي مدينة القدس في بيان موجه إلى الأمة العربية الإسلامية . وتتلخص الوثيقة بالبنود التالية :

١ ـ القدس العربية الإسلامية منذ خمسة عشر قرناً ترزح تحت الاحتلال الصهيوني الجائر منذ اثني عشرة سنة . وقد عمدت سلطات الاحتلال الصهيونية إلى دمج المدينة العربية بالقطاع الصهيوني المحتل منذ ١٩٤٨م ، وذلك في أعقاب **حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م** . وكان هذا الدمج التعسّي قد نفذته سلطات الاحتلال تحت شعار (**التطوير الاستراتيجي**) .

٢ ـ يتلخص ابتلاع القدس العربية الإسلامية من قبل دولة صهيون بخطوات أهمها : هدم الأحياء العربية القديمة بحجة تصدّع مبانيها وخطر ذلك على السكان ؛ عدم منح رخص لترميم المباني القائمة ؛ مصادرة المباني الخالية من السكان (وأغلبها أوقاف إسلامية) ؛ إنشاء حزام ضخم من عمارات الشقق حول المدينة القديمة ؛ إنشاء ضواحي جديدة لتهجير السكان العرب إليها وبالتالي مصادرة ممتلكاتهم العقارية التي آلت إلى أصحابها الشرعيين عبر قرون عديدة من التوارث الشرعي ؛ مصادرة الأرض غير المبني عليها ؛ إجراء حفريات (أثرية) تتكون من حفر أنفاق تحت المباني القائمة بقصد إضعاف أساساتها (**ومن ذلك ما حفروه تحت المسجد الأقصى المبارك**) ؛ السماح للمتزمتين اليهود بإقامة طقوسهم الدينية في ساحة الحرم الشريف بحماية الشرطة والجيش الإسرائيليين .

٣ ـ **مضايقة السكان العرب اقتصادياً واجتماعياً ومهنياً . وتسهيل خروجهم إلى الأقطار العربية بقصد العمل** . فقد دأبت سلطات الاحتلال الصهيونية على إنشاء **الخمارات وترويج الدعارة** بين السواح الأجانب ، وذلك في وسط الأحياء السكنية العربية ، من أجل إذلال السكان وتهجيرهم . كما تمنع السلطات إعطاء رخص مزاولة المهن كالطب والصيدلة والهندسة إذا كان ذلك في حدود القدس العربية . وتلاحق السلطات المحتلة جميع من يقوم بنشاطات فكرية أو تربوية . كل ذلك بقصد كسر شوكة الصمود البطولي لسكان القدس العربية الإسلامية .

وتقدم الوثيقة المذكورة اقتراحات عملية مدروسة تهدف إلى إنقاذ عروبة القدس وإسلامها . وهذه هي الاقتراحات :

١ ـ تقوية جهاز **دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس** مادياً ومعنوياً .

٢ ـ إجراء مسح شامل للمقدسات والأبنية الإسلامية ذات الصبغة الدينية والتاريخية ، والأملاك الوقفية العامة بما في ذلك الأراضي ، بغية رصد كل ما تحتاجه هذه من إشراف وتدبير . (وقد قامت السلطة الإسلامية في القدس بعدد من الخطوات في هذا الاتجاه منها : (أ) إعمار المسجد الأقصى المبارك بعد الحريق المتعمد عام ١٩٦٨م . (ب) صيانة عدد من أبنية الحرم الشريف . (ج) ترميم أجزاء من قبة الصخرة المشرفة . (د) إنشاء المتحف الإسلامي للعناية بالعاديات الأثرية الصغيرة) .

٣ ـ تنفيذ مقترحات دائرة الأوقاف الإسلامية التي تقدمت بها إلى الحكومة الأردنية ومؤتمرات القمة العربية ، وهي مشاريع تهدف إلى حفظ الأرض والسكان العرب : إسكانياً وثقافياً ودينياً وصحياً .

٤ ـ العمل الفوري على ترميم الأبنية الدينية الآيلة إلى السقوط بسبب الحفريات والأنفاق الإسرائيلية الهادفة إلى تدميرها .

وتختم الوثيقة بالملاحظات التالية :

إن القدس أثمن من أن تقوّم بالمال . وكم يرخص المال أمام الخطر الذي يهدد أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين مسرى محمد عليه الصلاة والسلام . إن المال والجهد اللذين تبذلها السلطات الإسرائيلية لتحويل مدينة القدس إلى مدينة يهودية لا حدود لها . فكم بالأحرى ، ونحن العرب المسلمين نملك المال ونقدر على بذل الجهد ، أن نكون أقدر على البذل من أجل قدس العروبة والإسلام .

ويا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وتقاعسنا عن حقنا !

إن هذا البيان المهم الذي وزعه أهالي القدس ، يكشف بوضوح لا لبس فيه ولا جدال ، أن المخطط الإسرائيلي الرهيب يستهدف الاستيلاء على الحرم القدسي الشريف .. فاللهمّ ألهم العرب والمسلمين لما فيه سداد الرأي كيلا تصبح رابطة العرب والمسلمين بالقدس كرابطتهم بالاندلس . . .

د . فواز أحمد طوقان
عمان / الأردن



حرب ، صدر عن دار الفارابي .

● « الصناعة الإسرائيلية » ، تأليف الكاتب الفلسطيني حسين أبو النمل ، صدر عن دار الطليعة .

● « كانكان العوام الذي مات مرتين » ، رواية من تأليف الكاتب البرازيلي جورج أمادو ، صدرت عن دار الفارابي بترجمة محمد عيتاني .

● « رقيق القرن العشرين » ، مجموعة قصصية لنجوى قلعجي ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « مدخل إلى الأدب الجاهلي » ، تأليف إحسان سركيس ، صدر عن دار الطليعة .

● « مأزق إسرائيل في الحرب والسلم » ، تأليف حسن محمد طوالبه ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « التعليم الهيكلي للغات الحية » ، تأليف الدكتور رضا السويسي ، صدر عن الدار العربية للكتاب .

● « معجم الشعراء في لسان العرب » ، تأليف الدكتور ياسين الأيوبي ، صدر عن دار العلم للملايين .

● « مدار الكلمة ـ دراسات نقدية » ، تأليف أمين ألبرت الريحاني ، صدر عن دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري في بيروت والقاهرة .

● « مديح لمقهى آخر » ، ديوان شعري للشاعر أمجد ناصر ، صدر عن دار ابن رشد .

● « مطر في صباح دافئ » ، رواية ألفتها سلوى البناء ، صدرت عن دار الحقائق .

● « الرأي الآخر » ، تأليف بوعلي ياسين ، صدر عن دار الحقائق .

● « دموع القمر » ، مجموعة قصص تأليف وصال خالد ، صدرت عن دار الآفاق الجديدة ببيروت .

● « تغريبة بني فلسطين » ، ديوان شعري للشاعر وليد سيف ، صدر عن دار العودة .

● « مختارات من الشعر الرومانتيكي الإنجليزي » ، ترجمة الدكتور عبد الوهاب المسيري ومحمد علي زيد ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● « ذئب البوادي » ، رواية ألفها الكاتب الألماني هيرمان هيسه ، ترجمة النابغة الهاشمي ، صدرت عن دار ابن رشد .

● « السُكَّري » ، تأليف الدكتور شامل إبراهيم معكرون ، كتاب طبي صدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع .

● « العرب » ، تأليف مكسيم رودنسون ، ترجمة الدكتور خليل أحمد خليل ، صدر عن دار الحقيقة .

● « مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنّة » ، تأليف الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، صدر عن دار العلم للملايين .

تونس

رابطة عربية للأدب الشعبي

قرر المؤتمر العربي الأول الذي عقد في تونس للأدب الشعبي ، **إنشاء رابطة عربية تعنى بشؤون الأدب الشعبي** باعتباره تراثاً عربياً أصيلاً ينبغي الاهتمام به ، وستكون مهمة هذه الرابطة دراسة هذا النوع من الأدب في الوطن العربي وتقريب أساليبه ولغته إلى اللغة الفصحى .

مؤتمر للآثار الإسلامية

قررت **إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** بجامعة الدول العربية ، عقد **مؤتمر عالمي لدراسة الآثار الإسلامية** في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي ، والتنبيه إلى صيانتها ، وإقامة معارض ـ أثناء انعقاد المؤتمر ـ لتصويرها ، وإنتاج فيلم سينمائي عنها ، وإصدار موسوعة عن روائع الفنون والآثار الإسلامية .

معرض للكتب

أقامت **الشركة التونسية للتوزيع** معرضاً خاصاً بالكتب العلمية والفنية **بدار الثقافة** ، وقد احتوى هذا المعرض على حوالي (٣٠٠٠) كتاب من إنتاج بعض **دور النشر الفرنسية** .

كتب جديدة

● « أعمدة من دخان » ، مجموعة قصصية تأليف نافلة ذهب ، صدرت عن (منشورات صفاء) بتونس .

● « حكايات عبد العزيز العروي » ، ج ٥ ، صدر عن الشركة التونسية للنشر بالتعاون مع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية .

● « مؤلفات ابن خلدون » ، بقلم عبد الرحمن بدوي ، صدر عن الدار العربية للكتاب .



★ أمين الريحاني ★

مصـــر

كتب جديدة

● « مصر الخضراء » ، تأليف الدكتور فاروق الباز ، صدر عن دار المعارف ضمن سلسلة (كتابك) وهو كتاب مدرسي .

● « القانون الطبيعي وقواعد العدالة » ، تأليف عبد السميح سالم الهراوي ، صدر عن دار المعارف بالقاهرة .

● « الجديد في رسالة الغفران » ، تأليف الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطئ ـ صدر عن دار المعارف بمصر .

● « توفيق الحكيم اللامنتمي » ، تأليف أحمد محمد عطية ، صدر عن دار الموقف العربي ، وهو عبارة عن دراسة في فكر الحكيم السياسي .

● « الأئمة الأربعة ـ أبو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، ابن حنبل » ، تأليف الدكتور مصطفى الشكعة ، صدر عن دار الكتاب المصري اللبناني بالقاهرة .

● « أصول القانون الدولي العام » ، ج ١ ، تأليف الدكتور عبد الباري أحمد عبد الباري .

● « الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية » ، تأليف الدكتور محيي الدين عبد العليم ، صدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة .

● « مستقبل الإسلام والقرن الخامس عشر الهجري » ، تأليف الدكتور محمد البهي ، صدر عن مكتبة وهبة .

● « جيل وراء جيل » ، تأليف جلال العشري ، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الكويت

كتب جديدة

● « أسطورة دون كيشوت » ، مسرحية ألفها الكاتب الإسباني بويرو باييخو ، ترجمة الدكتور صلاح فضل ، صدرت ضمن سلسلة (في المسرح العالمي) ، التي تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية .

● « الإبداع في الفن والعلم » ، تأليف الدكتور حسن أحمد عيسى ، صدر ضمن سلسلة (عالم المعرفة) التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

● « الطيور المهاجرة » ، ديوان شعري للشاعر إسماعيل أبو شقرة ، صدر عن دار القبس الكويتية .

اليمن

كتب جديدة

● « النفس اليماني » ، تأليف عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ ، صدر عن مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .

الأردن

متحف للتراث الأثري

تقوم بعثة ألمانية متخصصة في آثار منطقة الشرق الأوسط بتنفيذ وإقامة متحف للتراث الأثري العريق الذي تشتهر به الأردن ، وذلك ضمن خطة تقوم على إحياء وترميم الآثار القديمة .

كتب جديدة

● صدر عن رابطة الكتاب الأردنيين الكتب التالية :

★ « البيت القديم » ، مجموعة قصصية للقاص يوسف الغزو .

★ « الأبلة » ، رواية من تأليف فايز محمود .

★ « في أحراج يعبد الشيخ عز الدين القسام » ، قصة للأطفال تأليف روضة الهدهد .

● « تاريخ منطقة شرقي الأردن ـ في عصر دولة المماليك الأولى » ، تأليف الدكتور يوسف غوانمة ، صدر عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية .

ليبيا

كتب جديدة

● « طه حسين يتحدث عن أعلام عصره » ، تأليف الدكتور محمد الدسوقي ، صدر عن الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس .

● « ديوان صفي الدين الحلي » ، في جزءين تحقيق الدكتور محمد إبراهيم حور ، صدر عن إدارة المطبوعات والنشر بكلية آداب جامعة قاريونس ببنغازي .

بريطانيا

المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات

أقيم في **لندن** معرض في أحد المتاحف موضوعه (**المجتمع الإنجليزي في الثلاثينات**) ، ضم هذا المعرض أعمال أشهر النحاتين والرسامين الإنجليز التي تعكس صورة المجتمع الإنجليزي خلال تلك الفترة خاصة العاطلين الذين بلغ عددهم في ١٩٣٢ م ، حوالي (٤) ملايين عاطل .

* أحدث الكتب *

● **صدرت الكتب التالية عن دار نشر دابليو . جي . فويلز :**

★ « **تشارلز : أمير ويلز** » ، بقلم **أنتوني هولدن .**

★ « **الإنحياز** » ، بقلم **برنارد ليفين .**

★ « **حرب البوير** » ، بقلم **توماس باكينهام .**

★ « **أيام في البيت الأبيض ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ م** » ، **هنري كيسنجر .**

★ « **كان الثمن غالياً** » ، مجموعة قصصية بقلم **ف . سكوت فيتز جيرالد .**

★ « **شوبان** » ، بقلم **آدم زامويسكي .**

★ « **مختارات شعرية** » ، بقلم **جون بنجمان .**

★ « **دليل الفارس الدولي** » ، شارك في إعداده نخبة من المؤلفين .

★ « **رباعيات عمر الخيام** » ، ترجمة **إدوارد فيتز جيرالد .**

★ « **عندما كنت شاباً** » ، ترجمه عن الفرنسية **شارل أزنافور .**

★ « **الأوركسترا** » ، بقلم **أندريه بريفين .**

● **وصدرت الكتب التالية عن دار نشر (فويلز) :**

★ « **عبقرية برنارد شو** » ، إعداد **ميتشيل هولرويد .**

★ « **الحديقة الإنجليزية** » ، بقلم **لورنس فليمنغ .**

★ « **خمسون سراً من أسرار البحر** » ، إعداد **جون كانينغ .**

★ « **كيف تفهم الموسيقى** » ، بقلم **أنتوني هوبكنز .**

★ « **الملكة والوطن** » ، بقلم **دافيد سنكلير .**

★ « **الموسوعة الجغرافية الدولية** » ، وتحتوي على شرح لـ ٢٥,٠٠٠ كلمة .

★ « **موسوعة لكل إنسان** » ، موسوعة ثقافية مكونة من ١٢ مجلداً .

فرنسا

معرض للرسام دالي

أقيم **بمعرض (جورج بومبيدو)** بالعاصمة الفرنسية معرض يضم (١٢٠) لوحة من أشهر اللوحات التي رسمها الرسام **(سلفادور دالي)** .

وفاة النحات الفرنسي (مور)

توفي عن عمر يناهز الثالثة والسبعين **الرسام والنحات الفرنسي (سان مور)** الذي ذاعت شهرته في الثلاثينات ، ومن المعروف أنه ولد في سنة ١٩٠٦ م ، ولعب دوراً كبيراً في حركة الفن التي كان يقودها وهي « حث الفنانين بالرسم على الجدران والأثاث » ، وقد قام بالنحت والرسم على المباني العامة وبعض المدارس الفرنسية والكنائس .

متحف للعلوم الصناعية

سيقام في **باريس** متحف جديد أطلق عليه اسم **(المتحف الوطني للعلوم والصناعة)** ، والذي سيفتتح في سنة ١٩٨٣ م ، وينقسم المتحف الجديد إلى أربعة أقسام ، ويتوقع أن يكون رواده سنوياً أكثر من (٣) ملايين زائر .

موسوعة فرنسية عن « الخيال العلمي »

ظهرت أحدث موسوعة فرنسية بعنوان « **موسوعة الخيال العلمي** » ، وقد خصصت لهواة هذا النوع الجديد من الخيال ، وهي تضم الألفاظ المستخدمة في هذا النوع .

اليابان

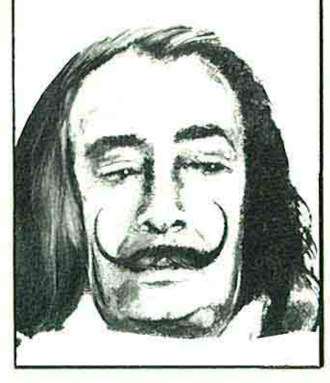
اليابانيون والخط العربي

أنتجت إحدى الشركات اليابانية قطعاً من الحرير تحمل كل قطعة آية قرآنية كريمة تصلح لتعليقها على الجدار بعد وضعها في إطار لتزيين المنزل والمكتب ، وقد أتقن الخطاطون اليابانيون الكتابة باللغة العربية بأحرف كوفية بالغة الدقة ، وتعتزم الشركة تسويق هذه التحف الحريرية إلى العالم الإسلامي .

اليوم و الغد



★ هنري كيسنجر ★



★ سلفادور دالي ★



معـرض دولـي للكتـــاب

أقيم المعرض الدولي للكتاب على مساحة تقدر بـ ٧٠,٠٠٠ متر مربع في مدينة (**فرانكفورت**) ، وقد حضر هذا المعرض (٥٠٠٠) دار للنشر تمثل (٨٠) بلداً ، وقد عرض فيه أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) كتاب منها (١٠٠,٠٠٠) كتاب لأول مرة .

أمريكا

* أحدث الكتب *

● « **قراءات في علم اللغة العربي** » ، تأليف **الدكتور سلمان العاني** ، صدر عن **جامعة (أنديانا) بأمريكا** .

يوغسلافيا

* أحدث الكتب *

● « **رسالة الغفران** » ، **لأبي العلاء المعري** ، صدرت باللغة اليوغوسلافية عن **معهد الدراسات الشرقية في يوغوسلافيا** ، ترجمة نخبة من الباحثين والأدباء اليوغوسلافيين .

● « **الأيـــام** » ، تأليف **الدكتور طه حسين** ، صدرت باللغة اليوغوسلافية عن **معهد الدراسات الشرقية** ، قام بترجمتها نخبة من الباحثين والأدباء .

الصين

معـرض للكتب

أقيم في (**بكين**) معرض للكتب لمدة عشرة أيام في (**قصر الثقافة العالمية**) وقد بيع فيه أكثر من (٧٥٠,٠٠٠) كتاب لمختلف الكتّاب الصينيين والأوروبيين وكذا الأمريكيين .

الطبق العائم

● أنتج **العلماء في فرنسا** طبقاً عائماً من (**مادة بولسترين**) وهي مادة يعادل وزنها ١/٨ من وزن **الفلين** وقدرة موتوره ثلاثة أحصنة ويزن ٧٥ كيلوغراماً .. **السرعة القصوى ١٥ كلم** في الساعة .

رادار لخدمة قائد السيارة

● تمكن العلماء مؤخراً من اختراع جهاز جديد يشبه الرادار وهو يركب في مقدمة السيارة ليكشف لقائدها على **شاشة صغيرة** شبيهة بشاشة التلفزيون الأخطار التي تواجهه مثل السيارات أو الجبال أو العوائق ... قبل الوصول إليها بوقت كافٍ ، كما أنه يبين حالة الطقس باستمرار ، وهذا الرادار مزود بعقل إلكتروني صغير .

سيارة تسير بالماء

● توصل علماء **جامعة أريزونا الأمريكية** إلى صنع **سيارة تستخدم الماء كوقود لها بدلا من البنزين** ، وقد صرح (**هارفن**) الأستاذ بالجامعة أن الموتور مصنوع من معادن خاصة ، وأن صناعته استغرقت ٣ سنوات ونصف السنة ، وأنه يستعمل ماء الميتانول بنسبة تلوث لا تذكر إذا قورنت بآثار تلوث السيارات الأخرى التي تستعمل البنزين .

صاروخ لإطفاء الحرائق

● أعلن مؤخراً عن **ابتكار صاروخ** جديد خاص يستطيع **إطفاء الحرائق في الطائرات بسرعة** ، وذكر أن هذا الصاروخ يقوم بعد إطلاقه مباشرة من قاعدته في المطار بصب ٥٠٠ كيلوجرام من مادة رغوية على الطائرة الملتهبة ، وبذلك تخمد النيران في الحال .

الزواج بواسطة العقل الإلكتروني

● بدأ العالم يدخل عصر الإلكترون وأجهزة الكمبيوتر بسرعة رهيبة ، فلقد فكر العلماء في استخدام هذه المخترعات في شتى فروع الحياة ، حتى إنه صار بإمكان أي شاب أعزب أو شابة اختيار شريك الحياة باستشارة العقل الإلكتروني بدل استشارة قلبه ، وذلك بأن يجلس الشخص الذي يهمه الأمر أمام الجهاز الإلكتروني ، ويدلي ببعض المعلومات الشخصية التي يفرزها هذا العقل العجيب ، ويتبين صدقها من كذبها حتى لا تكون هناك عملية غش أو خداع ، ثم يقذف من أحد جوانبه بطاقة تحمل صورة الطرف الآخر ـ المناسب ـ وعنوانه ورقم هاتفه ، استناداً إلى طلبات زواج سابقة أودعها « العزاب » في الجهاز .

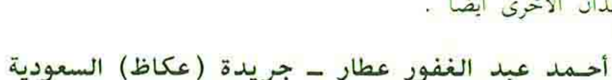
أفكار منشورة أفكار منشورة



★ محمد حسين زيدان ★

● أدباء الرعيل الأول أئمة في اللغة ، وبحار زاخرة في العلم والمعرفة والثقافة ، وما قصروا اطلاعهم على الأدب القديم وحسب ، بل اطلعوا على الأدب الحديث ، وما زالوا يتابعون نتاجه ويطلعون على كل جديد فيه .

أما أدباء الرعيل المتأخر فلا يولون اللغة أي اهتمام ، فكلهم لا يحسنون العربية ، إلا النادر منهم ، فهم لا يفهمون معاني الكلمات التي يستعملونها ولا ذوق لديهم في الاستعمال ، ولا بصر عندهم بالمعنى الأصيل للكلمة ، فيستعملون الكلم في غير مواضعه ، ويحرفونه ، ويستعملون بعضها مكان بعض ، ولا رابط بين الجمل ، وأساليبهم غاية في الركاكة ، ونسجهم مهلهل ، وهندسة بنائهم مختلفة . وهذه العيوب ليست وقفاً على بلادنا ، بل هي عيوب البلدان الأخرى أيضاً .



أحمد عبد الغفور عطار ـ جريدة (عكاظ) السعودية



★ أحمد عبد الغفور عطار ★

● الإسلام دين الفطرة ، فالفطرة إيمان إنما يخرِّب إيمانها التربية الفاسدة (يولد الولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ، ويضاف إلى عناصر هذا الإفساد ما يفعله المضللون الذين يخرجون على الإسلام بآراء ومذاهب ونحل باطلة ، يفعلون ذلك باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء . لكن هذا الدين القيم ـ الإسلام ـ يحرز الانتصار على كل أعدائه بنضال المؤمنين به ، فمن عجائب هذا الدين أنه ينتصر بالحرب عليه .

محمد حسين زيدان ـ جريدة (البلاد) السعودية

● بدأ النقد في القدم ذاتياً فردياً ثم ـ ومع تطور الحياة ـ ظهرت مدارس واتجاهات نقدية واحتدم الصراع بينها . وقد أثرى الأدب هذا الصراع .. ومن أهم مظاهر النقد الأدبي الحديث النقد المنهجي الذي ، من أهم مناهجه ، المنهج الفني والمنهج التاريخي والمنهج النفسي ، ثم ظهر المنهج التكاملي وهو منهج يقيم جميع المناهج السابقة ، وللأسف الشديد فإن النقد المنهجي الذي دعا إليه المرحوم الدكتور محمد مندور كان آخر هذه المدارس النقدية المنهجية ، وهو منهج تقويمي توجيهي هادئ ، منهج يوضح أبعاد العمل الفني الأدبي ويحلله تحليلاً وافياً ؛ وبعد مندور عاد في رأيي النقد ذاتياً مرة أخرى . لا شك أن هناك نقاداً كباراً أفادوا من تجارب غيرهم وأضافوا إليها ولكن بصورة فردية . وربما تحول النقد في غالبيته إلى انتقاد وتجريح أو مديح وكلاهما ضار بالأدب والأديب . ونحن في الحقيقة في أمس الحاجة إلى الناقد الأدبي المختص المتذوق للأدب الذي يبين ما للعمل الأدبي وما عليه دون تحامل أو تجريح .. ينصح ولا يجرح ... يبني ولا يهدم ... وأتمنى أن تقوم الجامعات في غيبة المدارس النقدية بدورها الطليعي الرائد كمؤسسة مؤهلة للقيام بهذا الجهد لتقويم مسيرة النقد الأدبي .

ديب خباص ـ مجلة (اقرأ) السعودية

● من أخطر آفات الفكر البشري الجمود أو التزمت ، والمكابرة أو التشبث ، وتتبدى عوارضه في الإصرار على الرأي والاعتقاد بأن فكرك الأفضل ، وطريقتك الأمثل ، وشعبتك هي الأقوم .

د . مصطفى محمود حلمي ـ جريدة «القبس» الكويتية

البعد النفسي للأدب

بقلم : د . نبيل راغب

كان علم النفس من العلوم التي استفاد منها الأدب إلى حد كبير ، واستخدمها في إضافة الكثير إلى مناهجه ، سواء الإبداعية أو النقدية . ولا ترجع استفادة الأدب بعلم النفس إلى الفترة التي اكتشفه فيها **سيجموند فرويد** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقط ، بل ترجع إلى أيام **أرسطو** ونظريته في التطهير الذي تحدثه التراجيديا في نفوسنا . **فقد قال إن التراجيديا تطهر نفوسنا من الأحاسيس المضطربة والمشوشة التي تحدثها فينا الحياة اليومية ، وذلك بإثارة عاطفتي العطف والخوف من مصير البطل المأسوي الذي يتحرك إلى الهاوية رغماً عن إرادته الإنسانية الضعيفة . ومع ذلك يصر على تحدي قدره إلى أن يلقى حتفه بطريقة أو بأخرى .**

فنحن نتعاطف معه لأنه يشاركنا إنسانيتنا بكل ثغرات ضعفها التي تعمل من داخله لكي توركه موارد التهلكة .. ونتعاطف معه أيضاً لأنه يضحي نيابة عنا . أما عاطفة الخوف فتأتي من إحساسنا بإمكانية أن نقف في مكان البطل التراجيدي ذات يوم ، لأننا لا نملك الضمانات التي تؤكد لنا استحالة الوقوع في نفس المأزق المصيري الذي لا عودة منه .

يقول **أرسطو** إن الإحساس بالعطف والخوف من شأنه أن يخلصنا من العواطف المشوشة والتافهة ، ويجعلنا أكثر قرباً من الوجدان الإنساني العام ، البعيد عن الأنانية وتضخم الذات وضيق الأفق . **والواقع أن كل النظريات التي حاول علماء النفس ابتداعها منذ أواخر القرن الماضي حول الأثر النفسي الذي يحدثه العمل الأدبي داخل المتذوق ، هذه النظريات لم تذهب بعيداً عن نظرية التطهير التي وضعها أرسطو قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون ونصف ، بل كانت بمثابة الشروح والتحليلات التي قدمتها لها في ضوء مناهج علم النفس الحديث واكتشافاته .** وهذا يؤكد لنا أن علم النفس كان موجوداً بطريقة أو بأخرى من خلال الفلسفة والأدب اللذين اهتما أساساً بدراسة النفس البشرية منذ فجر المعرفة الإنسانية ، وأن ما فعله **فرويد** وغيره من علماء النفس الرواد كان تقنيناً لهذا الفرع من المعرفة ووضع المنهج العلمي له . **لذلك كان الأدب أسبق من علم النفس في دراسة النفس البشرية ، ولما تم تقنين علم النفس ومنهجته كان من الطبيعي أن يتحد الاثنان من أجل المزيد من المعرفة للذات الإنسانية التي تعد من أكثر ألغاز هذا الكون غموضاً .**

أدى هذا الاتحاد في بعض الأحيان إلى وجود أعمال أدبية قائمة أساساً على **منهج التحليل النفسي** الذي ابتدعه فرويد . فالبطل مصاب مثلاً بعقدة نفسية ترسبت في لا وعيه منذ حداثته لكنه لا يعرف كنهها برغم أنها تؤثر في سلوكه الظاهري ، وخاصة عندما تمس ما يوقظها من مكامنها . وغالباً ما تكون الرواية رحلة ممتعة في تيار الشعور واللاشعور عند البطل إلى أن تحتدم الأحداث المتشابكة وتضغط على العقدة بحيث تطفو على السطح . عندئذ يتخلص منها البطل ويعود إلى حالته الطبيعية ، وغالباً ما تنتهي الرواية عند هذه الحدود .

وقد يتساءل البعض عن الفارق بين الرواية السيكولوجية التي يؤلفها الروائي وبين الحالة المرضية المعروضة على الطبيب النفساني ؟

والإجابة على ذلك : أن الرواية تجسد البطل ، وتحيله إلى إنسان له ملامح من السهل أن يتعرف عليها القارئ برغم أنه قد يكون شخصية خيالية محضة . أما الطبيب النفساني فينظر إلى المريض على أنه مجرد حالة تنتهي بتكشف العقدة ولا يمر بنفس التجربة الجمالية والوجدانية التي يمر بها الروائي أثناء تأليف الرواية ، أو القارئ أثناء القراءة .

وإذا كان علم النفس ينهض على التحليل والشرح

●● كان الأدب أسبق من علم النفس في دراسة النفس البشرية ، ولما تم تقنين علم النفس ومنهجته كان من الطبيعي أن يجد الاثنان من الجل المزيد من المعرفة للذات الإنسانية ...

●● إذا كان علم النفس ينهض على التحليل والشرح والتوضيح والتبصير ، فالأدب يعتمد على التركيز والتجسيد والإيجاز والتركيب . من هنا يبدو الاختلاف في الوسائل التي يستخدمها كل من علم النفس والأدب.

والتوضيح والتبصير ، فالأدب يعتمد على التركيب والتجسيد والتركيز والإيجاز ، من هنا يبدو الاختلاف في الوسائل التي يستخدمها كل من علم النفس والأدب برغم اتفاقهما في الهدف الذي يتمثل في الحصول على المزيد من المعرفة الإنسانية . ومنذ أرسى **فرويد** القواعد الأولى لعلم النفس التحليلي ، تأثر بها الأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة ابتداء من أواخر القرن الماضي .

فبعد أن كان التركيز كله على الحياة الخارجية والعلاقات الاجتماعية للشخصيات والمواقف ، تحول معظم الاهتمام إلى ما يدور داخل الإنسان من انفعالات وصراعات تؤثر على تفكيره وسلوكه ، وأصبح النقاد يتداولون مصطلحات سيكولوجية جديدة على النقد الأدبي مثل **العقدة النفسية ، وتيار اللاشعور ، والعقل الباطن ، والسادية ، والماسوشية ، والنرجسية ، والصراع النفسي ، وعقدة أوديب والكترا ...** الخ . وتحول النقد بعد ذلك إلى اتجاه متطرف عرف بعد ذلك باسم المدرسة السيكولوجية في النقد .

ينظر تلاميذ المدرسة السيكولوجية إلى العمل الأدبي على أساس أنه تعبير مباشر عن شخصية الكاتب وتكوينه النفسي ، ويتخذ نقادهم من الرواية ، مثلاً ، وسيلة للكشف عن هذه الشخصية والقاء الأضواء على معالمها المختلفة وتحليل خباياها الدفينة . **كانت النتيجة أن تحول اهتمامهم من العمل الأدبي نفسه إلى حياة الكاتب الشخصية ، إذ يتحتم على الناقد أن يكون ملماً بحياة الكاتب من جميع جوانبها .** وهذه المعرفة الدقيقة الشاملة تساعدهم في بحثهم الذي غالباً ما يخرج من ميدان النقد الأدبي إلى مجال التحليل السيكولوجي . وهذا من الأسباب التي أدت إلى كثرة ظهور تراجم حياة الكتّاب والفنانين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين ، لأن هذه التراجم تساعد النقاد من أتباع المدرسة السيكولوجية على تحليل النص الأدبي وتفسيره في ضوء حياة كاتبه الشخصية ، وعندما يتحقق لهم هذا الهدف يفقد العمل الأدبي كل دلالة بالنسبة لهم .

ونحن لا نعترض على هذا المنهج الذي يعتمد على استقراء المكونات النفسية للكاتب من خلال كتاباته ثم تفسير كتاباته في ضوء حياته . فهو منهج علمي سليم من جهة علم النفس ، أما من وجهة نظر النقد الأدبي ، فقد أسيء استعماله في الوقت الذي كان من الواجب عدم إقحامه في مجال لا يفيد فيه ولا يستفيد منه .

فتحليل نفسية الكاتب عن طريق عمله الأدبي ، ثم تفسير هذا العمل في ضوء الظروف النفسية التي يمر بها لا يزيد من استيعابنا للعمل الأدبي أو من استمتاعنا به بل يشتت تركيزنا بعيداً عنه . **فهو منهج يربط العمل الأدبي بأشياء خارجة عنه ، بينما النقد هو تحليل العمل الأدبي إلى عناصره الأولى وابراز مدى توفيق الكاتب أو فشله في مزج هذه العناصر لكي تمنح تأثيرها الجمالي النهائي من خلال التجربة النفسية التي تتشكل داخل وجدان القارئ .**

فإذا كانت هناك علاقة بين علم النفس والنقد الأدبي ، فيجب أن تنصب على التأثيرات التي يمارسها العمل الأدبي على نفسية القارئ وليس على شرح نفسية الكاتب . لكن أتباع المدرسة السيكولوجية يفيدون أبحاث علم النفس بينما مجهودهم في ميدان النقد الأدبي يصير إلى لا شيء . في هذا يقول **ا . ا . ريتشاردز** في كتابه « **أصول النقد الأدبي** » :

« إن ما يدور في ذهن الكاتب من عمليات ليس ميداناً مفيداً جداً للبحث النقدي . هذا على الرغم مما ينادي به علماء التحليل النفسي ، وذلك لأن هذه العمليات توفر لنا ميداناً خصباً للتخمين الصرف . حقاً إن العناصر التي يتألف منها العمل الأدبي تشمل الكثير من العناصر اللاشعورية ، ولربما كانت هذه العناصر اللاشعورية أهم بكثير من غيرها . لكننا حتى ولو افترضنا أننا نعلم أكثر بكثير مما نعلمه الآن عن طبيعة العمليات الذهنية ، فلن نسلم من احتمال الوقوع في الخطأ الجسيم إذا حاولنا أن نبين العمليات الخفية الباطنة التي تدور في ذهن الفنان ، مستندين في ذلك إلى شهادة نتاجه وحده . وإذا قسنا بما نشره **فرويد** عن **ليوناردو دافنشي** أو **يونج** عن **جيته** في كتاب « **سيكولوجية العقل الباطن** » فإنه **يمكننا أن نقول بصفة عامة إن المحللين النفسيين هم غالباً نقاد فاشلون بشكل ملفت للنظر .**

ومصدر الصعوبة هنا هو أن جميع الافتراضات تقريباً ، التي تحاول أن تفسر ما يدور في ذهن الفنان ، لا يمكن تحقيقها ، بل إنها أصعب تحقيقاً من الافتراضات المماثلة التي تحاول أن تصف لنا ما يدور في ذهن الحالم . وأكثر هذه التفسيرات إقناعاً يميل إلى الارتكاز على ملامح معينة في العمل الفني يعزوها إلى أسباب غير الأسباب الحقيقية التي أوجدتها . ولا أعلم أن أحداً غير **روبرت جريفز** قد حاول أن يحلل قصيدة « **كوبلاخان** »



★ ليوناردو دافنشي ★

لكولردج التي يوحي موضوعها ، وطريقة تأليفها ، بأنها قابلة للتحليل النفسي . ويستطيع القارئ الملم بطرق التحليل الشائعة أن يتخيل النتائج التي أسفرت عنها هذه الهجمة الفرويدية العنيفة على تلك القصيدة » .

يختار الكاتب الأسلوب الأدبي الذي يلائم مضمونه وينقله إلى القارئ داخل الشكل دون انفصام ، وليس ذلك الأسلوب الذي يميل إليه شخصياً بحكم ميله النفسي إليه . لذلك يختلف منهج الأديب من عمل إلى آخر طبقاً لمضمونه مما يجعل شخصيته تتوارى وراء الأعمال ، لأنها إذا فرضت نفسها ـ **كما يظن أتباع المدرسة السيكولوجية في الأدب** ـ فإن الأعمال الأدبية كلها تتحول إلى نسخ باهتة وصور مكررة لنفسية كاتبها . وإذا كان علم النفس يفيدها في ميدان النقد الأدبي فإن مهمته تتركز في تحليل الشخصيات من الداخل وإبراز العلاقة الجدلية والعضوية بين واقعها النفسي وواقعها الاجتماعي ، وكيف يؤثر هذا بدوره على العلاقات والصراعات بينها ، ويشكل بالتالي الشخصية المميزة للعمل الأدبي كشكل فني متكامل وكوحدة جمالية عضوية . لذلك يفيد التحليل النفسي في دراسة الدوافع الكامنة وراء السلوك الاجتماعي للشخصيات ، بحيث يلقي الضوء على التفاعلات والصراعات التي تدور في وجدانها مع بيان مدى التوافق أو التعارض أو التصادم بين تيار الشعور واللاشعور عندها وبين تيار المجتمع السائد حولها .

يفيد علم النفس التحليلي أيضاً في تفسير دلالات التأثير السيكولوجي الذي يمارسه العمل الأدبي على نفسية القارئ ، إذ إن نفسية القارئ قبل القراءة والتذوق لا يمكن أن تظل كما هي بعد الانتهاء من استيعاب العمل الأدبي . والآثار التي تحدث يبدو أثرها أيضاً على الوجه والجسد ، وهي مهما اختلفت طبيعتها فإنها على درجة كبيرة جداً من التعدد والتنوع ، أو كما يقول **تيتشنر** في كتاب « **المرشد في علم النفس** » : « ليس في استطاعتك أن ترى أحداً زخرفة على ورق الحائط دون أن تسبب بفعلك هذا اضطراباً في تنفسه ودورته الدموية » . كما أننا لا نعلم ما هي الاضطرابات الأخرى التي تحدث بالإضافة إلى ذلك . فالجسد بأسره يستجيب على نحو يكاد يبدو منهجياً . هنا يمكن لعلم النفس أن يفيد النقد الأدبي ، لأنه يقدم للفنان منهجاً يمكنه من المعرفة المسبقة للانفعالات التي سوف يثيرها في نفس قارئه ، **لأن العمل الأدبي ليس كلمات على صفحات داخل كتاب ، لكنه بناء نفسي ينهض داخل نفسية القارئ** . وكلما كان هذا البناء متناسقاً وجميلاً زاد إحساس القارئ بالمتعة والراحة ، وزاد عدد القراء الذين يشاركون في هذه المتعة النابعة من إعادة تنظيم إحساساتهم وتطهيرها من كل الشوائب العالقة بها بفعل اضطرابات الحياة المعاشة . في هذا الصدد يقول **روبين جورج كولنجوود** في كتاب « **مبادئ الفن** » :

« مهمة الفنان هي التعبير عن الانفعالات . إنها انفعالاته على أية صورة من الصور . ولن يستطيع أحد أن يحكم هل عبَّر عنها سوى من شعر بها . ولو كانت هذه الانفعالات خاصة به ولا تخص أحداً غيره ، فلن يوجد أحد سواه قادراً على الحكم بأنه قد عبَّر عنها أولا . وإذا جعل لأحكام متذوقيه أية أهمية فلن يرجع هذا إلا إلى اعتقاده بأن الانفعالات التي حاول التعبير عنها هي انفعالات ليست خاصة به وحده ، بل يشاركه فيها المتذوقون وإلى اعتقاده بأن التعبير الذي يخصهم والذي عبَّر عنه ـ **لو كان قد قام به بحق** ـ له قيمة في نظر المتذوقين ، كما هو الحال عنده .

بعبارة أخرى فإنه سيضطلع بأعباء عمله الفني لا باعتباره محاولة شخصية يقوم بها لصالحه الشخصي ، بل باعتبارها عملاً عاماً لصالح المجتمع الذي ينتمي إليه . وأي حكم ينطق به خاص بالانفعال يجب أن يبدأ بإشارة موحية بأن هذا الانفعال شعور جماعي وليس شعوراً ذاتياً . لا يعني هذا بالضبط أن العمل الذي اضطلع به هو عمل يخص المجتمع . إنه عمل يحمل دعوة موجهة منه إلى المجتمع لكي يشاركه فيه . إذ إن مهمة هذا المجتمع باعتباره متذوقاً ليس تقبل عمله تقبلاً سلبياً ، بل إعادة تمثله مرة أخرى . وهو لم يقدم على دعوة المتذوقين للقيام بذلك ، إلا لاعتقاده بأنهم سيلبون دعوته ، أو بعبارة أخرى لاعتقاده أنه دعاهم للقيام بما يرغبون القيام به فعلاً .

وفي حالة إحساس الفنان بكل ذلك ـ **وأي فنان لا يشعر بذلك لن يشعر بأي دافع ملح لنشر عمله أو للنظر جدياً فيما يقول الناس** ـ فإنه لن يشعر به بعد اكتمال عمله الفني فحسب ، بل سيشعر به من بداية الأمر وخلال فترة إخراج العمل الفني . فالمتذوقون حاضرون معه على الدوام باعتبارهم يمثلون جانباً من عمله الفني . ودورهم ليس دوراً متعارضاً مع جمالية العمل الفني وموضوعيته ، أي دوراً يفسد الاخلاص الذي يتحلى به عمله بالزج به في نواحي الشهرة والكسب ، بل دور جمالي وموضوعي يساعد على تحديد القضية التي يحاول الفنان تجسيدها ، أي تحديد أية انفعالات سيقوم بالتعبير عنها وعلى أي أساس سيعتمد هذا التجسيد الدرامي . من هذا يتضح أن المتذوقين الذين يشعر الفنان بمشاركتهم له قد يكونون كثرة أو قلة ، إلا أنه لا يصح القول بعدم وجودهم اطلاقاً » .

في هذا المجال يمكن أن يفيد التحليل النفسي الفنان في تجسيد وتحديد مجرى الانفعالات التي سيثيرها في قارئه ، وبالتالي يمكن تحديد البناء الدرامي على ضوء التجربة النفسية القائمة بالفعل في ذهن الفنان ووعيه ، مما يساعده على التحكم في جماليات الشكل ، والابتعاد به عن العفوية الساذجة والتلقائية التي قد تحيل العمل الفني إلى نوع من الاعترافات . **وأية اتجاهات للكاتب ـ سواء كانت مثالية رومانسية أو**

واقعية اجتماعية أو رمزية شعرية ـ لا بد وأن تخضع لحتميات التجربة النفسية التي يحاول الفنان نقلها كما هي إلى القارئ لكي يمر بنفس الإثارة والمتعة العاطفية.

هذه التجربة النفسية تتميز بصفتين أساسيتين:

أولاهما استجابة تسري في أعضاء الجسد وتنشأ عن طريق الأجهزة التعاطفية، والثانية نزوع نحو فعل من نوع محدد أو مجموعة من أنواع محددة.

هذه التغييرات الشاملة في الأجهزة المعوية والوعائية التي تميز عمليات التنفس والإفرازات الغددية، تحدث عادة في الاستجابة إلى المواقف التي تثير إحدى النزعات الغريزية. ونتيجة لهذه التغييرات تظهر إلى الوعي موجة من الإحساسات مصدرها جسدي باطني، ومن المتفق عليه عامة أن هذه الإحساسات يتألف منها على أقل تقدير معظم الوعي الخاص بالانفعال.

هذه الإحساسات أو صورها هي أحد العناصر الرئيسية التي تتألف منها التجربة النفسية، وهي التي تفسر لونها الخاص أو نغمتها التي تميزها، وتحلل أيضاً كثافة الانفعالات أو حدتها. لكن العنصر الذي يساوي هذه الإحساسات في الأهمية، إن لم يكن يفوقها، هو التغيرات التي تطرأ على الوعي، والتي مصدرها استجابات الأجهزة العصبية التي تسيطر على الحركة، وتتحكم في الاستجابة العضوية للموقف المنبه. هذه التغيرات كما يقول **ريتشاردز** تتدرج في حالة الخوف مثلاً، من ايقاظ نزعة بسيطة مثل دافع الهروب أو الاختفاء تحت المنضدة، إلى تعديلات بالغة في التعقيد مثل التعديلات التي نقوم بها حين نتأهب لمجابهة خطر يتهدد أحد آرائنا الأثيرة.

وكقاعدة عامة نستطيع أن نقول انه بين إدراكنا للموقف ووقوفنا على طريقة لمجابهة هذا الموقف تحدث عملية بالغة في التعقيد، هذه العملية المعقدة تتآزر مع الإحساسات وصور الإحساسات، فتضفي على التجربة النفسية طعمها الخاص أو نكهتها التي تميزها.

وعندما يحول الشاعر مثلاً تجربته النفسية إلى قصيدة، فإنه لا يعزل عنها الجوانب الفكرية، ويبقي على الجوانب الانفعالية الجامحة لكي يعبِّر عنها وحدها، فإن ما يقوم به الشاعر هو خلط الفكر ذاته في الانفعال، أي أنه يفكر بطريقة معينة ثم يعبِّر بعد ذلك عن كيفية الشعور عندما يفكر على هذه الصورة.

لقد قام **دانتي** مثلاً بمزج فلسفة **توماس الاكويني** بإحساساته الذاتية في إحدى قصائده، بحيث عبَّر موضوعياً عن كيفية الشعور بالحياة في عالم زاخر بالأفكار المشتتة وبأوضاع الحياة العتيقة المهلهلة التي تؤدي إلى تشتت النشاط الفكري ذاته بحيث لا يظهر إلا في صورة لمحات فكرية اختفت منها كل روابط منطقية. وهذا ما جعل طابع انفعال الفكرة السائدة هو الإحساس بهذا التشتت. وتكرر التعبير عن هذه الفكرة في قصائده كما نجد في قصيدة «**المرآة**».

وبعد سبعة قرون من دانتي يأتي **ت. س. إليوت** لكي يقدم لنا قصيدة «**الأرض الخراب**» ويحدد فيها موقفه من تدهور الحضارة الحديثة التي نهضت على الكثير من المظاهر الخارجية الجوفاء، بينما يزخر باطنها بتصدع الأوضاع الاجتماعية وتبلد ينابيع الانفعال بالحياة والجمال.

لكن لا يعني هذا أن يفرض الشاعر وعيه الحاد على كل جزئيات القصيدة وإلا أحالها إلى مركب صناعي يخلو من التدفق التلقائي للحياة. لذلك فإن حدة الوعي لدى الشاعر لا بد أن تتراوح طبقاً لمتطلبات الخلق الفني، لأنها إذا سارت على وتيرة واحدة فسوف يرفضها الجسم الحي للقصيدة. يجب على الشاعر أن يخفف من حدة وعيه إذا وجد أن القصيدة تشق طريقها الطبيعي طبقاً لتكوينها العضوي، لكن عليه أن يزيد من حدة وعيه حتى تصل إلى أعلى درجاتها إذا وجد أن القصيدة قد ضلت الطريق الطبيعي.

في هذا يقول **إليوت**: «إن الشاعر الناضج هو الذي يتحكم في درجة وعيه بأن يفرض فكره وعقله في اللحظة المناسبة ثم يضعهما جانباً إذا لم يكن في حاجة إليهما». لكن الاستغناء المؤقت عن حدة الوعي لا يعني بلوغ مرحلة الهذيان أو الهلوسة أو الجنون الشعري كما يظن **أفلاطون** أو **ماكس نوردو**. لذلك يقول **ا. ا. ريتشاردز**: «إن الشعر يوصل لنا تجارب دون مشقة في تعلمها أو بلوغها، بل إنه يجعل في مقدور الكثيرين أن يصلوا إلى حالات شعورية كانت ستظل مقصورة على القليلين بدون هذا الفن أو الفنون الأخرى عامة». فالفنون في نظر **ريتشاردز** وسيلة تمكن الفنانين أنفسهم من أن يعيشوا تجارب نفسية وفكرية ما كانوا يستطيعون أن يمروا بها بدون الفنون. فدراسة الفنون وممارستها تضفي على الفنان قوة هائلة وتحميه من تشتيت طاقاته، وذلك أعظم خطر يتهدده، عن طريق ما تتطلبه الممارسة من تركيز نفسي وتجميع لقواه الفكرية يصعب عليه أن يحققها في حياته العادية الزاخرة بالاضطرابات والتشويش. **فالفن هو وسيلة تمكن المجهود البشري من الاستمرار على نحو لا يقل دقة عن وسيلة العلم بكل معاييره ومناهجه.**

ويتفق **كولنجوود** مع **ريتشاردز** عندما يقول بأن الشعر يجب أن يتنبأ لا بكشفه عن الغيب ولكن بابلاغ القراء بالتيارات النفسية التي تجتاح وجدانهم بغير مراعاة لشعورهم بالكدر. لأن ما يفصح عنه ليس أسرار الفنان الخاصة، إذ باعتباره لسان حال الجماعة فإنه يفصح عن مكنونات نفسها، والسبب الذي جعلها في حاجة إليه هو عدم وعيها الكامل بما يجتاحها من أحاسيس ومشاعر. وهي عندما تفشل في هذه المعرفة فإنها تضل الطريق تماماً. **والشاعر لا يصف الدواء ولكنه يقدمه فعلاً.** فالعلاج هو القصيدة ذاتها، والشعر هو الدواء لأبشع مرض يصيب الروح، أي فساد الوعي.

وما ينطبق على الشعر ينطبق على الأنواع الأدبية الأخرى من مسرح ورواية. وهي الأنواع التي كان علم النفس دائماً في خدمتها بمناهجه التحليلية، وعلى الأديب أن يستفيد منها بالقدر الذي يتطلبه عمله الأدبي، لأن التجربة النفسية التي يمر بها الأديب ليست إلا مادة خام قابلة للصياغة والتشكيل حتى تتحول إلى التجربة الجمالية التي يشترك فيها القراء جميعاً، وتثير في نفوسهم أنبل الدوافع وأجمل الأحاسيس.

فلسفة ابن رشد الأخلاقية

بقلم : د . ماجد فخري



★ ابن رشد ★

- ١ -

إن دور **أبي الوليد ابن رشد** (المتوفى سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م) ، في بسط فلسفة **أرسطوطاليس** بشتى جوانبها غنيّ عن البيان . فقد تناول بالشرح أو التلخيص جميع مؤلفات هذا الفيلسوف ، باستثناء كتاب « **السياسة** » ، فضلاً عن **كتاب « أيساغوجي » لفرفوريوس وكتاب « الجمهورية » لأفلاطون** [١] .

ويهمنا في هذه الدراسة إبراز الجانب الخلقي من فلسفة ابن رشد ، وصلتها بأشهر مؤلفات أرسطو الخلقية ، أعني « الأخلاق النيقوماخية » ، التي اكتشفت ترجمتها العربية في مكتبة القرويين بفاس في أوائل الخمسينات ، ولكنها لم تنشر بعد .

تنسب المصادر العربية القديمة إلى ابن رشد « تلخيصاً » لكتاب الأخلاق لأرسطوطاليس يبدو أنه ألفه سنة ١١٧٦ م [٢] . وهذا الكتاب لم يصلنا في أصله العربي ، بل وصلنا في ترجمة عبرية محفوظة في مجموعة مخطوطات **جامعة كمبريدج بإنكلترا** وترجمتين لاتينيتين ، إحداهما من وضع **برنارد فليتشيانو** ، نشرت سنة ١٥٦٢ م ، والأخرى من وضع **هرمان الألماني** ، نشرت سنة ١٥٧٥ م ، وقد أعيد طبع الترجمة الأولى في **فرانكفورت بألمانيا** سنة ١٩٦٢ م ، ضمن مجموعة مؤلفات أرسطو ، المقرونة بشرح ابن رشد [٣] .

وبالإضافة إلى هذا التلخيص ، تنطوي « **جوامع سياسة أفلاطون** » على جانب من فلسفة ابن رشد الأخلاقية . وهذا الكتاب وصلنا في ترجمة عبرية نشرها **أروين روزنتال** سنة ١٩٥٦ م ، مع ترجمة إنكليزية أصلاً ، وفي ترجمة لاتينية من وضع **يعقوب مانتينو** ، نشرت سنة ١٥٧٤ م [٤] .

- ٢ -

يميّز ابن رشد في مطلع « تلخيص الأخلاق » و « جوامع سياسة أفلاطون » ، على غرار أرسطو ، بين **أقسام العلوم الثلاثة ، العملي والطبيعي والإلهي .** ويشتمل الأول عنده على السياسة والأخلاق ، ويدور على الأفعال الإرادية ، بينما يدور العلم الطبيعي على الموجودات الطبيعية ، والعلم الإلهي على « الأشياء الإلهية » . والعلم العملي يختلف بوجه عام عن العلوم النظرية (التي تشتمل على الرياضيات بحسب التقسيم الأرسطوطالي) ، من حيث الغرض . فبينما تتوخى هذه العلوم المعرفة من أجل المعرفة وحسب ، يتوخّى هذا العلم العمل أيضاً . وهو يقع في قسمين متميّزين : يتناول **القسم الأول** منها الملكات والأفعال الإرادية وصلتها بعضها ببعض ، بينما يتناول **القسم الثاني** ترسيخ هذه الملكات في النفس حتى تصبح كاملة ما أمكن ، بحكم العادة والدربة [٥] . ويقارن ابن رشد بين هذين القسمين وقسمي الطب الخاصين بالصحة والمرض من جهة ، وحفظ الصحة والعلاج من المرض ، من جهة ثانية . وهو ينسج في هذا الباب على منوال كبار فلاسفة الأخلاق ، أشباه **الفارابي ومسكويه** ، الذين أخذوا بهذا الرأي فيما يبدو عن

جالينوس ، الطبيب والفيلسوف الإسكندراني الشهير (توفي ٢٠٠ م) .

ومن المقدمات الكبرى التي يبني عليها علم الأخلاق ، عند ابن رشد ، أن **الكمالات الإنسانية أربعة أقسام : الفضائل النظرية والفكرية والعملية والصناعات** . إلا أن أسمى هذه الكمالات جميعها العلوم النظرية ، التي سخرت لها سائر الكمالات الأخرى ، كما تسخر الصناعات أو المهن الدنيا للصناعات أو المهن العليا (كالفروسية تسخر لها صناعة اللجامة)[٦] .

أما مقوّمات هذا الكمال النظري الذي اعتبره ابن رشد من « أعاجيب الطبيعة » ، ورأى فيه ضرباً من القربى إلى الله ، فسنعود إليه فيما بعد . ونكتفي هنا بذكر إحدى المقدمات الأخرى للعلم العملي ، وهي أن بلوغ الفرد جميع هذه الكمالات بمفرده عسير ، إذا لم نقل مستحيلاً ، لذا احتاج الفرد إلى معونة أقرانه ، فكان من جرّاء ذلك حيواناً مدنياً بالطبع . وهو لا يحتاج إلى هؤلاء الأقران ، كما يقول ابن رشد ، من أجل بلوغ الكمال وحسب ، بل حتى من أجل البقاء أيضاً . من هنا كان الاجتماع ضرورياً لكمال الإنسان وبقائه معاً ، وهو ما يتوفر على التحضر عنه العلم المدني أو السياسة ، وهي القسم الرئيسي الثاني من أقسام العلم العملي[٧] .

— ٣ —

من هنا كان مدار فلسفة ابن رشد الأخلاقية ، لا سيما في « تلخيص كتاب الأخلاق » على تعريف ماهية الفضيلة وصلتها بقوى النفس وأقسامها . وكل ذلك على أسس أرسطوطالية مشهورة . فيبتدئ أولا بتقسيم قوى النفس إلى **عاقلة وغير عاقلة** ، على غرار أرسطو في الكتاب الأول ، الفصل ١٣ .. ثم يقسم غير العاقلة إلى **غازية ونزوعية** . وهو يلاحظ في هذا المقام أن النزوعية تنقسم بدورها إلى قسمين لا اسم لهما عنده ، هما **القسم المؤتمر بأمر العقل ، والقسم المناوئ له** . وأقرب تسمية لهما هي التسمية الواردة في « **تلخيص كتاب النفس** » ، حيث يدعو ابن رشد هذين الضربين من النزوع : الحيواني والفكري[٨] ومن الجدير بالذكر أن أرسطو نفسه لم يسمّ هاتين القوتين ، مكتفياً بالقول إن إحداهما تشارك في مبدأ عقلي ، والأخرى تضادّه .

إلا أن موقف ابن رشد من أقسام قوى النفس وصلتها بالفضائل لا تخلو من تعقيد . فعلى غرار جمهرة فلاسفة الأخلاق العرب ، ابتداء **بالكندي** (توفي حوالي ٨٦٦ م) ، وانتهاء **بابن سينا** (توفي ١٣٠٧ م) ، **والغزالي** (توفي ١١١١ م) ، يعتمد هذا الفيلسوف في بعض المواضع **القسمة الأفلاطونية الثلاثية لقوى النفس ، وهي الناطقة والغضبية والشهوانية** ، وهي قسمة كان أرسطو قد تخلّى عنها ، كما هو معروف ، في كلا كتاب « النفس » وكتاب « الأخلاق » ، لأنها تفترض أن النفس قابلة للتجزئة . وعنده أن النفس واحدة في الجوهر ، وإن كانت متعدّدة القوى[٩] .

نمثل على ذلك بالإشارة إلى مقارنة ابن رشد في « جوامع سياسة أفلاطون » بين أجزاء المدينة الثلاثة ، وفضائلها ، وأجزاء النفس وفضائلها ، على غرار أفلاطون . فهو يذهب إلى أن المدينة إنما تكون حكيمة بمقدار ما يحكم الجزء الناطق فيها الجزءين الآخرين ، أي الغضبي والشهواني ، وتكون شجاعة بمقدار ما تتحرك القوّة الغضبية فيها ، في الوقت وبالمقدار اللذين يقضي بهما العقل ، وتكون عفيفة بمقدار ما تنقاد القوة الشهوانية فيها إلى الناطقة . أما الفضيلة الأفلاطونية الرابعة ، وهي **العدالة** ، فهو يعرّفها بقوله : « إنها ليست إلا تكلف كل امرئ في المدينة الأفعال التي تخصّه بالطبع ، على أفضل وجه ممكن . ولا يتحقق ذلك ما لم تنقد سائر أجزاء المدينة لما يمليه العلم النظري أو الحكام »[١٠] . وعليه تقاس العدالة التي تسند إلى النفس ، فهي عبارة عن تكلّف كل من أجزائها ، ذلك الفعل الذي يخصّها دون سواه ، بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب ، ويحصل ذلك عندما تنقاد أجزاء النفس جميعها لحكم العقل . وواضح أن هذه القسمة للفضائل ، سواء في المدينة أو في النفس ، إنما ترتبط بمذهب أفلاطون في النفس الذي عليه بنى فلسفته الخلقية .

ومع ذلك فمن الإنصاف الإشارة إلى أن ابن رشد يخرج في مؤلفاته النفسية والأخلاقية الأخرى عن العرف الذي درج عليه الفلاسفة ، في باب جوهرية النفس وخلودها واستقلالها عن الجسد . فهو ينهج في هذه المؤلفات بوجه عام نهجاً أرسطوطالياً واضحاً ، فينكر القضايا الثلاث الآنفة الذكر ، ويسند إلى النفس القوى الخمس التي أسندها إليها أرسطو في كتاب « النفس » : وهي الغاذية والحساسة والمتخيلة والناطقة والنزوعية . ويعتمد في تبويب الفضائل في تلخيص كتاب الأخلاق خاصة ، النهج الأرسطوطالي ، فيقسمها إلى قسمين رئيسيين هما : الفضائل الفكرية والفضائل الخلقية .

ويدرج في عداد الفضائل الخلقية الشجاعة والعفة والسخاء وكبر النفس والتواضع والألفة والصدق والعدالة ، بينما يدرج في عداد الفضائل الفكرية الرئيسية **العقل الفطري** (أي البديهة) والعلم اليقيني والتعقل والحكمة والصناعة ، على غرار أرسطو ، وفي عداد الفضائل الفكرية الفرعية **جودة الرأي** (كما دعاها الفارابي) ، وباللاتينية bona consultatio **فجودة الظن** (perspicacia) ، **فالروية** (sententia) ، **فصواب الظن** (bona conjectatio)[١١] . وهو يرى أنها تدخل جميعاً في باب **التعقل** (phronesis) إلى حد ما ، ما دامت تدور على معرفة الممكنات ، من أفعال إرادية وصناعية ، خلافاً للفضائل النظرية التي تدور على معرفة الضروريات .

ولعله من المفيد أن نذكر أن عامة فلاسفة الأخلاق العرب توفروا على هذه الفضائل الفكرية توفراً عظيماً . ولكنهم انقسموا في هذا الباب قسمين رئيسيين ، قسم نسج على منوال أرسطو في الكتاب السادس من « الأخلاق النيقوماخية » ، كما فعل الفارابي وابن رشد خاصة ، وقسم بنى على **أسس مشائية ورواقية** متأخرة تبويباً مختلفاً كل الاختلاف لهذه الفضائل . ولا شك أن أشهر نموذج لهذا التبويب هو الجدول الوارد في كتاب « **تهذيب الأخلاق** » **لمسكويه** ، الذي أخذ عنه عدد من فلاسفة الأخلاق اللاحقين ، **كالغزالي ونصير الدين الطوسي** (توفي ١٢٧٤ م) ، **وجلال الدين الدواني** (توفي ١٥٠١ م) وسواهم . وخلافاً لكلا الفارابي وابن رشد ، يدرج مسكويه في عداد الفضائل الواقعة تحت الحكمة : الذكاء والذكر والتعقل وصفاء الذهن وجودة الفهم وسهولة التعلم[١٢] .

وهذا الجدول قريب من بعض الجداول المشائية المتأخرة التي وردت بالعربية في « مقالة في المدخل إلى علم الأخلاق غير منسوبة إلى واضع » ألحقت بترجمة « الأخلاق النيقوماخية » المحفوظة في **مكتبة القرويين** ، كما مرّ . ويبدو أن هذه المقالة التي تلخص مبادئ علم الأخلاق على الطريقة المشائية المتأخرة هي من وضع **نيقولاوس اللاذقي** ، الذي عاش في القرن الرابع للميلاد ، على ما يرى **المستشرق دنلوب**[١٣] . وهي من هذه الناحية مصدر يوناني هام من مصادر الفكر الأخلاقي العربي ، الذي لم يلتزم كل الالتزام بالخط الأرسطوطالي ، والذي تأثر بالإضافة إلى ذلك بشرح **فرفوريوس الصوري** على كتاب « الأخلاق » ، وبكتاب « الأخلاق » لجالينوس .

— ٤ —

كانت مسألة السعادة هي المسألة الثانية الكبرى التي دارت عليها المباحث الخلقية العربية . وهنا يتبيّن المرء أثر أرسطو بوضوح كبير أيضاً . فالفضيلة إنما هي إحدى السبل المفضية إلى بلوغ الخير الإنساني الأسمى ، الذي ردّه أرسطو إلى الإدراك النظري أو العقلي البحت ، وسخّر له جميع الأفعال والخيرات الأخرى من ثروة أو جاه أو كفاح عسكري ، أو نشاط سياسي واجتماعي[١٤] . ومع أن الفارابي كان قد تطرّق إلى هذه المسألة في عدد من كتبه الإلهية والخلقية ، وانتهى إلى أن سعادة الإنسان تكمن في ضرب من الاتصال بالعقل الفعّال . فيبدو أنه قد

تردّد في هذا المقام بين الكمال السياسي والكمال النبوي ، وكلاهما كمالان عمليان بالإصطلاح الأرسطوطالي . يؤيد ذلك ما ذكره ابن رشد في شرحه الكبير لكتاب « **النفس** » ، من أن الفارابي أنكر الاتصال في شرحه « لنيقوماخيا » ، معتبراً أن « العقل الفعّال ليس إلا العلّة الفاعلة لنا وحسب »[١٥] ، كما يقول ابن رشد .

أما سلف ابن رشد الأندلسي ، **أبو بكر بن الصائغ** (توفي ١١٣٨ م) ، فلم يتردّد في باب اتصال الإنسان بالعقل الفعّال ، وإن كان قد أناطه بشروط فائقة للطبيعة يدعوها أحياناً « معونة إلهية » ، وأحياناً « إمكانات إلهية »[١٦] .

ويبدو أن ابن رشد أخذ برأي هذا السلف بادئ الأمر ، ثم رجع عنه ، كما يتبيّن من مقارنة نسختين مختلفتين من تلخيص كتاب « النفس » ، هما **نسخة القاهرة** ونسخة **مدريد** . ففي نسخة القاهرة ، وهي الأقدم ، يقول ابن رشد في باب الاتصال على غرار **ابن باجه** : « إذا تؤمل كيف حال الإنسان في هذا الاتصال ، ظهر أنه من أعاجيب الطبيعة » ، وأنه « يوجد لسائر قوى النفس في تلك الحال من الدهش والبهت ، وبالجملة من تعطل الأفعال الطبيعية ما يوجد ، حتى يقال إنه قد عرج بأرواحهم . وهي بالجملة موهبة إلهية »[١٧] . إلا أنه يعود في نسخة مدريد عن هذا الرأي ، لما انطوى عليه من فرضيات فائقة للعقل ، مستدركاً : « وإنما هو أوّل من قاله أبو بكر ابن الصائغ ، فغلّطنا » ، ثم يحيل القارئ على شرحه الأكبر لكتاب النفس ، الذي بيّن فيه حقيقة المسألة ، كما يقول .

وحقيقة هذا الرأي ، كما يتبيّن من شتى مؤلفاته ، ولا سيما « **رسالة الاتصال** » ، أن **العقل الهيولاني** (وهو العقل الإنساني المنفعل) ، إنما يخرج إلى حيّز الفعل حتى اتصل أو اتحد بالعقل الفعّال ، وعندها يصبح عقلاً مستفاداً ، « أي إنا نستفيده » من النظر في المعقولات بالفعل . **ذلك أن العقل الهيولاني ينظر إلى العقل الفعال ، فيعقله بعقل ناقص ، هو العقل بالملكة ، المتوسط بين الموجودات الهيولانية وبين العقل الفعال . فإذا عقله على التمام آخر الأمر ، بات عقلاً مستفاداً .** وهذا التأويل هو الذي اختاره **الإسكندر الأفروديسي** ، كما يقول ابن رشد ، ويذكر أنه « طريقة الحكيم » (أي أرسطو) ، وهي « في غاية الوثاقة »[١٨] .

أما تعريف ابن رشد **للاتصال** فلا يخلو من طرافة ، إذا قيس بتعاريف أسلافه ، ومنهم ابن سينا . فهو يصفه في « رسالة الاتصال » بأنه « عبارة عن أن ندرك بالفعل شيئاً مجرّداً بالكلية » ، (أي خارجاً عن العقل بالملكة) ، ماهيته أنه جوهر مفارق وأنه في نفسه عقل بالفعل ، أي العقل الفعّال . أما في تعليقه على الفصل السابع من الكتاب العاشر من « الأخلاق » ، فهو يكتفي على غرار أرسطو بالقول ، إن موضوع الإدراك الأخير هو « التأمل في أفضل الأشياء ، وهي الأشياء الإلهية »

Et videtur isti potentia (sive intellectus) sit meditatio in melioribus rebus, et sunt res divine,

دون أي إشارة إلى العقل الفعال .

وهذا التناقض يعكس ، فيما نرى ، تردّد ابن رشد بين مذهب أسلافه ، أشباه ابن سينا وابن باجه ، في مسألة الاتصال بالعقل الفعّال ، بما انطوت عليه من متضمنات كوزمولوجية وإلهية مستمدة من الأفلاطونية المحدثة ، وبين مذهب أرسطو الحق ، كما فسّره الإسكندر الأفروديسي خاصة ، والذي لم يكن فيه متّسع لوضع جوهر مفارق من هذا النوع ، تنتهي به سلسلة المفارقات التي تفيض عن الواحد .

وقد انتبه ابن رشد إلى هذا التناقض في بعض مؤلفاته . ففي المقالة الرابعة من « **تلخيص ما بعد الطبيعة** » ، يتناول مسألة مبادئ الجواهر ، فيقرّر أن هذه المبادئ ، وهي المحرّكات للأفلاك أو الجواهر المفارقة ، لا بد أن ترتقي ، على الرغم من تعدّدها ، إلى مبدأ واحد يتقدّم عليها جميعاً بالشرف والمرتبة ، وهو العلّة القصوى لها جميعاً . وماهية كل من هذه الجواهر عنده أن تدرك ذاتها دون سواها ، على ما يرى أرسطو في كتاب اللام ، الفصل ٩ ، ١٠٧٤ ب ١٥ الخ . إلا أنه لا ينكر ، خلافاً لأرسطو ، أنها قد تدرك ما دونها من جرّاء كونها وإياه واحدة بالنوع ، مختلفة بالشرف[١٩] .

ويقود ابن رشد الكلام على ترتيب الجواهر وتسلسلها إلى الأخذ بمذهب الصدور ، على وجه يناقض ما وضعه أرسطو من استقلال هذه الجواهر واحدها عن الآخر . إلا أنه أدرك الشبهات المختلفة التي تلحق بهذا المذهب . فهو يقول مثلاً ، في باب ترتيب هذه الجواهر بعد الأول : « فليس بأيدينا في ذلك طريق يقيني » ، وأنه إنما « أنزل الأمر على عادة المفسرين » . ويردف أن هذا المذهب (أي **مذهب الصدور**) قد يظن أنه **مذهب ثامسطيوس وأفلاطون** ، وهو بالفعل « مذهب المحدثين من فلاسفة الإسلام ، **كأبي نصر** وغيره » . ويعتذر عن الأخذ به بقوله ، أنه « أوثق البيانات التي اعتمدوها في هذا المذهب » ، وهو لا يخلو مع ذلك من خلل[٢٠] ، ثم يمضي إلى القول إن العقل الفعال هو من بين هذه الجواهر أقرب شيء من جوهرنا ، « ولذلك رأى قوم أنه يمكن أن نتصوّر ذاته على كنهها ، حتى نكون نحن هو »[٢١] .

وعلى الرغم من كل هذه التعقيدات ، التي لم يكن ابن رشد غافلاً عنها ، كما مرّ ، يأخذ في « رسالة الاتصال » بالمذهب المعروف القائل باتحاد العقل البشري بذلك الجوهر المفارق الذي يهيمن على عالم الكون والفساد ، وإن كان قد علّله على طريقته الخاصة ، التي يبدو أنها طريقة الإسكندر الأفروديسي . فهو يذهب في تلك الرسالة إلى أن فعل العقل الفعال الأخير هو إدراكه لذاته ، فكانت منزلته من العقل الإنساني (أو الهيولاني) بمنزلة الغاية ، وكان إدراك العقل الفعال ، وهو عبارة عن العلوم أو المعقولات المجردة برمتها ، نهاية طريق الإدراك البشري ، وهو ما يدعى بالاتصال . وبلوغ هذه المرتبة من الإدراك عند ابن رشد هو سرّ السعادة والكمال اللذين ارتضاهما الله للإنسان ، « أشرف الموجودات التي ههنا »[٢٢] .

من هنا يحق لنا أن نعتبر الخوض في مسألة الاتصال من القضايا الخلقية ، وإن كان يبدو من ظاهرها أنها من القضايا المتصلة بنظرية المعرفة . فالفلاسفة العرب الذين تأثروا بالأفلاطونية المحدثة ، إنما اعتبروا الترقي في معارج العلم النظري المفضي آخر الأمر إلى الاتصال بالعقل الفعّال ، سبيلاً من السبل المفضية إلى السعادة ، وهي المطلب الخلقي الأخير عندهم وعند أرسطو . وعلى الرغم من تجاوزه عن مذهب الصدور الأفلاطوني المحدث في الإلهيات والكوزمولوجيا ، فابن رشد لم يتحرّر من ربقته في مضمار الخلقيات ونظرية المعرفة ، كما رأينا .

ـ ٥ ـ

ونختم هذه الكلمة بمقتطفات من « شرح كتاب الأخلاق » ، أثبتها الناسخ في حواشي كتاب « الأخلاق النيقوماخية » ، الذي تشتمل عليه مخطوطة القرويين بفاس ، رقم ٢٥٠٨/٨ و ٣٠٤٣/٨ . وقد نشرها **لورانس برمان** في مجلة Oriens مجلد ٢٠ (١٩٦٧ م) ، وقارنها بنظائرها في الترجمة العبرية والترجمة اللاتينية ، « لشرح الأخلاق » . ويبدو أنها البقايا الوحيدة من هذا الشرح في الأصل العربي .

ملحق

١ ـ « ويشبه أن يكون كل واحد من الناس ، خصوصاً واضعو النواميس أنفسهم ، يشهدون بهذه الأشياء ، إذ كانوا يعاقبون من يفعل الرداءة حتى[٢٣] لم يكن أتى ذلك الفعل قسراً أو جهل به (و) لم يكن هو سببه ، ويجلّون من يفعل الأمور الجميلة ليحثوا هؤلاء على هذا الفعل ، ويردعوا عن ذلك الفعل » . (حاشية على الأخلاق ، الكتاب الثالث ، ٥ ، ١١١٣ ب ٢١) .

٢ ـ « وقد تقال الشجاعة على أصناف أخر غير هذه ، هي خمسة ، الأولى **المدنية** ، لأنه يشبه أن تكون أخصها . .[٢٤] وذلك أن أهل المدن يرون أن يصبروا على الشدائد ، من أجل ما تأمر به النواميس ، من العقوبات والهوان

والكرامات . ولذلك يظن بهم أنهم أشجع الناس ، مـن قبـل أن أهـل الجبن ذوو هوان وأهل الشجاعة ذوو كرامة » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ١٦) .

٣ ــ « وهذه الشجاعة تشبه الشجاعة التي وصفناها أولا ، لأنها إنما تكون مـن أجل الفضيلة ، إذ كانت إنما هي بسبب الحياء والشهوة للجميل اللذين هما الكرامة والهرب من العار ، إذ كان قبيحاً .... ولحا على أن يجعـل الـذين يضـطرهم الرؤساء ويجبرونهم على أن يجعلوا شيئاً في هذه المدينة ، وأخسـهم مـن يفعـل مـا يفعله ، إذا جبر ، خوفاً لا حياء أو هرباً من الشيء المؤذي ، لا القبيح » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ٢٧) .

٤ ــ « والذين يأمرون بضرب من يهرب من الحرب يفعلون هذا الفعل بعينه ، والذين يفعلون ما يفعلونه أمام القبور (يعني أمام الحالة التي هي تؤدي إلى القبـور ، أي أمام الموت) . فمن يشجع خوفاً من أن يموت إذا لم يشجع ، فليس بشجاع ، وما أشبه ذلك ، فإن هؤلاء كلهم يجبرون النـاس على الفعـل » . (الكتاب الثـالث ، ٨ ، ١١١٦ أ ٣٦) .

٥ ــ « وقد يوجد إنسان دون إنسان في شيء دون شيء بهـذه الحـال . فـالجند يوجدون كذلك في الحروب ، لأنه قد يظن أن في الحرب أشياء كثيرة بـديعة ، يقف عليها هؤلاء خاصة ، فيرون أنهم من أهـل الشـجاعة لما يمـكنهم أن يفعلـوه في الحرب ... فيأمنوا ألا يصيبهم ما لا يعلمه[٢٥] غيرهم » . (الكتاب الثـالث ، ٨ ، ١١١٦ ب ٥) .

٦ ــ « فهم بمنزلة قوم متسلّحين يقاتلون قوماً بـلا سـلاح ، وقـوم مـبرزين[٢٦] يقاتلون قوماً أغماداً . وذلك أن في أمثال هذا ليس المبرز هو الأشجع ، لـكن الـذي هو أعلم بصناعة الحرب ، كما قد يكون المبرز في الحرب الأقوى والذي هيئة بدنه هيئة فاضلة . (كذا لخص القاضي هذا الفصل وفيه زيادة على مـا في النصّ ، ويشـبه أن يكون في النص نقص) . أي[٢٧] في أمثـال هـذا الجهـاد ليس المبرز في الحـرب هو الأشجع ، لكن الأقوى والذي هيئة بدنه هيئـة فـاضلة » . الـكتاب الثـالث ، ٨ ، ١١١٦ ب ١٢) .

٧ ــ « وقد يتخيل من أمر الجاهل بالشيء المفزع أنه شجاع ، وليس هو ببعيـد من الطمع ، إلا أنه أخشى منه ، من قبل أن الطمع له أصل موضوع يعمل عليـه ، وذلك ليس له . ولذلك يقف زماناً ... فأما الذين يخرجون إلى الحرب بالخديعة ، فإنهم إذا علموا أو توهموا أن الذين يحاربونهم غير الذين قصدوا لمحاربتهم هـربوا » . (الكتاب الثالث ، ٨ ، ١١١٧ أ ٢٢) .

٨ ــ « فأما الأشياء التي تجلب الصحة واعتـدال الهيئـة وهـي لـذيـذة ، فـإنه يشتهيها بمقـدار معتدل وكما ينبغي . وسائر الأمور اللـذيذة الأخـر ، إذا لم تعـق[٢٨] هذه . وأما سائر اللذات الأخر فيتركها ... إما لأنها خارجة عن الجميـل أو لأنهـا تعوق جوهرنا » . (الكتاب الثالث ، ١١ ، ١١١٩ أ ١٦) .

٩ ــ « فلذلك ينبغي أن تكون بقدر وتكون قليلة ، وألا تضادّ التمييز . فإن مـن كان بهذا الحال سمّيّ منقاذاً مغموماً .... وكما أن الصبي ينبغي أن تـكون شـهواته بحسب ما يأمره المؤدب ، كذلك الجزء الشهواني ينبغي أن يـكون بحسـب مـا يـوجبه التمييز » . (الكتاب الثالث ، ١٢ ، ١١١٩ ب ١١) .

١٠ ــ « والتبذير والتقتير زيادة على التوسط ونقصـان عنـه في الأمـوال . ونحـن نلزم أبداً التقتير الذين يعنون بجمع الأموال أكثر مما ينبغي ، وربما الزمناهم التبـذير . وأما التبذير ، فإنما ننسبه إلى المنهمكين في الشهوات والـذين ينفقـون أمـوالهم في اللذات ، لأن أمثال هؤلاء هم الذين يسمّون مبذّرين ... لأنـا نسـمي المنهمـكين في الشهوات والذين ينفقون أموالهم في اللـذات مبـذرين » . (الـكتاب الـرابع ، ١ ، ١١١٩ ب ٢٦) .

١١ ــ « ولذلك نظن بهم أنهم أردى من غـيرهم ، لأن معهـم شروراً كثيرة ، معاً . فلذلك لا ... يليق بهم هذا الاسم ، لأن من شأن المبذّر أن يكون معه شر واحد ، أعني اتلاف ماله » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١١٩ ب ٣٢) .

١٢ ــ « وأفعال الفضيلة جميلة ، وبسبب الجميل تفعل ، وفعلها صواب ، لأنها إنما تفعل لمن ينبغي أن يفعل به وبالمقدار الذي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي ، وفي جميع الأشياء التي تتبع البذل . وبالجملة ، فيفعل جميع الأشـياء الـتي تتبـع العـدل الصحيح ... وهو الظاهر ، لأن البذل الصحيح لائق بالكلام في السـخاء . وإنمـا تقدم القول في الفضيلة بالجملة .... وعلى أن يفعلهـا بـاستلذاذ وغـير تـأذّ ، لأن اللذيذ بالفضيلة هو إما ألا يكون معـه أذى ، أو يـكون أذاه يسـيراً » . (الـكتاب الرابع ، ١ ، ١١٢٠ أ ٢٣) .

١٣ ــ « فحالة التبذير لا تكاد تجتمـع ولا تـدوم ... لأنـــه ليس ســـهل على الإنسان أن يعطي كل واحد ولا يأخذ من أحـد شـيئاً » . (الـكتاب الـرابع ، ١ ، ١١٢١ أ ١٦) .

١٤ ــ « ولأنهم مع ذلك لا يهتمون بالأمر الجميل ... قد تضيق صـدورهم فيأخذون من كل موضع يسنح لهم ، وذلك أنهم يشتهون أن يعطوا . ولا يبالون مـن أين أو كيف يأخذون » . (الكتاب الرابع ، ١ ، ١١٢١ ب ١) .

١٥ ــ « وينبغي أن نتبع ذلك بصفة **الكرم** ، فإنه قد يظن به أنه فضيلة ما في المال ، وليست تشتمل مثل السخاء على جميع الأفعال التي تكون في الأموال . لـكنه إنما يكون في الإنفاق فقط ، فإنه يفضل **الحرية ...** في السـخاء بـكثرة مـا ينفـق وعظمه ، كما يدل اسمه في لغة اليونانيين ، فإنه يدل على نفقة واجبة في أمر عظيم » . (الكتاب الرابع ، ٢ ، ١١٢٢ أ ١٨) .

١٦ ــ « والعظيم من المضاف إلى الشيء . ولـذلك كانـت النفقـة على الـركب الكثير عظيمة بالإضافة إلى النفقة على الواجب ... فإنه ليس النفقـة على الـركب الكبير والنفقة على الأراكنة[٢٩] واحدة بعينها . والـواجب في النفقـة يـكون بحسـب المنفق والشيء الذي ينفق فيه » . (الكتاب الرابع ، ٢ ، ١١٢٢ أ ٢٣) .

١٧ ــ « ولذلك ليس هو ثلاّباً ولا لأعـدائه إلا عنـد الحـاجة إلى التهـديد وفي الأشياء الضرورية والأمور الصغار . وليس هوذا يطمع .... لأن ذلك إنما هو مـن شأن من يجدّ في طلب هذه الأشياء » . (الكتاب الرابع ، ٣ ، ١١٢٥ أ ٨) .

١٨ ــ « لأن ذلك لا يمكن أن يكون ، إذ كان **الشر** يفسد نفسه إذا اجتمعت أجزاؤه كلها أو كان غير محتمل .... فالغضوب قـد يسرع إليـه الغضـب ممـا لا ينبغي على ما لا ينبغي وأكثر مما ينبغي . وقد يسكن غضبهم بسرعـة » . (الـكتاب الرابع ، ٥ ، ١١٢٦ أ ١٢) .

١٩ ــ « وبيّن[٣٠] أن المتخاسس .... يقـابل الصـدوق ، لأنــه دونــه » . (الكتاب الخامس ، ٧ ، ١١٢٧ ب ٣١) .

٢٠ ــ « ومـن أجل ذلـك لا ندع أن يرأس إنسان بالكلية من أجل أنه يفعـل ذلك لذاته ويصير متغلباً . وترى الناس يتحامون أن يرأس إنسان عليهم بالكلية مـن أجل أنه يصير متغلباً ويقتسم الخير لذاته أكثر .... وإنما الرئيس حافظ العـدل » . (الكتاب الخامس ، ٦ ، ١١٣٤ أ ٣٥) .

٢١ ــ « فإذا كانت من الاختيار ، فحينئـذ يقـال فـاعلها لا عـادل ولا شرير[٣١] . ومن أجل ذلك لا يقضي[٣٢] على الـتي (أي الأفعـال) تـكون مـن الغضب (فقد كان بعض القدماء لا يقضي على الذي يفعـل بغضب فعـلاً ضـاراً ويعذر الغاضب ...) من أجل أنه[٣٣] ليس الابتداء من الذي يفعل بغضب ، بل من الذي يغضب » . (الكتاب الخامس ، ٨ ، ١١٣٥ ب ٢٥) .

٢٢ ــ « فالذين يضافون إلى هذه من أجل أنها تزيد على العدل ، (يريد على القدر . . . .) الذي هو فيهم [٣٤] ، فليس نقول إنهم لا ضابطين بنوع مبسوط ، بل نقول إنهم لا ضابطين ، إذا زدنا وقلنا لا ضابطين في الربح والكرامة والغضب . وأما بنوع مبسوط ، فلا نقول ذلك » . (الكتاب السابع ، ٤ ، ١١٤٧ ب ٣١) .

٢٣ ــ « وأما من أجل المنفعة واللذة ، فقد يمكن أن يرضى الواحد بكثير ، من أجل أن هؤلاء كثيرون ويكونون مجربين [٣٥] في زمان قليل ، وتحصل التجربة لهم [٣٦] في زمان قليل . . . . » . (الكتاب الثامن ، ٦ ، ١١٥٨ أ ١٦) .

٢٤ ــ « من أجل أنهم لا يطلبون ذوات لذة مع فضيلة ، ولا ذوات منفعة من الأشياء الخيّرة ، بل يشتهون الهيّن . . . (أي) التنقل لمكان اللذة ويريدون الذها لفعل ما يأمرون به . وهذه لا تكون كثيراً في الواحد بعينه » . (الكتاب الثامن ، ٦ ، ١١٥٨ أ ٣٠) .

٢٥ ــ « وأما الذين يشتهون **الكرامة** من الذين هم ذوو استيهال ومعرفة ، فإنهم يشتهون أن يؤكدوا [٣٧] رأيهم فيهم ، ويفرحون أنهم أحياء ويصدّقون بقضية القائلين (وبتصديق المكرمين لهم . فذلك إذ لا يكرم الأخيار إلا الأخيار . . .) . وكذلك يفرحون بأن يحبّوا ، ومن أجل أن المحبّة مختارة بذاتها » . (الكتاب الثامن ، ٨ ، ١١٥٩ أ ٢٢) .

٢٦ ــ « ولذلك سمي **أوميروش أغاممنن** [٣٨] راعي الناس ، والرياسة الأمثل هذه أيضاً ، وإنما تختلف بعظم المنافع ، فإنه يظن به (أي الأب) أنه علّة لآنية الأولاد . . . والكون والتربة والأدب » . (الكتاب الثامن ، ١١ ، ١١٦١ أ ١٤) .

٢٧ ــ « واجتماع التربية أيضاً كثير الموافقة في المحبة وكذلك اجتماع الجيل [٣٩] . . . بمكان واحد ، **فإن القرين يحب قرينه والخلطاء أصحاب** » . (الكتاب الثامن ، ١٢ ، ١١٦١ ب ٣٣) .

٢٨ ــ « ولما كانت **المحبات** على ثلاثة أنواع ، كما قيل في الابتداء ، وكان في كل واحدة منها بعض **الأصدقاء** بالتساوي . وبعضهم بالزيادة ، فإن **الأخيار يكونون أصدقاء بالسوية** . ولا باسقاط لا ، لخصه القاضي ، ويحتمل هذا المعنى مما تقدم من أن صداقة اللذة والمنفعة تكون بين الأردى والأجود ، وبين الذين هم لا أردياء بالجملة ولا أخياراً بالجملة ، وإذا ثبتت لا يكون المعنى أن الأجود لا يكون صديقاً للأردى ، أي لا تكون الصداقة ولا اللذة متساوية ، يكون الأجود صديقاً للأردأ ، ويكونون [٤٠] أيضاً ملتذين ويكونون متساوين في الصداقات ، لمكان المنفعة ومختلفين أيضاً » . (الكتاب الثامن ، ١٣ ، ١١٦٢ أ ٣٤) .

٢٩ ــ « فإن الأجود يرى أنه ينبغي أن يكون له الأكثر من أجل أنه ينبغي أن يعطى الأكثر للخيّر [٤١] . وكذلك يرى أنه أنفع . ولا يزعمون أنه ينبغي أن يكون للرديء أسوة بما لهم . ولا يزعم أحد أنه ينبغي أن يكون مساوياً للفاضل . . . وأن أمور المحبة إن لم تكن على قدر استيهال الأفعال ، يظن بها أنها تكون خدمة لا محبّة » . (الكتاب الثامن ، ١٤ ، ١١٦٣ أ ٢٦) .

٣٠ ــ « وقد يمكن أن يكون هذا في الأشياء أيضاً ، فإنه لا يكون أصدقاء كثر [٤٢] في الصداقة الصحابية التامة . . . وأما التي تتقدّم بالشرف ، فيقال إنها في اثنين » . (الكتاب التاسع ، ١٠ ، ١١٧١ أ ١٣) .

الهوامش

(١) راجع : Harry A. Wolfson, Revised Plan..., Speculum 38 (1963), 90f.

(٢) راجع : ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ٥٣٢ .

(٣) Aristotelis Opera Cum Averrois Cordubensis Commentariis, Venice, 1562 – 74.

وتجدر الإشارة إلى أن لورنس برمان يعدّ نشرة محققة للترجمة العبرية التي وضعها صاموئيل بن يهوذا المرسيلي .

راجع : L. V. Bermans Le Commentaire moyen d'Ibn Rushd sur l'Ethique à Nicomaque, Archives Juives, 13 (1977), mo. 2.

(٤) المصدر السابق ، المجلد الثالث ، وقد أعاد ترجمة هذا الكتاب إلى الإنكليزية رالف ليرنر ، راجع : R. Lerner, Averroes on Plato's Republic, Ithaca and London, 1974.

(٥) راجع : Lerner, Averroes on the "Republic", pp. 3f.

وقارن : In Moralia Nicomachia (Aristotelis Opera Vol. III), foll. 20a f. and 160a f.

(٦) Lerner, Op. Cit., pp. 5 and 92.

(٧) راجع : In Moralia, ad I, 7 & Lerner, op. cit., p. 5. 7.

(٨) راجع : تلخيص كتاب النفس ، القاهرة ، ١٩٥٠ م ، ص ٩٩

قارن : In Moralia, ad I, 13.

(٩) راجع : كتاب النفس ، الكتاب الثالث ، ٤٣٢ أ ٢٣ الخ .

(١٠) راجع : Lerner, op. cit., pp. 7f.

(١١) راجع : In Moralia, ad VI, 3 – 7.

وقارن : الفارابي ، فصول منتزعة ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ١٥٠ .

(١٢) راجع : تهذيب الأخلاق ، بيروت ١٩٦٦ م ، ص ١٩ .

(١٣) راجع : A Greek Ethical Treatise, Oriens, 13 – 14 (1960), 35f.

(١٤) راجع : الأخلاق ، الكتاب العاشر ، فصل ٧ وقارن تعاليق ابن رشد .

(١٥) راجع : Comment. magnum in Aristotelis de anima, ed. F. St. Crawford, Cambridge, Mass., 1953. p. 433.

(١٦) راجع : رسالة الوداع ، في رسائل ابن باجه الإلهية ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ١٤١ وسواها .

(١٧) تلخيص كتاب النفس ، ص ٩٥ .

(١٨) تلخيص كتاب النفس ، ملحق ٢ (هل يتصل بالعقل الهيولاني العقل الفعّال) ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ .

(١٩) تلخيص ما بعد الطبيعة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ١٤٤ ، وما يلي .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٢١) تلخيص ما بعد الطبيعة ، ص ١٤٥ .

(٢٢) رسالة الاتصال ، ص ١٢٢ وما يلي . وقارن تلخيص كتاب النفس ، ص ٨٩ .

(٢٣) في النص المنشور : من .

(٢٤) تشير هذه النقاط إلى عبارة الناسخ : « وكذا لخصه القاضي » ، يعني أبا الوليد ابن رشد ، فأسقطناها .

(٢٥) في النص المنشور : يعمله ، قارن الفقرة التالية .

(٢٦) في النص : مبرزون .

(٢٧) في النص : أنّ .

(٢٨) في النص : تعتّم .

(٢٩) في النص المنشور : الأكانة . ويبدو أن ابن رشد أراد اللفظة اليونانية المعرّبة للرؤساء وهي التي أثبتناها أعلاه .

(٣٠) في النص : ويبيّن .

(٣١) في النص : وشرير . والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٤) في النص : فيها . والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٥) في النص المنشور : مجرّبات .

(٣٦) في النص : يؤكدون .

(٣٧) في النص : يؤكدون .

(٣٨) في النص : غاثمين . والتصحيح يلزم عن عبارة أرسطو .

(٣٩) في النص : الخيل . وقد اقترح الناسخ قراءة أخرى هي الجيل ، وهي التي تتفق مع نصّ أرسطو .

(٤٠) في النص : يكون .

(٤١) في النص : الخير .

(٤٢) في النص : كثير أصدقاء .

ويبقى ...

ويبقى الشعر ما بقي الإنسان ، الإنسان الذي اهتز وارتعش واندهش ، ورأى وأحس ما لم يره ويحسه من قبل ؛ وقال ما لم يقله من قبل ، لأنه دخل أرضاً جديدة وزمناً شعرياً جديداً ، وغيَّر واقعاً مملاً وجواً قاتماً مخيفاً ، فاتسعت الآفاق وغلّفت الكون والحياة رؤيا جديدة . واتحدت جميع العناصر المبدعة على اصطناع صياغةٍ لفظيةٍ ، جميلةٍ ، فريدةٍ ، تحمل في داخلها أسرار جمالها واستمرارها . كلما سُمعتْ أدهشتْ وأراحت الإنسان في كل حقبةٍ تاريخية ، هذا الكلام يبقى خارج الزمان ، يخضع لقوانين الغناء .

الزمن الشعري الأول

إن الجمال الكامن في صياغة التعابير الجديدة لا أول له ولا نهاية ، ولا يرتبط بمفاهيم سائدة ومقاييس ماديّة ونسبيّة وبيئيّة وتاريخية . وبخاصةٍ إن هذا النوع من الجمال ـ جمال القول ـ له سبيل إلى الإنسان عن طريق السماع ، وإن تدخلت بعض الملكات التي لم تكن أصلاً . وهذا له أهمية في العودة إلى **الزمن الشعري الأول** ، وفي تلمُّس الطريق الصحيحة ، ممسكين بالخيوط التي توصلنا إلى كنه العمل الفني والغوص في داخله وكشف الممكن من أسراره ، وإظهار بعض خصائصه ومميزاته ، ولا نقول وضع قوانين له لأنه من المستحيل والخطأ معاً أن نفعل ذلك ، وإن قمنا بذلك جهلاً فنكون قد وقعنا بما وقع به النقاد القدماء ، الذين ساهموا في قتل الإبداع عند الأجيال التي نشأت في مدارسهم ومؤسساتهم .

إن الشاعر يقتحم المجهول دائماً ، ويكتشف ويرسم ويرمي شبكته على آفاق الآفاق ، فتعود بقصيدة شاملةٍ ، كونيةٍ ، فيها أساطير الأولين وأحلام الطامحين وأسرار المجهول الآتي ، ومعاناة الشرق الحزين .

إن القصيدة موقف من الوجود القائم والزمن المتغيِّر . هي النغم الكوني السرمدي ودهشة الطفل الدائمة . فمن أين بدأت هذه القصيدة ؟ وكيف نـَمَتْ وترعرعت ؟ وهل تحتفظ بأسرار البقاء ؟ أم هي تعيش دورة مقدرة عليها كما قدرت على شاعرها ؟

البدايات

كانت البدايات الجميلة والمحاولات الفنية الكثيرة ، والحرية المطلقة . كان القول طلقاً والتعبير عذرياً ، فوّاحاً . **كان الشعر إرضاءً لرغباتٍ إنسانية كثيرة** ، كان كلاماً مرصوفاً متصلاً ، لا نمطية ولا شكلية معينة ، وكانت له بالضرورة فنية وجمالية لبست عند الكلام الشائع المألوف . في هذه الحالة تتحد هذه التشكلات الجديدة لتؤدي غاية الارضاء عن طريق **الغناء** . وليس كل قولٍ غنائياً ، بل هناك عناصر كثيرة يجب أن تتوفر في الكلام المغنى منها ، **العاطفة الصادقة** القوية ، **والنغم الموسيقي** الناجم عن أشكال تركيبية كثيرة ومختلفة : مثل الاعتماد على **السجع والفواصل** التي تقوم على مقاطع كلامية ، لها امتداد زمني معين . على هذا المرمى الجديد ، كانت اللغة بكراً ، والإنسان بدائياً يطرب لأي وقع خارجي ، ولأي صوت غنائي ، لأنه إلى جانب ذلك يعاني من أبسط الأمور . فتراكمت اللغة عليه ، استهلكته ولم يستهلكها ، فأصبحت تموج بصيغ مختلفة وألوان متعددة . كل صيغة تحتوي على نمط موسيقي معينٍ مرتبطٍ بإحساس معين ، معبرٍ عن تجربةٍ معينة تترك أثراً مصبوغاً بلون عاطفي مختلف ، فينشأ كلام جديد ، نستطيع أن نقول عنه شعراً ، يرتبط بالإحساس العام والمشاعر الإنسانية المشتركة .

في الزمن الطفولي لهذه المرحلة الشعرية تكون المعاناة كبيرة ، والعاطفة غزيرة جداً ، والحرية مطلقة حيث لا نماذج ، لا قوانين ، لا مذاهب ، لا سلفية ، ولا عرف ولا عادة . **إنها البداية ، وكل بداية ابداع جميل ، ودهشة ورعشة : إنها ولادة الأشياء في زمن لا تعرف الأشياء نمواً ولا الحجر حركة . زمن يولد فيه ولا يموت فيه شيء .**

الشعر

بقلم : د . عبد الحميد جيدة

القصيدة العمودية

من هذا الزمن الشعري الأول ولدت **القصيدة العمودية** عملاً فريداً مبدعاً ، أحدثها شاعر عظيم أو تطوّرت تطوراً زمنياً حتى وصلت إلى هذه الجاهلية الرائعة على أيدي شعراء مبدعين . **إن القصيدة العربية في العصر الجاهلي كانت في قمة هندستها الفنية ، ونحن نجهل تاريخية نموها وتطورها ، كما أننا نجهل جميع الأنواع الأدبية والأسلوبية القديمة في الزمن الشعري الأول** . إن هذا النوع من الشعر الذي أدهش الناس في ذلك الوقت ، هو الشعر الذي نسميه الآن **الشعر التقليدي** . لقد انصبت جميع قرائح الشعراء في هذا الاتجاه الفني ، في هذا القالب الجديد ، النموذج الحي ، الفريد ، المدهش الذي أحدث خلخلة في الثقافة السائدة في زمنه ، وقضى على باقي النماذج المتداولة . لقد كان خروجاً كلياً على المألوف المتداول ، واصطنع لغته الشعرية الجديدة وتعابيره الجديدة وصياغته المختلفة . في هذا المجال تتفاوت أعمال الشعراء . الكل يكتبون شكلية القصيدة الجديدة ويقلدونها ، من الوقوف على الطلل ، مروراً **بوصف الرحلة** ، حتى الوصول إلى الموضوع الرئيسي .

ولكن الحكم النقدي على شعرية هذه القصيدة كان ضعيفاً . في جميع مراحل القصيدة العربية ، منذ الجاهلية حتى العصر الحديث ، سموا كل نظم شعراً وأطلقوا على صاحبه لفظة شاعر ، وانضم إلى قافلة الشعراء وارتبط بمؤسسات معينة يدافع عنها وعليها رزقه . وهذا مخالف للبدايات ، لأن الشعر لا يوظف ولا يخضع لقوانين علمية حتى يكتشف ، لأنه ليس موجوداً في الواقع . بل إنه عملية ذاتية ، مبتكرة ، مبدعة ، وهنا تكمن عظمة الإنسان في صياغة بيت من الشعر وليس في كشف قانون طبيعي موجود أصلاً .

ما هو البيت الشعري ؟ إنه صنع تعبير جديد يرسم أفقاً إنسانياً جديداً . يغير واقعاً بواقع ، يتخلى عن شيء ليتبنى شيئاً آخر .

إن اللغة الشعرية في هذه الحالة تخلق نفسها بنفسها بوعي حقيقي من الشاعر ، وتأخذ شكلاً جديداً ، وهنا يكون الشعر خالداً بمعنى أنه خرق للواقع وزمنه . وعلى الرغم من إدراك هذا الكلام من بعض القدماء فقد سادت نمطية هذه القصيدة الجديدة ، وأفرغوا فيها جميع نشاطاتهم الفكرية والعاطفية والعلمية حتى أصبحت فيما بعد ميداناً لتدوين الأحداث وأيام العرب واللغة والنحو والفلسفة والحساب والتنجيم . وهذا ما أدى بالنهاية إلى قتل روح الشعر نهائياً اللهم إلا بعض الأبيات المتناثرة في قصائد الغزليين بصورة عامة . وفي رأينا ، **لقد استهلكت القصيدة العربية في العصر الجاهلي ، حتى رأينا الصور المادية تهيمن على جميع الشعر الجاهلي ، وقلما نرى صوراً معنوية . وأصبحت القصائد متشابهة أسلوباً ومضموناً ، وتحول الشعراء إلى بنائين ينقلون عن خارطة واحدة للمصمم الأول** ، المبدع الأول . فله الخلود ولهم السقوط ، له الشعر ولهم التقليد والنظم .

ظلت الحالة الفنية راكدة حتى جاء **القرآن الكريم** . فكان حدثاً رائعاً ، مبدعاً ، مدهشاً لم يسمع العرب مثله آنذاك . وكانت الآراء مختلفة فيه « يوم نزوله » وبإمكاننا أن نصنّف هذه الآراء على الوجه الآتي :

١ ــ كلام غريب لم يسمعوا مثله من قبل .

٢ ــ شعر وصاحبه شاعر عظيم .

٣ ــ إنه كلام الله (المثل الأعلى عند العرب) .

٤ ــ قالوا عن الرسول ساحر ، لأن كلامه يأخذ بالألباب .

٥ ــ ليس الرسول شاعراً ولا ساحراً .

٦ ــ إن من البيان لسحرا .

ما يهمنا هنا هو الناحية الفنية . إن الذين أطلقوا عليه شعراً كانوا فئة تهتم بالشعر وتعرف أسراره الحقيقية ، طربت له وشعرت بروعة جمالية خارقة ، وأحدث عندها هزة كبيرة . لأن فكرة الشعر كانت مرتبطة عندهم بالغيب . والمهم هنا أن الذوق العربي تقبل القرآن الكريم واندهش له واعتبره شعراً على رغم وجود شكلية القصيدة المتبعة التي

يختلف عنها شكل الأسلوب القرآني اختلافاً جذرياً . ولهذا رد عليهم القرآن بأنه ليس شعراً **﴿ إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾** .

والقرآن وحي ونبوءة . وإذا اعتبرنا الشعر كشفاً والشاعر عرّافاً يكشف الآفاق ويتوغل في أبعاد المجهول ، وفي أعماق النفس الإنسانية ، فإن القرآن الكريم ، من الناحية الفنية ، هو أسلوب يختلف عن فنية القصيدة السائدة . هو اسلوب خالد لأنه يكتسب في كل لحظة رونقاً وجمالا ، لأننا في كل آنٍ نكتشف فيه أشياء جديدة ، فكلما غصنا في أعماقه عدنا بالكنوز النفيسة التي تشهد بعظمة الخالق . هو أسلوب تخطى حواجز الزمن واحتلّ الأبدية .

نستنتج من ذلك أنه ليست كتابة كل قصيدة شعراً ، ربما تكون أو لا تكون . وما من شيء يمنع وجود شكل آخر يكون هو الشعر . وما يهمنا أن القرآن الكريم أحدث منهاجاً على مختلف الأصعدة والمجالات الإنسانية ، ومن بينها المجال الفني والأدبي . خلال هذا المنهاج أو هذه المعجزة التي هزت كل القيم السائدة قبلها ، خَفُتَ صوت الشعر بعض الشيء ، وأخذت اللغة الشعرية تختزن المفردات والتعابير الجديدة ، زاداً لإبداعيَّة الآتين . ولا يمكننا أن نسمي هذا الزمن زمناً شعرياً لأن القرآن ليس شعراً بل وحياً يوحى ، ولذا فليكنْ هذا الزمن هو « زمن الوحي » .

في هذا الزمن **أصبح القرآن الكريم هو مصدر الإشعاع ، وصارت مفرداته ، وتعابيره ، وعباراته ، وأساليبه ، نقاطاً مضيئة عبر العصور ، ومنهلاً لا ينضب نعود إليه دائماً نستلهمه ، نستنجده ، نستمد منه روح التجديد والابداع .**

الزمن الشعري الثالث

أما **الزمن الشعري الثالث** فكان **زمن التقليد والتقييد** .

وإن كان ثمة تجديد فهو في التجربة ، ولكن ظلت قماشة الثوب الشعري ذات لون واحد وشكل واحد ، وصارت اللغة الشعرية مسطحة ، مستهلَكة و مستهلِكة . إن معظم القصائد التي كتبت في هذا الزمن كانت امتداداً متخماً لنهايات الزمن الشعري الأول . ونحن لا ننكر وجود بشائر عند بعض الصوفيين والغزليين والخارجين على السلطة ، ولكن ذلك لم يكن سوى لمحات تجديدية ، وكما قلنا فإن ذلك كان من حيث التجربة لا الصياغة ، وقد تولدت عند بعض الشعراء صياغات جديدة ، لكن ما أحوجنا إلى خطوة إبداعية تنقلنا وتنتشلنا من الرقابة الشعرية التي وقع فيها شعراء هذا الزمن .

إن الشعر الذي اصطلح على تسميته بالشعر التقليدي ينقل التجربة مباشرة بلغة مكشوفة ومعنى مرسوم بسهولة ، بينما الشعر العظيم الجديد هو رؤيا للكون والوجود وينقل أثر التجربة المباشر .

الزمن الشعري الرابع

إن تباشير هذا الشعر الجديد بدأت مع شعراء القرن العشرين من الرومانطقيين والرمزيين العرب .

وبذلك استهلوا **الزمن الشعري الرابع** الذي لم تكتمل ملامحه بعد . إن الشاعر الجديد يدخل منطقة الرفض المطلق والمستمر على صعيد اللغة والتجربة والرؤيا . الشاعر المبدع يكون في حالة توتر دائم مستنفراً جميع ملكاته الإنسانية . وإذا لم تكن التجربة الخارجية قادرة على بعث الكوامن الدفينة يلجأ الشاعر إلى عالم الذاكرة ، لأنه لا يبقى فيها إلا ومضات قديمة وحميمة تضيء عالم الخارج . من ضباب الذاكرة تخرج إشعاعات ولمعان يشير إلى تجارب قديمة مرتبطة بحياة الإنسان . في هذه الحالة تكون الذات والموضوع في الداخل ، وتكون ملكات الشاعر الإبداعية في أقصى سلبيتها أي أنها لا تتلقى بل تعطي من الداخل وإلى الداخل . هذا ما يحدث خلال العملية الإبداعية . أن يكون الشاعر قطباً سالباً لا يتلقى أي تدخل خارجي ، بل يلتف على المنطقة الحافلة بأغلى حميمياته يستولدها أثر التجربة ، لينثره علينا بعد ذلك على شكل قصيدة مختلفة عن كل القصائد وكل الأشكال الأخرى . هذا ما نرى تباشيره في هذا الزمن الشعري الرابع ، الذي نحياه الآن والذي لم ينته بعد ، فما زلنا في البدايات :

١ ــ لقد أصبحت **الصورة الشعرية كثيرة الغموض** ، متشابكة ، متلاحقة مرتبطة بخيط واحد على ضوئه يفسر الغموض . هذا الخيط هو ذات الشاعر .

٢ ــ لم تعد القصيدة تنقل معانٍ مباشرة ولا تفسر تفسيراً عادياً (بيتاً بيتاً) ، بل أصبحت ترسم أفقاً بل آفاقاً . فالقصيدة تقرأ كلها دفعة واحدة ، وتترك أثراً جمالياً يوحي ويدل إلى أسرارها ومعانيها .

٣ ــ **اللغة الشعرية** صارت جديدة ومتجددة :

أ ــ **على صعيد اللفظة** : يأتي الشاعر بألفاظ جديدة واشتقاقات جديدة تعرضها عبقرية الشاعر بما يتلاءم مع جو القصيدة العام . ولم تعد الألفاظ منفردة تفسر كل على حدة ، بل توحدت ، وتزاوجت .

ب ــ **على صعيد التعبير** : صار الشاعر يلعب بالكلمات لايجاد صياغة جديدة . وهذا ما يميز شاعراً عن آخر . وتكمن عظمة الشاعر في صياغته المبدعة التي هي هويته وصوته . لأنه أصبح لكل شاعر رموزه الخاصة المرتبطة به ، بتجربته ، وبصياغته التي تحمل أسرار وجوده ورؤياه إلى الكون والحياة . ليست الصيغ القديمة ناتجة عن مواقف الشعراء القدماء وطريقة تفكيرهم وإحساسهم ومشاعرهم الصادقة ورؤياهم النافذة ، بل كانت مرتبطة بثقافة معينة وظروف ذاتية وموضوعية معينة ، فلا يجوز أن تكون قوالب تحدد فيها طرق تفكير الأجيال القادمة وتقنن فيها

قصائدهم . **إن الأمة التي تجتر تعابيرها وصيغ أسلافها تكون أمة استهلاكية وغير منتجة .** من هنا يجب أن نحدد موقفنا من التراث الذي تربطنا به اللغة العربية باستمرار :

١ ــ عدم استهلاك التراث واجتراره .

٢ ــ الارتباط بروح العصر .

٣ ــ الإيمان بالتطور الدائم .

٤ ــ الاعتماد على الذات المميزة و« الأنا » الأسطورية .

٥ ــ ارتباط الحركة الإبداعية بالتراث .

وهذا يتم من معرفة القديم كله بجميع أشكاله واتجاهاته ، ومعرفة الجديد كله ، منابعه ، ومذاهبه ، وروافده . أن لا نكون أوروبيين كلياً ولا تراثيين كلياً ، وإنما أن نكوّن شخصية إبداعية فريدة ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الوعي الثقافي التام . أن أعرف موقعي وما يحيطه . ليس من المعقول لمن يدرس التراث دراسة واعية أن ينسلخ عنه نهائياً ، مهما كان داعياً إلى التجديد . إن التجاوز لا يكون اعتباطياً ولا دعوة مجانية ، ولا حتى بنقد التراث ورؤية مثالية . **إن التجاوز أن توجد نموذجاً إبداعياً جديداً مغايراً للنموذج القائم** ، وأن نتخطاه سياسياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من مدلولات فلسفية .

لا إبداع في ظل النموذج القائم في أي زمان ومكان ، ولا تفتح في ظل المناهج الفلسفية والقوانين الفكرية الثابتة . لكي نكون أحراراً مولدين فما علينا إلا الإبحار لكشف أسرار الطبيعة ومجاهل النفس البشرية . **إن أصحاب النماذج عباقرة ، يجب أن يكونوا هم نماذج لنا وليس إنتاجهم ، أن نحذو حذوهم ، أن نقرأ أعمالهم ونخرج منها لنبدع ونحقق شيئاً آخر .** في هذه الحالة نخلق زمناً ثقافياً متحركاً تبدعه الجماعة لا الفرد . على صعيد الشعر نحقق زمناً شعرياً جديداً ، زمناً تتجلى فيه الاتجاهات المستقبلية ، إن الشعر إضافة إلى النموذج السابق لأن هذا النموذج الجديد إن أصبح فله القدم .

الدعوة إلى التجديد

إن الدعوة إلى التجديد في الشعر ليست سيفاً يقطع عنق القدماء المبدعين ، وليست ماء الحياة لهم ، ولا استراحة المعاصرين ولا شفاء الآتين . إن الشعر الحقيقي تاريخ لألوان ، لعواطف ولصور الجمال ، ورسم للأحلام ، وموقف من العالم والوجود ، وإحساس بالزمن يتخطى الواقع باستمرار . وهنا يخلد الشعر أكثر من الفلسفة والعلوم . **إن الشعر طاقة حيائية باقية مدى الزمان ، ولا تلغى أو ترمى ما دام الإنسان موجوداً ، ولو انقطع تاريخه الفني ، فإنه يستطيع أن يبتدع تاريخاً فنياً جديداً ويشبع جوعه الجمالي .** بينما العلوم على النقيض من ذلك ، إنها أسس موضوعة سلفاً وعلى العالم أن يكتشفها ، ويتصل بتاريخية علمه باستمرار . في العلوم تنفي نظريةٌ نظريةً ويلغي قانونٌ قانوناً آخر . وكذلك الفلسفات والعلوم الأخرى كلها تتغير وتتبدل تباعاً للإكتشافات الجديدة ، أو لمتطلبات العصر وحاجيات المجتمع ، أو لارتباطها بعوامل اقتصادية وسياسية معينة . بينما الشعر يبقى شعراً من حيث فنيته وجماليته في كل زمان ومكان ؛ منذ امرئ القيس حتى اليوم ، مرت أزمنة من الشعر وبقي الشاعر هو الذي يجدد ويبدع زمناً شعرياً نموذجاً .

ومن الظلم كل الظلم أن ننزل في الزمن الشعري الحديث بأدوات نقدية كزمنٍ ماضٍ . علينا أن ندخل إلى العمل الشعري متجردين ، ونخرج منه متشحين بانفعالات وانطباعات مصدرها ذات الشاعر . وهذا لا يتم إلا عندما تتوفر لدينا مادة شعرية ضخمة تستكمل شروطها الفنية وتبرز مميزاتها وخصائصها المتغايرة ، وهذا لا يتم في وقت قليل إذا ما قيس بالشعر الكلاسيكي . **فإن الفراهيدي** ، على سبيل المثال لا الحصر ، استنبط القوانين الموسيقية للقصيدة العربية بعدما وضع بين يديه معظم الشعر العربي على امتداد تاريخه . هنا تكمن العلاقة بين العلم والشعر ، هو أن نستخدم روح العلم في كشف مواطن الجمال في الفن . بينما تبقى الاهتمامات الجمالية اهتمامات ذاتية تحملنا على تحقيق طموحاتنا وتزيدنا تعلقاً بالحياة والمستقبل وتغير قوانين الأشياء وما وجدت لأجله في الطبيعة . إن الأشياء صارت نماذج جمالية مرتبطة بالإحساس الداخلي عند الإنسان الذي يشعر بالجوع الجمالي ، كذلك الشعر كقيمة جمالية مرتبط ببناء الإنسان ذاته ، مرتبط بحركته ، برؤياه ، بداخله ، بماضيه ومستقبله ، باهتماماته المتواصلة ، بملكاته الإنسانية .

في البداية كان الشعر ضرورة جميلة هي الإفضاء ، فأصبحت الضرورة فيما بعد غاية جمالية إلى جانب كونها ضرورة حياتية . فيكون التطور الشعري متحداً اتحاداً كلياً بين ما كان وسيكون ، بين المادة والجمال ، بين الكلام والشعر ، بين الشكل والمضمون .

من اللغة تخلق اللغة ومن الشعر يولد الشعر . ويبقى الإنسان مزوّداً بطاقة روحية وقوى إبداعية خلاقة لا علاقة سببية لها من الخارج ، بقدر ما تحركها وتفجرها من الداخل ملكات كثيرة مرتبطة بأعماق الذات الإنسانية الفنية حيث يستوطن الشعور بالجمال والإحساس الكلي الذي يوحد الأشياء ويجدد علاقتها الكونية ، حيث تنتفي بالضرورة الأسباب والعلل ، وتختفي التناقضات . وتزول أكاذيب التاريخ ومهزلة الفلسفة .

أصبح الآن من نافلة القول ، التحدث عن التأثير العظيم الواسع الذي أحدثته الحضارة العربية الإسلامية في المدنية العالمية الراهنة ، وذلك بعد أن ثبت بالأدلة الكثيرة القاطعة بأن المقومات الأساسية التي قامت عليها المدنية الحاضرة ، إنما كانت منذ ظهورها مقومات لها جذورها العربية الإسلامية العميقة ، وأن الفكر العربي الإسلامي كان من مصادرها الرئيسية .



الغربيون ... وتقييم الحضارة

ومع اكتشاف هذه الحقيقة الباهرة ، التي لم يعد مستطاعاً حجبها ، أو عدم الاهتمام بها ، وذلك بفضل البحوث والدراسات الموسعة التي أجريت في السنوات الأخيرة ، لما تم جمعه من المخطوطات العربية النفيسة في شتى أنواع العلوم ، في مختلف المعاهد العلمية في العالم ، مع ذلك كله فما يزال يوجد حتى الآن كثير من أرباب الفكر ، والسياسة ، والاقتصاد في عالم الغرب ، ممن يحاولون أن يجحدوا فضل الحضارة العربية الإسلامية على الغرب ، ويزعمون بأن المدنية العالمية الحاضرة ، هي مدنية غربية في أصولها وفي تطورها .

ومنذ أن اتجه الغربيون إلى البحث والتدوين إبان عصر النهضة الأوروبية ، بل قبله بسنين طويلة ، أخذوا يتغاضون عمداً عن ذكر كل أثر من آثار الحضارة العربية الإسلامية دخل في حياتهم العامة ، وطور أسس تفكيرهم ، وراحوا يحاولون طمس حقائق هذا التأثير العربي الإسلامي ، ونكران فضله في التقدم والازدهار الذي أصابته أوروبا على مر العصور .

على أن هذا التنكر المتعمد للحضارة العربية الإسلامية ، ولما كان لها من نفوذ في نهضة أوروبا وتقدمها لم يدم طويلاً . فما لبث المنصفون من العلماء والمفكرين والمؤرخين الغربيين أن شرعوا يتحدثون بكل صدق عن التطور الكبير الذي أحدثته الحضارة العربية الإسلامية في الحياة الأوروبية ، وكيف أن هذه الحضارة قد هزت أوروبا هزاً عنيفاً ، وأيقظتها من السبات العميق الذي كانت تغط فيه ، وفتحت أمامها مجالات التقدم والنهوض .

بدايات الاعتراف بالحق

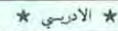
بدأت أوائل الكتب التي تتحدث عن عظمة العرب والمسلمين ، وما أحدثوه من تأثير واسع في أوروبا ، بالظهور في أعقاب **الحروب الصليبية** التي استغلت فيها أوروبا ذلك التمزق الشنيع الذي أصاب العالم الإسلامي ، وانقسامه إلى دويلات ضعيفة متطاحنة فيما بينها ، والذي رمت من ورائه إلى بسط سلطانها على العالم الإسلامي ، واحتكار ثرواته وكنوزه .

ولقد كان من أهم الكتب التي صدرت في تلك الفترة هو الكتاب الذي أصدره « **وليم** » أسقف مدينة « صور » اللبنانية بعنوان **[تأريخ الأمراء المسلمين منذ ظهور محمد]** . غير أن هذا الكتاب الذي صدر في أجزاء عديدة ، قد ضاع بعد صدوره ، ولم تبق منه سوى بضعة أجزاء دخلت ضمن كتاب آخر أصدره « **وليم الطرابلسي** » سنة ١٢٧٣ م ، بعنوان **[بحث في حال العرب]** .

على أن **أقدم وأهم مؤلف صدر في الغرب كله ، وتحدث بصدق واسهاب عن الحضارة العربية الإسلامية ، وتأثيرها على أوروبا ، هو الكتاب الذي أصدره المستشرق الإنكليزي « سيمون اوكلي » [١٦٧٨ - ١٧٢٠م] بعنوان (تأريخ المسلمين)** .

كان « أوكلي » قد ولد سنة ١٦٧٨ م ، في مدينة « **اكستر** » بمقاطعة « **ديفون** » في إنكلترا ، وقد درس في **جامعة « كمبرج »** ، وحذق العديد من اللغات الشرقية ، وعلى رأسها اللغة العربية .

ولقد استطاع « أوكلي » في سنة ١٧٠٨ م أن ينشر أول كتاب عربي له أهميته في تأريخ الدراسات العربية ، هو إخراجه ترجمة إنكليزية لكتاب



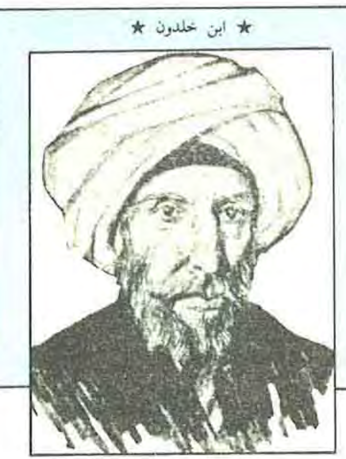
★ الادريسي ★





★ ابن سينا ★

★ ابن خلدون ★





★ المتنبي ★

العربية الإسلامية

بقلم : سليم طه التكريتي

« **حي بن يقظان** » الذي وضعه الفيلسوف العربي الشهير « **ابن طفيل** » . وكان المستشرق الإنكليزي المعروف « **إدورد بوكوك** » الأصغر قد نشر النص العربي لهذا الكتاب ، مع ترجمة لاتينية له في سنة ١٦٧١ م .

على أن جهود « أوكلي » ما لبثت أن انصرفت بعد ذلك ، إلى تأليف كتاب شامل يتحدث فيه عن تأريخ العرب منذ ظهور الإسلام ، معتمداً في ذلك على ما استطاع جمعه من المصادر بلغات مختلفة ، ولا سيما المصادر العربية القديمة التي يوثق بها ، ومتحلياً في هذا بروح النزاهة العلمية في الدرجة الأولى .

ولقد وصف « أوكلي » متاعبه في تأليف هذا الكتاب ، وذلك في رسالة بعث بها إلى ابنته في « اكستر » يقول فيها : « ليست لدي أدنى بارقة من الأمل في العودة إلى أسرتي قبل اليوم الأول من شهر تشرين الأول (اكتوبر) . ولولا ما أشعر به من الغبطة في تحقيق الغاية التي ترمي إليها مهنتي ، وما أناله من لذة الكشف عن بعض الحقائق ، وما أتوقعه من خدمة أمتي بتأليف تاريخ عن أعظم عاهلية قامت على وجه الأرض حتى اليوم ، لولا ذلك كله لكنت أفضل القيام بأي عمل على هذا العناء » .

ومما ذكره « أوكلي » في المقدمة المستفيضة التي وضعها لكتابه « تأريخ المسلمين » قوله : « **إن العرب الذين لم ينتبه إليهم مؤرخو اليونان والرومان إلا قليلاً ، قد برهنوا على نباهتهم العلمية منذ عصر محمد ، سواء في ميادين الفتح ، أم في ميادين العلوم . ولذلك فإن دراسة تاريخهم أكثر لزاماً علينا من الإلمام بتأريخ أية أمة من الأمم ، فلقد كان لدى العرب من عظماء الرجال ، وجلائل الأعمال ، مثلما كان لأية أمة أخرى تظللها السماء** » .

وفي هذه المقدمة ينحي « أوكلي » باللائمة على مؤرخي أوروبا الذين أهملوا تأريخ العرب ، وهو جزء مهم من تأريخ المجد الإنساني ، ويؤكد بأن هؤلاء المؤرخين قد دفعهم التعصب الأعمى إلى تشويه التاريخ العربي ، وأنه لهذا السبب نذر نفسه لكي يمحو ذلك العدوان الصارخ على الأمة العربية ومدنيتها .

وعلى الرغم من الإهمال الذي لقيه الجزء الأول من كتاب « تأريخ المسلمين » من لدن عامة الإنكليز ، وعدم تصديقهم لما أورده فيه من حقائق ، فقد استطاع مؤلفه ــ رغم الضائقة المالية الحادة التي حلت به ، والحكم عليه بالسجن لعجزه عن تسديد الديون التي تراكمت بذمته ــ أن ينشر الجزء الثاني من كتابه الخطير هذا سنة ١٧١٨ م ، وقبل مرور سنتين من وفاته في اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس) سنة ١٧٢٠ م .

ولقد بقي كتاب « أوكلي » هذا هو المرجع الوحيد عن تأريخ العرب والمسلمين ليس في إنكلترا فحسب ، بل في أوروبا كلها طيلة قرن كامل ، وأعيد طبعه عدة مرات ، ولم يدانه في أهميته أي كتاب آخر صدر في الغرب في تلك الأيام .

جهود هانز بروتس

وتولى أحد العلماء الألمان في أواخر القرن التاسع عشر التحدث

بإسهاب عما أحدثته الحضارة العربية الإسلامية من التأثير البالغ في حياة أوروبا على إختلاف مناحيها ومراحلها . فلقد أصدر العالم « **هانز بروتس** » كتاباً موسعاً عن « تأريخ الحروب الصليبية » : HANS PRUTZ: KULTE RGSCHICHTE DER KREUZZUGE الذي نشر في **برلين** في خمسة أجزاء سنة ١٨٨٣ م . ولقد خصص المؤلف الجزءين الرابع والخامس من كتابه للإفاضة في شرح ما أفادته أوروبا من علوم العالم الإسلامي وفنونه ، وتفصيل ما اقتبسه الصليبيون أثناء مكوثهم في الشرق من المسلمين من روائع العلوم والصناعات الإسلامية التي انتفعوا بها أيما انتفاع في تمدين أممهم ، وفي تطوير نهضتهم .

.. وغوستاف لوبون

ويعتبر **العالم الفرنسي الشهير الدكتور** « **غوستاف لوبون** » من خيرة الرجال المنصفين الذين أنجبتهم أوروبا في العقود الأخيرة من القرن الماضي ، ومن أعاظم المؤرخين الذين كتبوا عن الحضارة العربية الإسلامية ، وذلك في كتابه الذي أصدره سنة ١٨٨٤ م ، بعنوان « **حضارة العرب** » وتولى الكاتب البليغ المرحوم « **محمد عادل زعيتر** » ترجمته إلى العربية ونشره في سنة ١٩٤٥ م .

فلقد انبرى « لوبون » في مقدمة كتابه للرد على أولئك المتعصبين المغرضين الذين يزعمون بأن الدين الإسلامي قد انتشر بقوة السيف ليس إلا ، فقال : « **إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام . فالعرب قد تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم . فإذا انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام ، واتخذ العربية لغة له ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد به ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى ... لقد انتشر الإسلام بالدعوة ، لا بالسيف** » .

★ ★ ★

كتاب تراث الإسلام

وفي سنة ١٩٣١ م ، صدر في **لندن** كتاب موسوعي ، وإن كان مختصراً ، له قيمته الثابتة في الإشادة بفضل العرب والمسلمين على النهضة الأوروبية ، هو كتاب « **تراث الإسلام** » LEGACY OF ISLAM الذي شارك في تأليفه ثلاثة عشر عالماً من كبار المستشرقين الإنكليز تحت إشراف الأستاذ « **توماس أرنولد** » وتولت **جامعة أكسفورد** في لندن طبعه ونشره .

ولقد جعلته « لجنة الجامعيين لنشر العلم » في القاهرة ، التي تألفت سنة ١٩٣٤ م ، أول باكورة لأعمالها فقامت بترجمة ستة فصول منه نشرتها في جزءين سنة ١٩٣٦ م . غير أن من المؤسف حقاً أن يظل مثل هذا الكتاب القيم مهملاً من لدن أبناء العروبة طيلة ربع قرن أو أكثر ، إلى أن تولى « **جرجيس فتح الله** » ترجمته كله ونشره في سنة ١٩٥٤ م ، في جزءين ، على نفقة « **نادي ابن سينا للمهن الطبية** » في **الموصل** . ولقد أعاد المترجم طبع الترجمة مرة أخرى في **بيروت** سنة ١٩٧٥ م .

زيغريد هونكه

ومن الكتب الجليلة التي صدرت في الغرب خلال السنوات الأخيرة ، وتولت الاسهاب في بحث ما أخذته أوروبا عن العرب المسلمين ، وانتفعت به في إشادة أسس مدنيتها القائمة ، هو الكتاب الذي نشرته المستشرقة الألمانية « **زيغريد هونكه** » ، سنة ١٩٦٠ م ، بعنوان « **شمس الله فوق الغرب** » ALLAHS, SONNE UBER DEM ABENDLAND ولقد أقدم **الدكتور المصري** « **علي حسنين** » على ترجمة هذا الكتاب إثر صدوره إلى العربية بعنوان « **فضل الحضارة العربية على أوروبا** » ، ثم صدرت ترجمة أخرى له قام بها كل من « **فاروق بيضون** » و « **كمال دسوقي** » سنة ١٩٦٤ م بعنوان « **شمس العرب تسطع على الغرب** » . وقد دافعت المؤلفة في هذا الكتاب بكل حرارة عن الحضارة العربية الإسلامية ، وعن الدور الكبير الذي لعبته في التمهيد للحضارة العالمية التي نشهدها الآن .



كتاب عبقرية الحضارة العربية

على أن من أجل الكتب قدراً في تقييم الحضارة العربية الإسلامية ، وأعظمها حجة في الدفاع عن هذه الحضارة ، وما أفاضته على البشرية من أنوار العلم والمعرفة ، هو الكتاب الذي صدر في ربيع سنة ١٩٧٦ م ، بمناسبة انعقاد **مهرجان العالم الإسلامي في لندن** والمعروف باسم « **عبقرية الحضارة العربية مصدر النهضة الأوروبية** » GENIUS OF ARAB CIVILIZATION SOURCE OF RENAISSANCE

صدر هذا الكتاب الخطير تخليداً لذكرى المغفور له **صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود** ، وتولت مؤسسة « **فيدون** » للطباعة في لندن طبعه ونشره في حلة قشيبة جداً ، وطبعة فاخرة أنيقة ، محلاة بالعديد من الصور والخرائط ، والرسوم ، بعضها من أصل عربي قديم ، وهو يقع في مائتين واثنتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير جداً [1] .

لقد أشرف على تأليف هذا الكتاب النادر ، عدد من كبار الأساتذة المتخصصين في الجامعات الأميركية وغيرها ، معظمهم من الأساتذة العرب الذين يعملون في تلك الجامعات . وقد اشتمل الكتاب على مقدمة ، وتسعة فصول تناولت مختلف نواحي الثقافة العربية الإسلامية ودورها في النهضة الأوروبية .

يبدأ الكتاب بمقدمة وجيزة كتبها « **د . ب . وندر** » أستاذ التأريخ ولغات الشرق الأدنى في **جامعة نيويورك** تناول فيها أهمية الكتاب ومقام

الأساتذة الذين شاركوا في تأليفه . وتولى العلامة « **جون ستوتهوف بادو** » الأستاذ المتمرس في **جامعة كولومبيا** كتابة مدخل الكتاب وهو بعنوان « **دور العرب في الثقافة الإسلامية** » ، وكتب « **منح خوري** » أستاذ الأدب الإسلامي في **جامعة كاليفورنيا** ، الفصل الخاص بالآداب ، وخص « **الجاحظ** » و « **المتنبي** » بشيء من التفصيل .

وتحدث الدكتور « **مجيد فخري** » ، رئيس دائرة الفلسفة في **الجامعة الأميريكية ببيروت** ، عن الفلسفة والتأريخ ، وأسهب فيه الحديث عن **الكندي ، وابن رشد ، وابن خلدون** .

وكان فصل **العمارة والفنون** من نصيب الدكتور « **أولغ غرابو** » أستاذ الفنون في **جامعة هارفارد** ، وقد خصص صفحات خاصة للتحدث عن **قصر الحمراء ، وجامع القيروان ، ومسجد قرطبة الكبير ، ومدرسة السلطان حسن في القاهرة** ، والحفر على الخشب في عهد بني طولون ، وعن إبريق بلوري من عصر الفاطميين ، والفاتحة المصورة لكتاب « **ترياق السموم** » المنسوب إلى « **جالينوس** » وغيرها .

وتخصص الأستاذ « **عبد الحميد صبرة** » من **جامعة هارفارد** في كتابة العلوم الأساسية عند العرب والمسلمين من أمثال **الرياضيات ، والفلك ، والبصريات** وغيرها ، ونوه بصفة مسهبة بأولاد « **موسى بن شاكر** » ، و « **ابن الهيثم** » ، و « **ثابت بن قرة** » . أما علوم الحياة **كالطب والصيدلة والزراعة والبيطرة** وغيرها ، فقد كانت من حصة الأستاذ « **سامي حمارنة** » أستاذ تأريخ الصيدلة في **متحف واشنطن** ، وقد ترجم فيه ، فضلاً عن ذلك ، لكل من **حنين بن إسحق** طبيباً ، لا مترجماً ، **وأبي بكر الرازي ، وابن سينا** طبيباً لا فيلسوفاً ، **وأبي القاسم الزهراوي الأندلسي** .

وكتب الأستاذ « **دونالد هل** » المهندس الشهير في لندن عن **التقنية الآلية عند العرب** ، وهو ما عرف باسم « **علم الحيل** » لدى مؤرخي الإسلام . وكتب الأستاذ « **راجي الملاخ** » أستاذ الاقتصاد في **جامعة كلورادو** ، الفصل الخاص عن **الصناعة والتجارة** ، وأسهب فيه عن **أبي الفضل الدمشقي** ، وعن **الإدريسي ، وابن بطوطة** .

أما الفصل الختامي الذي يتحدث عن ماضي العرب ، وحاضرهم ، ومستقبلهم ، فقد كيفه الدكتور « **إبراهيم مدكور** » . وفضلاً عن ذلك أرفق بالكتاب بحثاً موجزاً تناول أهم أسماء الكتب والمراجع التي صدرت عن موضوع هذا الكتاب .

* * *

جاء في الكلمة التي دبجتها المؤسسة الناشرة على حاشية غلاف الكتاب قولها « إن هذا الكتاب ليس سوى تجربة لبعث الماضي . ذلك لأنه بالنسبة إلى حضارة حققت أعظم إنجازاتها شهرة قبل قرون خلت ، في عالم يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي نعرفه اليوم ، يكون الماضي فيها أوسع من التراث . فتلك الحضارة مصدر حي للإلهام ، ولإحياء ذاتية الحضارة الحديثة وإلهاماتها التي ورثتها عن تلك الحضارة . فبقدر ما قدمته عبقرية الحضارة العربية من عون للنهضة الأوروبية ، فإن هذه العبقرية ذاتها قادرة على أن تقود النهضة الاجتماعية والثقافية للعالم العربي الحديث .

إن ثقافة العالم العربي الحديث تعود في تأريخها إلى القرنين السابع والثامن ، حين استطاعت الحضارة العربية تحت راية الإسلام ، أن تؤلف إمبراطورية شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى برمته ، وراحت تنافس روما التي كانت في أوج عظمتها .

إن هذا الكتاب إذ يتحدث عن إنجازات هذه الثقافة العربية ، فإنه يؤكد في الوقت ذاته ، المساهمات العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية ، وفي العالم الحديث القائم الآن » .

ومما قاله **العلامة جون بادو** في الفصل الذي كتبه « إن افتتاح العرب للعالم القديم خلال القرنين السابع والثامن قد أحدث تأثيرين هائلين ، أولهما تأثير مباشر هو إيجاد دولة عالمية حديثة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط ، والشرق الأدنى .

أما التأثير الثاني فهو تطوير ثقافة عالمية جديدة داخل هذه الدولة . وهكذا وجدنا أن هذه الفتوح والثقافة قد أحدثت تأثيراً عميقاً في أنماط العصور الحديثة . إن ما حدث أثناء الفتوحات العربية لم يكن فرض ثقافة أجنبية بطريق الغزو ، على غرار ما فعلته الحضارة الغربية في الشرق ، أثناء عصور الاستعمار الأوروبي .

لقد فسر العرب فتوحاتهم بأنهم كانوا يجاهدون « في سبيل الله » ، وهم يقصدون بذلك أن نظاماً اجتماعياً جديداً قد شرع بإقامته بين الناس ، وأن فتوحاتهم تلك لم تكن سوى أداة لإيجاد مثل هذا النظام الاجتماعي الجديد . وهكذا **نجمت عن الفتح العربي حضارة لها تأثيرها وذات صفة فريدة ، تعود في الدرجة الأولى إلى العقيدة الإسلامية التي نشرها العرب أثناء فتوحهم . ولذلك فإن العقيدة الإسلامية ، وليس الفتوح العربية ، هي التي رفعت اللغة العربية إلى أعلى مكانة لها في الثقافة الإسلامية ، ولهذا السبب تغلبت اللغة العربية على كل اللغات والآداب المحلية لتوجد وسطاً من الاحتكاك تم فيه تحويل الاتصالات السياسية لشعوب متباينة إلى ثقافة شاركت فيها كل الشعوب بصفة عامة .**

ومما أتى على ذكره الدكتور مجيد فخري في فصل **الفلسفة والتأريخ** قوله : « لقد استطاع العرب خلال فترة امتدت من تأريخ سقوط أمبراطوريتي فارس وبيزنطية حتى بداية النهضة الأوروبية في القرن

الرابع عشر ، أن يهضموا كل العلوم القديمة ، وأن يدخلوها في حياتهم الثقافية الخاصة بهم ، وأن يدفعوا مستوى المعرفة في ميادين الرياضيات ، والفلك ، والطب ، والفلسفة ، إلى مستويات رفيعة لم تبلغها من قبل قط » .

ففي خلال القرن الثالث عشر ، وهو العصر الذهبي للحركة العلمية في أوروبا ، كانت تسيطر على الميدان الثقافي كله في أوروبا الغربية ، المنازعات الناشبة بين أبناء اللاتين من أنصار فلسفة « **ابن رشد** » وخصومهم ، وكذلك بين اللاتينيين من أنصار فلسفة « **ابن سينا** » وخصومهم ، كما توضح ذلك كتابات « **روجر باكون** » ، و « **سان بونافاترا** » ، و « **دوتس سكوتس** » وغيرهم .

وفي الفصل الذي كتبه « دونالد هل » عن التقنية الآلية أو ما عرف لدى العرب باسم « علم الحيل » يذكر بأن المهندس الإيطالي « **جوانلو توريانو** » الذي كان يعمل في **طليطلة** خلال القرن السادس عشر قد اعتمد كل الاعتماد في استنباط الحركة من الماء ، على ما عمله المسلمون في هذا الشأن ، بالإضافة إلى اعتماده على الأسلوب الذي كان معمولا به في ميدان هندسة المياه في إسبانيا العربية .

وكان صنع الآلات المتحركة ذاتياً على أيدي المسلمين ، والتي ظهرت مؤخراً في أوروبا ، من العوامل التي قادت الناس إلى التفسير العقلاني الآلي للظواهر الطبيعية ، وذلك موقف كانت له ثماره الواسعة جداً في تطوير العلم الحديث . ولقد ثبت أن الآلات التي صنعها الفنان الإيطالي « **ليوناردو دافنشي** » في القرن السادس عشر ، كانت من أصل عربي إسلامي ، وأن « دافنشي » قد حصل على معلوماته في هذا الشأن من بعض الكتب العربية التي ترجمت في القرن الثاني عشر .

ومع أنه لا يوجد سوى دليل ضئيل على أن آراء المهندسين العرب قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق الكتب المدونة ، مع ذلك فإن الهندسة الأوروبية قد اقتبست الكثير من المفاهيم والفنون الصناعية العربية التي كانت تنتقل بصفة عملية .

وفي الفصل الذي كتبه « سامي حمارنة » عن علوم الحياة ، يقول : « لقد أنشئت المستشفيات لأول مرة في الإسلام تحت رعاية الخلفاء العرب ، وازدهرت في كل أنحاء العالم الإسلامي خلال عصر الإمبراطورية العربية الإسلامية .

ولقد أصبح المفهوم العربي القديم للمستشفى ، نموذجاً لتطوير المستشفى العصري ، باعتباره مؤسسة يديرها أصحابها أو الحكومة ، وهي مكرسة لرفع مستوى الصحة ، ولمعالجة الأمراض ، ولتعليم المعرفة الصحية وتوسيعها .

ففي داخل الدولة الإسلامية ، وابتداء من القرن التاسع وما بعده ، كانت الدولة تنفق بكل سخاء من خزانتها على المستشفيات ، وتحسين إدارتها وتنظيمها ، وكانت الخدمات في هذه المستشفيات تقدم إلى الرجال والنساء على حد سواء .

وفي عهد **الخليفة المقتدي بالله** (٩٠٨ ـ ٩٣٢ م) قام « **سنان ابن ثابت** » بتوسيع خدمات المستشفيات بحيث أخذت تشمل المناطق الريفية ، والسجون ، و « المدينة الداخلية » ، وذلك منهاج لم يتم تطبيقه في الغرب إلا مؤخراً .

وفي القرن العاشر ظفر **المستشفى** « **العضدي** » في **بغداد** بشهرة واسعة عريضة ، إذ كان يضم بين موظفيه أربعة وعشرين طبيباً ، وقد زود بقاعات للمحاضرات ، وبمكتبة عامرة ، وكان الطلبة من الأنحاء الشرقية والغربية للدولة الإسلامية ، يقطعون المئات والآلاف من الأميال للوصول إلى المستشفى العضدي ، والدراسة فيه .

وأصبحت **الصيدلة** في العهد الإسلامي ، علماً قائماً بذاته منفصلاً عن الطب رغم اشتراكه معه . فكانت الصيدليات تدار من قبل أخصائيين حاذقين ومتدربين . **وقد افتتحت أول صيدلية خاصة في بغداد في أوائل القرن التاسع ، وكانت تتوفر فيها الأدوية والعلاجات التي كانت تزود بها بوفرة من أنحاء آسيا وإفريقيا . وسرعان ما انتشرت أمثال هذه الصيدليات ، وعلى نطاق واسع جداً ، في مختلف مدن العالم الإسلامي .**

وفي فصل الصناعة والتجارة الذي كتبه « راجي الملاخ » يقول : « ربما كانت أعظم خدمة أداها العرب إلى أوروبا ، هي أنهم كانوا يجلبون السلع الجديدة من بلدان تقع فيما وراء منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط » وأنهم كانوا يوفرون فيضاً متواصلاً من هذه السلع ، التي كانت معظمها غالية الثمن ويُعتبر استعمالها من دلائل الرفاه بالنظر إلى المستويات الأوروبية .

فمن بين الصناعات التي أقامها العرب في إسبانيا ، **معامل صنع الخزفيات وتزويقها** ، بما في ذلك صناعة « **القاشي** » ، وكذلك **معامل صنع المواد البلورية** « كريستال » ، وقد اكتشفت هذه الصناعة في **مدينة قرطبة** في النصف الثاني من القرن التاسع ، أما في القرن العاشر فقد غدت **المجوهرات** التي تصنعها قرطبة مساوية في الجودة للمجوهرات التي كانت تصنعها بيزنطية .

وابتداء من القرن التاسع حتى القرن الثاني عشر ، كانت التجارة بين أوروبا والعالم الإسلامي تشتمل ، بصفة رئيسية ، على تبادل المواد الخام من أوروبا (**الأخشاب ، والحديد ، والفراء ، وغيرها**) بالمنتجات المصنعة ، والمواد الزراعية ، والمواد الترفيهية ، ومنها الأفاويه ، المتوفرة في الإمبراطورية العربية .

لم يأت التأثير الإسلامي المتواصل على أوروبا نتيجة الحروب الصليبية ، وإنما نتيجة الحكم العربي الطويل في إسبانيا وفي صقلية . فعن طريق المخترعات التي كانت تجلب إلى هذين البلدين ، تم ادخال السلع ، والصناعات والعلوم التقنية ، والمفاهيم الحديثة ، إلى أوروبا التي كانت متأخرة في تطورها عن العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

---

(١) **المجلة** : طالع في العدد الثالث ـ السنة الأولى ـ رمضان ١٣٩٧ هـ / أغسطس ١٩٧٧ م ، عرضاً لهذا الكتاب .

مدينة وتاريخ



بصرى عنقود العنب

بقلم : د . عبد الرحمن حميدة

على الطرف الشرقي من سهل حوران ، وعلى مقربة من السفوح الغربية لجبل العرب ، أو جبل الدروز ، تقع مدينة بصرى على ارتفاع ٨٥٠ متراً فوق سطح البحر ، رابضة في وسط سهل فسيح خصيب ، كان منذ القديم عنبر القمح لبلاد الشام الجنوبية ، والذي يمتد غرباً حتى أقدام جبل الشيخ المعمّم بالثلوج في أكثر أيام السنة ، وجنوباً حتى مشارف جرش في المملكة الأردنية الهاشمية ، وشمالا حتى غوطة دمشق .

ومـوقع بصرى هو الذي جعلها عقدة طرق هـامة ، كأنهـا عنـكبوت في قلـب شبكتها الشعاعية ، فكان يربطها **بدمشق** طريقان يفصلها وعر اللجاة ، وهو حرّة عسيرة المسلك ، ويؤديان من جهة أخرى إلى **صيدا الساحلية** . أما الـطريق الثالث فكان **طريق درعا** الذي كان ينتهي عند **ميناء سيكاميوم القديم** قرب حيفا الحالية . وكان ينطلق منها طريق رابع جنوبي هو **طريق تراجان** الذي يمر من **فيلادلفيا** ، (عمّان حالياً) والذي ينتهي على البحر الأحمر . أما الطريق الأخير فهو الشرقي الذي كان يخترق **مدينة صلخد** ، ويؤدي إلى الخليج العربي بعـد أن يجتـاز فيافي بادية الشام .

وقد ساهمت كل هذه العوامل متضافرة على استمرارية وظيفتهـا ، وعلى تعـاقب الحضارات فيها ، إذ قدمت كل حضارة نصيبها في عمران بصرى ، دون أن تـطمس معالم سابقتها ، فتركت كل واحدة منها بصماتها الواضحة كل الوضوح .

ولا تبدو بصرى الحالية ، التي لا تشغل أكثر من حيّز صغير في وسـط أسوارها القديمة ، وفي قلب ميدان أطلالها ، أكثر من عنقود عنب شهي أسود اللون ، ضمن صحن كبير ، لأن عدد سكانها في الوقت الحاضر لا يـزيد عـن ١٢٠٠٠ نسمة . . **وتعني كلمة بصرى « الحصن » في الكتابات السامية القديمة .**

بصرى .. والتاريخ

لم تدخل بصرى التاريخ من بابه العريض إلا في **العصر الهللينستي** ، حيث دعيت بصّورا في لوحات تل العمارنة المصرية ، والتي تعـود إلى عهـد الفـرعونين **أمنوفيس** الثالث والرابع . وكانت تسكنها جماعات وفـدت إليهـا مـن **جـزيرة العرب** ، التي كانت حتى قبل قرن مضى ، كالبحر الطامي الذي يدفع بموجات من القبائل العربية التي لا تلبث أن تستقر على أطراف الهلال الخصيب . **وأصبحت بصرى ذات طابع إغريقي منذ بداية الاستعمار الـذي أعقـب فتـوح الإسكندر المقدوني** ، فاحتلت المكانـة الأولى بـين المدن الـواقعة إلى الشرق مـن **نهر الأردن** ، بعد أن اختص بها **بطليموس** أحد قـواد **الإسكندر** عـام ٣٣٣ قبل الميلاد .

في عهد الأنباط

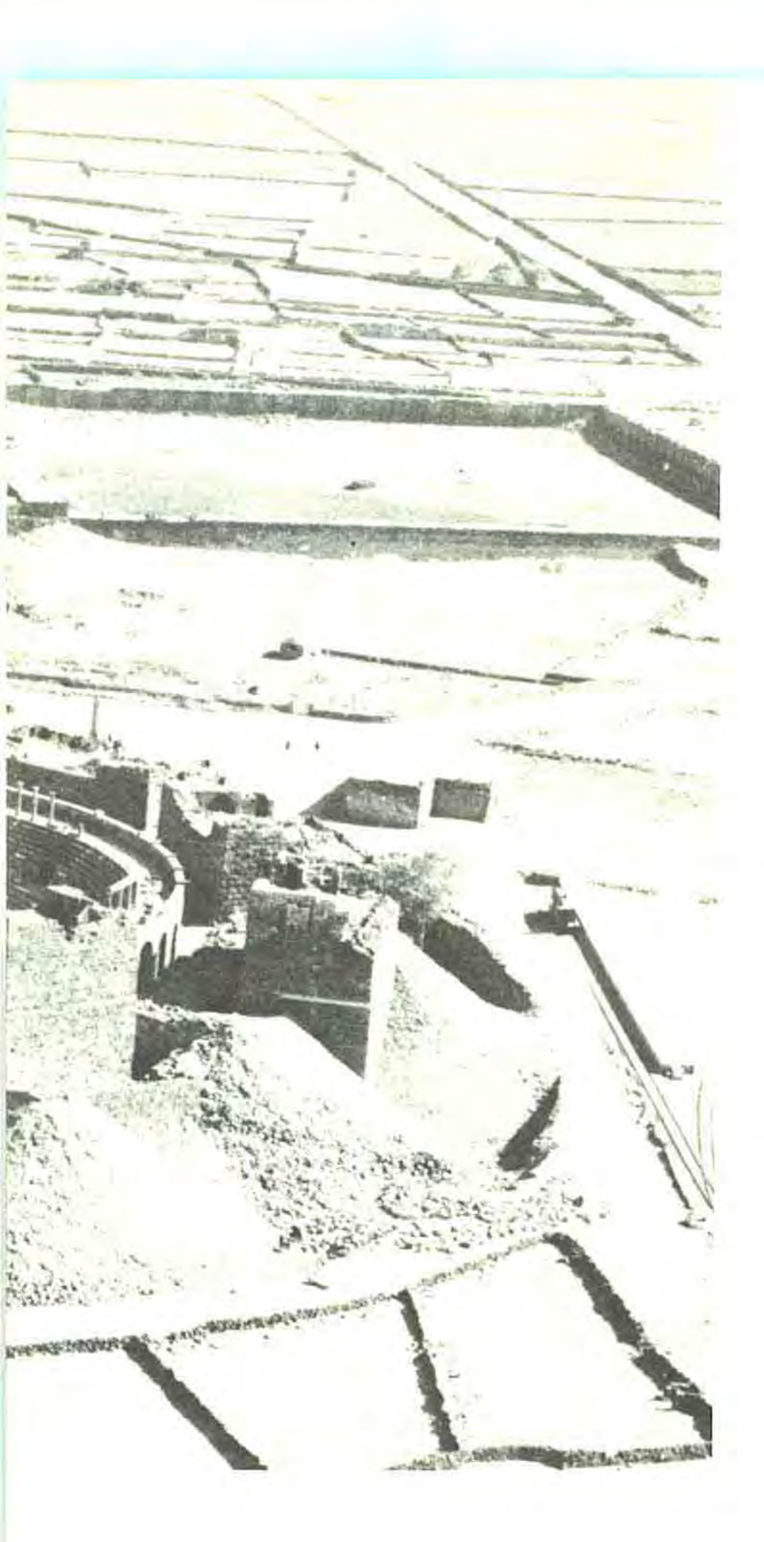
بنى **الأنباط** في بصرى **قصوراً وهياكل** تركوا فيها كتابات تدل على شيء من تاريخهم وعاداتهم ، **وكانت في عصرهم ممراً للقـوافل** الـتي كانـت تقصـدها حاملة **عطور الهند والأفاوية** ، وسواها من أصناف البضائع .

وفي زمن **الملك رعبال الثاني** أقيم في هذه المدينة الكثير من القصور والهياكل النبطية ، واعتنق السكان **ديانة ذي الشرى واللات وآموس** ، وأطلقوا أسماءها على هياكلهم التي شيدوها لإقامة طقوس عباداتهم الوثنية .

في العصر الروماني

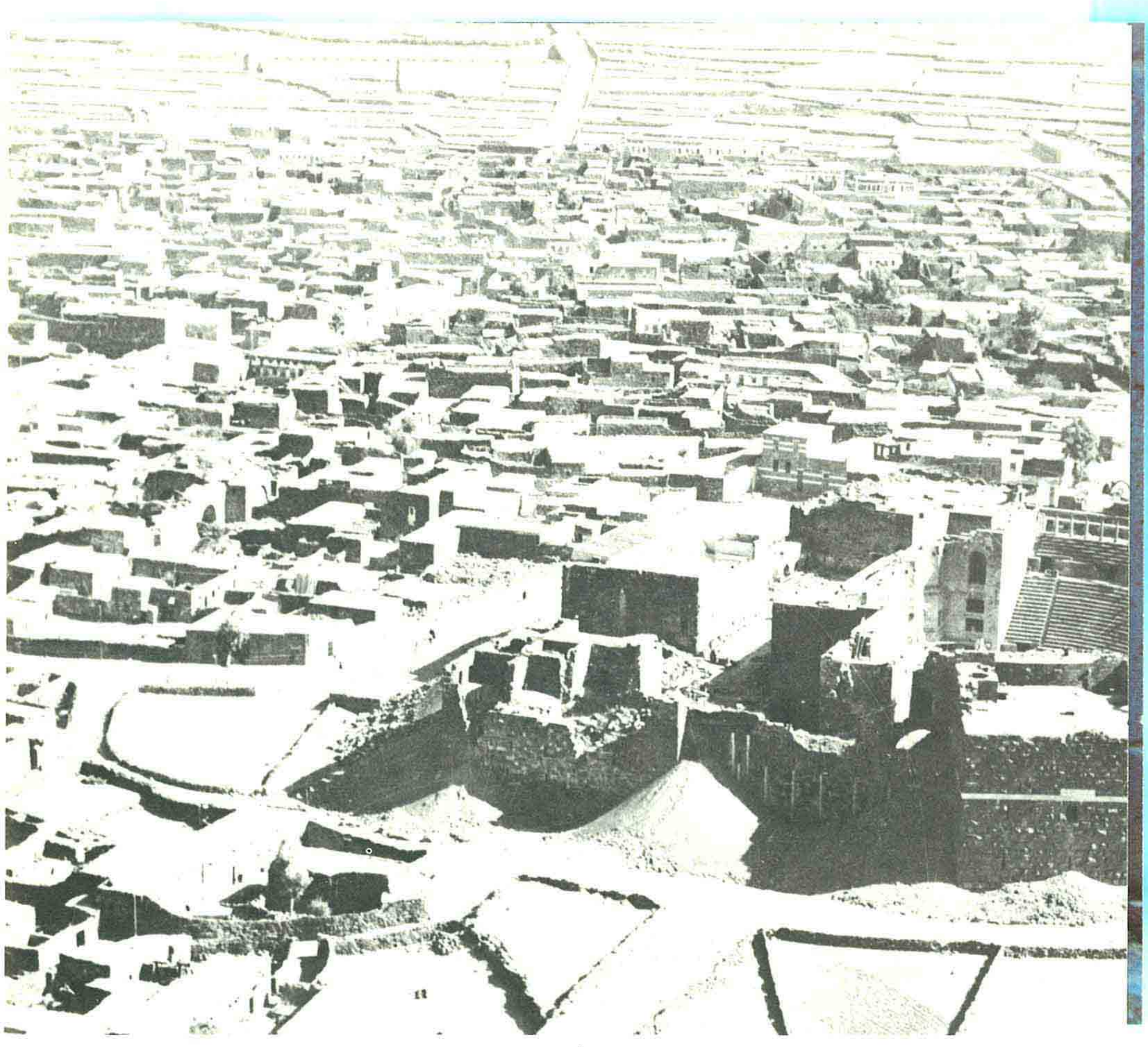
استغل الرومان فرصة وفاة الملك رعبال الثاني ، فـانقضوا بسرعـة على المملـكة النبطية وقضوا عليها ، **وأصبحت بصرى عاصمة ولاية جديدة تابعة لـروما هي « الولاية العربية »** ، وحصل هذا الإلحـاق سنة ١٠٦ م . وعُيّن **القـائد كورنيليوس بالما** الذي افتتحها والياً عليها من طرف **الإمبراطور تـراجان** . ثم وصلت إلى مدن هذه الولاية الجديدة حامية اشتهـرت بـاسم **الفـرقة الـبرقاوية الثالثة** ، رابطت فيها بأمر من **الإمبراطور هـادريان** ، ثم انتشرت على أطـراف الولاية جميعها ، **وتم تعبيد الكثير من الطرق وفرشت بالبلاط الأسود التي لا تزال بعض أقسامها باقية** ، ويطلق عليها الأهلون اسم « **الرصيـف** » .

واتخذت بصرى تأريخاً خاصاً بها يبدأ من الفتح الروماني المذكور ، وكانت النقود



تضرب باسم المدينة وتحمل تاريخها الذي اعتمدته كل القـرى التـابعة لهـا ودعيـت **« توفا تراجانا بوسترا »** ، وأغدق عليها **الإمـبراطور سـبتيم سـيفير النعـم** ، كما رفعها **الإمبراطور سيفير إسكندر** إلى مرتبة مستعمرة كي يمنحهـا **الإمـبراطور فيليب العربي** أخيراً لقب مدينة عظمى أو « **مـتروبول** » ، واختصـّها بـامتيازات كبيرة زادت في ثروتها العمرانية والاقتصادية . . وبنى مدينة شهبا شرقي بصرى ودعاها **فيليبوس** .

وقد لعبت بصرى دوراً هاماً في تاريخ النصرانية الأولى . فقد كانت مقر أسـقفية ثم احتوت كرسي أبرشية ، وكان من أشهر أساقفتها **بيريللوس** الذي تميزت رسائله برشاقة أسلوبها . وفي القرن السادس شيدت فيها كاتدرائية عظيمة .



★ منظر جوي لبصرى ويظهر المسرح محاطاً بالقلعة كما تظهر القلعة في بركة الجامع ★

عهـد الغساسنة

الغساسنة قبيلة عربية نزحت من **اليمن** ونزلت بلاد الشام الجنوبية ، ولا سيما **بلاد حوران وعاصمتها بصرى** . وفي سنة ٦١٤ م ، طغا أمر الفرس فاجتاحوا حوران وأصاب بصرى الكثير من أعمال التخريب .

الرسول الكريم في بصرى

في هذه الفترة جاء **محمد عليه الصلاة والسلام** ، وهو صبي صغير بصحبة عمه **أبي طالب** ، إلى بصرى التي كانت مقصد **عرب الجزيرة** ولا سيما **قريش** ، ومحط قوافلهم التجارية التي تنقل منها بضاعة الشام وغيرها من الأمصار ، وتشير بعض المصادر إلى عقد اتفاقات تجارية بين تجار **مكة** والموظفين الإداريين في **بصرى** .

فلمّا نزل الركب بصرى ، وبها راهب يقال له **بحيرا** ، في صومعة له ، وكان انتهى إليه علم النصرانية يتوارثونها كابراً عن كابر عن أوصياء **عيسى عليه السلام** . وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية إلى بحيرا .

وكان قد رأى وهو بصومعته رسول الله في الركب حين أقبلوا وغمامة تظلّله من بين القوم ، ثم لما نزلوا في ظل شجرة ، نظر إلى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصّرت ــ أي مالت ــ أغصان الشجرة على رسول الله . ثم أرسل إليهم : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرّكم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا بنا

وكنا نمر عليك كثيراً ، فما شأنك اليوم ، فقال له بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلّف **رسول الله صلى الله عليه وسلم** من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة ، أي الغمامة على أحد من القوم ، ورآها متخلفة على رأس رسول الله فقال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي ، فقالوا : يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سناً . قال : لا تفعلوا ، ادعوه فيحضر هذا الغلام معكم ، وقال : فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنْفُسكم . فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً ، وهو ابن أخي هذا الرجل (يعنون أبا طالب) ، وهو من ولد عبد المطلب . ولما سار به من احتضنه ، ولم تزل الغمامة تسير على رأسه ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ القوم من طعامهم تفرقوا ، قام إليه بحيرا فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، وعن نومه ، وهيئته ، وأموره ، ويخبره رسول الله ، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان التي عنده ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة التي عنده فقبّل موضع الخاتم ، فقالت قريش إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، ثم قال لأبي طالب : ارجع بابن أخيك إلى بلاده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شرّاً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، أي نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت النصيحة فاسرع به إلى بلده ، فوالله لئن قدمت به إلى الشام ، أي جاوزت هذا المحل ووصلت إلى داخل الشام الذي هو محل اليهود ، لتقتلنه اليهود . . فرجع به إلى مكة . ولما بلغ الرسول الخامسة والعشرين من عمره قدم بصرى للمرة الأخيرة بتجارة لخديجة بنت خويلد ، وحضر سوق بصرى ، فباع سلعه واشترى غيرها .

الفتح الإسلامي

يذكر **الواقدي أن شرحبيل بن عمر الغساني** قتل رسول النبي وحامل كتابه إلى ملك بصرى ، وقد كانت بصرى وقتئذ مدينة كثيفة السكان ، قوية الحامية ، غنية الأسواق ، وأنها كانت محجّاً للناس وملتقى القوافل . وفي ذلك يقول **خالد بن الوليد** مخاطباً **شرحبيل بن حسنة** : «**أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق**» **يقصد بذلك بصرى** . وقد كان المسلمون حولها عندما قدم عليهم خالد من العراق لمدد أهل الشام ، فضيقوا الخناق على أهلها حتى ألجأوا قائد حاميتها وأتباعه إلى داخل السور . فلما عجز المدافعون صالح أهلها بواسطة واليها **رومانوس** الذي اعتنق الإسلام ، وانحاز إلى المسلمين بعد أن أمن دماء وأموال سكانها على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة . وافتتح المسلمون جميع أراضي حوران وغلبوا عليها وقتئذ وذلك سنة ٦٣٥ م ، وفقد الرومان ثقتهم بسكان البلاد العرب النصارى الذين حارب الكثير منهم في صفوف المسلمين . وهكذا كان سقوط بصرى نذيراً بجلاء جيوش **الإمبراطور هرقل البيزنطي** عن بلاد الشام عام ٦٣٦ م ، على أثر هزيمتهم على ضفاف **اليرموك** . ولم يلبث المسلمون أن بنوا مسجداً فيها هو **الجامع العمري** ، نسبة إلى الخليفة **عمر بن الخطاب** .

بصرى في ظل الحكم الإسلامي

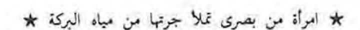
لا تورد المصادر التاريخية المعروفة معلومات وفيرة عن بصرى في **عهد بني أمية** سوى قيام **الحرث** أحد موالي الخليفة **يزيد الثاني** ، **وعثمان بن الحكم** أحد أقرباء الخليفة ، بترميم جدران جامع بصرى العمري . وفي **زمن العباسيين** وقعت في حوران اضطرابات شديدة بسبب موالاة سكانه للأمويين تحت قيادة **حبيب بن مرة** . وقد قمع هذا التمرد **عبد الله بن علي** عم الخليفة **أبي العباس** عام ٧٥٠ م .

وقد ذكر **ابن عساكر** خبر **أبي الهيذام** أحد فرسان العرب وشجعانهم وزعيم **قيس** في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمنيين بدمشق أيام **الرشيد** : «أنه ركب وابنه وغلامه وكانوا في بصرى وخرجوا على الناس وهم منهزمون حتى انتهوا إلى ملعب الروم ، وهو حصن في مدينة بصرى وتسامعت خيل أبي الهيذام فجاءوا من كل وجه» .

وقد ظلت بصرى مدينة هامة خلال هذه الحقبة من الزمن كممر للقوافل والتجار ومركزاً للحجاج يستريحون به استعداداً لسفرهم الطويل . وفي عام ٩٠٦ م ، دمّر القرامطة الكثير من أبنيتها عندما هاجموا أراضي شرقي الأردن .

واستردت بصرى بعض مكانتها السابقة في أيام **الفاطميين والأيوبيين** ، ففي عام ٤٨١ م ، كان **عبد الملك أبا منصور** والياً عليها ، وهو أحد الولاة الثلاثة الذين شادوا العديد من الأبنية في بصرى في العهد الفاطمي ، شأن **شمس الدين سنقر الحكمي وأبي منصور كمشتكين** ، وهو أشهرهم والذي كان قائداً لجيوش دمشق ووالياً على **بصرى وصلخد** . وقد رمم جامع الخضر وقسماً من الجامع العمري ، وبنى **المدرسة الحنفية التي بقيت الأثر الوحيد المحتفظ بكل رونقه حتى وقتنا الحاضر** . ومن ولاتها **أتابك زنكي** سنة ٥٣٤ هـ ، وهو والد **نور الدين زنكي ، ومعين الدين أتز** سنة ٥٤١ هـ ، **والتوتناش وفخر الدين سرجال** في ٥٤٥ هـ .

وقد جاء في **تاريخ القلانسي** عن حوادث عام ٤٧٩ هـ «أنه خرج إيتيكين


★ امرأة من بصرى تملأ جرتها من مياه البركة ★





★ منظر عام للمدرج ★

الحلبي صاحب بصرى منها هارباً لتدبير كان بينه وبين **أرتاش بن تاج الدولة** فعاثا بناحية حوران فساداً وأرسلا **بلدرين** ملك الإفرنج مستنجدين به وتوجها نحوه، وأقاما عنده يحرضانه على المسير إلى دمشق، فلم يصلا منه على نتيجة . وقد هاجمها الفرنجة الصليبيون للمرة الأولى عام ١١٤٦ م، بقيادة **بودوان الثالث ملك القدس**، وكانت بصرى بيد والٍ اسمه **طانتس**. فلما صار ملك الفرنجة في وسط الطريق أخذت فرق المسلمين تتناوشه، فذاقت قواته مرّ العذاب وعاد عنها خائباً يجر أذيال الفشل .

وكانت الحملة الثانية سنة ١١٨٢ م، في أيام **بودوان الرابع**، وفيها لاقى **الصليبيون** جيوش بصرى، فلما عرفوا مناعتها وقوة شكيمة قواتها ولّوا عنها مدبرين بعد أن منّوا بخسائر جسيمة . ومن أشهر ولاتها في هذه الفترة الذين اهتموا بعمرانها **الظافر بن الناصر ، وسنقر الطغرلنكي** الذي بنى أول برج من أبراج القلعة ، **وركن الدين منكورس** ، وكان من خيار الأمراء وأنفاهم ، وله صدقات كثيرة ، كما بنى أربعة أبراج من أبراج قلعة بصرى ، **وبدر الدين داود ابن أبدكين ، وشمس الدين سنقر بن عبد الله الصالحي ، والشهاب غازي ، وشجاع الدين عنبر الصالحي ، والصالح إسماعيل بن العادل** .

وقد كان الملك الأشرف قد أوصى له بدمشق فملكها شهوراً قبل أن يستخلصها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد **الصالح أيوب** مدة أربع سنوات إلى أن استعيدت من ، فآلت إليه مدينة بصرى وبعلبك إلى أن أخذتا منه .

وظلت بصرى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، نقطة تجمع القوافل القاصدة مكة المكرمة وعلى الأخص عندما كان الفرنجة الصليبيون يسيطرون على

فلسطين وعلى حصن الكرك شرقي الأردن ، ويقطعون الطريق على قوافل الحجاج . ولكن ما إن اندحر الصليبيون الغزاة وقضي على خطرهم نهائياً بعد سقوط القدس بيد صلاح الدين ، حتى أخذت طرق القوافل تنزلق إلى الغرب أي إلى درعا لاختصار المسافات .

عصر المماليك

وفقدت بصرى في **أيام المماليك** بعض أهميتها وتحولت إلى ولاية بسيطة ، لكن ذلك لم يحل دون تشييد بعض الأبنية فيها **كمنارة جامع فاطمة** التي بنيت في زمن **الملك الناصر قلاوون** سنة ٧٠٥ هـ ، ومن مشاهير بصرى في العهد المملوكي **فخر الدين البصراوي** الذي تولى حسبة دمشق سنة ٧١٤ هـ ، **ومحمد ابن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي القاسم البصراوي الحنفي** الذي تولى الوزارة بدمشق عام ٧٢٣ هـ . وفي عام ٧٦٠ هـ ، كان يتولى إدارتها والي الولاة المعروف **بشنكل منكل** ، وقد اشتهر بقسوته وشدة بطشه في أحكامه . وفي عام ٧٦٦ هـ ، ولي دمشق الأمير **علم الدين سليمان البصراوي** .

وتتصف فترة **الخلافة العثمانية** بين ١٥١٦ و١٩١٨ م ، بحصول حادثين هامين أولهما دخول **قبائل العنزة** إلى بلاد الشام قادمة من هضاب نجد ، وهجرة **دروز لبنان** إلى حوران بعد **موقعة « المختارة »** بينهم في إقليم **الشوف** .

ففي منتصف القرن السابع عشر زحفت جحافل قبيلة عنزة ، وكانت أولى عشائرها الحسنة والفدعان ، وقد رافق دخولهم وقوع بعض الاضطرابات التي أدت إلى انقطاع حبل الأمن ، فتحول طريق الحجيج من بصرى إلى **مزيريب** نهائياً ، ورفض أهل بصرى دفع الأتاوة لعرب العنزة والتي أقرّت لهم بها أكثر قرى حوران . أما هجرة الدروز والتي امتدت على الفترة الواقعة بين عامي ١٦٨٥ و ١٧١١ م ، فقد رافقها الكثير من النزاعات بينهم وبين سكان بصرى بسبب الخلاف على المراعي والأراضي .

وفي عام ١٩١٠ م ، تم **ربط بصرى بفرع من الخط الحديدي الحجازي** الذي أنشئ بفضل تبرعات قدمتها غالبية الأقطار الإسلامية ، والذي عمل **لورنس الإنكليزي** خلال سنوات الحرب العالمية الأولى على تخريبه بدعوى قطع الامدادات عن حامية **فخري باشا** التركية المحاصرة في **المدينة المنورة** .

موقع بصرى الجغرافي

يقول الجغرافي **محمد الزهري الأندلسي** المتوفي سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م : « وبمقربة من هذا الجبل (**أي جبل العرب**) أرض بصرى ، وهي أرض خصبة ، وفيها مدينة تسمى بصرى . وقيل أنها نسبت الأرض إليها . وأحسن الروايات إنما نسبت المدينة إليها ، لأن الأرض فيها جبال تعرف بجبال بصرى ، وفيها من الهياكل والكنائس للروم ما لا يوصف ، وفيها الموضع المعروف برأس الكنائس وهو أول ثغور الشام » .

ويقول ياقوت الحموي : بصرى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، ذكرها كثير في أشعارهم .. قال **الصمة بن عبد الله القشيري** :

نظرت وطرف العين يتّبع الهوى
بشرقيّ **بصرى** نظرة المتطاول
لأبصر ناراً أوقدت بعد هجعة
لريّا بذات الرمث من بطن حائل

وقال **الرمّاح بن ميّادة** :

ألا لا تلطّي الستر يا أم جحدر
كفى بذرى الأعلام من دوننا سترا



★ الجامع العمري بعد الترميم ★

إذا هبطت **بصرى** تقطع وصلها
وأغلق بوّابان من دونها قصرا

آثار بصرى

لا نزال نفتقر للكثير من المعلومات عن أوضاع بصرى قبل العهد الروماني ، لأن أعمال الكشف والتنقيب لم تقل بعد كلمتها الأخيرة . فمخطط هذه المدينة يشبه إلى حد بعيد تخطيط المدن اليونانية والرومانية القديمة . فتظهر أسوارها مستطيلة الشكل وذات أبواب معينة متقابلة . وكان تخطيط الشوارع المتقاطعة مع الشارع المستقيم على قدر كبير من الدقة والاتقان ، فقد حرص مهندسوها الأوائل على أن تكون هذه الطرق عريضة ومزدانة بالأعمدة الرشيقة والأروقة التي توفر الظل الظليل أمام



★ مسجد مبرك الناقة ★

واجهات المخازن التجارية . ويبدو وجه السور من الجهة الغربية كقوس متجه نحو الشمال .

وتزخر بصرى بالآثار المتفاوتة في قدمها لأنها تقدم سجلاً لمدنيات وحضارات تعاقبت ، وتزداد أهمية بصرى على الصعيد السياحي مع الأيام ، ولا سيما منذ مطلع القرن الحالي ، وذلك بجهود مديرية الآثار والمتاحف التي لا زالت منذ عام ١٩٤٠ م ، تبذل جهوداً جبارة وتنفق الأموال الطائلة في سبيل الكشف عن آثار بصرى وترميمها ، هذا فضلاً عن قراءة الكتابات النبطية والإغريقية واللاتينية والعربية القديمة ، وسنستعرض هذه الأوابد حسب تعاقبها الزمني جهد الإمكان .

الهيكل النبطي

وهوالأثر الثاني من نوعه في بلاد الشام بعد **البتراء** في جنوبي المملكة الأردنية الهاشمية . ويذهب بعض علماء الآثار إلى أنه **بوابة قصر الملك رئبال الثاني النبطي** . ولكن الرأي الغالب هو أنه عبارة عن **معبد نبطي** ، لا تزال معظم أجزائه محجوبة عن الأنظار بالأبنية المحدثة حوله . وأهم أقسامه الظاهرة **القوس الرئيسي** المزين **بمحراب وأعمدة** تعلوها **تيجان** منحوتة حسب النمط النبطي ، ويظهر من فحص بعض أجزاء البناء المتداعية أن الواجهة كانت تزدان بجبهة هرمية الشكل وزخارف نبطية الأسلوب . ولا زال من المتعذر إعادة تمثيل هذا المعبد الذي تمتد بقاياه على مسافة تربو على المائة متر نحو الشرق ، حيث تبدو معالم أبواب وركائز

وتيجان أعمدة وبلاط قديم ، يظهر لأول وهلة وكأنه يـؤلف مجموعة لبنـاء ضـخم واحد .

البركة الشرقية

وتقع هذه البركة شرقي الطريق المستقيم الرئيسي ، وتعتبر **أقدم خزان للمياه قائم حتى الآن في المدينة** ، وتشبه إلى حدّ ما تلك المواجن في منطقة **القيروان** التونسية ، حيث تجمع مياه السيول . وهي على شكل مربع تقريباً طـول ضـلعه ١١٤ م وعمقها ٦ م . ويستدل من الحروف النبطية المحفورة على معظم أحجار هـذه البركة ، أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد ، عنـدما أخـذت المدينـة بالتوسع والتطور وأصبحت مركزاً للقوافل . وكانت البركة متصـلة بـالمدينة بـواسطة **أنابيب فخارية** في منتصف جدارها الغربي . ويبلغ عـرض جـدرانها قـرابة أربعـة أمتار مدعومة بركائز متوصلة بعرض مترين تقريباً . **وتتصل البركة بالأودية** التي تجري خلال فصل الشتاء والقادمة من الشرق .

باب المدينة

ويسميه الأهلون «**باب الهوا**» ، وهو أول أثر يستقبل الـزائر القـادم مـن **درعا** . ويعود تاريخ عمارته إلى القرن الثاني بعد الميلاد وفي أعقـاب بنـاء أسـوار المدينة . ويعلو فتحة الباب **قوسان** متراكبان يستندان على **ركائز** مـزدانة بمحـاريب على واجهتيه ، الخارجية والداخلية ، وللسور **أبـواب** أخرى أقـل جسـامة ودون تزويق ، لا تزال آثارها ماثلة في القسم الغربي والشمالي منه .

السوق الأرضية

ما إن يقترب الزائر من **السوق الأرضية** حتى يصادف بقايا أربع ركائز كانت تزين **ساحة شبه مستديرة** أقيمت عند تقاطع الشارع المستقيم مع شارع يمتد مـن الشمال إلى الجنوب . ويبدو أن بناء الساحة وتنظيمها تمّ في زمـن متـأخر عـن بنـاء السوق الأرضية التي تم اكتشافها في سنة ١٩٦٨ م . ويعتبر هـذا البنـاء فـريداً مـن نوعه ، ويعود تاريخه إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ويبلغ طول القسم المكتشف من السوق حتى الآن ١٠٦ أمتار بعرض خمسة أمتار . وتـم إضـاءة الســوق هـذه بواسطة **أربعة وثلاثين نافذة جانبية** مبنية في الجدار الجنوبي للمبنى . وقـد أقيم تحت النوافذ عدد من المحاريب المستطيلة لتزيين جدار البناء . كما **أقيمت في الجـدار الشمالي ستة أبواب** للدخول إلى المبنى من جهة **الساحة العـامة أو الفـوروم** forum ، ويزدان هذا الجدار أيضاً بمحاريب مستطيلة . ويبلغ ارتفاع سقف السـوق أربعة أمتار ، ومن المتوقع أن يبلغ ارتفاعه بعد إزالة البقايا المتراكمة فوق أرضـه مـا ينوف عن أربعة أمتار ونصف ، ويعتقد أن هذا المبـنى الأرضي كان يسـتخدم لخـزن البضائع خلال الليل .

قوس النصر

وعند مدخل الطريق الفرعي الثالث يظهر **قوس النصر** أو القـوس المركزي ، ويسميه الأهالي «**باب القنديل**» ، والمعروف بفتحاته الثلاث والذي لا زال محفوظاً بشكل جيد . ويتألف من مدخل يرتفع إلى حـوالي ١٣ م . ويعـود تـاريخ بنـائه إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، ويتألف من **ثلاثة أقـواس** أعـلاها القـوس الأوسـط . وتظهر فوق ركيزة واجهة البناء الغربية **كتابة لاتينية** تشـير إلى أنـه أقـيم تمجيـداً لذكرى انتصار **جوليوس جوليانوس قائد الفرقة البارثية الأولى المنسوبة لفيليب العربي** . ويتصل هذا القوس بمدرج بصرى بـواسطة شـارع يمتـد نحـو الجنوب . وقد كشفت أعمال التنقيب القائمة في هذا الموقع منذ عام ١٩٧٣ م ، **عـن**


★ منظر جانبي لمنصة التمثيل ★

بلاط الشارع وقواعد أعمدته المنحوتة على الطراز الايوني ، وهي أولى الأعمدة المصنوعة من الصخر الكلسي التي تظهر في المدينة .

معبد حوريات الماء

يتألف القسم الباقي من هذا البناء من أربعة أعمدة منحوتة على **الطراز الكورنثي** ، والتي تسمو إلى ارتفاع يربو على الأربعة عشر متراً بقطر مقداره ١,٢ م . وهذا البناء كان **منهلاً للماء** عند تقاطع الشارع المستقيم مع الشارع الممتد نحو الشمال . ويظهر أن معظم أجزاء المنهل قد تقوضت بتأثير **زلزال** عنيف يستدل عليه عند منتصف جذع العمود الغربي من البناء الذي يعود تاريخ عمارته إلى القرن الثاني بعد الميلاد .

الكلبية

ويسمى عند أهل بصرى **سرير بنت الملك** . و « كليبة » **اسم إغريقي** عثر عليه في **قرية أم الزيتون** المجاورة حيث يقوم مبنى يماثل مبنى « الكليبة » في بصرى ، مما حدا بعلماء الآثار إلى إطلاق هذه التسمية على سائر المباني المنتشرة في حوران على نفس النمط . **ويغلب على الظن أنه معبد وثني أقيم لحفظ نذور الضباط وأوسمتهم** . ويتألف من عناصر معمارية تعود لبناء أقدم . وعلى العموم فإن تاريخه يعود للقرن الثالث الميلادي . وقد زيّن البناء بنقوش تستهوي الناظر لما حوته من دقة في الحفر وفي الزخارف المعهودة في أيام الرومان . وقد تهدمت أجزاء هذا البناء البديع ، ولم يبق منه سوى جزء صغير من الجدار وقطعة الزخرفة التي تتوّجه .

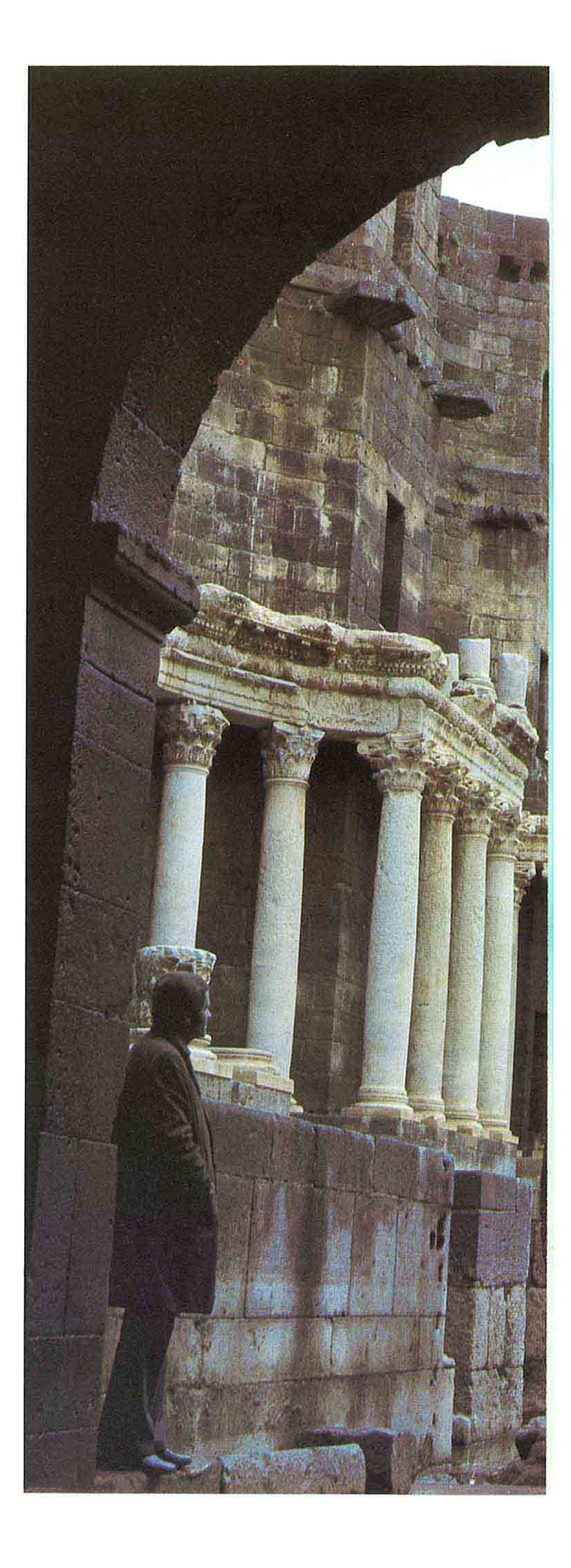
ويروي سكان بصرى أسطورة مفادها أن أحد ملوك بصرى لم يرزق من الولد سوى بنت واحدة ، كانت على قسط كبير من الجمال والظرف ، ولما بلغت سن الشباب خشي عليها من ريب المنون وهي في ريعان صباها ، فبنى لها هذا القصر كي تقيم في أعلاه حيث ترفع إليها سائر حاجاتها . وفي إحدى المرات رُفعت إليها سلّة من العنب كانت تخفي عقربة في أحد عناقيدها ، وما إن تناولته حتى لسعتها العقرب فماتت .

السوق الرئيسية

ويعرف الآن باسم خان الدبس . وقد دفع الظن ببعض علماء الآثار إلى الاعتقاد بأنه حمامات المدينة في العصر الوثني ، لكن أعمال التنقيب أثبتت فيما بعد أنه **سوق المدينة القديمة** ، الذي تعرض فيه صناعات ومحصولات المنطقة . ويتألف السوق من بناء مسقوف وفناء واسع تبلغ أبعاده ٧٠ متراً و ٢٠ متراً عرضاً . وكان السقف يتألف من **حجارة بازلت** صغيرة **وكلس ورمل** على **شكل عقود** متتالية . . أما **الفناء** فكان مزداناً بمحاريب كبيرة وصغيرة تبرز على جوانبها حجارة ناتئة لحمل التماثيل . . **وكانت الأسواق حافلة بالتجارة وأرباب القوافل في النهار كي تغلق ليلاً** . وكانت تتميز بوقايتها للعاملين فيها والزبائن من تقلبات الطقس . هذا كما **كانت بعض الغرف الصغيرة في السوق مخصصة لبيع السلع الثمينة كالمجوهرات والحلي والحجارة الكريمة** .

دير الراهب بحيرا

يشير **البستاني** ، في دائرة المعارف ، إلى أن **بحيرا راهب نسطوري** على مذهب آريوس ونسطور **واسمه سرجيس بن إسكندر** . وكان ينكر ألوهية المسيح



ويقول إن تسميته بإله غير جائزة بل يجب أن يكون كلمة . **وكان بحيرا قساً عالماً فلكياً ومنجماً وحاسباً** ، ونظراً لتضلعه بهذه العلوم حرمه رئيس ديره وطرده من سلك الرهبنة ، فسار هائماً على وجهه ودخل دير رهبان **طور سيناء** ، فطردوه أيضاً من الدير . فسار إلى برية الشام وصار **يدعو القبائل إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة الأصنام** .

ويعتبر هذا الدير أقدم كنيسة بنيت في المدينة على الطراز البازيليكي ، ويرجع تاريخها للقرن الرابع قبل الميلاد . وهي تختلف عن جميع الكنائس المبنية في بصرى . وأجمل جزء فيها يتمثل في **المذبح وقوسه** الشاهق المبني على شكل بيضوي ، ويعتبر من أكثر الأقواس روعة حيث تجلّت فيه مهارة البناء وجمال المنظر . ويظهر أن واجهة البناء قد رممت في عصر متأخر ، ولا يزال باقياً منها زواياها الجانبية الأساسية .

الكنيسة الكبرى أو الكاتدرائية

يعود إنجاز بنائها لشهر آذار (مارس) ٥١٣م ، أو ٤٠٧ م ، من تاريخ بصرى المحلي . وينسب بناؤها حسب كتابة موجودة فوق بابها الرئيسي إلى **جوليانوس ، أسقف بصرى العربي** وكان له مقام رفيع بين الكهنة وشأن عظيم لاستقامته

وصراحته المقرونة بالجرأة التي جرّت عليه الكثير من المصاعب والآلام ، وهو بناء ذو مقام رفيع من الناحية المعمارية . وقد أمكن دراستها بصورة مفصلة من قبل **البعثات الأثرية الفرنسية والأميريكية** التي أخذت لها مناظر متقنة . ويظهر أن قبتها الكبيرة قد تهدمت بعد الفراغ من بنائها بمدة قصيرة من جراء تصدع الركائز التي كانت تقوم عليها .

وقد أقام **الإمبراطور جوستينيان** بعد سنوات قليلة **كنيسة أيا صوفيا** في القسطنطينية **وكنيسة رافين** الإيطالية ، وجعل من كنيسة بصرى أنموذجاً للمهندسين الذين خططوا بناء هذين المعبدين .

وقد أسفرت أعمال التنقيب التي تقوم بتنفيذها المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ عام ١٩٧١ م ، عن رفع جميع الأنقاض التي كانت متراكمة في داخل المبنى وثمانية من المنازل التي كانت مبنية حول الكنيسة من الجهة الخارجية ، كما تتعاون منذ عام ١٩٧٥ م ، مع بعثة من جامعة رافين الإيطالية على دراسة بعض أجزاء العناصر المكتشفة في البناء . هذا وتبلغ أبعاد جدرانها ٤٩,٥م طولا في ٣٧,٣ م عرضاً .

القصر

يقع هذا البناء بين **المعبد النبطي وبركة الحاج** . ويمكن للزائر أن يشاهد بعض أجزائه الخارجية من الجهة الجنوبية والجهة الشرقية والواجهة الجنوبية للجزء الداخلي المطلّة على فناء القصر الواسع . أما الواجهة المقابلة لها فلا تزال محفوظة أيضاً . ويمكن الدخول إلى ثلاث من غرفها الواسعة ، وتأمل دقة بنيانها وزخارفها الجميلة . وقد شيّد هذا البناء عل شكل مستطيل يبلغ ٥٠م طولا و ٣٠ م عرضاً .

وكان المدخل الرئيسي للقصر من ناحية الشرق . ويتألف من ثلاثة طوابق أهمها **الطابق الأوسط** الذي يرتكز فوق أعمدة من الطراز الإيوني . وفي القسم الجنوبي منه بقايا صالة واسعة كانت مسقوفة بأقواس مرتفعة وبصفائح من الحجر . ويستدل من الثقوب المتناثرة على الجدران بأنها كانت مكسوّة بطبقة من الرخام أو من الجص ، وتتألف عناصر التزيين والزخرفة في القصر ، من **محاريب صغيرة** مستطيلة ومربعة لعرض التماثيل ، **والمعتقد أن هذا القصر كان مقر حاكم الولاية** .



★ أعمدة الشارع المستقيم ★

الحمامات الرومانية

وتتألف هذه من **ردهات** متعددة لها **مدخل رئيسي** يفتح على الشارع المستقيم في مواجهة معبد حوريات الماء . وتظهر أمام المدخل بقايا رواق يرتكز فوق أعمدة من الطراز الإيوني . وقبل الوصول إلى ردهات الحمام يمر الداخل **ببهو واسع** مزين بثلاثة محاريب مرتفعة ، كانت مخصصة على ما يبدو لخلع ثياب المستحمّين ، ثم يُنفذ إلى **صالة مستطيلة** الشكل تفتح على الغرف المعدّة للماء البارد والماء الفاتر والماء الحار . ولا تزال الصالة الوسطى محتفظة بسقفها المصنوع من حجر الخفّان . ومن فوق سطح الحمام تظهر بقايا تمديدات المياه الداخلية والخارجية التي تنقل الماء إلى المستحمّين . وكانت الحمامات تلعب دوراً هاماً في حياة المجتمع ، وأصبح الاستحمام عادة يومية في مساء كل يوم تمتد على أكثر من أربع ساعات . وكان الدخول إلى



★ دير الراهب بحيرا ★

الحمام مأجوراً ثم أصبح بالمجان عندما أخذت **البلديات** على عاتقها تسديد نفقات الاستحمام ، أو عندما أخذ الأغنياء يقومون بتشييدها على حسابهم والالتزام بنفقاتها .

المسرح

يجمع هذا البناء روعة تصميم البنيان إلى قوة العمارة ودقة الفن الجميل ، وهو الذي يمنح لبصرى الشهرة لكونه **المسرح الوحيد الكامل في سائر أنحاء العالم الذي قدمته المدنية الرومانية والذي بقي محتفظاً بمعظم أجزائه وسائر عناصر عمارته حتى أيامنا هذه .** ولقد أثار دهشة العلماء والرحالة الذين أشاروا إلى أهميته ولفتوا الأنظار إلى مميزاته . ويقول عنه **العالم الرحالة « غليوم راي »** الذي زاره عام ١٨٥٤ م : « مسرح عسكري وهو أكثر مما كنا نرجوه كي نشبع نهمنا الأثري » . أما « **الكونت مكليور فيفيه** » فيقول في كتابه الشهير عن سورية الوسطى : « بني في العهد الروماني وفي القرن الثاني بلا شك على مقياس هائل ، وهو محفوظ بصورة جيدة ، فإذا أمكن رفع المباني الحديثة التي تحجبه عن الأبصار فإنه يعطينا ، أكثر من أي بناء مماثل سواء كان ذلك في الشرق أو في الغرب ، الصورة الكاملة عن **داخل مسرح قديم** . فالمدرج منحوت من الصخر البازلتي

ويظهر بكل أقسامه . وتبدو **منصة التمثيل** وجميع تفرعاتها غير منقوصة وهي مزينة بمحاريب وأبواب كبيرة . ويتوج البناء رواق مسقوف على الشكل المألوف في الملاعب الرومانية ، ولكنه اندثر فيها جميعاً . والرواق العلوي كان **القسم الوحيد المخصّص لجلوس السيدات** ، ولا أعتقد أنه يوجد في غير بصرى مثال باق في مكان حتى الآن إذ إن بعض أعمدة الرواق والأفاريز التي تعلوها لا تزال قائمة في

موضعها الأساسي ، وهي من الطراز الدوري الروماني . ويستمر امتداد هذا الرواق على أجنحة واجهة المسرح بأنصاف أعمدة بارزة على الواجهة . والممرات التي تصل بين أجزاء المدرج ظاهرة وهي تتصل بممرات المدرج الداخلية ومع أقسامه العلوية والأرضية .

وقد بُني هذا المدرج على شكل **المسارح الهللينيستية** بحيث تمتد أطرافه إلى أكثر من نصف دائرة ، وترتفع جدرانه إلى ما ينوف عن ٢٠ متراً ، وهو محاط بأبواب أرضية ونوافذ علوية بعضها مفتوح والآخر مغلق . ويتسع هذا المدرج لأكثر من ١٠,٠٠٠ متفرج .

والمدرج ينقسم إلى ثلاثة مستويات مفصولة عن بعضها البعض بممشى تفتح عليه **الأبواب المعدة لدخول وخروج النظارة** . ويتألف المستوى الأول من ١٤ درجة والثاني من ١٨ درجة والعلوي من ٥ درجات . وتحتفظ **ساحة العازفين** ببلاطها الأصلي على حالته القديمة الذي نستدل منه على أن هذه الساحة كانت تستخدم لإقامة الطقوس الوثنية في الأعياد والمواسم . و يبلغ طول منصة التمثيل ٢٥ متراً بعرض ٨ أمتار .

وهذا المسرح يماثل مسرح مارسللوس في روما ، ومسرح هركولانوم ، ومسرح مدينة ساغونت في إسبانيا ومسرح مدينة تيبازا في غربي الجزائر ، ومسرح بوللاريجيا في تونس ، لكن مسرح بصرى يفوقها جميعاً في أبعاده وسلامته من عوادي التخريب وصلابة مواد بنائه .

وقد عمدت **وزارة الثقافة السورية** بالتعاون مع **مديرية الآثار والمتاحف** إلى إقامة حفلات تمثيلية و عرض بعض ملامح الفلكلور السوري وذلك في خريف كل عام لإنعاش مدينة بصرى التي تعرضت لإهمال شديد خلال بضعة قرون خلت .

القلعة

تعد قلعة بصرى من أهم القلاع المبنيّة فوق سهل منبسط في مطلع الحروب الصليبية ، ويمكن متابعة مراحل بناء هذه القلعة بفضل الكتابات البارزة على كل واجهة من واجهات أبراجها الستة المحيطة بالمسرح . **وتمثل القلعة فن العمارة العسكرية المتقدمة في ذلك الحين** ، حتى إن بعض حجارتها تزيد في طولها عن الخمسة أمتار طولا ، وينوف ارتفاعها عن المتر تقريباً .

ويذكر المؤرخ **ابن عساكر** عن الحروب التي دارت رحاها في حوران بين **القيسيين واليمنيين** ، وأن الهيذام قد لجأ إلى المسرح الذي تحول إلى حصن وذلك بسد جميع نوافذه وأبوابه الخارجية بالبناء ، وهذا أسلوب معهود في تحويل الملاعب والمسارح القديمة إلى حصون كما جرى في معظم أقطار البحر الأبيض المتوسط خلال القرون الوسطى .

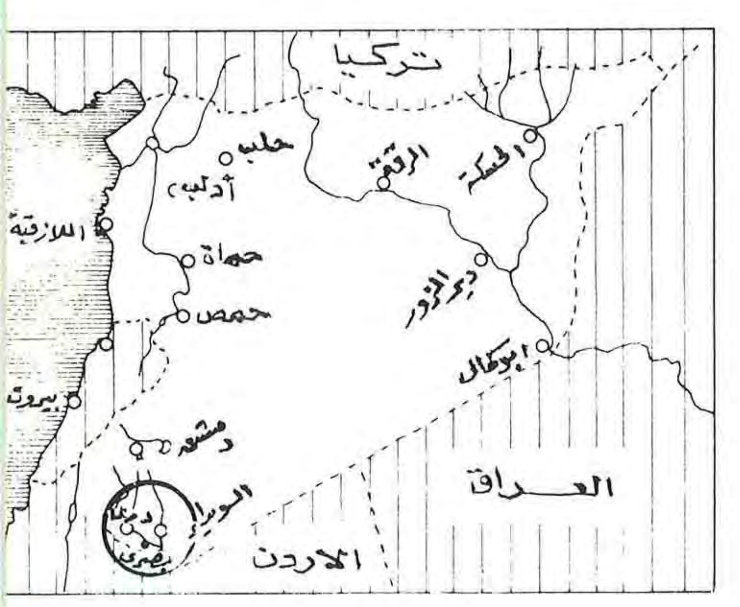
وفي العهد الأتابكي تمّ بناء ثلاثة أبراج بملاصقة الجدار الخارجي للمسرح ، الأول في الجهة الشرقية بجانب زاوية المسرح الشمالية الشرقية ، ويعود لأوائل القرن الثاني عشر للميلاد ، والثاني بجانب جدار المسرح من جهة الجنوب ، والثالث في الجهة الغربية بجانب زاوية المسرح الشمالية لغربية وتتصل جميع هذه الأبراج بممرات المدرج الداخلية وبسائر أقسام المسرح .

بركة الحاج

وقد بنيت على الجانب الجنوبي لسور المدينة القديم في العهد الأيوبي ، لتأمين سقاية قوافل الحجاج أثناء توقفهم في بصرى ، إذ إنهم كانوا يمكثون فيها عشرة أيام بانتظار المتأخرين عن قافلة الحج ، ولتزويد خندق المدينة وآبارها بالمياه اللازمة . وتأخذ البركة شكل مستطيل طوله ١٥٥ متراً وعرضه ١٢٢



★ سليمان عبد الله المقداد ـ رئيس بعثة التنقيب الأثري في مدينة بصرى أمام أحد التماثيل المكتشفة حديثاً ★



★ مدينة بصرى على الخارطة ★

متراً وعمقه ٨ أمتار ويصل عمقها عند الجدار الغربي ١٢متراً . ويتوسط بناء البركة ركيزة مربعة الشكل أُحدثَت لاستراحة السباحين .

جامع الخضر

يعد جامع الخضر من بين أقدم مساجد المدينة . وأطلق عليه هذا الاسم لأنه يجاور مدفناً منسوباً إلى الخضر . وتدلنا الكتابة فوق مدخل هذا الجامع إلى أنه رمم في عام ٥٢٨ هـ ، بأمر من أمين الدولة « **أبو منصور كمشتكين** » والي بصرى في ذلك الحين . وبنيَ المسجد على شكل مربع يبلغ طول كل من أضلاعه سبعة أمتار .

ويتألف **سقفه** من صفائح مستطيلة مقطوعة من حجر البازلت تستند على **قوسين** وجذوع **أعمدة** من الحجر ذاته . وتنفصل مئذنته عن البناء بممرّ مكشوف



★ مدرج بصرى ... منظر من الأعلى ★

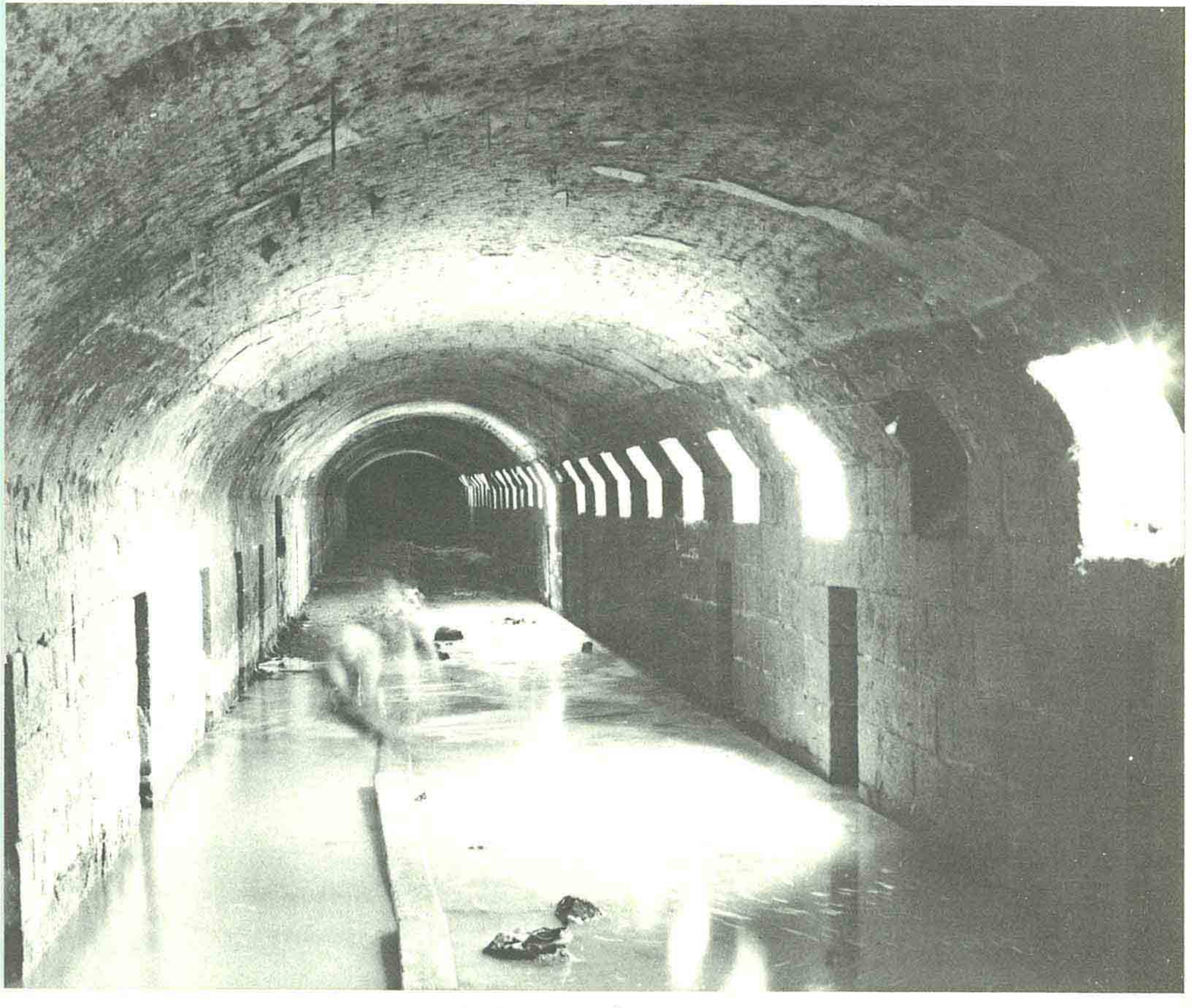
ضيق . وفي شمالي الجامع يقع نبع الجهير الذي لا تزال جدرانه المبنية في العهد الروماني قائمة حتى الآن ، ويعتبر موقع هذا النبع النواة الأولى التي نشأت حولها مدينة بصرى في أول عهدها .

جامع مبرك الناقة

يقترن بناء هذا المسجد بذكريات تاريخية متعددة . فعلى أرضه بركت أول ناقة حملت نسخة من القرآن الكريم إلى بلاد الشام وحفظت فيه . ويؤكد البعض أن ناقة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بركت على أرضه عندما جاء مع عمه بتجارة إلى بصرى ، ثم عندما عاد إليها وهو شاب ومكث فيها أياماً . **وأصبح هذا الجامع في العهد الأتابكي مركزاً للدراسات الفقهية حسب المذهب الحنفي** . ومن أشهر من درّس فيه **الشيخ صفي الدين أبو القاسم التيمي وولده الشيخ فخر الدين والامير علم الدين سليمان البصراوي ، والشيخ ابن كثير البصراوي ، ثم الدمشقي صاحب تاريخ البداية والنهاية وتفسير القرآن .**

الجامع العمري

من أقدم الجوامع الإسلامية المحفوظة حتى عصرنا الحاضر . ويعود تاريخ بناء هذا الجامع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . كما أطلق على



★ السوق الأرضية اكتشفت عام ١٩٦٨م ★

منارته اسم **مئذنة العروس** لارتفاعها عن سواها من مآذن المدينة . وقد شيِّد الجامع على طراز المساجد التي بنيت في عهد الخلفاء الراشدين ، وهي **مسجد الرسول** في المدينة المنورة **ومسجد عمرو بن العاص** في الفسطاط . ويتألف من ردهة مستطيلة بشكل يستند سقفها على أعمدة تعلوها أقواس متتابعة . ويؤكد **العالم كريزويل بسويل** بأن مئذنة الجامع التي ترتفع على شكل مربع إلى علو ٢٥ متراً هي أقدم مئذنة لاتزال قائمة في العالم الإسلامي .

وتشاهد زخارف جصّية تزين جدران الحرم والمؤلفة من **نقوش فاطمية** وآيات قرآنية زال معظمها كما يمكن تمييز بقايا نقوش ملونة باقية من **العهد العباسي** . وفي عام ١٩٣٩ م ، قامت المديرية العامة للآثار بترميم الأقسام المنهارة من المسجد لإعادته إلى شكله السابق وإتاحة قيام الصلاة في داخله .

الحمام الأتابكي

شيّد هذا الحمام في الجهة الشرقية من الجامع العمري ، ويتألف من ردهة واسعة وثلاث مقصورات مستطيلة الشكل . وينسب بناؤه للعهد الأتابكي أي لأواخر القرن الثاني عشر بعد الميلاد .

مدرسة أبي الفداء

ويطلق عليها سكان بصرى اسم **جامع الدباغة** ، وهي في الواقع مدرس شيّدت في عهد **السلطان أبي الفداء إسماعيل بن السلطان أبي بكر** أيام حياته ، ومدفناً له بعد وفاته ، ولتكون مدرسة . وتشير الكتابة البارزة على واجهة البناء الجنوبية المطلة على بركة الحاج بأن بناءها تمّ في عام ٦٢٢ هـ ، أو ١٢٢٥ م .

★ الباب الغربي (باب الهوى) مع الشارع المستقيم بعد الاكتشاف ★

ويتكون البناء من صالة مستطيلة الشكل وست غرف بما فيها الغرفة المخصصة للمدفن . وفي نهاية البناء من الجهة الجنوبية **محراب وثلاث نوافذ** وكان سقف المدرسة مؤلفاً من صفائح مستطيلة من الحجر ترتكز فوق ستة أقواس شاهقة .

مدفن شهاب الدين

يقع بناء هذا المدفن عند الزاوية الشمالية الشرقية لبركة الحاج . ويتألف من مسجد صغير ومدفن ملاصق له . وتدلنا كتابة بارزة فوق مدخل المدفن على أنه قبر للأمير شهاب الدين يوسف ابن الأمير ياقوت والي بصرى المتوفي عام ٤٥٤ هـ ، أو ١٢٥٦ م . وفي الأرض الملاصقة لجدار البركة الشرقية تقوم قبور عديدة يطلق عليها اسم قبور الشهداء .



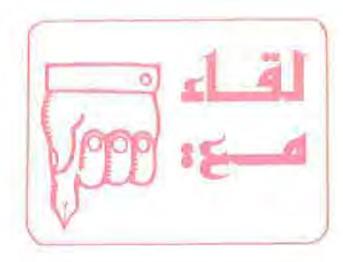
وهكذا نستشف من خلال استعراضنا السريع لآثار بصرى وتاريخها مدى غناها بالآثار التي لا تزال واضحة المعالم ، آثار تجتذب إليها آلاف السياح والعلماء والباحثين في كل عام ، هذا في الوقت الذي تعمل فيها البعثات الأثرية من وطنية وأجنبية لكشف ما تبقى من آثارها التي لا تزال تنتظر رفع آلاف الأطنان من الأتربة ، أو بعد إزالة الكثير من بيوت الأهلين المتناثرة بين أطلالها .

المراجع

- السيرة الحلبية : ابن اسحق .
- الدليل الأزرق : باريس ١٩٥٦ م .
- بصرى : دليل أثري : سليمان عبد الله المقداد ١٩٦٠م، ١٩٧٦م .
- بصرى الشام : حسين العودات ١٩٦٣ م .
- مسرح بصرى وقلعتها : د . سليم عادل عبد الحق .
- القلعة الأيوبية في بصرى اسكي شام : آبل ، ترجمة : بشير زهدي .



إلى الشباب السعودي الطموح
سلاح المدرعات
بالجيش العربي السعودي
يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر
شروط ومزايا الالتحاق :
١- أن يكون سعودي الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
٣- حامل شهادة أقل من رابعة ابتدائي يتخرج براتب إجمالي ٢٥٥٠ ريالاً .
٤- حامل شهادة رابعة ابتدائي وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٢٧٣٠ ريالاً .
٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالي ٣٢٣٠ ريالاً .
٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٣٥٠ ريالاً .
٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالي ٣٧٨٠ ريالاً .
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مميزات أثناء الدراسة :
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب وعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .
مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج :
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التي تناسب مستواه الثقافي .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجاني له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
إجازة سنوية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الإجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار في الاستمرار أو الاستقالة .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها .. أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون رقم ٤٠٤٢٨٨٢ / ٥٨٢ أو رقم ٣٠٠٩٣ الرياض .
سلاح المدرعات





الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري ، اسم لامع في الكويت ، مرتبط بالحركة الأدبية والشعرية وتأليف الكتب بصورة نشطة متميزة بالموهبة الفذة والعطاء الكبير فما يمل ولا يكل . إنه يتعايش دوماً مع أحداث وطنه العربية على امتداد جغرافيته ، ويجسد ذلك في معطياته الأدبية والثقافية ، عبر الصحافة والمؤلفات ، وهو من ذلك الرعيل الأول من أدباء وشعراء الكويت ممن لهم أياد بيض على الساحة الأدبية .

وكان « **للفيصل** » هذا اللقاء مع الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري ، أجاب خلاله على عدد من الأسئلة التي تطرح بعض القضايا والتيارات المعاصرة :

أعد اللقاء :
عبد الله الشيتي



سلبيات الأديب وايجابياته

●● **أين يقف الأديب العربي في المرحلة الراهنة من قضايا الأمة المصيرية ، وما سلبياته وإيجابياته ؟**

● « لا يمكن أن يكون للأديب موقف حر إلا إذا عاش عيشة حرة كريمة ، ولا يمكن أن يعيش عيشة حرة كريمة إلا إذا عاش في بيئة حرة . **والأديب العربي في المرحلة الراهنة يعيش في قهر أدبي ، واضطهاد فكري ، إن لم يكن أكثر من ذلك .** وأنت عندما تسألني أين يقف الأديب العربي ؟ لا بد أن أقول لك بأنه يقف موقفاً لا يُحسد عليه ، إن لم يكن يقف موقفاً على حافة الهاوية ، وربما تتساءل ولماذا ؟ فأقول لك بأن المواقف التي تحيط به من كل جانب وتؤثر عليه ، مواقف متخاذلة منهكة ، وقد تقول ، ما لنا وللسياسة فنحن نتحدث عن الأديب فحسب ؟ وهنا لا بد أن أجيبك بأن **زج الأديب بقضايا أمته المصيرية ما هو إلا سياسة في سياسة ، وهل يستطيع الأديب أن يبتعد عن السياسة ؟ فإذا كان الفرد العادي من الناس ينام ويصحو هذه الأيام على الأحداث السياسية التي تهز المنطقة هزاً ، وبالتالي تهزه وتهز أعصابه ، فما بالك بالأديب الذي يعتبر نبض الأمة وترجمانها ؟** إذن فالسياسة في وطننا العربي تؤثر على كل فرد من أفراد



الأمة مهما كانت منزلته ، والأحداث تتتابع بشكل مخيف ، والساسة يعيشون في دوامة من هذه الأحداث ، ولا يدرون كيف يواجهونها ، وكيف يحافظون على امتيازاتهم ، ذلك أن مواجهتها مواجهة صادقة يقتضي منهم التخلي عن امتيازاتهم ، والنزول عن كراسي الترف والرفاه والتلاعب بقوت الشعوب وتراهم في حَيْصَ بَيْص ، ولذلك ترى أكثرهم يفتعل المشاكل بينه وبين شعبه افتعالا ليبعده عن واقع الحال ، وترى البعض الآخر يرمي بنفسه في أحضان الطامع القوي عله يُصبح حامياً له ولامتيازاته حتى ولو ألق بكل مصالح شعبه رهينة للعدو ما دام لا يريد أن يتخلّى عن امتيازاته ، إذن ألا ينعكس ذلك على الأديب الواعي ؟ وحتى هذا الأديب الواعي تراه يعيش في قهر لا يستطيع معه إلا التمزق أو السير في ركاب سيده المتهالك المستسلم ، أفهذا موقف يُحسد عليه ؟ وهل يُحسد إنسان على موقف يؤدّي به إلى الهاوية ؟

ومع كل ذلك فهناك أدباء ارتفعت أصواتهم قليلاً ، لكنها سرعان ما خفتت ، بعضهم ضُرب عليه نطاق العزلة والحرمان من الكتابة ، وبعضهم لاقى مصيراً سيئاً ، وبعضهم فر هارباً من الظلم والطغيان الذي يراه ويعتقده ، بعيداً وراء الحدود يصرخ ويستصرخ ، وبعضهم فقد وعيه حقاً وحقيقة ، ومشى مع الركب ، وغير اتجاهه وميوله حسب المطلوب ، وبعضهم طأطأ برأسه حتى تمر العاصفة حسب قوله ، وتتغير الأحوال وتتصلح الأوضاع . وبين هؤلاء وأولئك هناك نفر من الأدباء الذين آثروا أن يطووا أوراقهم ، ويلملموها ويضعوها في الأدراج ، ويُغمدوا أقلامهم ويدخلوها في أجربتها أو في أغمادها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا . لكن الدماء لم تسل ، والأرواح لم تزهق ، والرؤوس ظلت في أماكنها ، والشاعر العربي يقول :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ

وإذا أردت أن أختصر الإجابة على سؤالك لم أجد ما أقوله إلا أن **سلبيات الأديب العربي كثيرة ، وليست له ايجابيات بالنسبة لهذا الطوفان الذي يهب علينا بعنف** ، وأستَدركُ فأقول إلا ما قلّ وندر ، وتلك هي الأسباب والمسببات » .

المرأة . . والشعر والأدب

●● **يُقال أن المرأة خُلقت ليقال فيها الشعر لا لتقول الشعر ؟ رأي الأستاذ الأنصاري بالمرأة الشاعرة من هي ؟**

وهل هناك أدب رجالي وأدب نسائي ؟

● « هذا القول لا ينطبق على الواقع ، كل الواقع ، فإذا كانت هناك امرأة خُلقت ليقال فيها الشعر ، ويتغزل بها ، وبدلها وجمالها وفتنتها وسحرها وبهاء طلعتها ، وكذلك بثقافتها وفكرها وأدبها وروعة منطقها إلى آخره . فهناك امرأة أخرى خُلقت لتقول الشعر ، وتتغنّى به ، بل وتغني به وتحرك المشاعر والأفئدة ، وتطرب العقول والقلوب أيضاً .

المرأة إنسان مثلي ومثلك ، تقول الشعر مثلي ومثلك ، بل أحياناً أحسن مني وأحسن منك ، ولا يتوقف هذا وذاك على جمال المرأة ، فجمال المرأة لا يؤثر على مدى شاعريتها ، **فالمرأة الشاعرة شاعرة سواء كانت جميلة أو غير جميلة** ، ذلك أن الشعر موهبة وإلهام ، والموهبة والإلهام تكون في الناس ــ بعض الناس طبعاً ــ والناس هم رجال ونساء على حد سواء ، فهناك امرأة جميلة شاعرة ملهمة ، وهناك امرأة شاعرة ملهمة أقل جمالا ، بل قد تكون قبيحة ، والجمال والقبح يختلف في أنظار الناس ، فالتي أراها جميلة فاتنة قد تراها قبيحة ، والتي تراها رائعة ساحرة قد أراها غير ذلك وهكذا ، بل لعل هناك جمالا متفقاً عليه في موازين الجمال لا يجذبني ولا يجذبك ، بينما تجد جمالا لا تنطبق عليه موازين الجمال يفتنني ويأخذ بمشاعري ، ويأسر لبك ويفتن قلبك .

عبد الله زكريا الأنصاري في سطور

● من مواليد الكويت عام ١٩٢٤م .

● تلقى علومه وثقافته في الكويت .

● كان مسؤولا عن « بيت الكويت » في القاهرة .

● مثل بلاده في عدد من المؤتمرات الدولية والعربية .

● من مؤلفاته : « فهد العسكر » ٤ طبعات ، « الساسة والسياسة » ، « البحث عن



هناك امرأة جميلة نتغنى بها ونتغزل بجمالها وفتنتها ، ومع ذلك فهي شاعرة تعبِّر عن مشاعرها بشعر نابض بالحياة والوجدان ، وهناك امرأة جميلة خُلقت فعلاً لنقول فيها الشعر ونهيم بجمالها ودلالها ، ولا تصلح أبداً أن تقول الشعر مهما حاولت ومهما تشبثت بأذياله ، **إذن فالقول بأن المرأة خُلقت ليقال فيها الشعر لا لتقول الشعر ، قول مردود على صاحبه ولا نوافق عليه .**

إن المرأة الشاعرة هي تلك التي تتوفر فيها عناصر الشاعرية مثل كل الناس ، ولو حاولنا الدخول في شرح عناصر الشاعرية لطال بنا المقال وتشعب . إن عناصر الشاعرية تتوفر في الإنسان فيصبح شاعراً ، سواء كان امرأة أو رجلاً ، ألم تُلفت نظرك أخيراً بعضُ الأصوات الشعرية الجيدة التي أخذت تنطلق بيننا هذه الأيام ؟ ألم تقرأ شعر بعض الشاعرات الطالعات على قلّتهن ؟ هذا عندنا في **الكويت** ، ولعل هناك شاعرات عربيات أخريات لا نعلم عنهن شيئاً . إذن **فالمرأة لا تختلف عن الرجل في الموهبة الشعرية** ، قد يكون عددهن أقل حسب ظروفهن ، لكنهن مثلي ومثلك في مواهبهن الشعرية وغير الشعرية .

أما سؤالك إن كان هناك أدب رجالي وأدب نسائي ، فطالما رددنا القول في هذا الموضوع ، ورفضناه جملة وتفصيلاً ، وقلنا إن الأدب واحد . إنه نهر كبير يجري في قلوبنا وعقولنا نغرف منه بقدر طاقتنا وبقدر استعدادنا ومقدرتنا ، شباباً وشيوخاً ، رجالا ونساءً على حد سواء ، فالأدب الذي تكتبه النساء لا يختلف عن الأدب الذي يكتبه الرجال ، والأدب الذي يكتبه الشباب مثل الأدب الذي يكتبه الشيوخ ، يمتاح من منبع واحد ، من النهر الكبير ، ويصب فيه بالتالي ، أي يأخذ ويعطي . إنه أدب واحد يحتوي على مختلف عناصر الحياة ، مني ومنها ، ومنك ومنها إلى آخره . إذن لا بد أن نُسقط تجزئة الأدب ، بل لا بد أن نضرب صفحاً عن هذا القول ، فالأدب لا يمكن تجزئته ولو حاولنا ، والذين يقولون غير ذلك هم وشأنهم ، وسيبقى الأدب أدباً واحداً يغرف منه الجميع ، ويعطيه الجميع ، ويظل بعد ذلك أدباً يسقي الجميع ، ويفيد الجميع بقدر استعدادهم وتقبلهم لعطائه الذي لا ينفد » .

مواجهة النفس بالنقد

●● نريدك (كناقد) أن تقوم نتاجك : أين مواضع الرضى عنه وأين مواضع التحفظ منه والانتقاد له ؟

● « لا يحق لي أن أقوم نتاجي ، بل لا يحق لأي كاتب أو شاعر أن يقوم نتاجه ، لأن مثل هذا التقويم سيكون باطلاً لا يُعْتدّ به ، فقد لا



الإسلام » ، « مقالات من الصحف » ، « صقر الشبيب » ، « روح القلم » ، « خواطر في عصر القمر » .

● وله عديد من الدراسات والقصائد الشعرية .

● عضو رابطة الأدباء الكويتيين .

● يعمل حالياً مديراً لإدارة الصحافة والثقافة بدرجة سفير في وزارة الخارجية الكويتية .



أرضى عن نتاجي ويخالفني فيه الآخرون ، وقد أرضى عن بعضه ولا يرضى عما رضيته الآخرون ، وقد أقوم نتاجي تقويماً متحيزاً . والذي يستظل بظل الشجرة لا يمكنه أن يصفها ويصف محاسنها ومزاياها إن كانت لها محاسن ومزايا ، ولا يستطيع وصف عيوبها وما يعتورها من مثالب ونواقص ، أو من قبح وبشاعة ، والسبب أنه غير قادر على رؤيتها رؤية سليمة شاملة ، قد يرى جانباً من جوانبها ، لكنه غير قادر على رؤية بقية جوانبها .

الإنسان مليء بالعيوب والمثالب إلا أنه لا يرى عيوبه ومثالبه كما يراها الآخرون ، وقد يرى بعضها ، بل قد يحسب عيوبه ومثالبه مزايا ومحاسن وهي ليست كذلك ، إذن **فلنترك للآخرين حرية نقدنا وكشف مثالبنا وعيوبنا ، على أن يكون الناقد ناقداً حراً ، وأعني بالناقد الحر ، الناقد النظيف الذي لا ينقد عن هوى شخصي ، وميل عاطفي ، الناقد المجرد من مثل هذه العيوب** ، ولعلك أردت أن تقول بأننا هذه الأيام لا نرى الناقد الحر النزيه ولذلك لا بد لكل كاتب وشاعر أن ينقد نفسه ، وهذا في رأيي المتواضع رأي خاطئ ، وأين الإنسان الذي يتجرد من عواطفه وميوله عندما يبدأ بنقد نفسه ، وتقويم نتاجه ؟

لو فرضنا وارتكبتُ مثل هذا الخطأ الفادح وقومت نفسي ونقدت إنتاجي ، هل تصدق حقاً ما أقول ؟ ولو قلتَ لي إنني حقاً أصدقك ، وأوافق على ما تقوله ، سأجيبك بلا تردد بأنك لا تقول حقاً ولا صدقاً ، ولا أصدقك أبداً بأنك تصدقني وتصدق نقدي ، والذين يصدقون تصديق الآخرين ، حتى ولو كان تصديقاً لصدقهم ، غير صادقين . يقول أبو العلاء في هذا المعنى أو ما شابهه عن نفسه وعن الآخرين :

عيوبي إن سألت بها كثيرٌ
وأي الناس ليس له عيُوبُ
وللإنسان ظاهرُ ما يراه
وليسَ عليه ما تُخفي الغيُوبُ
يجُرُّون الذيول على المخازي
وقد مُلئت من الغش الجيُوبُ
وكيف يصولُ في الأيام ليث
وقد وهت المخالبُ والنيُوبُ

إذن فسؤالك هذا ليس لي جواب عليه ، بل سؤال بودي أن لا يُوَجَّه إلى أي إنسان سواء كان أديباً أو غير أديب ، شاعراً أو غير شاعر . دع الآخرين الذين يرونك عن كثب ، ويُبصرونك عن بُعد ، يُقَوِّمُون نتاجك ، ويحكمون عليك وعلى تصرفاتك التي قد تراها صائبة وهي خاطئة ، وقد تراها حسنة وهي سيئة ، أليس كذلك » ؟

المؤتمرات الأدبية

●● ماذا عن المؤتمرات الأدبية الدورية في الوطن العربي ؟ إلى أي مدى تؤيدها أو ترفضها ؟

● « ليس كل المؤتمرات ، لكن أكثر المؤتمرات الأدبية الدورية في الوطن العربي باطلة ، لأنها تقوم على باطل ، وقد تسأل ، ولماذا أكثرها باطل ؟ وأقول لأن الذي تمثله باطل ، وقد تسأل أيضاً ، ولماذا الذي تمثله باطل ؟ فأقول لك بأنه قائم أو يقوم على غير أساس متين ، لماذا ؟ لأن الأهواء متعددة ، والميول متعاكسة ، والرغبات متضاربة . صحيح أن الوطن العربي وطن واحد ، لكن هذا الوطن ما زال أهواء وميولا ورغبات ، والذين يمثلون هذه الرغبات والميول والأهواء يعكسونها ، أو يعكسها أكثرهم على حقيقتها ، بل **إن أكثر هؤلاء الممثلين لا يمثلون الأدب وحقيقة الأدب الذي قدموا من أجله ، وإنما يمثلون تيارات متضاربة متعاكسة متعددة ، ولو كان الأمر غير ذلك لازدهر الأدب وتقدم .**

إن كل ممثل من هؤلاء الممثلين تُعد عليه أنفاسه ، وتُحصى عليه كل كلمة تخرج من فيه ، بل ربما أوِّلت وحُوِّرت وحُرِّفت ، والأدب يعكس الحياة الأدبية التي يعيشها الأديب ، ويصور الحالة الاجتماعية التي يعانيها ، ويعبِّر عن المعاناة التي يعانيها ، ذلك أن الأديب ترجمان لمجتمعه ، ولا بد لهذا الترجمان أن يرسم المشاهد المتحركة في محيطه وبيئته المحلية وغير المحلية من وطنه العربي ، ولما كان وطنه غير موحد وتحكمه نظم وأحكام مختلفة ، أصبح من المتعذر على الماسكين بهذه الأزمة من الأحكام والنظم أن يوفدوا ممثلين يقولون ما يعتقدون ، ويتكلمون عن الحقائق والوقائع كما يشاهدونها ، لأن مثل هذه المشاهد والوقائع لا تأخذ مجراها السليم . ولهذا ترى الممثلين لا يمثلون الأدب بوجهه النقي الواضح بقدر ما يمثلون الأنظمة التي أوفدتهم ، وهذا ما نشاهده مع الأسف الشديد في معظم المؤتمرات الأدبية .

إذن نعود فنقول إن الأديب الحر ليس حراً في كل ما يقول ويكتب ، والأديب الحر الذي يؤمن بالحرية ولا يحيد عنها لا يغيب عنه



وعيه في نوع الأنظمة التي تحكمه وتتحكم في حريته وتصرفاته ، وإذا وجد مثل هذا الأديب الحر اضطُهد وحُورب على شتى المستويات . لهذا لا بد أن يكون النظام واحداً في الوطن العربي ، حتى لا تكون هناك أهواء وميول في اختيار الممثلين ، أو في ما يترجمه الأديب ويعبِّر عنه ، وحتى تتوحد المصلحة العربية في جميع أنحاء الوطن العربي ، ولا يكون هناك حاكم يبني ، وحاكم يهدم ما يبنيه الآخرون ، بل وطن واحد ، ومصلحة واحدة ، وممثلون حقيقيون أحرار لهذه المصلحة ، وهذا الوطن . إذن فأنا **أرفض أكثر المؤتمرات الأدبية ، الدورية وغير الدورية ، تلك المؤتمرات التي تقوم أو تُقام في الوطن العربي ، ذلك أن هذه المؤتمرات لا تمثل إلا الأنظمة** » .

معركة القديم والحديث

●● هذا الصراع الدائم بين القديم والحديث ما موقفك منه كقارئ وأديب ؟ سواء في الشعر أو القصة أو الأساليب النقدية قديماً وحديثاً ؟

● « ليس كل قديم منبوذ ، وليس كل حديث مقبول ، وليس كل قديم مقبول ، وليس كل حديث منبوذ . **هناك قديم يجب الحفاظ عليه لأنه قديم يتجدد ، وهناك حديث يجب تقويضه والقضاء عليه لأنه حديث متقادم لا يقبله العصر .**

من طبيعة الحياة أن يقوم الصراع بين القديم والحديث ، ومن طبيعة الإنسان أن يتابع هذا الصراع ، ويبدي فيه رأيه ، والإنسان أنواع منوعة من الميول ، والاتجاهات ، وكل حسب تكوينه تتعدد الآراء ، وتختلف الأفكار ، وقل أن تتفق ، لا سيما على الأمور التي لا تُلمس إلا بالفكر ولا تُقاس إلا بالعقل ، أعني الأمور الخارجة عن حيز الجمع والطرح في علم الحساب ، فعلم الحساب لا مجال للاختلاف فيه ، فالواحد زائد واحد يساوي اثنين ، والاثنان ناقص واحد يساوي واحد وهكذا .

الحياة فيها قديم وفيها حديث ، والقديم هو الذي مرت عليه السنون وابتعدت به الأيام والليالي ، والحديث هو الذي يسير في طريقه إلى القدم . هو اليوم حديث ، لكنه قديم في المستقبل ، وفي الماضي كان القديم حديثاً . أما الناس فطبائع ، بعضهم يهوى القديم ويحافظ عليه ، وبعضهم يكره القديم ويحاول إلغاءه . فإذا كانت حجة المحافظ على القديم مبنية على العقل والمنطق والأدلة المقنعة على صلاح القديم وافقناه على رأيه ، وإذا كانت حجة المدافع عن الحديث منطقية واقعية مقنعة أيدناه وضممنا صوتنا إلى صوته . إلا أن المشكلة أنك لا ترى في أكثر المؤيدين والمعارضين المنطق القويم ، والرأي السديد والحجج المقنعة ، وهذا يدل على أنهم يعارضون حسب أهوائهم ، إن لم تكن معارضتهم لمجرد المعارضة ، ويؤيدون حسب ميولهم إن لم يكن تأييدهم لمجرد التأييد فقط .

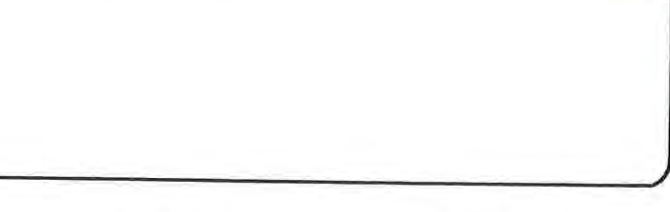
أجل من طبيعة الحياة أن يقوم الصراع بين القديم والحديث ، لكن ما هو الحديث الذي أعنيه والذي اقتضت طبيعة الحياة أن تُحلّه محل القديم ؟ لا شك أنه **الحديث المتجدد الذي لا بد أن يحل محل القديم الذي انتهت مهمته ، وتعدته الأيام ، ولم تعد تتقبله لتنافيه وأذواق الناس وأفهامهم ، ولأن مدته انتهت ، واستهلكته الحياة .**

الحياة متغيرة متطورة ، ولا بد أن يكون التطور والتغير إلى الأحسن ، وعقارب الساعة لا ترجع إلى الوراء كما يقولون ، ولهذا فالحياة لا بد وأن تسير إلى الأمام ، وفي سيرها المتواصل المستمر لا بد أن تأخذ الأمور فيها مجراها الصحيح ، ومواقعها المقررة ، فكل أمر من الأمور يقاوم الأمر الآخر الذي يحاول أن يحل محله ، ولا بد أن تزول الأمور القابلة للزوال ، وتبقى الأمور الصالحة أو القابلة للبقاء ، وليست كل أمور الحياة فاسدة ، فالفاسد لا بد أن يمحوه الصالح وهكذا قالوا في القديم ، وفي الحديث أيضاً ، أن البقاء للأصلح . فبعض القديم الذي ثبتت صلاحيته لا بد أن يقاوم ويتغلب على الحديث الفاسد ، لذلك ترى الصراع مستمر ومتواصل بين القديم والحديث . ولا يصح إلا الصحيح .

إن أمور الحياة شتى مختلفة متنوعة ، والأدب والشعر وغيرهما من الفنون الأخرى ، من أمور الحياة ، ولهذا فالصراع قائم بين الجديد والقديم من هذه الفنون ، الشعر الحديث يحاول أن يحل محل الشعر القديم ، وكذلك الأدب من نثر وقصة وفنون أخرى ، لكن متى يقضي الشعر الحديث على الشعر القديم ويحل محله ؟ هذا هو السؤال ، وهو يتردد في مجال الأدب على مختلف ألوانه وأشكاله .

ونحن نتساءل هنا : هل هذا الشعر الذي يسمونه حديثاً حديث حقاً ، وهل ينتسب إلى الشعر العربي ؟ أم أن له أصولا أخرى غير عربية ؟ ونقول أنه إن كانت له جذور وأصول عربية لا بد وأن يأخذ مجراه الطبيعي في الحياة الحديثة ، أما إن كانت جذوره وأصوله غير عربية فلن يحل محل الشعر العربي القديم ، ولن يأخذ





أي مجرى في الحياة العربية الحديثة ، وكذلك بقية الفنون !

إنك ترى كثيراً من القول يأتي به أصحابه على شكل شعر ويسمونه شعراً حديثاً ، لكن الطبيعة العربية غير قادرة على تقبله ، نعم هناك شعر حديث يأتي به أصحابه ويكتبونه فتقرأه وتتجاوب معه وتحس بأصالته العربية ، أوزانه تتعدد ، وقوافيه تختلف ، وأنغامه مؤثرة في موسيقاها وإيقاعها ، وبعضه تراه ملتزماً بأوزانه وقوافيه وأنغامه ، تتجدد فيه المعاني ، وتسمو فيه الرؤى والأخيلة ، وتتجدد صوره ، وترق أساليبه . لا شك أن هذا شعر حديث بكل ما تحمله كلمة الحداثة من معنى ، إذن سيظل في مكانه وسيحطم الموجات الدخيلة التي تحاول النيل منه ، أو زحزحته من مكانه ، فماذا تريد منه الحياة ، ما دام التغير والتطور يجري في عروقه ، وفي دمه ، إنه يمدها بكل معنى حديث ، ويزودها بكل إبداع يدفعها إلى الأمام .

أما المقارنة التي ترى عقدها بين القديم والحديث فالمجال هنا يضيق ، ولا بد أن تكون المقارنة شاملة بين هذا وذاك ، لكن قَلِّبْ صفحات مجلاتنا وجرائدنا فسوف يهولك الأمر وترى الكثير الكثير من الشعر الهراء الذي يمكن أن يُضرب به المثل على الرداءة والسماجة والسقوط ، سواء كان على شكل الشعر الحديث أو على الشكل القديم .

الحداثة تدل على الجدة ، وتدل على الابتكار ، وتدل على الإبداع أيضاً ، وإذا خلت الحداثة من هذه المميزات انتفى منها معنى الحداثة .

هل الحداثة بافتعال الأشياء افتعالا ؟ وهل الحداثة الاتيان بكل غريب حتى ولو كان غير معقول ؟ وهل معنى الحداثة أن تأتي في العصر الحديث حتى ولو كان هذا الحديث لا يتمشى وطبيعة العصر ؟ وهل من معاني الحداثة هدم القديم وتقويضه حتى ولو كان صالحاً مفيداً ؟

إنها كارثة ما بعدها كارثة أن نعمل على هدم كل قديم وتقويضه ، إذن نظل من غير جذور ، ومن غير قاعدة نعتمد عليها ونتكئ ! ! وكيف يسير الإنسان في عيشه من غير قاعدة ؟ وهل يستطيع الإنسان حقاً أن يخط مستقبل سيره من دون جذور قديمة وتجارب من الأحداث التي تمر به ؟

الحداثة لا بد أن تكون في فكر الشاعر وفي قلبه وفي عقله أيضاً وبالتالي لا بد أن تنعكس على إنتاجه . **كيف تريد حداثة من فكر متحجر متخلف ؟ وكيف تريد حداثة عربية من فكر يفتقد الأصالة العربية ؟** وكيف تنتظر حداثة من فكر يمج شعراً لا ينتمي إلى جذور عربية ؟ وكيف تريد حداثة من فكر لا يعرف إلا التقليد والمحاكاة ؟ يقول الشاعر :

وَمُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا
مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ

لا بد أن تأخذ الأيام طبيعتها ، تمج الطالح ، وتتقبل الصالح فتأخذ منه . تلفظ الميت ، وتتقبل الحي ، وهكذا الحياة .

لكن كيف بالقديم المتجدد أو ما هو القديم المتجدد ؟ وهل هناك قديم متجدد ؟ أم أنها بدعة نبتدعها ؟ إنها على كل حال ليست بدعة نبتدعها ، **فالقديم المتجدد نتاج عقل وفكر إنساني ناضج ، ونضوج الأفكار تكون في القديم وتكون في الحديث على حد سواء .** فالإنسان أو المفكر الواسع الخيال ، الثاقب النظر ، المتفتح البصيرة ، الواسع العقل ، موهبة ، وهذا الإنسان الموهبة جاء في القديم كما جاء ويجيء في الحديث ، ولا بد أن يكون نتاجه مبدعاً ، **وقد تجد موهبة إنسانية فذة أتت في العصور القديمة استطاعت أن تنفذ بعقلها وببصيرتها وتخترق عصوراً كثيرة ، وتكتشف بذكائها أموراً لم تصل إليها العقول في العصور الحديثة .**

هل نترك القديم على علاته ونأخذ بالحديث على علاته أيضاً ؟ أم نختار المُضيء المتجدد من القديم ونترك الفاسد المتقادم من الحديث ؟ وهل اختيارنا للمضيء المتجدد من القديم ازدراء بالحديث الجيد ؟ وهل تركنا للفاسد المتقادم من الحديث تهالك على القديم ؟

لا هذا ولا ذاك ، **والذين يرسلون القول قدحاً أو مدحاً في القديم على علاته ، دون تمحيص واختيار ، كالذين يرسلون القول مدحاً أو قدحاً في الحديث على علاته دون غربلة وانتقاء .** كلهم على ضلال ، وجلّهم إن لم يكن كلهم ، هواة جدل ونقاش ، والنقاش والجدل اللذان لا يقومان على أساس المنطق والبحث عن الحقيقة لا يؤديان إلى نتيجة منطقية . فهل وجدتَ في مُخُوركَ في أنهار صحفنا ومجلاتنا الكثيرة المتعددة من يجادل إلا حباً في المجادلة لا حباً في معرفة الحقيقة ، ومن يناقش إلا رغبة في النقاش لا رغبة في الوصول إلى المعرفة ؟

هذا يزدري بالحديث ويشيح عنه وجهه ، وذاك يبطش بالقديم ويحاول إلغاءه . فهل الحال التي أوصلتنا إلى هذا الانحدار نتيجة هذا العبث ، والتخبط في تفكيرنا ، بل الخبط واللّبط في مياهٍ تزيدها كدراً على كدر ، ولا نعرف كيف الخروج من هذه المياه الكدرة التي تكاد أن تُخمد أنفاسنا وتُزهق أرواحنا » .

«إن اللغة العربية ، والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس لها بنظرة جديدة إلى العالم» .

هنري لوسل

جريدة «لوموند» الفرنسية



العقاد .. وعبقرية اللغة العربية

بقلم : جلال العشري

في ذكرى صاحب العبقريات ، الذي كتب عن عبقرية محمد الرسول الكريم ﷺ وعبقرية إبراهيم أبي الأنبياء ، وعن عبقرية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من الخلفاء ، وعن عبقرية خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من القواد ، وعن عبقرية ابن سينا وابن رشد من الفلاسفة وعن عبقرية ابن الرومي وأبي نواس وأبي العلاء المعري من الشعراء ، وعن عبقرية محمد عبده ومحمد علي جناح من المصلحين في الإسلام .

في ذكرى العقاد صاحب هذه العبقريات ، الذي كتب عن « اللغة العربية » باعتبارها اللغة التي تكلم بها هؤلاء جميعاً ، واللغة التي تكاد تنفرد بمزاياها الخاصة في الفن والتعبير ، عن سائر لغات العالم ، واللغة التي هي أصلح ما تكون للعلم والحضارة ، للأدب والفن ، للصحافة والإعلام . اللغة التي هي حقاً **اللغة الشاعرة** ، لا لأنها لغة شعر وحسب يكثر فيها الشعر والشعراء ، ولا لأنها لغة

شعرية وكفى تنفرد بفن العروض المحكم أو بجمال وقعها في الأسماع ، وإنما هي لغة شاعرة تصنع مادة الشعر وتماثله في قوامه وبنيانه ، إذا كان قوامها الوزن والحركة ، وليس لفن العروض ولا للفن الموسيقي كله قوام غيرها ، ثم هي بعد هذا كله ، وقبل هذا كله لغة القرآن الكريم .

أقول إنه في ذكرى صاحب « اللغة الشاعرة » الذي أولى هذه اللغة كل عناية واهتمام ، ودافع عنها في كتبه وكتاباته دفاعه عن الإسلام وعن عباقرة الإسلام ، حتى أن جملة ما كتبه عنها يمكن أن يشمله كتاب جامع يطلق عليه « **عبقرية اللغة العربية** » جرياً على عادة العقاد في اطلاق الأسماء ، وهو اسم يجيء حقاً وفقاً لمسماه ، يحلو لنا في هذه الذكرى أن نتناول هذا الجانب من جوانب الفكر العقادي . فنلقي عليه مزيداً من الأضواء ، نتحرى بها إبراز المزايا العلمية لهذه اللغة الشاعرة في هذا الوقت بالذات ، لأن الحاجة إلى إبراز هذه المزايا كما يقول العقاد ، تمس غاية المساس في زمن تعرضت فيه هذه اللغة وحدها ، بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها ، لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية ، لا لأنها لغة كلام وكفى !

ولقد اتضح هذا الهدف جلياً منذ أواخر القرن الماضي وطوالع هذا القرن، وذلك في حملات «**التغريب**» التي شنها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وإفريقيا، مصوباً سهامه إلى صدر التراث العربي الإسلامي بوجه عام، وإلى قلب اللغة العربية بوجه أخص.

ولكن قادة الفكر في الأمة العربية سرعان ما تنبهوا لهذه الحملات، وأدركوا الهدف من ورائها، فانبروا لتفنيد دعاوى المبشرين والمستشرقين ودعاة «التغريب» تفنيداً يبتعد عن العاطفة والانفعال بمقدار ما يقترب من الفكر العلمي والعقل المنطقي، فها هو **السيد جمال الدين الأفغاني** يتصدى للرد على دعاوى «**ارنست رينان**» كما يتصدى **الإمام محمد عبده** لتفنيد مزاعم «**جبريل هانوتو**» ويتصدى **قاسم أمين** لدحض أقاويل «**الدوق داركور**» ويتصدى **مصطفى عبد الرازق** لمناقشة آراء «**تنمان**» و«**لامانس**»، و«**جوتييه**». فهؤلاء جميعاً أدركوا أن هدم اللغة العربية يحمل في طياته تقويضاً لمفاهيم الإسلام، لأن العربية هي لغة القرآن، كما يحمل في طياته كذلك تقويضاً للتراث العربي، لأن العربية هي لغة التراث، ويحمل في طياته أخيراً تقويضاً للقوام العربي، لأن العربي لا قوام له يميزه عن سائر الأقوام غير لغته العربية.

أصل الأصول

فثمة طائفة من الأصول التقليدية، اقتضى ثباتها ثبات هذا القوام العربي على مرّ العصور وتتابع الأجيال وكانت اللغة العربية أو بالأحرى اللغة المعربة الفصحى هي القاسم المشترك الأعظم بين هذه الأصول، فالإنسان العربي له طابعه البدوي القديم الذي لم يخلص منه أبداً، ومن يتخلص منه أبد الدهر، مهما حاول البعض تحويله عن هذا الطابع، واللغة العربية لها أثرها وتأثيرها في ثبات هذا الأصل من أصوله التقليدية، والأدب العربي يحتفظ بأصل من أصوله التقليدية الذي لم يستطع أحد أن ينحرف عنه، مهما كان من أصحاب التكلف أو التصنع أو البديع، ألا وهو عمود الشعر، الذي مهما حاول الشعراء أن يجددوا فيه، فقد ظلوا دائماً محتفظين بفصاحة اللغة وجزالتها، وبرونق الأسلوب ورصانته، لأن اللغة المعربة الفصحى هنا، ليست مجرد أداة للتوصيل أو التبليغ، ولكنها نماء للقلوب والعقول والأرواح.

وليس **الشعر** وحده باعتباره أحد جناحي الأدب العربي، بل **النثر** كذلك، فالنثر العربي لا يهمل الأسماع وإنما يعنى بها أشد العناية، فهو أدب منطوق مسموع قبل أن يكون أدباً مكتوباً مقروءً، وهو من أجل هذا حريص على أن يلذ اللسان حين ينطق به، ويلذ الأذن حين تسمع له، ويلذ الوجدان حين يصغي إليه.

ثم بعد هذا كله أو قبل هذا كله، يجيء القرآن الكريم، الذي نزله الله قرآناً عربياً، ليكون آية الآيات في الإعجاز اللغوي والإعجاز البلاغي، فيقتضي ثبات هذه الأصول، ويقتضي المحافظة التي امتاز بها الجيل العربي بين الأجيال.

وليس أدل على ذلك كما **يقول الدكتور طه حسين** من «**أن العرب في جميع عصورهم لم يعنوا بشيء قط عنايتهم بفصاحة اللفظ وجزالته، ورقيق الأسلوب ورصانته، وقد جعلوا الإعراب واصطفاء اللفظ والملاءمة بين الكلمة والكلمة في الجرس الذي ييسر على اللسان نطقه، ويزين في الأذن وقعه، أساساً لكل هذه الخصال**».

فإذا أضفنا إلى هذا جميعه، ما للغة العربية من أثر في تكوين عقلية الإنسان العربي، وتدبير تفكيره، وتصريف أفعاله، وهداية سلوكه، يفوق كل أثر سواه، فضلاً عن المشاركة الروحية العميقة.. مشاركة العقيدة، ومشاركة التراث، ومشاركة التاريخ، ومشاركة الحضارة، التي تقوم في صميمها على الوعي النابع من تلك اللغة، أدركنا على الفور عظم الإحساس بالمسؤولية التي أحس بها العقاد، فراح يدافع عن لغتنا العربية كل هذا الدفاع، ويوليها من اهتمامه كل هذا القدر فهو يقول:

«إن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد الاحتمال، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة».

وتفسير ذلك عند العقاد أن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان..

لغة وعي ولغة شهادة

وليست اللغة وسيلة تعبير وكفى كما قد يظن، بل هي فوق ذلك عند أصحابها وسيلة تفكير، فقوالب التفكير عند من كانت لغته هي العربية، غير قوالب التفكير عند من كانت لغته هي الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرهما، ومن هنا استحالت الترجمة الكاملة من لغة إلى لغة أخرى إلا على وجه التقريب، وكان من باب أولى **استحالة ترجمة القرآن الكريم إلى أي لغة أجنبية**، لأن محاولة القيام بترجمة القرآن إما أن تكون صادرة عن سوء فهم أو عن سوء نيّة أو عن الاثنين معاً، لأن هذه المحاولة لا يمكن أن تستهدف إلا تقويض مبادئ الإسلام.

فلماذا تشترط اللغات الأوروبية، كما يتساءل **الدكتور زكي نجيب محمود**، أن يكون في كل جملة «فعل» ولا تشترط العربية ذلك؟ لماذا تضع اللغات الأوروبية قواعد دقيقة لتحديد لحظات الزمن، مفرقة بين اللحظة الحاضرة، والماضي، وماضي الماضي، وكذلك المستقبل، ومستقبل المستقبل، ولا تعنى العربية بذلك التحديد، تاركة الأمر لكل متكلم وطريقته في البيان؟ لماذا تجعل اللغات الأوروبية الفاعل قبل الفعل، على حين تفضل العربية أن يكون الفعل قبل الفاعل؟ لماذا تضع بعض اللغات الأوروبية الصفة قبل الموصوف فتقول ما ترتيبه «بيضاء ورقة» وتضع العربية الموصوف قبل الصفة فتقول «ورقة بيضاء»؟ وهكذا وهكذا وهكذا من الفروق التي قد يكون لها أول ولكن ليس لها آخر، وهي ليست بالفروق السطحية غير ذات الأثر في تشكيل طريقة التفكير، بل هي في صميم الصميم من عملية التفكير.

وما ينطبق على اختلاف اللغات من حيث عمق التأثير في تكوين وجهة النظر وطريقة التناول، ينطبق بالتالي على اختلاف الفروق واختلاف القيم واختلاف المثل العليا، مما يتبدى في الفنون والآداب والسلوك الاجتماعي وفي أسلوب العيش بوجه عام، فاللغة كما يقول **الفيلسوف الألماني فشته**، تلازم الفرد في حياته، وتمتد إلى أعماق كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته، وتجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراصاً خاضعاً لقوانين، لأنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

وثمة ميزتان تتميز بهما اللغة العربية وتعدان من أهم مزاياها العديدة إذا ما قورنت بغيرها من اللغات، إحداهما أنها لغة تاريخية إن لم تكن أقدم اللغات، والأخرى أنها لغة روحية، لا لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكفى، ولكن لأنها اللغة التي يغلب على خصائصها الطابع الروحي أو طابع المثالية بوجه عام.

أما ان العربية أقدم اللغات وأم جميع اللغات، فهذا ما يؤكده العقاد من خلال بحثه في الثقافة العربية، وكيف أنها **أسبق من ثقافة اليونان وثقافة العبريين**، فقد وجد العرب في ديارهم قبل أن يعرفوا باسم العرب بين جيرانهم،

وكانت لهم لغة عربية يتكلمونها وتمضي على سنة التطور عصراً بعد عصر ، إلى أن تبلغ الطور الذي عرفناه منذ أيام **الدعوة الإسلامية** . وقد مضى على العرب أكثر من ألفي سنة وهم معروفون بهذا الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم ويطلقه عليهم غيرهم ، ولا خلاف في علاقة العرب الأقدمين بالجزيرة العربية ، ولا في قدم العمران بهذه الجزيرة .

ولا خلاف كذلك على قدم اللسان العربي فيها ، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون ، ولم يعرف لهم لسان قبله في أصوله وخصائصه التي تميز بها بين اللغات العالمية .

وانطلاقاً من هاتين المقدمتين التاريخيتين ، يخلص العقاد إلى النتيجة القائلة بأن **الأبجدية العربية أسبق الأبجديات** ، وأن الاقتناع بهذه الحقيقة التاريخية لا يحتاج إلى أكثر من الاطلاع على الأبجدية اليونانية ، وعلى السفرين الأولين من التوراة ، وهما **سفر التكوين وسفر الخروج** ، فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف وأشكالها ، منسوبة عندهم إلى **قدموس الفينيقي** ، وهو في كتاب مؤرخهم الأكبر « **هيرودوت** » أول من علمهم الصناعات .

أما سفر التكوين وسفر الخروج فهما صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكل من **إبراهيم وموسى عليهما السلام** ، فإبراهيم تعلم من **ملكي صادق** ، وموسى تعلم من **يثرون إمام مدين** ، وشاعت في السفرين رسالة « الآباء » قبل أن يعرفوا باسم الأنبياء ، لأن العبرانيين عرفوا كلمة « النبي » بعد وصولهم إلى أرض كنعان ، واتصالهم بأئمة العرب بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز .

أم جميع اللغات

اللغة العربية إذن أقدم اللغات ، وهي أيضاً أم جميع اللغات ، ولا يصل العقاد إلى هذه النتيجة من خلال المقابلة بين **اللغات السنسكريتية والجرمانية والعربية** ، كما يفعل بعض علماء المقارنات اللغوية من أبناء الهند المسلمين ، أولئك الذين يعتمدون على معرفتهم بلغات الهند ومعرفتهم باللغة العربية وبعض اللغات الأوروبية ، لتصحيح أخطاء اللغويين الأوروبيين عند المقابلة بين الكلمات ، يصيبون كثيراً في التنبيه إلى تلك الأخطاء وإثباتها بدلائل المعاني والألفاظ ، ولكنهم ينساقون إلى مثل هذه الأخطاء عند المقابلة بين جذور الألفاظ العربية والأجنبية .

ولكن العقاد إنما يصل إلى هذه النتيجة من خلال دراسته الأنثربولوجية أو دراسته في تاريخ علم الإنسان ، فهو يرجح القول بأن **اللغة الفينيقية عرفت في جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة ، ويعقب بهذا الكلام على وصف العلماء الأوروبيين لهذه الشعوب بالسامية ، فيؤثر تغليب كلمة العربية على كلمة الفينيقية أو كلمة السامية** ، وحجته في ذلك أن الفينيقيين كانوا يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب ، قبل انتقالهم إلى **صور** وغيرها من المدن على **شواطئ فلسطين** ، وأن الحروف المنسوبة إليهم كانت حروفاً عربية ، ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية في العراق أو فلسطين .

وإذا كانت هناك علاقة قديمة بين الحضارة العربية وجزيرة كريت ، فقد وجدت مثل هذه العلاقة بين الحضارة العربية وبين اليونان ، وذلك منذ عصر الملك « قدموس » الذي يقارب في حساب التاريخ وحساب الأساطير لعصر الأميرة « أوروبا » والملك منيوس ، وبالنسبة إلى قدم العلاقة العربية الكريتية !

وحجة العقاد في إثبات ذلك أن الأبجدية اليونانية الباقية إلى وقتنا الحاضر ، تدل دلالة قاطعة على تاريخ هذه العلاقة ، فهذه الأبجدية التي يكتبها اليونانيون في عصرنا هذا ، موافقة بترتيبها حرفاً حرفاً لترتيب الأبجدية العربية ، ولا يختلف هذا الترتيب مرة ، إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التي تقاربه في نطق الأوروبيين ، لأن الأوروبيين لا ينطقون حروف الحلق على الاطلاق .

ويدلل العقاد على هذا الرأي بقوله إن الأبجدية اليونانية تبتدئ بحروف (ألفا وبيتا وجما ودلتا) وهي حروف الألف والباء والجيم والدال في « أبجد » على هذا الترتيب ، ثم تتقابل حروف « هوز » بما يقاربها مع اختلاف نطق الهاء ، ونطق الواو حين تكون حركة مد عندهم وحرفاً منطوقاً عندنا في بعض الأحيان ، ثم تأتي « كلمن » متتابعة كما هي عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمد ، وهم ينطقونها (كافاً ولاماً ومى ون) ويتبعونها ببقية حروفنا على النحو السابق .

على أنه إذا كان بعض المؤرخين الأوروبيين يتضايقون من نسبة كل ثقافة أوروبية إلى أصل من أصولها العربية ، وإذا كانوا يدركون هذا الشبه بين الأبجدية العربية والأبجدية اليونانية ، وإذا كانوا بعد هذا وذاك يتساءلون : ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوروبي قديم ؟ فإن العقاد سرعان ما ينبري للرد على هذا التساؤل بقوله :

« إن أسماء الحروف العربية عرفت بمعانيها وأشكالها ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوروبيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيام ، كالباء من البيت ، والجيم من الجمل ، والعين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النوق أو الحوت . . .

وإذا كنا ههنا قد انتهينا إلى « بيت القصيد » كما يقول العقاد ، من تحقيق القول بقدم اللغة العربية ، على اعتبار أن قدم اللغة عراقة تحسب لها كما تحسب لكل كائن حي عريق ، مصداقاً لقول المستشرق الفرنسي المنصف **لوي ماسينيون** « اللغة العربية لغة وعي ، ولغة شهادة ، وينبغي انقاذها سليمة بأي ثمن ، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلة ، **واللغة العربية بوجه خاص هي شهادة دولية يرجع تاريخها إلى ثلاثة عشر قرناً من الزمان** » .

وإذا كنا قد أشرنا إلى الطابع الروحي الذي يغلب على خصائص هذه اللغة أو الطابع المثالي بوجه عام ، ففي وسعنا أن نقول عن هذا الطابع ، ما قاله **الدكتور عثمان أمين** في كتابه عن « **فلسفة اللغة العربية** » من أن أول السمات التي تتميز بها لغة القرآن ، هي أنها تنحو نحواً من المثالية لا نظير له في أي لغة من اللغات الحية المعروفة ، ففلسفة اللغة العربية تفترض لأول وهلة مثالية عميقة صريحة ، تحسب حساب « الفكرة » و« الخاطر » و« المثال » وتضعها في مكان الصدارة والاعتبار » .

وفي حين تبدو اللغات الهندو ــ أوروبية وكأنما جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي ، نجد اللغة العربية وكأنما هي لغة التأمل الداخلي ، تأمل الفكر والروح ، أو وكأنما هي مجعولة كما يقول الدكتور عثمان أمين لكي يتذوق أصحابها مقصداً من المقاصد الإلهية . بمعنى أنها في الوقت الذي تصرف فيه النظر عن المتغير والزائل ، ترنو إلى المطلق والأبدي ، وبالتالي فهي تفتح لمن يتذوقها آفاق الرؤية المثالية أو الروحية ، وهذا ما عبَّر عنه **المستشرق الفرنسي هنري لوسل** بقوله في جريدة « **لوموند** » **الفرنسية** : « اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس لها بنظرة جديدة إلى العالم » .

حضارة الحرف وحضارة الكلمة

وقبل أن نتطرق إلى آفاق الرؤية التي تفتحها اللغة العربية ، والتي وجدها العقاد في مزايا الفن والتعبير في هذه اللغة ، وفي المقابلة بين فن العروض العربي وأمثاله في فنون اللغات الأخرى ، وفي فلسفة الحياة كما تصورها لنا المأثورات الشعرية من عهد الجاهلية إلى ما بعد الإسلام ، وفي السيمية أو المبحث الذي يعنى بمدى دلالة اللفظ على المعنى ، يجدر بنا أن نقف عند حروف اللغة العربية ، لنتعرف على الخلفية الحضارية التي صدرت عنها هذه الحروف ، وكيف أنها كما يقول العقاد « أصلح الحروف لكتابة اللغات » .

فعند العقاد أن الأمم التي تعتمد على الحروف العربية في كتابتها ، أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية تعتمد في الكتابة على الحروف الأبجدية ، ما عدا مجموعة

واحدة ، وهي مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها على الحروف اللاتينية . وذلك لأن الحروف العربية تستخدم لكتابة اللغة العربية ، واللغة الفارسية ، واللغة الأوردية ، واللغة التركية ، واللغة الملاوية ، وبعض اللغات التي تتصل بها في الجزر المتفرقة بين القارات الثلاث : إفريقيا وآسيا وأستراليا .

وبعد أن يضع العقاد ما يشبه المقدمة الكبرى في **المنطق الأرسطي** ، إذ يقول : « إذا كانت نسبة الكاتبين بين هذه الأمم أقل في هذا العصر من نسبة الكاتبين بين أبناء الأمم التي تعتمد على الحروف اللاتينية » .

يضع ما يشبه المقدمة الصغرى في هذا المنطق ، فيقول : « وكان الأمر في صلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها ، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدى ألفاظها وأصواتها » .

ثم يخلص من هاتين المقدمتين إلى هذه النتيجة التي يقول فيها : « **وعلى هذا الاعتبار تكون الحروف العربية أصلح من الحروف اللاتينية أضعافاً مضاعفة لكتابة الألفاظ والأصوات ، لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة** » .

على أن الذي يعني العقاد في قضية اللغة العربية هو جانب التمام والنضج ، بعد طول النمو والتطور ، فلا بد من أجيال طويلة تمضي قبل أن ينتهي تطور اللغة إلى هذه التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب ، أو بين صيغ المشتقات ، أو بين أوزان الجمع والمثنى وجموع الكثرة والقلة في الأوزان السماعية ، ولا بد من فترة طويلة يتم بها تكوين حروف الجر والعطف وسائر الحروف التي تدخل في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها ، وهي في بعض اللغات لم تنفصل عنها حتى اليوم .

ويمضي العقاد في تفصيل هذا الحكم العام ، والتدليل عليه ، فيضرب لنا أكثر من مثال من قواعد اللغات السامية ، التي لم تنضج في تطورها كما نضجت اللغة العربية ، ولم تبلغ من درجات الكمال ما بلغته هذه اللغة ، ففي اللغات السامية إعراب ، ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ « القانون » الذي تعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء .

وفي اللغات السامية اشتقاق ، ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات ، سامية كانت أو آرية أو طورانية ، لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغتنا العربية « **فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ، ولا مخرج ملتبس بين حرفين** » .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ، ولكنها كما يقول العقاد واقفان فوق المنبت جذوراً كالخشب الذي لا يقبل النمو بعد ما وصل إليه ، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه ، كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، في كل عضو من أعضائها .

ولا ينبغي أن يؤخذ هذا الكلام على أنه مجرد شعور قومي نبيل ، يصدر عن كاتب يقدر مسؤوليته نحو أمته ، ويدفعه إلى ذلك الشعور بالأنانية القومية ، فالعقاد إلى جانب هذا وذاك ، إنما يقدر مسؤوليته نحو الحقيقة العلمية بوجه عام ، ولا يدع الشعور القومي ينأى به عن المنهج المحايد السليم .

السيمية أو السيما العربية

وصحيح أن اللغة عند العرب الأولين كانت هي عزهم ، وكانت هي مجدهم ، وكانت هي ثقافتهم ، وكانت هي فنهم ، وكانت هي علامة إعجازهم ، وخاصة إذا ارتفعت إلى مستوى الشعر ، وصحيح أن « الكلمة » عندهم كانت هي التي ترفع عارفها إلى مكان الصدارة ، وتخفض جاهلها إلى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع ، بحيث كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته ألا يكون موهوباً بالنطق الجميل ، كما كان يكفي لإقبال الدنيا كلها على رجل أن يوهب القدرة على صياغة الكلام .

وليس أدل على هذا كله من **أبي العلاء المعري** الذي صور الجنة وصور الجحيم في « **رسالة الغفران** » فلم يكن في جنته ولا في جحيمه إلا الشعراء أو من كانت صناعتهم الكلمة ، كذلك فعل **ابن شهيد الأندلسي** ، فعندما صور « **في التوابع والزوابع** » وادي الجن ، لم يعمره إلا بالشعراء والكتّاب . ولا يمكننا أن ننسى في هذا المقام قولة **الخليفة عمر بن عبد العزيز** : « إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها . فيلحق ، فأرده عنها ، وكأني أقضم حب الرمان الحامض ، لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب ، فأجيبه إليها ، التذاذاً لما أسمع من كلامه » .

صحيح هذا كله ، ولكن الذي لا يمكننا أن نوافق على صحته ، هو القول بأن لغتنا العربية أشبه شيء بنسيج العنكبوت الذي يثير العجب لدقة الصنعة وبراعة الصانع ، دون أن يكون فيه نفع أو فائدة ، أو أشبه شيء ــ بالدانتيلا ــ الذي يكفينا فيه جمال زخرفه وجودة خرومه وحسن وشيّه وتطريزه ، بحيث نضعه على المناضد ننظر إليه وكفى ، دون أن يؤدي في حياتنا شيئاً ، فما يقوله الدكتور زكي نجيب محمود من أن الثقافة العربية لم يكن يعنيها أن تكون للصيغة الكلامية دلالة في دنيا الطبيعة وعالم الكائنات ، وأن الصيغ اللغوية إنما تفعل فعلها كله ما دامت حسنة التركيب جميلة الجرس ، ولا على صاحبها ولا على قارئها بعد ذلك أن يهتدى بها في تجارة أو صناعة ، أو سفر أو قتال أو في أي شأن من شؤون العيش . وهو ما عبَّر عنه صراحة بقوله : « اللغة في تراثنا أقرب إلى الأشكال الهندسية ، تكفي نفسها بنفسها ، منها إلى مسائل الجبر والحساب ، يوصل فيها إلى حلول . ماذا تبغي من زخرف هندسي ركبت فيه مثلثات ودوائر إلا أن تنظر إليه وتنعم النظر ؟ لكنك لا تكتفي بمجرد النظر إلى رموز الجبر وأرقام الحساب ، بل تسارع إلى السؤال حيالها : ماذا يراد بها ؟ ووقفتك من الزخارف الهندسية هي وقفة المثقف العربي من بناءات الكلام » .

أقول إن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدق على لغتنا العربية ، التي لم تبلغ هذه الدرجة من النضج والكمال إلا بعد أن تمرست بشؤون العيش ومتطلبات الحياة ، وكانت لها من « الوظيفية » ما جعلها أشبه بالكائن الحي الذي يتفاعل مع واقع المجتمع والبيئة ، يؤثر فيه بمقدار ما يتأثر به ، وربما كان بحث العقاد في « السيمية » وهو المبحث اللغوي الجديد الذي يقوم على العلاقة بين حروف الكلمة ودلالتها . وهل تدل حروف الكلمة بلفظها على شيء من معناها ؟ خير ما يرد به على مثل هذا الكلام .

ويستهل العقاد كلامه عن « السيمية » بأنه إذا كان الغربيون قد أخذوا هذه التسمية من كلمة « سيما » اليونانية بمعنى الرمز أو العلامة أو الإشارة ، فثمة تقارب في اللفظ والمعنى بين كلمة سيما اليونانية وكلمة سيما العربية ، بحيث لا يمكن القول بأن الكلمة العربية مستعارة من الكلمة اليونانية ، والدليل على ذلك هو أن مادة هذه الكلمة متشعبة في لغتنا العربية ، ففيها كلمات الوسم والوشم والسمة التي تفيد معنى العلامة والدلالة والأثر .

وإذا لم تكن كل كلمة في لغتنا العربية قد لوحظت فيها الحكاية الصوتية ، ودلالة اللفظ على شيء من المعنى ، فما أكثر هذه الكلمات في هذه اللغة ، مثال ذلك اسم السيف واسم القلم ، فاسم السيف ملحوظ فيه عمل السيف وهو القطع ، والقلم ملحوظ فيه التقليم .

على أنه إذا كان علماء السيمية يفرقون دائماً بين اللغة والكلام ، على أساس أن اللفظة في اللغة ليست مساوية للفظة نفسها في الكلام ، وإنما اللغة والكلام بينهما من الفروق كما بين المادة الخام والمادة المصنوعة ، وإذا كانوا يؤكدون على الحقيقة القائلة بأن شيئاً يسمى اللغة لم يوجد بمعزل عن الكلام كما وجدت الحجارة بمعزل عن البيوت وصناعة البناء ، فإن العقاد يضيف إلى هذا القول قوله بأن اللفظة في الكلام عضو في بنية حية ، وأن اللغة قد تكون صوراً أو رموزاً إلى الأشياء ، فإذا أصبحت

كلاماً كانت وسيلة إلى غاية يريدها المتكلم .

ويستشهد العقاد برأي **العالمين اللغويين أوجدن ورتشاردز** صاحبا الكتاب الشهير «**معنى المعنى**» الذي افتتحا فصله الأول بكلمة مقتبسة من «**الحكيم الصيني**» **لاوتس**، يقول فيها : «**من يعلم لا يتكلم ، ومن يتكلم لا يعلم**» ، وهي كلمة بعيدة المدى في دلالتها على أن الكلام إنما يصبح عبثاً ضائعاً إذا بلغ العلم غايته .

ويختم العقاد كلامه عن «السيمية» بضرورة التفرقة بين ما هو خصائص العقل البشري وما هو من عوارض اللغة ، فليس من المجدي على حد تعبيره ، أن نحاول تغيير الدماغ في تكوينه لكي نصل من ذلك إلى تغيير اللغة ، وإنما المستطاع أن نجعل اللغة موافقة لتكوين المعقول ، وما فطرت عليه من أساليبها في تحصيل المدركات .

لغتنا ومزاياها في الفن والتعبير

ولقد وسع القعاد من دائرة دفاعه عن اللغة ، ليتخذ منها أدلة ساطعة على أنها ليست لغة شعر فحسب ، بل هي لغة شاعرة ، قوام تركيبها الوزن والحركة ، وكأن نظام القصيدة صورة من أدائها الموسيقي ، وعلى ذلك ، فإذا كانت اللغة العربية قد وصفت قديماً وحديثاً بأنها لغة شعرية ، فهو وصف يراد به عدة معان مختلفة ، منها أنها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء ، ومنها أنها لغة موسيقية تستريح الأذن إلى ألفاظها كما تستريح إلى النظم المرتل ، ومنها أنها لغة شاعرة تصنع مادة الشعر وتشاكله في قوامه وبنيانه ، إذ يعتمد قوامها جميعاً على الوزن والحركة ، وكأنها في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات .

ويمضي العقاد في إثبات هذه الظاهرة بادئاً بحروفها ، دارساً لها دراسة ينتهي منها إلى أن اللغة العربية تستخدم جهاز النطق الحي أفضل استخدام يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي ، إذ انتفعت في حروفها بجميع المخارج الصوتية .

وينتقل إلى حركات الإعراب في اللغة العربية ، فيقف على أواخر الألفاظ ، وكيف أنها تعين موقع اللفظ في العبارة وتتم دلالته ، ويتحدث عن العروض قائلاً إنه لم يوجد فناً كاملاً مستقلاً في لغة سوى اللغة العربية ، التي تلاحظ الوزن والقافية وأقسام التفاعيل في جميع البحور والأبيات ، فضلاً عن أن هذه اللغة لم تستمد أوزانها من فنون الغناء والآلات الموسيقية ، وإنما استمدتها من صميم تكوينها ، وهذا هو سر مرونتها واتساعها لجميع الأغراض من غنائية وقصصية وتمثيلية ، وجميع الأشكال من أسماط ورباعيات ومزدوجات وموشحات .

بل لقد بلغ من عذوبة لغتنا العربية فيما يقول العقاد أن دارت على ألسنة العامة في أفراحهم ومراثيهم الشعبية ، وأن نظمت لهم بها **الملاحم الهلالية وملاحم الزير سالم** ، كما نقل بها **سليمان البستاني** إلياذة هوميروس إلى الفصحى ، وكذلك نقلت بها **رباعيات الخيام ، ومسرحيات شكسبير** ، وغير ذلك من روائع الأعمال الأدبية .

ويشيد العقاد بتلاقي الحقيقة والمجاز ، أو المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي في كثير من كلمات اللغة العربية ، ملاحظاً أن المستشرقين لا يستطيعون أن يتذوقوا هذه اللغة تذوقاً سليماً ، كما يشيد بفصاحة نطقها وأنها بلغت غاية ما بلغه الإنسان المعبِّر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف ، وليس أدل على ذلك من أن كلماتها تحمل صفات أهلها العرب وصفات أوطانهم العربية .

ويقف العقاد ليصحح خطأ شاع بين اللغويين الغربيين ، وهو نقص اللغة العربية في دلالة أفعالها على الأزمنة ، وينوه بما يحمل الشعر العربي في مختلف عصوره من أنماط الحياة ومن القيم الأخلاقية ، ويحمل على المستشرقين مبيناً ضلالهم في نقد الشعر القديم لجهلهم باللغة العربية ، وذوقها الأدبي ، وحسها التاريخي .

ولا يلبث أن يرد على من فكر في اتخاذ الحروف اللاتينية في كتابة العربية بدلا من حروفها ، مصوراً ما في حروف خطها من كمال ومرونة يصعدان بها درجات فوق اللاتينية في إحكام كتابة الألفاظ والأصوات ، ويدلل على ذلك بأنها استخدمت لكتابة الفارسية والأوردية والتركية والملاوية ، دون أن تدخل عليها أي تعديلات في أشكالها .

ثم نراه بعد ذلك يشكك في وجوه التيسير التي يشتغل بها بعض دعاة التجديد سواء في الكتابة أو في النحو أو في العروض أو في التعريب ، مقارناً بين اللغة العربية واللغات الأوروبية ليصور مزايا لغتنا في التعبير والاشتقاق وتصاريف التراكيب .

ويناقش العقاد أصحاب **الشعر الحر** مناقشة مستفيضة ، بادئاً بالتأريخ لدعوة التعديل في أوزان الشعر العربي والاستغناء عن القافية ، فيردها إلى القرن الماضي حين بدأت حركة الترجمة من اللغات الأوروبية ، واطلع قراء العربية على ما لدى الأوروبيين من مسرحيات وملاحم لا شبيه لها في الفصحى ، حينئذ نشأت تلك الدعوة على أساس فكرة خاطئة متعجلة هي أن الاختلاف بين منظوماتهم ومنظوماتنا يرجع إلى اختلاف أوزان العروض ، وهو كما يقول العقاد إنما يرجع إلى اختلاف الأحوال النفسية والاجتماعية «إذ المألوف أن يتولد الشعر على حسب الحاجة إليه من دواعي التقاليد والعادات وأصول العبادة والعلاقات بين الناس ، وليس المألوف أن تنتظر الأمم حتى يتيسر لشعرائها النظم على الأوزان التي يستطيعونها ، ثم تبني شعائرها وعباداتها على تلك المنظومات» .

ويضرب العقاد لذلك مثلاً المسرحية الشعرية اليونانية ، وكيف كانت وليدة شعائر مقدسة لدى الإغريق لم تتهيأ لدى العرب القدامى ، كما يدلل على اتساع العروض العربي بأوزانه وقوافيه لنظم المسرحيات ، ولترجمة إلياذة هوميروس ورباعيات الخيام وغير ذلك من الشعر المسرحي وأشعار الملاحم .

ويقف العقاد في تجارب **الشعر المرسل عند ثلاثة من أعلام الأدب العربي الحديث ، هم : توفيق البكري ، وجميل صدقي الزهاوي ، وعبد الرحمن شكري** ، قائلاً إنه ثبت من هذه التجارب أن إلغاء القافية كل الإلغاء ، فضلاً عن أنه لا تدعو إليه حاجة ، إنما يفسد الشعر العربي .

وأخيراً يرد العقاد على من يزعمون أن الأدب العربي القديم ، أدب عتيق لا يصلح للبقاء ، لأنه كان أدباً شخصياً ولم يكن أدباً اجتماعياً يخدم الأمم ويمثل حياتها لها ، ولمن يقرأ تاريخها من بعدها . وعند العقاد أن مثل هذا الزعم ينطوي على خطورة وخطر ، لأنه إنما يؤدي إلى قطع الصلة بيننا وبين ماضينا في اللغة والأدب ، فنصبح كمن تجرد من ذاكرته ، «بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقبى ، لأن فاقد الذاكرة يبقى له قوام آدمي ينتفع به على حسب استعداده للنمو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب عندنا يشل ذلك الاستعداد ، ولا يبقي لنا قواماً» .

أجل .. تلك كانت دعوة العقاد ، ويا لها من دعوة ، لقد كان كما يقول **الدكتور شوقي ضيف** بحق ، في كتابه القيم «**مع العقاد**» ... «يدعو إلى الإقدام ، وإلى العزم الصادق ، وإلى المراد البعيد ، وما ينبغي أن يملأ قلوب مواطنيه من الأمل والثقة والإحساس بالكرامة ، وهو إحساس تعمقه حتى أصبح له عقيدة ، ومتى استطاع أن يبسط سلطانه على حياتنا الأدبية ، فإذا هو يرد على الأدباء كرامتهم ، وما ينبغي لهم من تجلة وتوقير وتقدير» .

أيها القارئ العربي

وبعد أيها القارئ العربي ، إن من واجبك إلى جانب غيرتك على لغتك ، ان تذكر أنك لا تطالب بحماية لسانك ولا مزيد على ذلك ، ولكنك مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات المنطق الإنساني ، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال .

وأن «بيت القصيد» هنا كما يقول العقاد «أعظم من القصيد كله» لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ، ولا يقف عند الفم واللسان ، وما ينطقان به في كلام منظوم أو منثور .





خط الطغراء

هناك « شارات » خطية ، استعملها بعض خلفاء المسلمين .. ومنهم سلاطين مصر **المماليك** ، وقد أطلقوا على هذه الشارات اسم « **الطغراء** » .. ويقال إن هذه الكلمة يرجع أصلها إلى « **التتر** » .. وكانت تقوم مقام الإمضاء في التوقيع في أحيان كثيرة .

وتروى في هذا الشأن حكاية (٧٩٢ ـ ٨٠٥هـ) ، تقول : أنه وقت أن توترت العلاقات بين **تيمورلنك** حفيد جنكيز خان .. وبين السلطان **بايزيد بن مراد** الأول العثماني ، أرسل تيمورلنك انذاراً إلى السلطان ، مهدداً إياه بإعلان الحرب .. ثم جاء توقيعه ببصمة كفه وهي مغموسة بالدم ، على الإعلان ... وقد انتهت هذه المكاتبة إلى اشعال معركة أنقرة التي هزم فيها السلطان بايزيد .. وفي ذلك الوقت وما بعده ، اتخذت بصمة تيمورلنك لكتابة الطغراءات .. وذلك بالشكل البدائي الذي كتبه العثمانيون .

وقد تم كشف بعض النماذج الشبيهة بالطغراءات ، منها ما كان يستعمل في المكاتبات الهامة باسم **السلطان المملوكي الناصر حسن بن السلطان الملك محمد قلاوون (٧٥٢هـ)** .

وقد جعل « الطغراء » الخطاطين يميلون إلى الخروج على قواعد الخط المألوفة والسليمة .. ومن هذا التصرف في القاعدة الخطية والمجهود التطويري الذي كتبه الخطاطون ، أطلق عليه اسم خط « الطغراء » .

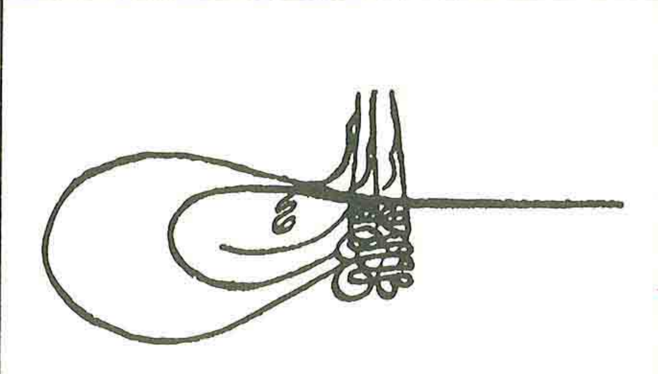
وهناك احتمال بأن هذا الخط قد نشأ من المزاوجة بين خط الإجازة .. والخط الديواني .

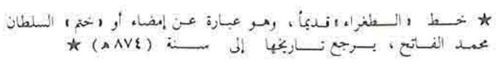
وقد تطورت أشكال خط « الطغراء » مع مرور الأيام .. وكان ذلك على أيدي خطاطي الدولة العثمانية ، وظلت باقية إلى آخر أيام استبدال الخط العربي في العهد الجمهوري التركي الجديد .

★ إحدى « الطغراوات » المملوكية ، التي كانت تعلق في المكاتب ، وهي عبارة عن رمز السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ★









★ خط «السطغراء» قديماً، وهو عبارة عن إمضاء أو «ختم» السلطان محمد الفاتح، يرجع تاريخها إلى سنة (٨٧٤ هـ) ★

★ خط الطغراء على هيئة توقيع «ختم» للأمير سليمان القانوني في فترة إمارته من إحدى الوثائق التاريخية العسكرية، ـ مقتنيات متحف طوب قبو ـ ★ ⬆

★ شكل يوضح الخط، عندما يدخل في تكوين فكرة ما . . . من علامات سلاطين المماليك (٧٦٤ هـ) ★



نظرة عابرة إلى جميع ترجمات القرآن الكريم إلى أية لغة من اللغات، تكفي لإدراك الفارق بين النص وبين الترجمة، بين كلام الله تعالى وبين ما هو من المحاولات البشرية لمحاكاة النص، وأن مقارنة الأصل بأية ترجمة أجنبية تجعل الإنسان يؤمن إيماناً راسخاً بأن العالمين لم يعجزوا فقط عن الاتيان بمثل هذا القرآن، بل إنهم عاجزون حتى عن مجرد ترجمة نصوصه إلى أية لغة شاءوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا مما يضيف إلى وجوه الإعجاز القرآني وجهاً منبثقاً من التجربة العملية ذاتها .

القرآن الكريم

بقلم : أحمد عز الدين خلف الله

تاريخ ترجمة النص القرآني

الغريب أن **ترجمة القرآن الكريم في أوروبا** قد سبقت طبع القرآن نفسه . فأول طبعة صدرت في أوروبا كانت سنة ١٥٣٠ م، وأمرت الكنيسة باحراقها، ثم قام الناشر الألماني « **أبراهام هنكلمان** » بطبعه في **هامبورج** سنة ١٦٩٤ م، ثم طبع في **بادوا** سنة ١٦٩٨ م، وفي **بطرسبورج** سنة ١٧٨٧ م، حيث طبعه أحد المسلمين ويدعى « **مولاي عثمان** » . وانتشرت طباعة المصحف الكريم في جميع العواصم الأوروبية سابقة في ذلك البلدان الإسلامية نفسها .

الترجمات اللاتينية للقرآن الكريم

أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، تمت سنة ١١٤٣ م، على يد « **روبرتس رتننسز** »، وكانت هذه الترجمة هي المرجع الرئيسي لمن أراد الاطلاع على القرآن الكريم في أوساط أوروبا العلمية، وفي سنة ١٥٤٣ م، قام « **ثيودور ببلياندر** » بطبع الترجمة اللاتينية في « **بازل** »، فكانت أساساً للترجمات الأوروبية التي اعتمدت عليها لا على النص العربي . وفي سنة ١٧٢١ م، صدرت ترجمة لاتينية قام بها « MARRACCI » .

الترجمات الإنجليزية

تمت ترجمة القرآن إلى **الإنجليزية** سنة ١٦٤٩ م، عن طريق الترجمة **الفرنسية** التي أصدرها « DU RYER »، ثم حلت محلها الترجمة التي قام بها « **جورج سيل** » (١٦٩٧ ــ ١٧٣٦ م)، من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، حيث لاقت رواجاً كبيراً في الأوساط العلمية الإنجليزية باعتبارها خير ترجمة للقرآن الكريم .

وحتى نكون محايدين في الحكم على هذه الترجمة نورد بعض ملاحظات « **لين بول** »[1] عليها :

● أن مستواها الأدبي منخفض جداً عن الأصل العربي، مما يجعل الترجمة عاجزة عن إحداث أقل تأثير ممكن مشابه للأصل .

● أنها تسرد الآيات سرداً متصلاً، مما يجعل العين تكل أثناء البحث عن مكان للاستراحة، فهي تعتبر صعبة المنال من ناحية الفهم بخلاف الأصل .

ومن الترجمات الإنجليزية المشهورة ترجمة « E.H. PALMER » وهو **مستشرق إنجليزي يدعى الشيخ عبد الله**، وله ميزتان : **الأولى** هي التعمق في اللغتين الإنجليزية والعربية، **والثانية** هي القدرة على معرفة تأثير الألفاظ العربية على القارئ الإنجليزي .

ويقول « **لين بول** » في نقد هذه الترجمة :

● إن لها قوة صادرة عن القلب، مما يضفي عليها الحياة، إلا أنها تضمنت ألفاظاً غريبة عن اللغات المعاصرة .

● ويؤخذ على المترجم أنه نحا المنحى العامي محاولا بذلك إحداث نفس تأثير القرآن على القارئ الإنجليزي، وأن هذه الترجمة قد يكون لها مكانتها لو أن مستوى جميع القراء منخفض ثقافياً، وعلى هذا فإن نظرية العامية التي سار عليها قد فشلت، بل قد أصبحت عقبة في سبيل فهم النص القرآني .

وفي سنة ١٨٧٦ م، نشرت ترجمة « L.M. RODWELL »، وقام « **ريتشارد بل** » أحد رجال الدين الإنجليز بترجمة القرآن ما بين ١٩٣٧ ــ ١٩٤١ م، ففشل حين ركز اهتمامه في تحليل السور القرآنية ووضع أوزان شعرية للآيات !!



وهناك ترجمة حديثة أصدرها « A.J. ARBERRY » سنة ١٩٥٥ م ، لا تختلف في جوهرها عن غيرها ، وقام **أرثر جنري** بترجمة صور مختارة نشرت عام ١٩٥٨ م .

ومن الترجمات الفرنسية

ترجمة **أندريه دي رييه** عن العربية مباشرة ، ونشرت عام ١٦٤٧ م ، وترجمة « **م . كازيمرسكي** » ، وطبعت في **باريس** عام ١٨٦٩ م ، وترجمة « **م . سافاري** » عام ١٩١٣ م ، وهي مسبوقة بموجز للسيرة المحمدية ، وترجمة « **ادوارد مونتييه** » عام ١٩٢٢ م ، وهو **أستاذ في اللغات الشرقية ومدير شرف لجامعة جنيف** ، ونعرض بعض عينات منها تعطينا فكرة عن استحالة ترجمة النص القرآني :

● فمثلاً يقول في ترجمة الآية الأولى من سورة الإنشراح ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ .

N'avons nous pas ouvert ta poitrine?

وترجمتها الحرفية : ألم نفتح لك قفصك الصدري ؟ ذلك لأن معاني الانشراح ومشتقاته وكذا لفظ الصدر في العربية لا مقابل لها في الفرنسية .

● وسمى **سورة العاديات** : ﴿ **سورة خيل المعركة** ﴾ .

Sourate des chevaux de bataille.

● وترجم آية ﴿ **والعاديات ضبحاً** ﴾ بقوله :

Parles chevaux de bataille haletants.

وترجمتها (**بخيول المعركة اللاهثات**) .

● ﴿ **فالموريات قدحاً** ﴾ :

Qui Font Jaillir le Feu de leurs Sabots.

وترجمتها (**التي تقدح النار من سنابكها**) .

فكذلك لا تصح ترجمة السمع إلى الأذن ، ولا البصر إلى العين ، وكل ذلك يؤيد ما ذكرناه من استحالة ترجمة النص القرآني .

وهناك عدة ترجمات أخرى إلى عدة لغات أوروبية وآسيوية كالألمانية والسويدية والدانماركية والروسية والهندية والأندونيسية واليونانية والإيطالية والبرتغالية .

كما نشط **اليابانيون** أخيراً ، فقامت **جمعية مسلمي اليابان** بانجاز ترجمة ، ولما تم طبعها مع القرآن الكريم ، توجه وفد إسلامي ياباني إلى **السعودية** وأهدى **جلال الملك فيصل** ــ رحمه الله تعالى ــ نسخة من هذا المصحف وكان ذلك في ربيع الأول عام ١٣٩٣ هـ .

ونود أن ننبه أن القرآن الكريم له زهاء أربعمائة ترجمة إلى اللغات الأوروبية ، وكلها مجردة مما وقع به التحدي ، ذلك لأن القرآن الكريم بمجرد نقله إلى أية لغة أجنبية لا يسمى قرآناً كما أن الترجمة تلازمها صفات مغايرة للقرآن نفسه ومنها :

● القصور عن الإحاطة بالمعاني إحاطة كلام الله تعالى .

● القصور عن ايجاد اللفظ المقابل للفظ القرآني في اللغة الأجنبية بحيث يحمل ما في اللفظ القرآني من المعاني ، ويقبل ما يقبله من وجوه القراءات .

● العجز في تركيب عبارة في أية لغة تتحمل من المعاني ما تحمله الآية من آي الذكر الحكيم .

● أن الترجمة ليست كلام الله تعالى ، بل هي مدى فهم المترجم لكلامه عز وجل .

● **وهناك ترجمات اتخذها أصحابها مدخلاً لنشر الزيغ والضلال مثل :**

●● الترجمات التي دس فيها **المستشرقون** العقائد الزائغة التي تخضع الإسلام لكتب العهدين القديم والجديد ، والمؤسف أن كثيراً من مسلمي أوروبا وأميريكا يتداولونها ويرددونها كما تردد كتب العهدين .

●● ترجمات قام بها **اليهود** ، ولا هدف لهؤلاء سوى تشويه الإسلام .

●● ترجمات قام بها **الخوارج** ، ولا يبتغون منها سوى دس عقائدهم فيها ، مثل **الترجمة القاديانية** . ولما زار « **ميرزا مبارك أحمد القادياني الباكستاني** » السعودية قدم نسخة منها للمسؤولين ، وقرر مجلس **رابطة العالم الإسلامي** بطلانها بالإجماع ، وأصدرت الرابطة تحذيراً للمسلمين في العالم منها .

فالحاجة إذن ملحة لا إلى ترجمة القرآن الكريم أو معانيه ، بل إلى مراجعة كل ترجمة صدرت للقرآن الكريم أو لمعانيه ، وأن يصدر تعقيب عن كل ترجمة ، يبين أوجه النقص فيها والأخطاء التي اشتملت عليها ، مع محاولة تقويمها ، هذا ويكفي أننا لم نسمع بأن أحداً قد اعتنق الإسلام لأنه قرأ ترجمة للقرآن العظيم فلا داعي لربط الترجمة بالدعوة إلى الإسلام .



من رواد جائزة الملك فيصل العالمية

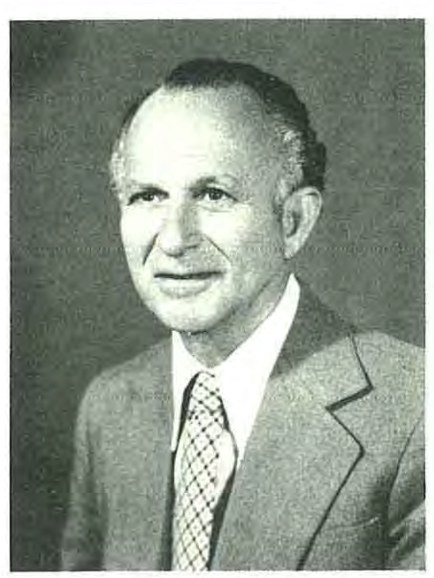
● د. عبد القادر القط ● د. إحسان عباس

بقلم: د. يوسف نوفل

دخلت جائزة الملك فيصل العالمية عامها الثاني وقد أحرزت صدى بعيداً على المستويين المحلي والعالمي، واستقطبت أقلام الأعلام، أعلام الفكر والبحث والأدب، فصارت بذلك معلماً بارزاً من معالم الحياة الفكرية والأدبية في العصر الحديث.

وفي حقل الأدب فاز بقصب السبق علمان بارزان في مجال الدراسات الأدبية هما الدكتور عبد القادر القط، والدكتور إحسان عباس.

ونلتقي في السطور القادمة بتعريف موجز بما قدمه كل منهما في حقل الدراسات الأدبية.



★ د. عبد القادر القط ★

عبد القادر القط

تعددت مجالات العطاء الفني للدكتور عبد القادر القط، فهو علم من أعلام النقد الأدبي الحديث، برز قلمه في المجلات والصحف والإذاعة والندوات والمؤتمرات والمهارج الأدبية، وهو علم من أعلام البحث الأدبي بما أنتج من بحوث ومقالات، وهو من أعلام الدراسات الأكاديمية في الجامعة. وكل مجال من هذه المجالات جدير بالتقدير، وجدير بتأمل آثار صاحبه فيه.

و«القط» في **حقل الصحافة الأدبية** قد أسهم اسهاماً ملحوظاً في إرساء دعائم النقد العربي، وقد رأس تحرير **مجلة (الشعر)** التي صدرت بالقاهرة في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٦٤م، كما كتب في معظم المجلات والصحف الأدبية التي عاصرها، ومنها ـ على سبيل المثال ـ «**المجلة**» (١٩٥٦م)، و«**الشهر**» (١٩٥٨م)، و«**الرسالة الجديدة**» (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩م)، و«**الكاتب**» (١٩٦١م)، و«**المسرح**»، و«**الأهرام**»، و«**المساء**»، و«**الجمهورية**».. الخ.

أما بحوثه الأدبية فقد يتسع فيها المجال لكي نصحح وهماً يقع فيه كثير ممن تصدوا للحديث عن أدب «القط»، فقد شاع لدى بعضهم أن كاتبنا مقلٌّ في إنتاجه، والحق أنها قضية جديرة بالدراسة، **فكيف نحكم على المؤلف أو الباحث؟**

هل نقيس اسهامه بما أصدره من كم هائل من الكتب؟

أم نقيسه بريادته لاتجاه نقدي؟

أم نرده إلى دوره الفعّال في توجيه الحركة الأدبية؟

هي قضية جديرة بالدراسة حقاً، وحين نناقشها هنا سنصل إلى أن «القط» حقق ذلك كله أو جله، كما سنصل إلى بيان وهم من ظن أن إنتاجه تجلى بكيفه دون كمه. وسنرى أنه جمع بين الكم والكيف معاً؛ فهو يترجم عدداً من المسرحيات العالمية الشهيرة، ويكتب كتاباً كبيراً عن المسرحية:

● **من فنون الأدب ـ المسرحية ـ دار النهضة العربية ببيروت ١٩٧٨م، (٣٣٢) صفحة.**

يتناول فيه: عناصر المسرحية، الشخصية المسرحية، البطل المسرحي، الالتزام في المسرح، الحوار في المسرحية، نجوى النفس، الحديث الجانبي، البناء المسرحي، التشويق، الوحدات الثلاث ـ النهاية ـ دراسة تطبيقية.

(١) من المسرحيات العربية: مصرع كليوباترة **لشوقي**، مأساة الحلاج **لصلاح عبد الصبور**، السلطان الحائر **لتوفيق الحكيم**.

(٢) من المسرحيات الغربية: بيت الدمية للكاتب النرويجي **إبسن**.

ثم يتناول الاتجاهات الجديدة في التأليف المسرحي: **بريخت** والمسرح الملحمي، دراسة تطبيقية لدائرة الطباشير القوقازية، مسرح العبث ـ المسرح التسجيلي.

● وفي عام ١٩٥٥م، أصدر كتابه الشهير **(في الأدب المصري المعاصر)** ليثير عدداً من القضايا التي تشغل الرأي العام الأدبي، وتشد إلى وطيسها رهطاً من الأدباء اللامعين آنذاك.

● وفي عام ١٩٧١م، يصدر كتابه **(قضايا ومواقف)** ليتناول كثيراً من قضايا النقد الأدبي.

● ويصدر بحثاً قصيراً عنوانه **(قضايا التجديد في الشعر العباسي)**، يقدم فيه رأياً جديداً في القضية. وقد صدر البحث في كتاب مُهْدى **للدكتور طه حسين** عام ١٩٦٢م.

● ويتناول **الأدب الإسلامي والأموي** في كتاب صدر عن دار النهضة العربية ببيروت عام ١٩٧٦م، بعنوان **(في الشعر الإسلامي والأموي)**.

● ويصدر عام ١٩٧٨م، كتابه **(في الأدب العربي الحديث)** ـ مكتبة الشباب بالقاهرة ـ يحوي معظم ما نشره من مقالات بالصحف والمجلات المصرية والعربية. وقد ناقش قضايا الشعر من خلال دراسة شعر جيل الشباب الفلسطيني: **محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد**، وشعر جيل **مدرسة أبوللو** والاتجاه الرومانسي: ومنه **محمود حسن إسماعيل**، وجيل شباب الشعر الشعبي: ومنه **سيد حجاب**، وجيل الشعر الجديد ومنه: **محمد إبراهيم أبو سنة.**

وقضايا **القصة** حيث جيل **نجيب محفوظ**، وجيل **فتحي غانم، وعبد الرحمن فهمي، ومحمد أبو المعاطي أبو النجا**.. ثم **جيل القصة الليبية.**

● ثم يصدر كتابه عن **شعراء الوجدان في الأدب العربي الحديث**، وهو دراسة فنية جديدة لها أهميتها الفنية بما تضمنته من رؤيا فنية ونقدية.

وبحوثه تلك ـ وغيرها مما لم نشر إليه ـ ذات صلة بشاعرية «القط»، فهو شاعر، وإن اكتفى بنشر ديوان واحد في وقت باكر أسماه **(ذكريات شباب)**، وقد صدر عن نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٥٨م.

ولبحوثه صلة أيضاً ببحوث كتبها بالإنجليزية، منها رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه.

* * *

أما جهوده الأكاديمية فإنها تتجاوز حلقات الدرس وقاعاته إلى **مناقشات رسائل الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه والإشراف عليها**. وفي ذلك كله يتضح منهج كاتبنا في الدراسة، وهو منهج أفاد من إمكانات المناهج المختلفة يجمع بين المنحى التاريخي والاتجاه العلمي، والنهج النفسي، والطريقة الفنية على نحو يمكن أن نسميه **(المنهج التكاملي)**.

ومن الحق أن نستدرك على أنفسنا فنقرر أن السيادة العظمى لتلك الاتجاهات كانت للطريقة الفنية، ومن تتبع دراساته في كتبه: في الأدب المصري، وفي الشعر الإسلامي، وفي المسرحية، وشعر الوجدان، وفي الأدب العربي الحديث سيجد أحلى ما فيها وأروعه في دراساته التطبيقية، وسيجد للشعر النصيب الأوفى في تلك الدراسات كما يتضح من تأمل محتوياتها.

إنك لتجد المنهج الفني في تلك الدراسات في شفافية وذوق، وستجد إحساس الناقد الفني ممتزجاً بتنوع ثقافاته وخبراته، ونضرب مثلاً لذلك بعرضه الفني في كتابه (في الأدب العربي الحديث) لمذهب الرومانسية ودورها الفني والاجتماعي إبان ظهورها في أوروبا، وسوء فهمها وفهم دورها في بعض المجتمعات الأدبية العربية يقول في معرض حديثه عن محمود حسن إسماعيل وضيقه بلقب الشاعر الرومانسي:

«ولعل ضيقه هذا يرجع إلى النظرة التي نظر بها كثير من الدارسين عندنا إلى الحركة الرومانسية العربية، فقد التفت هؤلاء الدارسون أكثر ما التفتوا إلى الجوانب السلبية في شعر تلك الحركة من تشاؤم وإسراف في الذاتية، وإفراط في العاطفية، وعشق للطبيعة عشقاً يتجاوز الإعجاب بما فيها من جمال وجلال إلى اعتبارها ملجأً من شرور الحياة والناس، إلى ما في التجربة الشعرية الرومانسية من تهويمات ضبابية وبُعدٍ عن الارتباط بواقع المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء الشعراء، وقضاياه السياسية والاجتماعية. والحق أن هؤلاء الدارسين قد ظلموا الرومانسية بهذا التركيز على جوانبها السلبية، وصوّروها على غير حقيقتها، فالرومانسية مذهب من المذاهب التي تمثل انتقال المجتمع انتقالا حاسماً من مرحلة قديمة إلى أخرى تباينها في كل قيمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية».

وهو في صدد إيمانه بالتذوق الفني والقيمة الجمالية، يتناول المسائل على أنها قضايا متماسكة ينبغي طرح تفاصيلها، ثم معالجتها، ولا يلجأ للتعميم، ولا يغفل الاستشهاد بالنصوص لإثبات صحة ما يذهب إليه، والاعتماد على التحليل في دراسته، ها هو في كتابه (المسرحية) بعد أن يقدّم الجانب النظري يفرد صفحات وصفحات للجانب التطبيقي الفني فيحلل من المسرحيات الشعرية: مسرحية (مصرع كليوباترة) لشوقي، ويوازن بينه وبين **شكسبير** في فصل طويل (٤٩ ـ ١٢٥). ومسرحية (الحلاج) لصلاح عبد الصبور (١٢٦ ـ ١٧٣). ومن المسرحيات النثرية: (السلطان الحائر) للحكيم (١٧٤ ـ ١٨٥). و(بيت الدمية) لإبسن (١٨٦ ـ ٢٤٠).

وفي ذلك كله كان دأبه أن يبلغ شواطئ الحقيقة مهما كان الأمر، ولقد حدثني أن إيمانه بالمصارحة الفنية، والصدق الفني فيما يصدر من أحكام جعله يسمو بالنقد عن التقريظ وصيحات الإعجاب، وأن نقده الصريح لأعمال أستاذين كبيرين هما: توفيق الحكيم في المسرحية، ونجيب محفوظ في الرواية قوى علاقته بكل منهما ولم يؤد إلى شيء من المنافرة بينه وبينهما. إن نقده كان ينفر من أردية المجاملات، وأوراق التغليف الزائف، وصيحات الإعجاب المبتذلة، وبذلك كان فنه صادقاً يحمل سمات وملامح أصيلة واعية حتى يمكن القول إن عدة أجيال من شعراء العصر الحديث في شتى الأقطار العربية أخذوا الكثير من «القط» في نقداته لشعرهم فضلاً عن أجيال من الفنون الأدبية الأخرى.



★ د. إحسان عباس ★

إحســـان عبـــاس

تشعر وأنت تتابع حركة ذلك الرجل في مجالات البحث بروح الفلسطيني الدؤوب الجاد، أجل . . . فنحن أمام رجل **ولد بفلسطين** عام ١٩٢٠م، وتلقى تعليمه في مدارسها، وأنهى دراسته الثانوية في الكلية العربية **بالقدس**، ثم كانت دراسته الجامعية والعالية بالقاهرة، فقد حصل في كلية الآداب بجامعة القاهرة على درجة **الليسانس** عام ١٩٤٦م، **فالماجستير** عام ١٩٥٢م، **فالدكتوراه** عام ١٩٥٤م.

ثم يعود إلى فلسطين فيعمل بالتدريس في مدارسها حيناً حتى عام ١٩٤٦م، ثم يعمل في **جامعة الخرطوم** فيما بين عامي ١٩٥١ و١٩٦١م، ثم في **الجامعة الأميركية ببيروت**، وفي ذلك كله لم يكف عن جولة أو لقاء في أنحاء الوطن العربي.

وقد تعددت مشاركاته واسهاماته الأدبية ما بين الترجمة إلى اللغة العربية، وتحقيق التراث، والتأليف، والنشاط الأكاديمي في بعض الجامعات العربية.

* * *

وفي مجال الترجمة نجده يترجم (مقال عن الإنسان) **لأرنست كاسيرر**، ومدارس النقد **لستانلي هايمن، وت. س. إليوت** ــ الشاعر الناقد **لماثيسن**، ودراسات في حضارة الإسلام **لجب هاملتون** (دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٦٤م، ٢٧٥ ص).

أما تحقيق التراث فله فيه جهود طيبة متعددة من ذلك:

- تحقيق **ديوان الرصافي البلنسي محمد بن غالب** ــ دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م، ١٤٢ ص.
- **ديوان القتال الكلبي**، دار الثقافة ــ بيروت ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ١٢٧ ص.
- شرح ديوان **لبيد بن ربيعة العامري**، الكويت ١٩٦٢م، ٤٥٩ ص.
- الأعمى التطيلي ــ تأليف أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، دار الثقافة ١٩٦٣م، ٣٣٩ ص.
- الكتيبة الكامنة للسان الدين ابن الخطيب، دار الثقافة ــ بيروت ١٩٦٣م.
- ديوان **ابن حمديس**، دار صادر بيروت، ٥٨٩ ص.
- أخبار وتراجم أندلسية لأحمد بن محمد السلفي، دار الثقافة بيروت، ١٧٥ ص.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ٧ ج.
- وفيات الأعيان **لابن خلكان**.
- ديوان **كثيرة عزة**.

أما بحوثه وتآليفه فيبدو فيها طابع الإحاطة بفن من الفنون سواء أكان شعراً أم سيرة، أم نقداً، أم بحثاً في الأدب الأندلسي، أم في شعر الخوارج، أم في الشعر الحديث، ونذكر منها ما يلي:

- **شعر الخوارج**، دار الثقافة بيروت، ٢١٨ ص.
- **فن السيرة**، ط ٢، دار الثقافة بيروت، ١٧٦ ص، وقد انتهى من تأليفه ــ كما نفهم من المقدمة ــ في أول يونيو (حزيران) ١٩٥٦م.
- **فن الشعر**، دار بيروت، بيروت ١٩٥٩م، ٢٨٤ ص.
- **تاريخ الأدب الأندلسي**، وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٢م، ويشمل مجلده الأول عصر سيادة **قرطبة**، ويضم مجلده الثاني عصر **الطوائف والمرابطين**. وفي هذا الكتاب لا يقتصر على الجانب التاريخي، ولا يكتفي برصد الظواهر فحسب، بل يحلل النتائج ويربط بين المظاهر، ولقد أراد أن ينوه بذلك في مقدمة الطبعة الأولى (في آذار/ مارس) ١٩٦٢م، حين قال: «ولست أزعم أن كل ما قلته في هذا الكتاب ــ أو جله ــ جديد على القراء أو دارسي الأدب الأندلسي، ولكن القارئ المنصف سيلمس أنني حاولت شيئاً ما في البناء، مثلما حاولت إعطاء قيمة للنظرة والحكم حيث رأيت ذلك لازماً أو حيث وجدت الجهد مسعفاً والطاقة ملبية، وأنني عنيت بالكشف مثلما عنيت بتأسيس هذه الدراسة على أصول تاريخية نقدية معاً».
- ومن كتبه أيضاً **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الرسالة، بيروت ١٩٧١م، ٦٥٧ ص.
- ثم كتابه الذي خصصه للحديث عن الشعر العربي المعاصر: **اتجاهات الشعر العربي المعاصر** ــ العدد الثاني من سلسلة (عالم المعرفة) ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ (الكويت ــ فبراير/ شباط) ١٩٧٨م، ٢٩٣ ص.
- وكان قد كتب كتابين أحدهما عن **البياتي** سنة ١٩٥٥م، والثاني عن **السياب** سنة ١٩٦٩م.

وبعد هذه الجولة السريعة مع إنتاج «إحسان عباس» نجد أن كاتبنا جمع في اهتمامه بين **التراث والمعاصرة**، فهو يحقق كتب الأقدمين من العصر الجاهلي فالإسلامي فالأندلسي، ويؤرخ لحقبة من الأدب زاهية زاهرة هي الأدب الأندلسي، ثم يعرض لفن السيرة، وفن الشعر ويفرد للأخير عدة مؤلفات لعل أهمها كتابه الأخير (اتجاهات الشعر العربي المعاصر).

وقد يحسن أن نقف مع كتابين له ليسا أهم كتبه وإن كانا من أهمها وأشهرها.

●● **فن السيرة**: وفن السيرة فن قديم في أدبنا ولا يتسع المجال لذكر طائفة من كتب السيرة قديماً وحديثاً، ولكنا نود أن نشير إلى الكتب النظرية التي ناقشت ورصدت فن السيرة لا تلك التي دارت حول سيرة شخص ما. وقد سبق أن تكلم **الشيخ أمين الخولي** في مقدمة كتابه **(مالك بن أنس)** ــ ترجمة محررة عن فن السيرة وشرح بعض جوانبها. وكان ذلك الجهد القيم سنة ١٩٥١م. ولكن حديثه

كان في مقدمة كتابه ومن يدري ربما كان أروع لو خصص له كتاباً .

ثم كان كتاب إحسان عباس (فن السيرة) الذي انتهى من كتابته في أول حزيران (يونيو) ١٩٥٦ م ، ثم تلاه كتاب الدكتور **ماهر حسن فهمي** (السيرة تاريخ وفن) وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ م ، عن دار النهضة المصرية بالقاهرة .

ولسنا في مقام الموازنة بين تلك الجهود وغيرها ممن لم نذكره في هذه المقدمة ، ولكنا نود أن نقول إن كتاب إحسان عباس في فن السيرة جاء في وقته كما يقولون ، إذ كانت تضم المكتبة العربية عشرات السير في كل قرن وكان لزاماً أن نجلو هذا الفن العريق .

يقع الكتاب – كما قدمنا – في ١٧٦ صفحة ، ويضم الفصول التالية :

- ★ **تاريخ السير عند المسلمين .**
- ★ **نحو السيرة الفنية .**
- ★ **الدرجة الفنية في السيرة .**
- ★ **السير الذاتية – نظرة عامة .**
- ★ **السيرة الذاتية في الأدب العربي .**

كما ضم فهارس بالمصادر ، والأعلام ، والموضوعات . ويكشف المؤلف عن أحد دوافع تأليفه فنرى إلى جانب نبض السير بالحياة صلة أدبنا بالتاريخ العربي ، وتياره . يقول : « فإن استطاعت هذه الفصول أن تحبب إلى القراء العودة إلى كتب السير والتراجم الذاتية ، والتوفر على قراءتها ، فقد أدت مهمتها ، وإن استطاعت أن تصل بينهم وبينها بسبب ، ولو كان سبباً من المعرفة العابرة ، فإنها أيضاً لم تذهب عبثاً ولم يكن الجهد فيها مضيعاً » .

ولنا تعليق على هذه السطور في المقدمة ، إذ لا يقتصر الكتاب على السيرة الذاتية فحسب ، وهي تلك التي يكتبها المؤلف عن نفسه كالأيام لطه حسين مثلاً ، وطوق الحمامة **لابن حزم** ، وحياتي **لأحمد أمين** .. الخ ، بل يتضمن حديثاً عن السيرة الغيرية كعبقريات **العقاد** وغيرها .

* * *

●● اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ويرصد الكتاب أهم اتجاهات الشعر العربي منذ بواكيره الأولى في العصر الحديث ، ويذكر العوامل التي تحدد اتجاهاته ، ثم يتناول في خمسة فصول تالية : الموقف من المدنية ، والموقف من الزمن ، والموقف من التراث ، والموقف من الحب ، والموقف من المجتمع . وذلك في ٢١٢ ص .

ثم يضم إلى الكتاب ملحقاً يضم بعض القصائد التي وقف عندها بالدراسة ليربط القارئ بينها وبين آراء الدارس وذلك في ٨٠ صفحة ، وضمت قصائد لكل من : **نازك الملائكة ، والسياب ، والبياتي ، وسميح القاسم ، وخليل حاوي ، وأدونيس .**

ولقد دارت دراسات عديدة حول الشعر العربي الحديث في بحوث بالدوريات وفي كتب مفصلة ، وبعض هذه الدراسات كان عن الشعر في قطر معين كالعراق مثلاً [١] ، أو الكويت ، أو مصر ، وبعضها كان عاماً يعالج الفن الشعري العربي بوجه عام في بيئاته المتعددة ، وقد كانت فيه محاولات قديمة **لأحمد زكي أبو شادي** [٢] ، كما توالت سلسلة من البحوث حول الشعر العربي عامة ، من ذلك : كتاب نازك الملائكة [٣] ، **والدكتور محمد النويهي** [٤] ، **والدكتور عز الدين إسماعيل** [٥] ، حتى كان عام ١٩٧٨ م ، حيث صدر كتاب الدكتور إحسان عباس ، وهو الكتاب الذي بين أيدينا . ولسنا بصدد الموازنة بين رؤى النقاد في كتبهم تلك ، ولن نقول مع **إلياس خوري** [٦] بأن هذا الكتاب (أكثر الكتب الجامعية شمولية) فكل كتاب من الكتب السابقة له ميزاته ، وله مجالات رؤاه ، كما أن للكتاب الذي بين أيدينا ميزاته ومجالات رؤاه .

ولقد بيَّن المؤلف في السطور الأولى للمقدمة أنه حار بين منهج يراعي فيه البساطة والتبسيط ، ومنهج يراعي فيه الإيجاز ، وأنه في منهجه لجأ إلى دراسة مطولة عن كل شاعر على حدة ليستخلص منها ما يندرج تحت عنوان الاتجاهات ، ثم كان عليه أن يقرب بحثه إلى أكبر عدد من القراء ، وقد اختار لذلك طريقة قريبة من روح الشعر ، ويقصد بذلك تقسيم أبواب الكتاب حسب مضمون الشعر وأفكاره ورأى أن من حسنات هذا المنهج تمكين القارئ من إدراك « **الركائز** » وأقر أن من عيوب هذا المنهج حجب تطور هذا الشعر ، وقد تنبه لمدلول مصطلح « **المعاصر** » و« **الحديث** » وما يعنيه من الابتداء منذ مطلع هذا القرن ، لكنه قصر البحث على ثلاثين سنة مضت فحسب لأسباب منها ما دار من دراسات حول الفترة السابقة ، ولأن شعر المرحلة السابقة مباشر لا يحتاج إلى تبسيط . كما أقر أنه رضي الحد الأدنى من دور الناقد التحليلي التشريحي ، ثم يصل إلى عزمه أن يكون هذا البحث نواة صغيرة لدراسة شاملة عن الشعر العربي [٧] .

وفي كتابه يتناول في عرض موجز نظرة تاريخية موجزة ، ودلالة البواكير الأولى في قصائد الخيط المشدود في شجرة السرو لنازك ، وفي السوق القديم للسياب ، وسوق القرية للبياتي متجاوزاً قصيدتي الكوليرا لنازك ، وهل كان حباً للسياب ، ثم يتناول العوامل التي تحدد الاتجاهات الشعرية ، ثم يتناول الشعر في مواقفه من : الزمن والموت ، والمدنية ، والتراث ، والحب ، والمجتمع .

ويتساءل من يقرأ الكتاب ويعجب بزوايا تناوله ، هل حقق الكتاب هدفه وعنوانه ؟ أي عالج اتجاهاته جميعاً ؟ وهل يرضى الكتاب المنهجيين في طموحهم العلمي ، أي خاطب عقلية قارئ مولع بالبحوث الأكاديمية ؟

إنها تساؤلات قد تتعسر الإجابة عليها في تعريف موجز كالذي نحن بصدده ، كما أن الإجابة ليست بنفس القدر من السهولة التي كان عليها السؤال ؟

الهوامش

(١) انظر علي عباس علوان ، تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٥ م ، وطراد الكبيسي ، في الشعر العراقي الحديث ، بيروت ، صيدا .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، دار الكاتب العربي ، ١٩٥٩ م .

(٣) قضايا الشعر المعاصر ، دار الآداب بيروت ، ١٩٦٢ م .

(٤) قضية الشعر الجديد ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٤ م . وترجم سعد مصلوح كتاب حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث ، ١٩٦٩ م .

(٥) الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

(٦) انظر موازنة من هذا النوع تعليقاً على كتاب إحسان عباس : إلياس خوري ، دراسات في نقد الشعر ، دار ابن رشد بيروت ، ط ١ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ م . (في نقد الشعر ملاحظات انطلاقاً من كتاب إحسان عباس : اتجاهات الشعر العربي المعاصر ص ١٩٧ – ٢٢٦) .

(٧) انتهى المؤلف من كتابة كتابه (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٧٧ م .

فيلسوف معاصر

نيكولاي هارتمن

الرجل وفلسفته الواقعية

بقلم : د . أحمد عبد الرحمن إبراهيم

يقول « سيدني هوك » ، المؤلف المعروف ، وأحد معارضي نزعة نيكولاي هارتمن الواقعية إن هارتمن : « ليس له إلا سلف عظيم واحد هو أرسطو »[١] .

ويقول **وليم فرانكينا** ، أستاذ علم الأخلاق إن هارتمن : « أفلح في أن يجعل لوحة القيم (الخلقية) عنده شاملة لكل ما عرف البشر من قيم »[٢] .

أما الفيلسوف الألماني الكبير « **ماكس شيلر** » فقد شهد بأن **كتاب** « **الأخلاق** » لهارتمن عمل عظيم ، وقال : « إن تاريخ الفلسفة لم يشهد ـ منذ عشرات السنين ـ عملاً ثرياً كهذا »[٣] .

وجاء في **دائرة المعارف البريطانية** أن نيكولاي هارتمن : « أحد الفلاسفة الألمان الكبار الذين ظهروا بين الحربين العالميتين » ، وأن « أعماله تتميز بالاتساع والقوة ، الأمر الذي أفضى بمبادئ فلسفة الوجود (**المبادئ الأنتولوجية**) إلى الإثمار في جميع المجالات الفلسفية »[٤] .

ووصفت « **الموسوعة الفلسفية المختصرة** » فيلسوفنا بأنه : « واحد من الميتافيزيقيين التأمليين القلائل الذين اصطنعوا للفلسفة أسلوبها الفخم في القرن الحاضر » ، وأن تحليلاته للقيم الخلقية لا مثيل لها في تاريخ الفلسفة الأخلاقية ، وأنه بهذه التحليلات قد تجاوز أرسطو[٥] .

أما « **بوشنسكي** » مؤرخ الفلسفة الأوروبية المعاصرة فيقيِّم الرجل وفلسفته قائلاً : « إن مما لا ريب فيه أن نيكولاي هارتمن واحد من أكبر أعلام الفلسفة المعاصرة مغزى ، وأنه ـ مع « **هوايتهد** » و« **ماريتان** » Maritain ـ رائد لميتافيزيقا القرن العشرين ؛ وإن اهتمام هارتمن ببناء مذهب ليقل عن اهتمام هذين . وإن قوته تتمثل في تحليلاته الدقيقة ، وقدرته على تقديم أفكاره بأسلوب واضح ، وهي قدرة نادرة بين الألمان ؛ وفضلاً عن هذا فإننا نجد لديه عياناً عميقاً بما تنطوي عليه أفكاره من مضمون . وإن مؤلفاته في الحقيقة نماذج للدقة الصارمة والشمول العلمي »[٦] (والعيان هو الإدراك المباشر ، دون مقدمات) .

ويصف « **بوشنسكي** » فلسفة هارتمن بأنها : « تضم بين جنباتها عدداً هائلاً من الحقائق المنسية منذ « **ديكارت** » ، وثروة من العيان بها حرك هارتمن تطور الفكر الفلسفي ، وخاصة في **مجال فلسفة الأخلاق** »[٧] .

هذه هي قيمة الفيلسوف الذي نقدمه للقراء العرب في هذا المقال . . .

مفكر كبير ، برع براعة فائقة في **اصطناع المنهج الوصفي التحليلي** ، حتى أسر عقول معاصريه من الفلاسفة والمؤرخين ، فشهدوا بأنه تجاوز أرسطو نفسه !

ومما لا جدال فيه أن هارتمن واحد من أبرز الفلاسفة المعاصرين ، وأحد اثنين لا ثالث لهما على رأس فلسفة الأخلاق ، ووحيد عصره في تطبيق المنهج الوصفي التحليلي على مشكلات الأخلاق ومسائلها .

وإني إنما صدرت هذا المقال بتقويم المعاصرين لفلسفة هارتمن أملاً في أن يحفزنا على احتمال المشقة التي لا مناص من معاناتها في دراستنا لفكره ! !

ولعل من المفيد أن نعرض في إيجاز لحياة هارتمن قبل أن يجذبنا إلى أعماق عالمه الفلسفي !

حياة هارتمن

وسوف نلفاها حياة هادئة ، رتيبة ، عامرة بالتحصيل والتدريس والتأليف .

فقد ولد هارتمن يوم ٢٠/٢/١٨٨٢ م ، في « **ريجا** » من أعمال « **لاتفيا** » ، لأسرة ألمانية بروتستانتية ؛ ولما بلغ السابعة عشرة بدأ دراسة **الطب** في « دوربات » ، واستمر في هذه الدراسة إلى أن بلغ العشرين .

ثم ترك الطب ، وانتقل إلى « **بطرسبرج** » ليدرس **الفيلولوجيا** في جامعتها أول الأمر ، ثم يدع الفيلولوجيا إلى الفلسفة بعد ذلك .

وفي هذه الجامعة تأثر هارتمن في دراسته للفلسفة بالتيارات الفكرية العديدة التي هبت رياحها على العاصمة الروسية من دول القارة المتقدمة .

ولم يحصل هارتمن على درجته الجامعية من جامعة بطرسبرج ، وإنما من جامعة أخرى هي « ماربرج » التي كانت معقلاً « للكانتية الجديدة » ؛ وذلك عام ١٩٠٧ م ، حيث كان قد بلغ الخامسة والعشرين .

وقضى الرجل سني حياته العملية الأولى (١٩٠٩ ـ ١٩٢٥ م) يدرس الفلسفة في **جامعة « ماربرج »** التي تخرج فيها . لكنه غادرها عام ١٩٢٥ م ، بعد أن أصبح أستاذاً ، إلى **جامعة كولونيا** ، وظل هناك إلى عام ١٩٣١ م ، حيث انتقل مرة أخرى ـ وأخيرة ـ إلى **جامعة برلين** ليشغل كرسي الفلسفة بها .

وفي « **جوتنجن** » توفي هارتمن يوم ٩/١٠/١٩٥٠ م ، عن ثمانية وستين عاماً .

عمرت حياة هارتمن بالبحث والدرس والتأليف ، فصدر له اثنا عشر كتاباً غطت كل المباحث الفلسفية ، واتسمت بالسعة والعمق ؛ ومن هذه الكتب ما يساوي في حقيقته مجموعة من الكتب ، مثال ذلك كتابه « **الأخلاق** » الذي صدر عام ١٩٢٩ م ، وكتابه « **مبادئ ميتافيزيقا المعرفة** » الذي صدر عام ١٩٣١ م ، وكتابه « **فلسفة الطبيعة** » الذي نشر بعد وفاته بقليل عام ١٩٥٠ م .



★ أرسطو ★

فلسفة هارتمن

ويبني هارتمن فلسفته كلها على موقف محدد من « **الوجود** » .

فعنده أن فلسفة الوجود (الأنتولوجيا) هي أساس نظرية المعرفة وفلسفة الأخلاق ، « وليس بوسع أي فلسفة أن تقف على قدميها دون أن تكون لها وجهة نظر أساسية في الوجود . هذه الحقيقة صادقة بغض النظر عن الموقف أو الاتجاه أو الصورة العامة للعالم التي تتبناها أية فلسفة » (٨) .

وعلى هذا كان من المحتم على كل الاتجاهات الفلسفية ـ حتى المذاهب الذاتية المتطرفة التي تنكر الوجود الخارجي وتعتبره وهماً ـ أن تستند إلى فلسفة وجود ؛ « فالذاتية » التي تصر على أن وجود أي شيء خارج ذهن الذات مجرد وهم لا بد أن تفسر لنا هذا الوهم ! وكل اتجاه فلسفي لا يسعه الاستغناء عن الأساس الأنتولوجي ، أو تجنب وضع أسئلة عن الوجود « بما هو كذلك » . فمن المسلم به أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر ـ بحكم ماهية الفكر ذاتها ـ في « لا شيء » ، وأنه لا بد أن يفكر في « شيء ما » ؛ وذلك الشيء لا بد أن يطرح مشكلة الوجود (٩) .

ومن هنا عني هارتمن عناية كبيرة بإيضاح موقفه من الوجود ، وعلى أساس من هذا الموقف أو المذهب أقام نظريته في المعرفة ، ومذهبه في الأخلاق .

موقفه من الوجود

ولعل أيسر مدخل إلى موقف هارتمن من الوجود هو الإحاطة بأصوله ومصادره ؛ فإنه استفاد من **أفلاطون وأرسطو** من القدماء ، ومن



★ ديكارت ★

« **هسرل** » (١٨٥٩ ـ ١٩٣٩ م) ، من المعاصرين ؛ ثم إنه تأمل وحلل وقلب النظر فيما أخذ ، فتكشفت له حقائق كثيرة ، فمزج هذا بذاك ليشكل من هذا المزيج فلسفته ؛ لقد استلهم هارتمن **نظرية « المثل »** الأفلاطونية ، وقبل **نظرية « الماهيات »** التي قال بها « هسرل » ، مع الإصرار على تنقيتها من شوائب « الذاتية » !

كانت نظرية « المثل » الأفلاطونية تقسم الوجود إلى :

ا ـ الوجود المادي ؛

ب ـ والوجود المثالي .

وكان قوام الوجود المادي عند أفلاطون : الأشياء التي نراها في عالم الطبيعة . وطابع هذا الوجود التغير المتصل .

وقوام الوجود المثالي عنده : « المثُل » و« الأرواح » Souls ؛ وهو وجود غير مرئي ؛ وطابعه الثبات كما هو دون تغير . و« المثُل » التي تشكل نسيج هذا الضرب من الوجود ليست المثُل الخلقية العليا فحسب ، ولكن لكل شيء من الأشياء الموجودة في عالم الطبيعة « مثالا » موجوداً في عالم « المثل »[١٠] .

ويعرف أفلاطون الوجود المثالي بأنه : « الذي لا يموت ، المعقول ، الوحيد في نوعه ، الذي لا يفسد ، الباقي كما هو دون تغير »[١١] .

ومعنى هذا أن « المثُل » كائنات غير مادية ، لا تفسد ولا تبلى ، ولا تتغير . وإدراكنا لها لا يكون بالحواس وإنما بالعقل وحده . هذا هو ما قال أفلاطون عن الوجود المثالي ؛ وهو مبهم جداً ! ! ولهذا كان من العسير على العقل البشري فهم هذا الوجود « المثالي » ! ! حتى أتباع أفلاطون أنفسهم شكوا في وجود « المثُل » الذي أكده أستاذهم ، وظنوا أن « المثل » مجرد تصورات لا وجود لها إلا في العقل أو الذات العارفة ؛ لكن أفلاطون نفى عنها هذا الطابع الذاتي ، ووصفها بأنها واقعية ، بل من أكثر أنواع الوجود واقعية ؛ إنها أكثر واقعية من أية مظاهر مادية »[١٢] .

وسوف يتكرر سوء الفهم نفسه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة من قبل « الماديين » و« الذاتيين » .

والحق أن أفلاطون نفسه كان مسؤولا عن سوء فهم أتباعه للوجود « المثالي » ، لأنه بدا متردداً فيما يتعلق بمسألة « **المكان** » الذي توجد فيه « المثل » ، أو « العالم » الذي تنتمي إليه ، إن التزمنا الدقة في التعبير ، لأن « المثل » غير مادية ، وتبعاً لذلك لا ينبغي أن يكون لها « مكان » ! ووصفها بأنها ضرب من الوجود « المثالي » غير مفهوم ولا متصور على نحو واضح !

ففي « المحاورات » اقترح أفلاطون على لسان **سقراط** ، أن تكون « المثُل » في الطبيعة ، أي داخل الوجود المادي ، بوصفها نماذج للأشياء ؛ لكن هذا يعني أنها كيانات مادية ، ومن ثم تتبدل ، وتتغير ، وتفسد ، وتندثر ! وهذا يناقض تعريف أفلاطون للوجود المثالي ، ويدمجه في الوجود المادي ، بحيث لا يكون هناك سوى نوع واحد من الوجود ، وهذا ما يأباه أفلاطون بشدة ![١٣] .

فأين تكون « المثل » إذن ، إذا لم تكن في الذهن ولا في الطبيعة المادية ؟

لم يعد أمام أفلاطون سوى القول بأنها موجودة في عالم خاص غير عالمنا هذا[١٤] ؛ عالم ثالث غير عالم الذهن (أو عالم الذات العارفة) وغير عالم المادة ؛ وهذا ما قال به أفلاطون حقيقة ، لكنه لم يغن في شيء ! وظل الغموض يحيط بالوجود المثالي من كل جانب !

فمنذ عهد أفلاطون وهذا « **العالم الثالث** » يثير موجات من النقد متلاحقة ؛ بل إن رفض هذا « العالم » الأسطوري وُجد قبل أفلاطون ؛ ذلك أن فكرة وجود المثُل الخلقية العليا في عالم خاص غير الذهن والطبيعة المادية ، كانت قد ظهرت ونبذت لدى اليونان أنفسهم ، قبل عصر أفلاطون .

وحاول أفلاطون الرد على تلك الانتقادات الكثيرة والمريرة ، لكن رده : « لم يزد عن أن يكون تعبيرات مجازية »[١٥] .

الوجود المثالي عند هسرل

ولم تجد نظرية الوجود « المثالي » النصير القوي إلا في « إدموند هسرل » (١٨٥٩ ـ ١٩٣٩ م) ، صاحب فلسفة الظاهريات المعاصرة ، الذي استطاع أن ينتزع اعتراف الفكر المعاصر بهذا الوجود ، « بعد أن أغفلته الفلسفات الذاتية لزمان طويل »[١٦] .

ميز « هسرل » تمييزاً حاسماً بين :

ا ـ الوجود الواقعي ، أو وجود الوقائع ؛ (وهو « معروف » للناس ، وإن أثار بعض الفلاسفة الشكوك حول حقيقته !) .

ب ـ والوجود الماهوي ، أو وجود الماهيات (وهو موضع شك من الكثيرين) .

والأول هو الوجود المادي ؛ والثاني هو الوجود « المثالي » بلغة

أفلاطون .

وأثبت « هسرل » استقلال الوجود « الماهوي » عن الوجود الواقعي ، وعن ذهن الذات العارفة ، وبذلك برهن على أن « العالم الثالث » (الذي نبذته **الفلسفة اليونانية**) حقيقة وجودية لا أسطورة أفلاطونية ، وأن إنكاره أو نفيه ليس سوى سذاجة وضيق أفق !

وشاد « هسرل » نظريته في المعرفة على هذه الحقيقة الأنتولوجية ، فقال بنوعين من المعرفة : الأول هو **المعرفة الحسية** ، وموضوعها الوجود المادي ؛ والثاني هو **المعرفة الحدسية** ـ أو العيانية ـ وموضوعها الوجود المثالي الذي يحب هسرل أن يسميه **الوجود « الماهوي »** [١٧] .

فالوجود الماهوي ، إذن ، ليس مادياً ، ولا ذاتياً ، ولكنه مستقل عن المادة والذات [١٨] ؛ ومعرفتنا به ـ أيضاً ـ ليست كالمعرفة الحسية التي تتخذ من الأشياء المادية موضوعاً لها ، ولكنها معرفة عيانية ، هذا هو لب فلسفة الظاهريات المعاصرة التي صبغت فلسفة العصر بألوانها ومذاهبها المتباينة .

غير أن مبدأ « القصدية » الذي ابتدعه هسرل أيضاً ، والذي يؤكد على وجود علاقة لا تنفصم بين « وعي » الذات العارفة ، والوجود الذي هو موضوع هذا الوعي ، قد شاب فلسفته بنزعة ذاتية ـ وهو الذي نقض الفلسفات الذاتية من أساسها ، وانتقدها انتقاداً عنيفاً ! ! فإن هذا المبدأ ـ في نظر هارتمن ـ يجعل الوجود مشروطاً بوعي « الأنا » ـ وينفي إمكان الوجود لشيء بصورة مستقلة عن الذات [١٩] ، لأنه ـ أي مبدأ القصدية ـ يقرر أن الوجود الحق هو الوجود الماثل في الوعي .

ويقول «كنتان لاور» إن هذه « الشبهة الذاتية » في فلسفة هسرل جاءت من مبدأ الظاهريات القائل بأن : «ما هو موجود له معنى ؛ والوجود الحق هو الوجود بالنسبة للذات » [٢٠] ؛ لأن الذات هي التي تدرك معنى كل موجود ؛ فإذا لم توجد ذات ، ولم يوجد إدراك لمعناه ، فلا أساس للقول بوجوده !

وهذه هي المسألة الخلافية الكبرى بين « هسرل » وتلميذه « هارتمن » .

فإن هارتمن يبرهن على أن الوجود المادي ، والوجود المثالي ، كلاهما مستقل عن المعرفة وعن الوعي المدرك ، كما يثبت استقلال الوجود المثالي عن الوجود المادي [٢١] . وأبعد من هذا ، تبين تحليلات هارتمن الواسعة الدقيقة أن الوجود متعدد الأنماط ، فهناك الوجود المادي ، والوجود العضوي ، والوجود النفسي ، والوجود الروحي ، والوجود المثالي ؛ وكل هذه الأنماط موجودة بصورة مستقلة عن الذات العارفة [٢٢] .

اثبات استقلال الوجود المثالي

ولكن كيف يبرهن هارتمن على استقلال الوجود « المثالي » الذي واجهته الاعتراضات منذ أفلاطون ، وشابته الذاتية حتى عند نصيره « إدموند هسرل » ؟ ؟

إن الخاصية الحاسمة التي تثبت هذا الاستقلال في نظره هي قدرة الوجود على فرض نفسه على الإرادة الإنسانية وعلى الوعي الإنساني ؛ إن الوجود المثالي ـ شأنه شأن الوجود المادي ـ لا يخضع لرغبات الإنسان وأهوائه ، بل يصمت ويقاوم الإرادة الإنسانية ، ويتمرد على رغباتها ، ثم يخضعها لمنطقه وسلطانه .

ومن المفيد أن نذكر هنا أمثلة من « الموجودات المثالية » ، لنقرب معنى هذا الوجود إلى أذهاننا ، ونتجنب الغموض الذي يلف هذه المصطلحات الفلسفية بسحبه الداكنة !

إن كل الحقائق العامة الثابتة ؛ المنطقية ، والرياضية ، والأخلاقية ، تُعد عند هارتمن من الموجودات المثالية . فهذه الحقائق ليست طوع رغبات الإنسان ، وليس بوسع البشر تغييرها أو تعديلها أو ابطال فعاليتها ؛ وهذا هو الدليل على استقلالها عن الذات العارفة ، وعلى وجودها المثالي .

فالحقيقة المنطقية التي تقول إن المقدمتين السالبتين عقيمتان ـ أي لا يمكن أن نستنتج منهما أية نتائج ـ عضو في عالم الوجود المثالي ؛ وكذلك المبدأ الأخلاقي الذي ينص على أن الاغتباط لمصائب الآخرين رذيلة ؛ أو المبدأ الذي يقرر أن الوفاء بالعهد فضيلة أو قيمة ايجابية ، وأن الغدر رذيلة أو قيمة سالبة أو شر ؛ هذه كلها حقائق عامة ثابتة باقية كما هي دائماً ، لا تتغير ولا تتبدل بمرور الأيام أو اختلاف البيئة والمكان ؛ وهذا الثبات والبقاء والاستقلال عن الزمان والمكان والتطورات الاجتماعية والرغبات البشرية هو أخص خصائص الوجود المثالي .

والإنسان يدرك جيداً أن هذه « الموجودات المثالية » ـ أو الحقائق الثابتة ـ مستقلة عن ميوله ورغباته ويعلم يقيناً أن وجودها مستقل كلية عن معرفته وجهله ؛ **فالوفاء بالعهد** قيمة خلقية ايجابية سواء عرف البشر ذلك أو لم يعرفوا ، وقبل أن يعرفوا ، وبعد أن يعرفوا !

ويتابع هارتمن أستاذه هسرل في بناء نظرية معرفة استناداً إلى موقفه من الوجود ، فيميز بين معرفة سابقة على كل تجربة ـ هي معرفتنا بالوجود المثالي ؛ ومعرفة تحصل بالتجربة ، هي معرفتنا بالوجود المادي [٢٣] ـ وهو تمييز ابتدعه « **عمانويل كانت** » ، في الأصل ، وأخذه عنه المعاصرون .

ودفاعاً عن هذا المذهب الواقعي يناقش هارتمن **الفلسفات الذاتية المتطرفة** التي تنكر وجود أي شيء خارج الذهن ، لا الوجود المثالي فقط ! ومن الجلي أن هذا الإنكار يصدم البداهة الإنسانية السوية ، ويبدو في غاية الضعف والتهافت ، ولكنه على الرغم من ذلك أثار مجادلات كثيرة بين « الذاتيين » و« الواقعيين » ! وعلى هذا سوف نكتفي بالإشارة إلى أن هارتمن استند إلى مفهومه للوجود في نقده لمزاعم الذاتيين ، ولن نخوض في ذلك الجدل العقيم المثير للسخرية حول وجود العالم الخارجي ، وهل هو مجرد وهم أو حقيقة قائمة بذاتها !

إن هذا الوجود لا يخضع لإرادة الإنسان ورغباته ؛ ومن ثم فهو ليس وهماً ، ولا هو مجرد خيال أو تمثُّل من خَلْق الذهن الإنساني ؛ هذا هو باقتضاب شديد رد هارتمن على الفلسفات الذاتية التي تنكر وجود أي شيء

خارج « الذات » المدركة [٢٤]،[٢٥] .

وهذه هي الخطوط العريضة لفلسفة نيكولاي هارتمن الواقعية في الوجود والمعرفة والأخلاق . إن هارتمن يبدو تابعاً وفياً للتقاليد الأفلاطونية ، وتلميذاً نجيباً « لإدموند هسرل » ، مع التزام أكثر صرامة بالاتجاهات الواقعية ، وحرص أشد على تجنب مغالطات « الذاتية » .

المنهج الوصفي التحليلي

ولكن عظمة هارتمن وأصالته تتمثل في قدرته الفائقة على اصطناع **المنهج الوصفي التحليلي في المباحث الفلسفية** ، وفي فلسفة الأخلاق على وجه الخصوص . ولقد كانت تحليلات هارتمن للقيم الخلقية هي « تحفته الرائعة » التي جلبت إليه إعجاب فلاسفة العصر وتقديرهم ؛ فإن هذه التحليلات الواسعة الدقيقة العميقة كشفت عن حقائق كثيرة ومفصلة ، وعاونت هارتمن على تشييد فلسفته على ثروة هائلة من الحقائق الجزئية . وإن الفائدة التي ربما يرجوها الدارس لفلسفة هارتمن لن تكون في فلسفته ، على ما لهذه الفلسفة من قيمة لا ريب فيها ، ولكن في الأنموذج الفريد الذي يتمثل في تطبيقات هارتمن للمنهج الوصفي التحليلي على مباحث الفكر المتباينة . وإني لأرجو أن يفيد الباحثون العرب من هذا المنهج ، ومن تطبيقات هارتمن له خاصة ، في معالجتهم للمسائل الثقافية والفكرية ، فإنهم باصطناع هذا المنهج يكشفون عن كنوز دفينة ، ويبددون ما تراكم حول الحقيقة من الأخطاء والأوهام .

ولا ريب في أن قيمة فكر هارتمن وأصالته تمتد إلى عناصر فلسفته كلها ، ولا تقف عند حدود تحليلاته الوصفية . ويكفي أن نذكر هنا أن هارتمن استطاع — مع هسرل وماكس شيلر — أن يقف في وجه **السفسطة الحديثة** والمعاصرة التي تمثلت في المذاهب الوضعية والذاتية والمادية ، وأن يعيد إلى الحقيقة ثباتها واستقرارها ، ويبرهن على استقلالها عن أهواء الإنسان ورغباته وأشواقه !

علـم الأخـلاق

وفي نطاق علم الأخلاق كانت أصالة هارتمن بارزة ؛ فهو قد فصل القول كما لم يفصله أحد من قبل في تفنيد مزاعم « **النسبية الأخلاقية** » وكشف عن تهافتها وزيفها ، وأثبت أن المبادئ الخلقية مطلقة ، ثابتة ، لا تتغير بتغير الزمان والمكان كما زعمت المذاهب النسبية ، لأن هذه المبادئ « موجودات مثالية » مستقلة عن إرادة الإنسان ، وعن أثر الزمان والمكان والظروف الاجتماعية .

وأسهمت فلسفة هارتمن أيضاً بدور فعال في التصدي لمزاعم المادية الحسية الضيقة الأفق ، وادعاءات المذاهب الذاتية المتطرفة ، وأكدت أن الوجود لا يمكن أن يكون مادة محسوسة فقط ، كما تزعم المادية ، وأنه يستحيل أن يكون مجرد وهم أو خيال لا أصل له إلا في ذهن الإنسان العارف !

ولهذا كله **ترجمت أعمال هارتمن الكبرى إلى الإنجليزية والفرنسية** ، وكانت فلسفته موضع دراسات عديدة في **ألمانيا** خاصة ، وفي أوروبا **والولايات المتحدة الأميركية** عامة . وأما في عالمنا العربي فلا يزال الرجل وفلسفته مجهولين ، ولم ينشر عنه شيء سوى فقرة هنا أو هناك ضمن عدد قليل جداً من المؤلفات الحديثة في علم الأخلاق .

المراجع

١ — المجلة العالمية للأخلاق ؛ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٣٠ م .

2 — Frankina (William); «Ethics»; 2 nd imp. Michgan, 1964; p. 72.

3 — Scheler (Max); «Formalisme en ethique»; 1916; P. 22.

4 — Vol. 11; P. 228.

٥ — الترجمة العربية ، تحت إشراف د . زكي نجيب محمود ؛ ص ٣٨٠ .

6 — Bochenski (I. M.); «Contemporary European phi.»; 1961; p. 212.

7 — Ibid; 213.

8 — Hartmahn; «New Ways of Ontology»; Eng. tra. p. 4.

9 — Bochenski; op. cit; p. 214.

10 — Grube; «Plato's Thought»; P. 1.

11 — Ibid; P. 18.

12 — Lutoslouski (Wincent); «The Originand Growth of Plato's Logic»; London; 1905; P. 251.

13 — Grube; op. cit; 34.

١٤ — د . فؤاد زكريا : دراسة لجمهورية أفلاطون ؛ ص ١٤٣ .

15 — Grube; op. cit; P. 35.

16 — Hartmann; «Ethics»; vol. I; P.183 – 184.

17 — Husserl (Edmond); «Ideés»; tra, fra. Paris; 1950; P. 17 – 19.

18 — Ibid; P. 22.

19 — Nakhnikian (Goerge); An Essay in «Readings in Twentieth Century Phi.»; London, 1963; P. 629.

20 — Husserl; «Ideés»; P. 4.

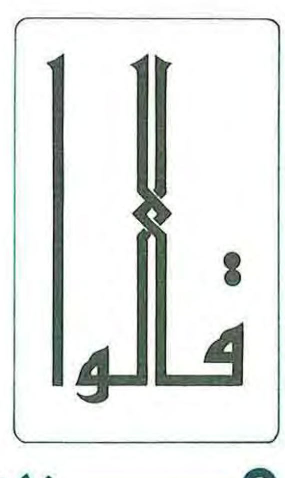
21 — Nakhnikian; op. cit; P. 733.

22 — Hartmann; «New Ways»; P. 43.

23 — Hartmann; «Les Principes d'une Métaphysique»; Vol. 2 P. 193.

24 — Ibid; Vol. 1; P. 307.

25 — Ibid; P. 308.









● الصبر الحزين أقرب جار لليأس .

ماثيو أرنولد

● يمكن لصبرنا أن يحقق أكثر من قوتنا .

إدموند بيرك

● خذ حذرك من ثورة الرجل الصبور .

جون درايدن

● الجميع يوصي بالصبر ، ولا أحد يستطيع مواجهته .

توماس فولر

● الصبر نبات مر ذو فاكهة حلوة .

مثل ألماني

● الصبر كالثقة يمكن أن يزيح الجبال .

وليام بن

● من لا صبر له لا حلم له .

جولستان

● الرجل الصبور لا يستعجل التاريخ .

أدلاي إستيفنسون

● الصبر والد لطفل جميل .

مثل قديم

اشترك في الندوة

- الشيخ مناع القطان (السعودية)
- د. عبدالكريم زيدان (العراق)
- محمد الشاذلي النيفر (تونس)
- د. وهبة الزحيلي (سورية)
- د. محمد سلام مدكور (مصر)

المعاملات المصرفية و الرِّبا

إعداد: محمد مبارك

من المواضيع التي تستقطب اهتمامات المسلمين منذ أمد بعيد .. المعاملات المصرفية .. وموقف الإسلام منها .. ومن أبرز المعاملات المصرفية «منح» أو «الحصول» على الفائدة حسب موقف المصرف من كونه مديناً أو دائناً، مقترضاً أو مقرضاً.

وتقوم البنوك بدور هام في الحياة الاقتصادية المحلية والدولية، وهي تستحصل على مواردها المالية عادة من العمولات التي تفرضها نتيجة أدائها لخدمات معينة لزبائنها، وأيضاً من الفوائد التي تفرضها على المقترضين منها، وهي بالتالي تدفع لأنواع معينة من المودعين أو المقترضين لها فوائد بنسب تتوقف على عوامل كثيرة أهمها الأجل المسمى. ومحصلة أعمال المصارف أرباحاً كثيرة في بعض الأحيان، وخيالية في أحيان أخرى.

والربا لغة: الزيادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ (سورة الحج، الآية ٥)، أي علت وارتفعت وذلك معنى الزيادة .. وقال تعالى: ﴿ **أن تكون أمة هي أربى من أمة** ﴾ (سورة النحل، الآية ٩٢)، أي أكثر عدداً.

والربا في اصطلاح الفقهاء: فضل بلا عوض في مبادلة مال بمال.

والربا محرم بالكتاب والسنّة والإجماع. يقول **النووي**: وقد أجمع المسلمون على تحريم الربا وإن اختلفوا في ضابطه وتفاريعه.

وقد ذكر **الفخر الرازي** في حكمة تحريم الربا ما يلي:

★ أن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض، ومال الإنسان له حرمته، قال **صلى الله عليه وسلم**: «حرمة مال الإنسان كحرمة دمه» لهذا يكون أخذ ماله من غير عوض محرماً.

★ حرّم الله الربا لأنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب وهذا يؤدي إلى تعطيل مصالح البشر، ومن المعلوم أن مصالح البشر لا تنتظم إلا بالتجارة والصناعة وغيرها من الأشياء التي تحتاج إليها المجتمعات.

★ حرّم الله الربا لأنه يؤدي إلى انقطاع المعروف والإحسان بين الناس.

★ من المعلوم أن المقترض يكون غنياً والمستقرض يكون فقيراً، ولهذا لو قلنا بتجويز الربا لكان معنى هذا تمكين الغني من أكل مال الفقير وهذا غير جائز.



★ الشيخ مناع القطان ★





★ محمد الشاذلي النيفر ★

★ د. وهبة الزحيلي ★

ولأهمية موضوع المعاملات المصرفية بصفة عامة، وفائدة البنوك بصفة خاصة، نظمت **الفيصل** هذه الندوة التي ترجو أن تساهم في القاء المزيد من الأضواء حول هذا الموضوع عن طريق استجلاء آراء بعض العلماء والفقهاء .

أهم نظريات الفائدة

(١) النظرية الاتباعية «الكلاسيكية» للفائدة :

الفائدة حسب رأي **سميث وريكاردو** هي التعويض الذي يدفعه المقترض للمقرض عن الربح الذي كان يمكن أن يحققه باستثمار ماله . وهذه النظرية تنظر إلى المجتمع نظرة آلية ، وافترض الاقتصاديون الاتباعيون أن كمية المال لا علاقة لها بمعدل الفائدة .

(٢) نظرية الزهد في الفائدة :

أي أن الفائدة هي الثمن الذي يدفع عن الزهد ، أي سلوك الشخص الذي يزهد في الاستخدام العقيم لما في وسعه أن يتحكم فيه من مال ، فهو يفضل عامداً الإنتاج ذا النتائج البعيدة على الإنتاج ذي النتائج الفورية .

(٣) النظرية الإنتاجية للفائدة :

يعتبر المدافعون عن هذه النظرية أن الإنتاج خاصية ملازمة لرأس المال ، ويقولون إن هذه الخاصية التي يتمتع بها رأس المال هي سبب الفائدة .

(٤) النظرية المالية للفائدة :

وهي تعتبر الفائدة في جوهرها مشكلة مالية ، وتهتم بتحديد معدل الفائدة بدرجة أكبر من السبب في وجود الفائدة ، ويدحض «**كينز**» بقوة المذهب «**المارشالي**» القائل بأن الزيادة في معدل الفائدة يشجع على الادخار .

الفائدة عبر التاريخ

الإغريق :

كان اقراض النقود بفائدة عملاً ممنوعاً عند **الإغريق** ، **فأرسطو** ذم الفائدة بكلمات قوية ، فقد شبّه المال بدجاجة عاقر لا تبيض ، والغرض الأوحد من استخدام المال عنده هو تسهيل التبادل واشباع الحاجات البشرية ، كما ذم أفلاطون الفائدة .

الرومان :

حرّمت **الإمبراطورية الرومانية** في عهودها الأولى تقاضي أية فائدة ، لكنها بدأت تظهر تدريجياً مع اتساع رقعة الإمبراطورية ونشوء فئات التجار ، غير أن قيوداً شديدة فرضت على معدلات الفائدة ، وكان تنفيذها يراقب بدقة . **ولقد كان الرومان هم أول أمة شرعت قوانين لحماية المدنيين .**

العصور الوسطى :

كان **قانون الكنيسة** حتى القرن الثالث عشر هو الأسمى ، وكان تقاضي الفائدة محظور بشدة ، وبأفول نفوذ الكنيسة بدأ إباحة الإقراض بالفائدة .

العصر التجاري :

١٥٠٠ ــ ١٧٠٠م ، برغم جهود التجاريين ، فقد أخفقوا في السيطرة على معدل الفائدة ، وترك ذلك المعدل فيما بعد لكي تحدده قوى



★ د. عبدالكريم زيدان ★



★ د. محمد سلام مدكور ★

العرض والطلب .

الفوائد الربوية

●● بدأ الندوة فضيلة الشيخ مناع خليل القطان، مدير الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، فأفاض في شرح التسلسل التاريخي لتحريم الربا، وآثاره، والرد على شبه الذين يجيزون الفائدة من المتأخرين فقال :

« يقيم الإسلام نظامه الاقتصادي ـ بل نظام الحياة كلها ـ على أساس أن الله تعالى هو خالق هذا الكون بما فيه ومالكه، وقد استخلف الإنسان في أرضه، ومكنه مما ادّخر له فيها من أرزاق وأقوات، ومن قوى وطاقات، شريطة أن يقوم بهذه الخلافة وفق منهج الله وحسب شريعته، فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وفق ما شرعه الله فهو صحيح نافذ، وما وقع منه مخالفاً فهو باطل .

وقد شرط الله على عباده أن ينفعوا برزقه الذي أعطاهم على أساس من التكافل ـ لا على قاعدة الشيوع المطلق كما تقول الماركسية، ولا على قاعدة الملكية المطلقة كما تقول الرأسمالية ـ ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة في الكسب من الوجوه المشروعة، مع التزام جانب القصد والاعتدال في الاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله، والتزام تنمية المال، بوسائله الحلال، التي لا ينشأ عنها أذى للآخرين .

ومن ثم فإن الربا يصطدم مع هذا التصور الإيماني، لأنه نظام يقوم على تصور آخر لا رعاية فيه للمبادئ والأخلاق التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها، إنه يقوم على أساس أن الإنسان سيد نفسه وسيد هذه الأرض، فهو غير ملزم باتباع أوامر الله، ويقوم على أساس أن غاية الوجود الإنساني هو أن يحصل الإنسان على المال بأي وسيلة، ويستمتع به على النحو الذي يهوى، ثم يؤدي هذا في النهاية إلى نظام يسحق البشرية لمصلحة حفنة من المرابين .

وتحريم الربا في الإسلام ليس بدعاً، فإنه محرم في اليهودية والمسيحية من شرائع العهد القديم، إلى شرائع الكنيسة في القرون الوسطى، إلى شرائع اللوثريين وأتباعهم بعد عصر الإصلاح، جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج : « إن أقرضت فضة الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي » . وجاء في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية : « لا تقرض أخاك رباً، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا » .

ويتضح من بعض النصوص أن الربا المحرم إنما هو الربا الذي يأخذه الإسرائيلي من أخيه، أما الربا المأخوذ من أبناء الأمم الأخرى فإنه مباح كيف كان، فالإصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية المنسوب إلى **موسى عليه السلام** صريح في اباحة أخذ الربا من الأجنبي حيث يقول مخاطباً شعب إسرائيل « للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يبارك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك »، فليس هذا تحريماً إنسانياً منبعثاً من شعور بالرحمة والعدل في المعاملة، ولكنه تحريم عصبيّة يبيح القسوة على الأجنبي، ذلك لأن اليهود ينظرون إلى غيرهم على أنهم ليسوا مثل خلقهم، ويقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » وقد جعل الله تعالى أكلهم الربا من أسباب هلاكهم : « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً** » (سورة النساء، الآيتان ١٦٠ ـ ١٦١) .

وجاءت **النصرانية** فحرمت الربا في غير شعب إسرائيل، ولم تقيد تحريمه بقوم دون قوم، وسرى هذا التحريم من أوائل عهد **المسيحية** إلى قيام حركة الإصلاح، فلم يكتف « **لوثر** »، زعيم هذه الحركة، بتحريم الفائدة قلّت أو كثرت، بل حرّم كل **العقود التجارية** التي تؤدي في نظره إلى الرّبا، حتى **البيع بثمن مؤجل** إذا كان أكثر من الثمن العاجل . يقول في رسالة له : « إن هناك أناساً لا تبالي ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة في مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها التي تباع بها نقداً، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئاً بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا

سلعهم جميعاً على النسيئة » ، ثم قال : « إن هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب » .

والربا في نظر **الفلاسفة** ، غير مشروع أيضاً . فقد نهى « **أفلاطون** » عن الربا وقال : « لا يحل لشخص أن يقرض بربا » ، واعتبر « **أرسطو** » الفائدة أياً كان مقدارها كسباً غير طبيعي ، لأن مؤداه أن يكون النقد وحده منتجاً غلّة من غير أن يشترك صاحبه في أي عمل ، أو يتحمل أي تبعة ، وقال في ذلك : « إن النقد لا يلد النقد » .

ثم جاء **الإسلام** فحرّم الربا كذلك ، وأوضح في التشريع المكي قبل أن تفصل الأحكام العملية للشريعة ، أن الربا غير فطري ، وذلك في **سورة الروم** بقوله تعالى : ﴿ **وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾ (سورة الروم ، الآية ٣٩) .

وفي هذا استنكار للربا يفيد عدم رضا الإسلام عنه ، ثم نزل في **المدينة** تحريم **ربا الجاهلية** في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ ، ثم نزل بعد ذلك آيات سورة البقرة : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ ، وهي من أواخر ما نزل . وقال رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع عنكم كله ، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ، وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس ابن عبد المطلب » .

وهذا النوع من الربا هو الذي يسمى ـ بالديون ـ وهو ربا النسيئة ، وهو ربا الجاهلية ، وهو الذي ثبت تحريمه قطعاً بلا خلاف ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال :

« **إنما الربا في النسيئة** » . ويسمى هذا النوع **الربا الجلي** ، الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، يؤخر الرجل دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصير المئة عنده آلافاً مؤلفة .

أما **الربا الخفيّ** ، فهو ذريعة للربا الجلي ، وهو بيع الجنس بالجنس على غير سواء ، فيباع الدرهم بدرهم وزيادة ، ويباع الصاع بصاع وزيادة ، من غير تأخير ، ويسمى هذا الربا **بربا الفضل** لزيادة أحد المبيعين على الآخر ، **وربا البيوع** ، أي الربا الذي لم يكن أساسه الدين بل أساسه العقود نفسها ، والحكم الفصل فيه هو قول النبي ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبرّ بالبرّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إن كان يداً بيد » ، وفي بعض الروايات : « فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

وقد أجمع العلماء على تحريم الربا في الأعيان الستة المذكورة في الحديث بالنسيئة أو التفاضل واختلفوا في تعدي التحريم إلى غيرها لاختلافهم في علة التحريم التي تتعدى بها الحرمة هذه الأصناف الستة .

ومن آثار الاقتصاد الربوي :

ا ـ يتدفق دخل ضخم إلى فئة قليلة تتبوأ أعلى مرتبة في كيان المجتمع ، لأن دخلها يربو أضعافاً مضاعفة ، وفي الجانب الآخر يظل سواد الشعب محدود الدخل لا يستطيع أن يشتري السلع التي يفتقر إليها .

ب ـ اشتعال نار العداوة بين الطبقات ، وتصدع في بنيان المجتمع ، يغذيها باستمرار منظر قلّة مترفة لا يعنيها في قليل أو كثير حال أكثرية ساحقة من الشعب .

جـ ـ توالي الأزمات الاقتصادية لتضخم الإنتاج من ناحية ، وانحسار الاستهلاك في طبقة معينة من جهة أخرى .

د ـ السيطرة المدمرة لكيان المجتمع من الأقلية المرابية التي تتسلط على أداة الحكم .

يقول **وليام هيرست الأميريكي** في هذا : « نحن لا زلنا نحتفظ بشكل حكومتنا الجمهوري ولكن من الذي يسيطر على اللجان التي تختار المرشحين ؟ الشركات . من الذي يسيطر على المؤتمرات الانتخابية ؟ الشركات . من الذي يسيطر على أجهزة الانتخابات ؟ الشركات . من الذي يسيطر على الذين يفوزون في الانتخابات ؟ الشركات . أيصيرون حقاً ممثلين للشعب ، أم هم ممثلون للشركات ولطبقة خاصة ؟

هـ ـ الاتجاه الجارف نحو **الاستعمار الاقتصادي** الذي يمتد خطره إلى مجتمعات أخرى في أجزاء من الكتلة البشرية ، ولهذا عوامل :

١ ـ تضخم القوة الإنتاجية الصناعية ، فهي تبحث عن أسواق أجنبية تستوعب فائض الإنتاج وتكفل الحد الأقصى من الأرباح .

٢ ـ حاجة الاقتصاد الربوي إلى ميادين أجنبية لاستثمار فائض المدخرات ذلك لأن الأرباح الفاحشة التي يتحصل عليها أصحاب الصناعات الكبرى لا يمكن توظيفها في السوق الداخلي إلا بفائدة منخفضة .

٣ ـ حاجة الصناعات الكبيرة في الاقتصاد الربوي إلى الموارد الطبيعية ، في البلاد المتخلفة اقتصادياً ، والسبيل إلى ذلك هو حمل حكوماتهم على بسط نفوذها السياسي على هذه البلاد .

و ـ جميع المستهلكين يؤدون ضرائب غير مباشرة للمرابين ، فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يؤدون فائدة الأموال التي يقترضونها بالربا إلا من جيوب المستهلكين .

شبه الذين يجيزون الفائدة من المتأخرين :

إن ربا الجاهلية أو الربا الجلي أو ربا النسيئة ، هو الذي جاء تحريمه صريحاً في القرآن ، قال تعالى : ﴿ **وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** ﴾ ، ولكن نفراً ممن بهرتهم الحضارة الأوروبية بأنظمتها الربوية يريدون تحليل الفائدة القليلة مستندين في ذلك إلى شبه واهية يحسن مناقشتها :

ا ـ قالوا إن كلمة الربا غير محدودة المعنى تحديداً قاطعاً ، وقد روي

أنه استُبهم على **عمر رضي الله عنه** .

والجواب عن هذا ، أن الذي يروى عن عمر – إن ثبتت صحته – فإن الذي التبس عليه هو أبواب الربا وليس الربا كله ، فإن بعض الربا لا يمكن أن يجهله عمر ، وهو ربا الجاهلية ، وهو الربا المنصوص عليه في القرآن ، وهو الذي ثبت تحريمه بالقطع ، سئل **الإمام أحمد** عن الربا الذي لا شك فيه فقال : هو أن يكون له دين ، فيقول له ، أتقضي أم تربي ؟ فإن لم يقضه زاده في المال ، وزاده هذا في الأجل ، ومعاذ الله أن يكون مثل عمر بن الخطاب الإمام العادل الذي كتب الله الحق على قلبه ولسانه لا يفهم قوله تعالى : **﴿ وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾** .

والذي روي عن عمر أنه سأل رسول الله ﷺ عن أبواب الربا وقال : « إنا والله لا ندري لعلنا نأمركم بأمور لا تصلح لكم . ولعلنا نهاكم عن أمور تصلح لكم فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم » وكان الأولى لهم أن يأخذوا بعجز كلامه « فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم » .

ب – وقالوا : إن الربا المحرم في القرآن جاء تحريمه لأجل المروءة والأخلاق لا للتنظيم الاقتصادي ، وذلك يصدق على من يأخذ فائدة ممن يقترض للاستهلاك – لا للاستغلال ، فإن المروءة والأخلاق لا تنافيان أن يؤخذ من المدين الذي استدان للاستغلال وكسب منه الكسب الوفير مقدار محدود ، وعلى ذلك فالقرض الذي يكون للاستغلال يصح أخذ فائدة عليه من المدين .

والجواب عن هذا أن كلمة الربا لا يراد بها إلا الزيادة ، والنص القرآني صريح في أن الامتناع عن الربا يكون بأخذ رأس المال فقط . وحال **مكة والطائف** ترجح أن القرض الربوي كان للاستغلال لا للاستهلاك لما عرف عن **قريش** من الاتجار . وثبت أن **بني المغيرة** ومكانتهم من قريش معروفة ، قد اقترضوا من **ثقيف** مالا بربا وقد وضعه النبي ﷺ ولا يعقل أن يكون هذا القرض للاستهلاك ، فكانت حياة العرب ساذجة والقرض للاستهلاك إنما يكون لمن تنوعت حاجاته وكثرت مطالبه وكان أكثر طعام أهل البادية التمر واللبن .

جـ – وقالوا : إن الضرورة توجب أخذ الفائدة ، وإن لم تكن ضرورة فالمصلحة تقتضي ذلك ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله تعالى .

والجواب على هذه الشبهة أن الضرورة التي يعنونها قائمة على وهم باطل ، وهي أن بناء الاقتصاد في البلاد الإسلامية يقوم على المصارف ، والمصارف تقوم على الربا ، وفي هذه الفائدة مصلحة اقتصادية لأنها تنمي الادخار ، وهذا ليس ضرورة شرعية ، فإن الضرورة الشرعية لا تقرر في نظام ربوي جماعي ، بل تكون في أعمال الآحاد ، وبناء الاقتصاد على المصارف الربوية ، وجعل هذا ضرورة معناه أن النظام كله يحتاج إلى الربا كحاجة الجائع الذي يكون في مخمصة إلى أكل الميتة أو لحم الخنزير أو شرب الخمر .

وقد بين الرسول ﷺ الضرورة التي تبيح الحرام إجابة عمن سأله بقوله : إنا نكون في الأرض تصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « حتى لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تجدوا بقلًا » . فإن هذه الضرورة من الحاجة إلى التعامل بالربا حتى نستحل ما حرّم الله تعالى فنجعل النظام الربوي في المصارف ضرورة ؟

وليس ثمة مصلحة يقتضيها التعامل الربوي الذي يؤدي إلى طغيان رأس المال ، إنما المصلحة تحريم الربا على النحو الذي ذكرناه في حكمة تحريمه .

وبعد ، فالحديث عن أنواع التعامل المصرفي واقتراح البديل يحتاج إلى بحث أطول » .

إنشاء البنوك اللاربوية

●● ويتحدث الدكتور عبد الكريم زيدان ، أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الدين بجامعة بغداد بالعراق عن ضرورة إنشاء بنوك تقوم على الأساس اللاربوي ويقول :

« الفوائد حرام في الإسلام ، سواء كانت عن قرض للاستهلاك أو للإنتاج ، وسواء كانت هذه القروض من أفراد أو من بنوك ، وهي من الشرور التي يحاول علماء الاقتصاد التخلص منها ولا يستطيعون ، لأنها جزء من نظامهم الاقتصادي . أما نحن معاشر المسلمين فليست الفائدة جزء من اقتصادنا ، وإنما نريد أن نجعلها كذلك . وهذا ضعف في الوازع الديني ، ونظر قاصر فيما ينفع في النظام الاقتصادي .

إن الفائدة أو الاقتراض بالفائدة لا يستفيد منه أو لا يباشره إلا التجار والأغنياء وأصحاب الأموال الكبيرة الذين لا يقنعون بما عندهم ولا يكتفون بالاتجار بما لديهم فيذهبون إلى البنوك مقترضين منها بفوائد أو عن طريق حسم كمبيالاتهم أو بطرق أخرى كلها تقوم على الفائدة . أما عامة الناس من الفقراء وصغار التجار فلا يباشرون معاملات الفائدة .

ولا شك أن من الخير للمجتمع منع الفوائد والاقتراض بالفائدة لأن هذا المنع سيجعل تعامل التجار كل حسب ما عنده من مال ، وبالتالي سيتوزع الربح بين أعداد كبيرة جداً من أفراد المجتمع ، ولا يتكدس المال بأيدٍ قليلة من الأفراد ، وتفتيت الثروات وتوزيعها مما يحرص عليه كل مجتمع في الوقت الحاضر ، ولكن هذه المجتمعات تسلك مسالك ملتوية للوصول إلى هذا الهدف ، وقد تقع في الظلم أو الانحراف ، والإسلام أغنانا عن ذلك كله بما شرعه لنا من تشريعات اقتصادية إذا التزم بها المسلمون فمن المستبعد جداً أن يحصل تكدس في الثروات بأيد قليلة بل ستتوزع الثروات بين عدد كبير جداً من أفراد المجتمع ، وستقل الفروق فيما بينهم وبالتالي يأمن المجتمع من الهزّات والرّجات والثغرات التي ينفذ منها المفسدون .

أما **البديل ، فهو إقامة بنوك إسلامية تقوم على أساس التعاون النظيف ، وتسهم في تحقيق التكافل الاجتماعي بما**

تقدمه من خدمات للمواطنين دون فوائد .

وهذا النمط من البنوك يجب أن تقوم به الدول الإسلامية ، حتى ولو لم تربح من هذه البنوك شيئاً ، بل وحتى لو خسرت ، لأن الدولة ما قامت إلا لخدمة المجموع ، والانفاق على ما ينفع أفرادها ورعاياها . فليس من الكثير عليها أن تقدم خدماتها الاقتصادية مجاناً للأفراد عن طريق بنوكها . **إن الدولة تقدم كثيراً من الخدمات مجاناً مثل خدمات الصحة والمواصلات والأمن والتعليم وغيرها ، فلماذا تحجم عن إنشاء البنوك اللاربوية وتقدم خدماتها للمواطنين بدون ربا ؟** » .

تجربة البنك الإسلامي للتنمية

●● ومن تونس أدلى برأيه الأستاذ محمد الشاذلي النيفر ، عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين قائلاً :

« لتسير قضية البنوك في طريق الحل ، فالبنك الإسلامي للتنمية بنجاحه — إن شاء الله — سيتم به إنهاء هذه القضية التي يدعونها مشكلة في وجه الاقتصاد الإسلامي .

ثم إنه لا سبيل إلى التعامل مع البنوك الحالية وهي تتعامل بالربا لأن التعامل به سيؤدي إلى الحرب مع الله والرسول ، ومعنى ذلك خراب التعامل وفسدانه وهو مآل المدنية القائمة عليه » .

الأسس الشرعية للمصارف

●● ومن سورية يقول رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بكلية الشريعة بجامعة دمشق الدكتور وهبة الزحيلي حول الأسس الشرعية للمصارف :

« البنوك أو المصارف الربوية لا شك بأنها حرام بنص القرآن الكريم : **﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾** ، **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾** ، **﴿ وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾** ، لذا **فلا يجوز دفع الفائدة أو الربا إلى المصرف ، كما لا يجوز قبول الفائدة عن المبالغ المودعة بالمصارف .**

ولا مانع في تقديري من **الايداع بدون فائدة** في المصارف الحالية لعدم توفر الأمن على الأموال في المنازل ، ولا مانع أيضاً من أخذ الفوائد المودعة في مصارف بلاد أجنبية « **دار الحرب** » وصرفها في المشاريع العامة حتى لا يتقوى العدو بها إن تركت له .

وإن كانت المصارف ضرورة اقتصادية في العصر الحاضر ، فأرى أن تقوم على أسس شرعية عن طريق **شركة المضاربة المشروعة في الإسلام** ، وهي اعطاء أرباب الأموال قسماً من أموالهم إلى مدير المصرف الذي يعتبر بمثابة العامل المضارب والذي يقوم بتشغيل الأموال المسلمة إليه في استثمارات متعددة ويوزع الربح بنسبة متفق عليها بين رب المال والعامل المضارب « أي المصرف » ويتحمل رب المال الخسارة ، أما المصرف أو المضارب فيخسر جهده وعمله فقط ، ولا يتحمل شيئاً من الخسارة .

وإذا نجحت فكرة **بنك دبي الإسلامي** ، أو البنك المماثل له في جدة ، فسوف يكون ذلك نصراً كبيراً لأمتنا بشرط استعداد المسلمين لانجاح هذه الفكرة والعمل على دعمها والاعتماد على فقهاء متخصصين لدراسة الحلول لكل مشكلة على حدة » .

المشاركة في الخسارة والأرباح

●● أما الأستاذ الدكتور محمد سلام مدكور . رئيس قسم الشريعة بكلية حقوق جامعة القاهرة بمصر ، فيوجز رأيه فيما يلي :

« يحرم الإسلام التعامل الربوي تحريماً قاطعاً لما فيه من احتمال الربح والخسارة ، وما يترتب على ذلك من الضرر . والقرض الذي يجر نفعاً بناء على ذلك يكون محرماً .

وفي عقيدتي أن الربح إذا ما تحدد بصورة أنه لا يزيد عن كذا حتى يشمل ذلك أن الجهة إذا ما حققت خسارة تحمل فيها المودع بقدر مبلغه ، وإذا ما ربحت فإنه لا يأخذ من الربح أكثر من النسبة التي حددت له لما خالفت ذلك الحكم الشرعي . ولا خوف من هذا ، لأن الاستقداء التام يدل على سبيل القطع أن الخسارة غير محتملة وأن الربح محقق » .

وبعد . .

من الآراء التي اشتملت عليها الندوة تبرز نقاط غاية في الأهمية وأهمها ما يلي :

● أنه قد آن الأوان لتجمع إسلامي موسع ، للبت في شرعية المعاملات المصرفية بوضعها الحالي ، ومن ضمنها الفوائد ، كي يتحمل علماء المسلمين مسؤولياتهم تجاه دينهم الذي ارتضاه لنا الله سبحانه وتعالى .

● يجب على الدول الإسلامية **تشجيع إنشاء البنوك الإسلامية** ، وذلك على المستويين الرسمي والشعبي ، والعمل على انجاح مثل هذه البنوك .

● البديل عن المعاملات المصرفية التي تتعارض مع الشرع . . أمر ملح وضروري .

روى الأمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال :
« يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا » قيل :
الناس كلهم يا رسول الله ؟
فقال عليه الصلاة والسلام :
« من لم يأكله ناله غباره » .

رحلة في



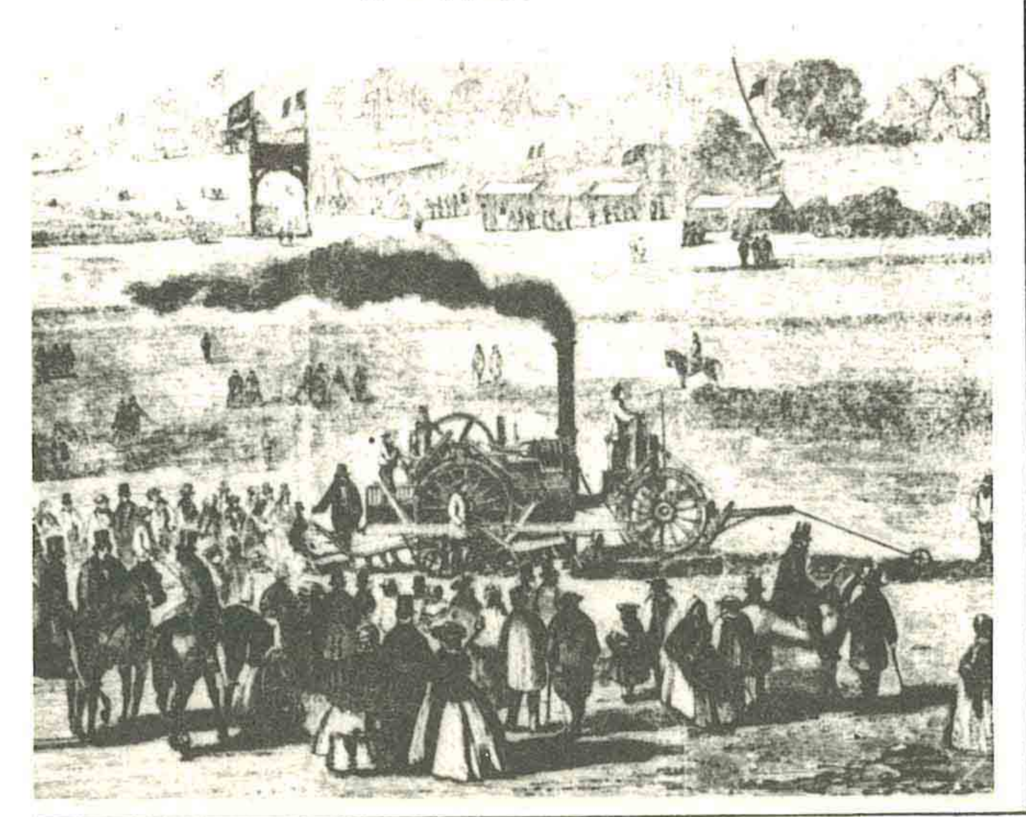


يقدم لنا مؤلف هذا الكتاب الحديث قائمة طويلة بمصادر جديدة للطاقة : كالأرض والماء وحركات المد والجزر والريح والشمس والفضلات والهيدروجين وغيرها . ولكنه يعترف صراحة بأن هذه ليست أكثر من مصادر متممة ومكملة لمصادر الطاقة التقليدية لا بديلة عنها . وهذا دليل جديد على أن النفط سوف يظل لفترة طويلة من الزمن يمسك بزمام صولجان الطاقة !

«الأرض والماء والريح والشمس

بدائلنا عن الطاقة»

★ كان الخشب والفحم عماد الطاقة ★



تأليف :
دانييل هالاسي

عرض وتحليل
ياسر الفهد

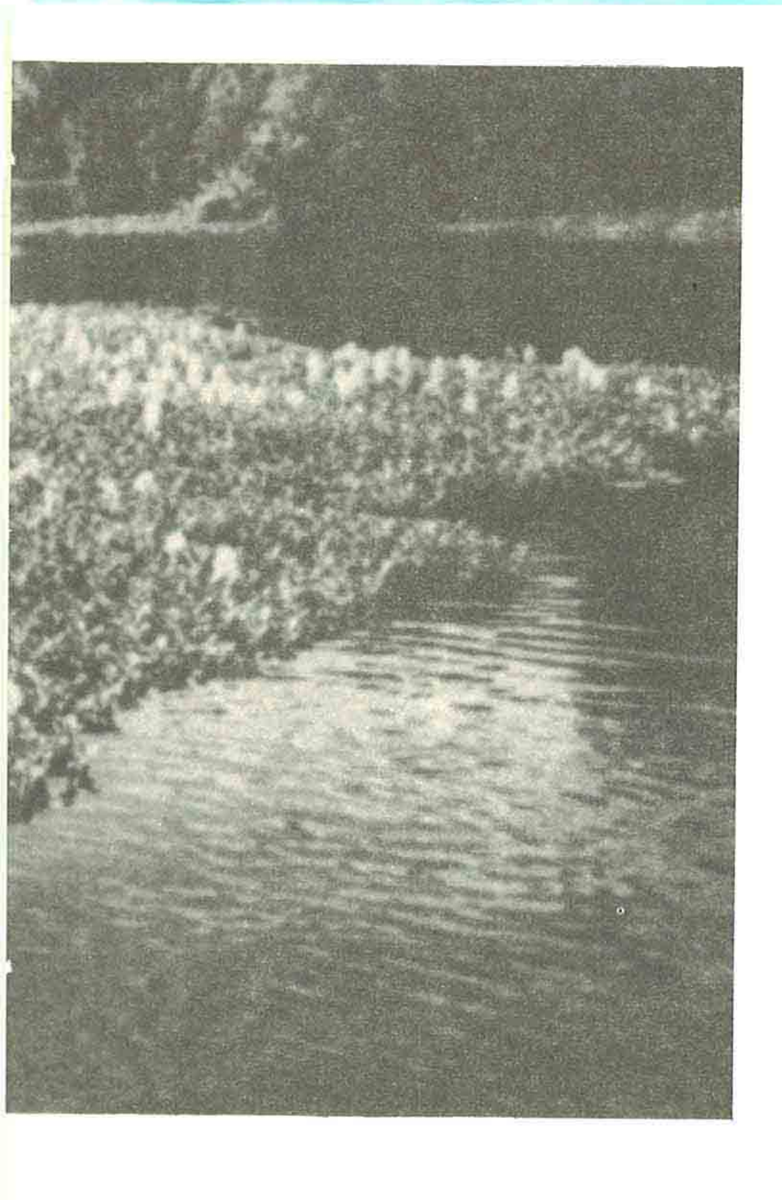
ومؤضوع الطاقة يحظى على الدوام بأهمية خاصة ... ولكن هناك فترات تزداد فيها أهمية هذا الموضوع ويعظم الاهتمام به . من ذلك مثلاً الفترة التي رافقت **حرب تشرين الأول / أكتوبر** وما أعقبها من حظر بترولي فرضته **الدول العربية النفطية** بهدف الضغط على **الولايات المتحدة وأوروبا** لصالح **القضية العربية**، وكذلك الفترة التي قدم خلالها **الرئيس الأميريكي كارتر** مشروعه الخاص بتقنين استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة إلى **الكونغرس**، وذلك في شهر نيسان / أبريل من عام ١٩٧٧ م . وقد كان هذا المشروع متشدداً إلى درجة دعت بعض المعلقين الأميريكيين إلى تشبيهه بمقاطعة بترولية عربية جديدة ... ولكن من البيت الأبيض في تلك المرة !!

وهناك أخيراً **أحداث إيران** التي جاءت بآية الله الخميني إلى سدة الحكم، وما رافقها من توقف في إنتاج النفط ومن تصريحات علنية من القادة الجدد بأن هذا الإنتاج لن يعود أبداً سيرته الأولى حتى بعد أن تعود عجلة الحياة الإيرانية إلى دورتها العادية . ولا ننسى أيضاً **مؤتمر الطاقة العربي** الذي عقد في **(أبو ظبي)** في أوائل شهر آذار / مارس من عام ١٩٧٩ م، وكذلك المؤتمرات الأخرى **لدول الأوبك** وغيرها .

وبذلك يقفز موضوع الطاقة من جديد إلى رأس أعمدة الصحف العالمية، ويثير جو الاكفهرار في أميركا وأوروبا شاغلاً أذهان المسؤولين فيها . **وكثيراً ما كانت بعض الصحف والمجلات الأجنبية تتشدق بوجود مصادر أخرى للطاقة حتى يقع في وهم العرب أن الغرب قادر على الاستغناء عن النفط العربي .** ولكن الزمن أثبت فيما بعد أن هذا لم يعد كونه أكثر من مكابرة، وأن بدائل الطاقة ليست إلا زوبعة في فنجان — في الوقت الحاضر على الأقل — أثيرت للتقليل من أهمية الثروات النفطية العربية التقليدية، وأحد الأدلة على ذلك هذا الكتاب الذي سنعرضه، والذي صدر في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٧ م، ويحمل عنوان (الأرض والماء والريح والشمس .. بدائلنا عن الطاقة) يقر فيه الكاتب صراحة بأن مصادر الطاقة الأرضية والمائية والبحرية والهوائية والشمسية هي مصادر مكملة لمصادر **الوقود الحفرية** (fossil fuels)، أي النفط والغاز والفحم، وهي لا تسد مسدها أو تغني عنها .

ومؤلف الكتاب هو دانييل . س . هالاسي، مهندس وكاتب أميريكي من كاليفورنيا، عمل لفترة طويلة من الزمن في حقل العلوم الإلكترونية وصناعة الطائرات . وقد أصدر خلال ربع القرن الأخير أكثر من خمسين كتاباً ونشر مئات المقالات . ومن كتبه التي ذاع صيتها : **عصر الطاقة الشمسية القادم، الثورة الوراثية، الحاسبات الإلكترونية، هندسة الجوع، الإنسان والذاكرة .** وأخيراً الكتاب الذي بين أيدينا الآن، واخترناه للطواف في أرجائه وتحليل محتوياته .

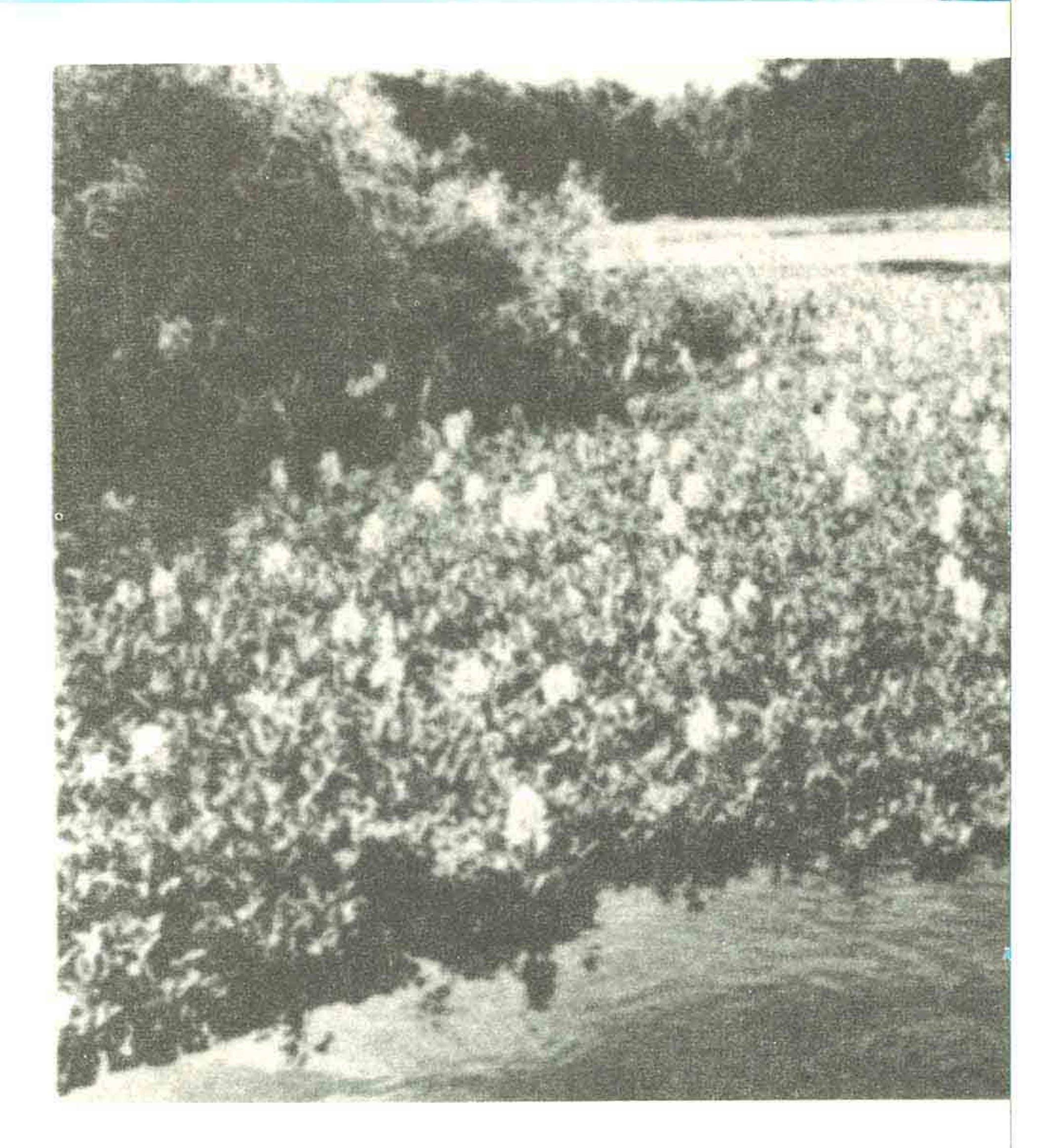
وليس غريباً أن يصدر كتاب من هذا النوع في الولايات المتحدة، فهي أكثر دول العالم اهتماماً بموضوع الطاقة واستعداداً للاكتواء بنار نقصها . فهي لذلك لا تترك فرصة تسنح للبحث عن حل محتمل لهذه



المشكلة إلا تشبثت بأذياله . **وإذا أردنا أن نعرف مدى تأثير نقص الطاقة في الاقتصاد والصناعة الأميريكيين، ما علينا إلا الرجوع لكتاب (الفقر في الطاقة : الطاقة والأزمة الاقتصادية) الذي أصدره باري كومونر حديثاً في الولايات المتحدة .**

إن المصادر الجديدة التي يشير إليها دانييل هالاسي، في كتابه الذي نتناوله بالتحليل، لا تشكل حلاً لمشكلة الطاقة بل إنها تؤلف عاملاً مساعداً فقط، في الوقت الحاضر ولعدة سنوات قادمة على أقل تقدير .

ويعترف المؤلف بأن الأمن القومي والاقتصاد وحتى القدرة على تقرير طراز الحياة في الولايات المتحدة، مهددة جميعها اليوم بسبب مشكلة الطاقة، مما يجعل الحاجة ماسة إلى الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة لحل المشكلة مع الإقرار بعدم إمكانية الحصول على نتائج ملموسة قبل مضي أعوام طويلة . وبما أن البحث عن تكنولوجيات حديثة للطاقة وتطويرها ثم استثمارها من شأنه أن يستغرق زمناً طويلاً، فإنه يدعو إلى الشروع في بذل جهود مكثفة منذ الآن، مع فتح المجال أمام عدة خيارات وعدم





★ دانييل هلامي مؤلف الكتاب ★

الاقتصار على أساليب محددة تقفل باب الاختيار . وهو يعلق أهمية كبيرة على ضرورة تقليص الزمن اللازم للانتقال إلى الأنواع الجديدة من الطاقة التي تعتمد على المصادر الوقودية المتوافرة بكثرة على النطاق المحلي الأميريكي .

المصادر التقليدية

والآن ما هي الصورة الحالية التي يقدمها الكتاب بالنسبة لمصادر الطاقة التقليدية ؟ إذا أخذنا الولايات المتحدة مثالا ، نجد أن بعض التقديرات تشير إلى أنه سيمضي عقد من الزمان قبل أن تنفد الموارد البترولية والغازية فيها ، ولكن تقديرات أخرى تذهب مذهباً متشائماً ، فتشير إلى أن أميريكا تقف اليوم على حافة الافلاس **البترولي والغازي !**

وبالنسبة **للفحم** فإن معظم الاحتياطي منه فحم طري ، ويحتوي على شوائب كبريتية كبيرة ، وحل هذه المشكلة متيسر بالوسائل التكنولوجية الحديثة ، ولكن ذلك يستلزم إقامة مصانع كبيرة لتنقية الفحم . . أما تحويله إلى وقود سائل أو غازي فيفقده ٤٠ ٪ من قدرته

مشكلات الطاقة النووية

وبخصوص **الطاقة النووية** فإن الآمال العريضة المشرقة التي كانت معلقة عليها منذ زهاء ربع قرن قد خبا وميضها الآن ولم تعد معقد الأمل ، وموئل الرجاء ، كما كان يظن ، وذلك بسبب مصاعب كبيرة ليس أقلها وقوع مئات الحوادث بسبب الأضرار الناشئة عن النفايات المشعة ، الأمر الذي دفع الحكومة الفدرالية إلى أن تتولى بنفسها مسؤولية التأمين على **مصانع الذرة في أميريكا** . وعلى عكس ما ذهبت التوقعات في الماضي ، فإن **الطاقة النووية لا تقل تكاليفها عن الطاقة التقليدية** . ونضيف إلى ما سبق وجود مشكلات فنية كثيرة تتعلق بمعامل الطاقة النووية وقد يستغرب البعض إذا قلنا إنها أقل كفاءة من المعامل التي تعمل على الفحم أو البترول أو الغاز !

ويهدر المصنع التقليدي للطاقة وسطياً ٦٢ ٪ من المحتوى الحراري لوقوده في حين يصل هذا في المصنع النووي إلى ٧٠ ٪ . وأكثر من ذلك ، وهذه حقيقة تكنولوجية لا يعرفها إلا المختصون التكنولوجيون ، فإن المصانع النووية الحالية تهدر حوالي ٩٩ ٪ من **اليورانيوم** المزودة به وذلك قبل أن يبدأ الهدر الحراري المقدر بـ ٧٠ ٪ وتزداد هذه الحقيقة أهمية إذا عرفنا أن رطلاً [١] واحداً من اليورانيوم يكلف بمقدار تكلفة طن من الفحم . وهكذا فعلى الرغم من أن الوقود الذري يملك طاقة تفوق ما يملكه الوقود التقليدي ، فإن هناك **مشكلة الهدر ، ومشكلة ارتفاع ثمن اليورانيوم** الذي تضاعف ثلاث مرات مؤخراً حتى وصل إلى ٢٦ دولاراً للباوند الواحد .

احتمالات أم أوهام

يبشر بعض الخبراء باحتمال الاستفادة من **الانصهار** fusion بواسطة **أشعة لازر** laser ray ، ولكن النجاح في هذا الميدان يستلزم مضي وقت طويل ، كما يرنو آخرون بأمل إلى **الهيدروجين** فهو مصدر عالي القدرة إذا قيس بوزنه وحجمه ويحترق بفاعلية كبيرة بأدنى حد من التلويث ، ولكن المشكلة أن الهيدروجين لا يتوافر إلا في الماء وفي بعض المركبات الكيميائية ، واستخلاصه منها يستلزم من الطاقة بقدر ما يمكن للهيدروجين أن يُنتج منها ! سيبقى الهيدروجين إذن أكثر من الحلم بقليل إلى أن يتم العثور عليه حراً في الطبيعة .

وهناك احتمالات يكاد أن يكون بعضها أضغاث أحلام ، أو قصوراً في الهواء ، أو نسجاً من الخيال لا يتكئ على أي واقع عملي : فبعض العلماء ما زالوا يمنون أنفسهم ويخدعونها بسراب الاستفادة من الحركة المستديمة أو الأوزان الهابطة أو المغناطيس أو من الأوزان المضادة الدائرة Spinning Counter Weights لتوليد الطاقة .

ويؤمن آخرون بإمكانية اصطياد احتياطي هائل من **الطاقة الكهرطيسية الموجودة في الجو** ، بطريقة تكنولوجية ما . ويقترح غيرهم أن نيمم شطر **الأحزمة الإشعاعية العظيمة المحيطة بالأرض** لتنجدنا بالطاقة ! ويضع فريق من العلماء آمالهم في **طاقات النجوم !** وهم يأملون أن تصل التكنولوجيا إلى مرحلة متقدمة نستطيع معها أن نستثمر **الطاقة النجمية** (Star Power) .

ولا يعرف أحد حتى الآن إلى أي حد يمكن اعتبار الاحتمالات السابقة شطحات من الخيال الواسع أم احتمالات علمية حقيقية ، وما إذا كان الأمر لا يتعدى كونه أشبه بضرب عصا بعصا أخرى لإنتاج النار .

البدائل المأمولة

تتأجج في داخل الأرض درجات هائلة من الحرارة ، وترنو أبصار العلماء اليوم إلى هذه الحرارة لمدنا بمزيد من الطاقة . وفي حين نجد أن



جميع جذور مصادر الوقود **كالخشب والمحروقات الأخرى** تضرب في الأرض ، فإن المصدر الأرضي ليس وقوداً لتوليد الحرارة بل إنه الحرارة نفسها . ويمكن استخدام هذه الحرارة لإنتاج الكهرباء بشكل خاص . وفي **شمالي كاليفورنيا** توجد **منطقة اسمها الحمة** Geysers ، تشتمل على أبخرة تحت الأرض تنتج قرابة (٤٠٠) ميغاواط سنوياً ، لصالح إحدى الشركات الأميركية ، وهذا يسد نصف **احتياطات سان فرانسيسكو الكهربائية** . ومنطقة الحمة هي التي لفتت أنظار العلماء إلى أهمية المصدر الأرضي الحراري .

وتوجد اليوم في كاليفورنيا ونيوزيلانده والمكسيك والسلفادور وروسيا وإيطاليا واليابان آبار للبخار الطبيعي تنتج زهاء (١٨٠٠) ميغاواط من الطاقة سنوياً . ويقدر أن هذا الرقم سيرتفع إلى (٤٠٠,٠٠٠) ميغاواط خلال عام ٢٠٠٠ م ، وهذا سيلبي ٤٠ ٪ من المتطلبات الكهربائية للبلدان المذكورة في ذلك الوقت .

ويتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية من :



★ مولد هوائي للطاقة في الولايات المتحدة ★

ا) تلف المواد النووية العميقة nuclear material في الأرض .

ب) احتكاك الحركة الصخرية rock movement وقوى المد والجزر tidal forces .

ولا بد لتكونها من اجتماع عنصرين :

ا) **الصهارة** magma وهي مادة صخرية ساخنة ذائبة في باطن الأرض.

ب) **المـــاء** Water .

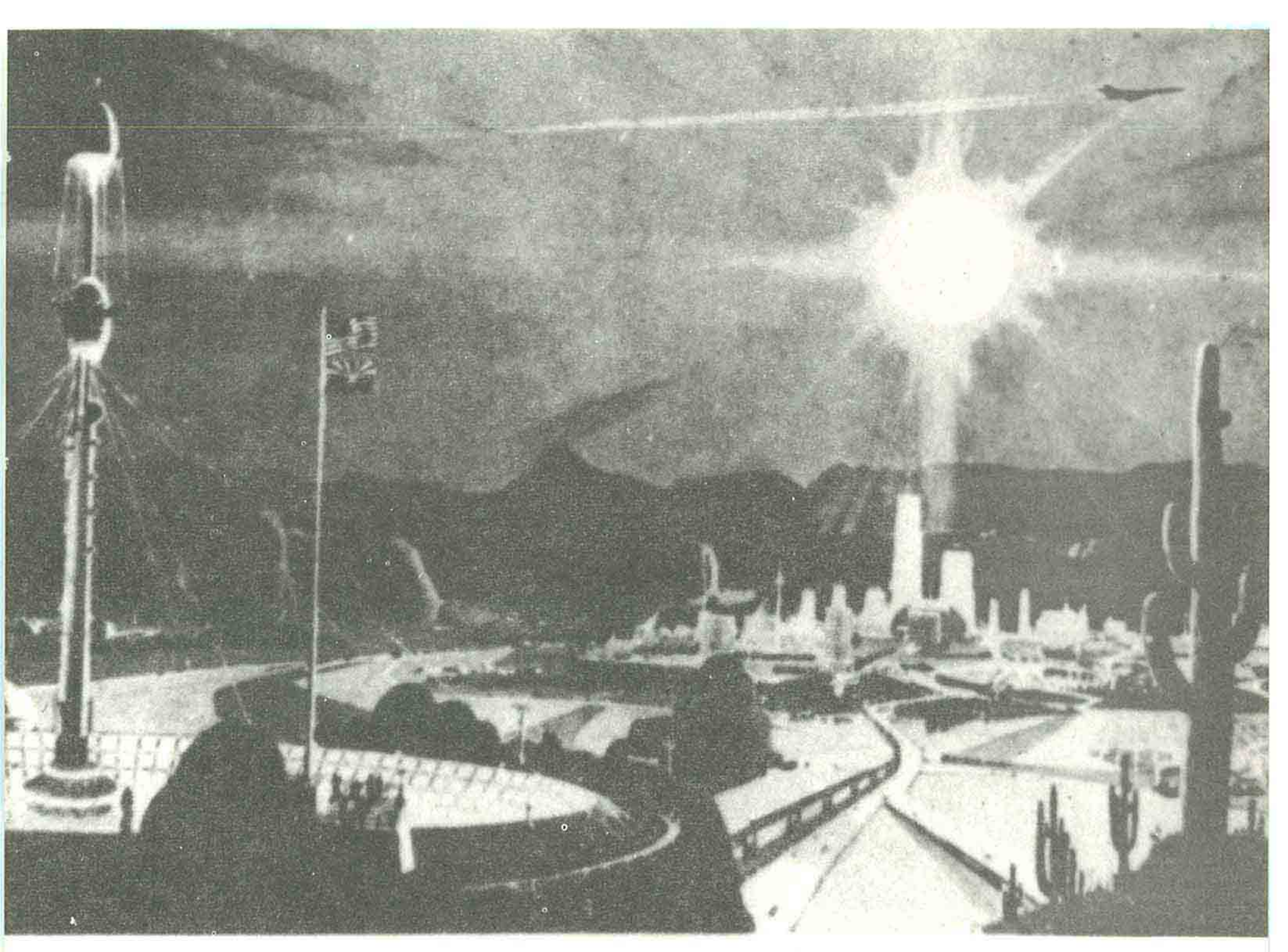
وهناك أربعة أشكال للطاقة الأرضية ــ الحرارية : البخار الجاف ــ البخار الرطب ــ الصخور الساخنة ــ المستودعات المضغوطة . وأفضلها البخار الجاف لقدرته الحرارية العالية جداً وعدم تسببه في تآكل المعدات المستعملة . **ومن أهم ميزات الحرارة الأرضية أنها تمثل مصدراً للطاقة قابلاً للتعويض.** فمع أن استعمال الماء الساخن من الأرض يؤدي إلى نفاد المخزون الوقتي منه فإن النقص سرعان ما يُسدّ فيعود المخزون إلى التجدد بعد فترة من الزمن .

والحال هنا يشبه حال حقل الزرع الذي يستعيد قدرته الإنتاجية بعد تركه لمدة دون استثمار . وبالطبع لا يمكن الاستفادة من الكهرباء المتولدة من الآبار الأرضية ــ الحرارية إلا في الأماكن التي توفر فيها الطبيعة كميات غزيرة من البخار الساخن ، وذلك بالقدر نفسه الذي لا نستطيع به أن نستفيد من **التوربينات الهوائية** إلا عندما تكون الريح قوية .

ويعقد العلماء اليوم آمالا كبيرة على الحرارة الأرضية . ففي الولايات المتحدة ، مثلاً ، على الرغم من أن المعمل الكهربائي الذي يستمد طاقته من الحرارة الأرضية في منطقة الحمة ، وهو المعمل الرئيسي من نوعه في أميريكا ، لا يسد في الوقت الحاضر أكثر من ١/١٠٠٠ من احتياجات أميريكا الكهربائية ، فإن المعامل الأميريكية التي تعمل على الحرارة الأرضية ستكون قادرة بحلول عام ١٩٨٥ م ، على توليد ما يتراوح بين ١٩٠٠ و ٣٥٠٠ ميغاواط من الكهرباء الأرضية ــ الحرارية .

المـــاء

خلافاً للوقود التقليدي الذي لا يُستعمل إلا مرة واحدة

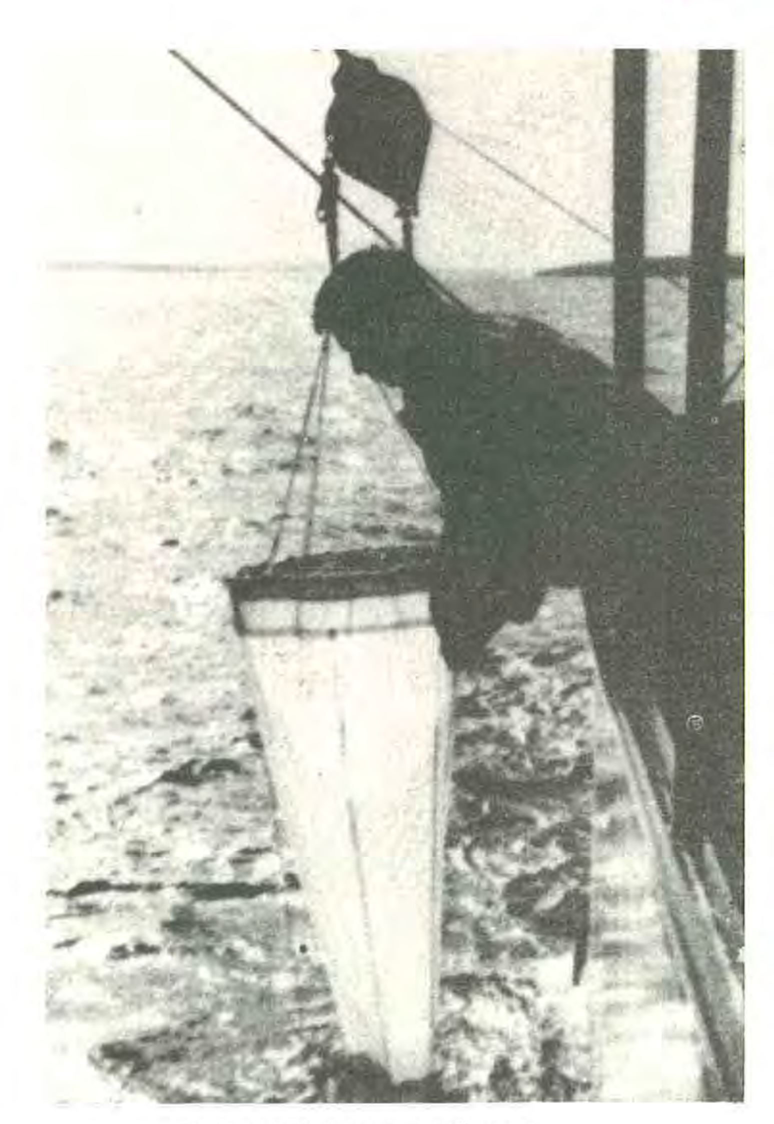


★ آمال المستقبل تتجه نحو الشمس ★

فإن للمصدر المائي دورات متكررة يستخدم خلالها في عدة استعمالات من الزراعة ... إلى إنتاج الطاقة . ويقول **الدكتور هانز ثيرنج من جامعة ڤيينا** : «مع أن الطواحين المائية تعد من أقدم الطرق لإنتاج الطاقة فإنها ما زالت حتى اليوم تمثل أحسن وسيلة نظراً لاقتصاديتها وكفاءتها ونظافتها وعدم نفادها ، وقابلية التعويل عليها» .

إن المياه تملك في أثناء حركتها قدرة حركية يمكن تحويلها ، باستخدام المعدات ، إلى طاقة . **ويعود استعمال الطواحين المائية إلى تاريخ موغل في القدم ، إذ إنه يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة حين ظهرت هذه الطواحين لأول مرة في الشرق الأدنى** ، على ما يروي بعض المؤرخين ، كما أنها استعملت في **اليونان** قبل ميلاد المسيح . وتعد **شلالات نياجارا** من أكبر مصادر الطاقة المائية وتقدر قدرتها الكامنة بأكثر من ستة ملايين قدرة حصانية [٢] horse power وقد بدأ استثمارها منذ عام ١٨٧٥ م ، إلا أن العلماء لم يستثمروا من قدرتها الهائلة سوى (٧٠,٠٠٠) قدرة حصانية . وكانت العقبة الرئيسية في الماضي تتمثل بايجاد طريقة لنقل الطاقة التي تنتجها الطواحين في موقع المصدر المائي إلى مسافات معقولة . وبعد اختراع الكهرباء وجدت المشكلة طريقها إلى الحل ، ودبت حياة جديدة في الطاقة المائية . **وكان العلماء الألمان أول من نجح في عام ١٨٩٠م ، في نقل الكهرباء بالأسلاك من فرانكفورت إلى لوفن .** وفي **مضيق جبل طارق** تحدث ظواهر هيدروليكية هامة تجعل من الممكن بناء سد قادر على إنتاج كميات هائلة من الطاقة الكهربائية . ولكن بعض الصعوبات حالت حتى الآن دون بناء مثل هذا السد . . ولا يمكننا أن ننسى بالطبع **السد العالي** الذي شادته مصر في **أسوان** ، فهو ينتج زهاء (٢١٠٠) ميغاواط سنوياً .

أما في الولايات المتحدة فإن استثمار الطاقة المائية قائم على قدم وساق . وفي عام ١٩٧٥م ، كانت معامل **الطاقة الهيدروليكية** هناك تنتج ثلاثة أضعاف ما تنتجه **المعامل الذرية** من الكهرباء وهي اليوم تنتج ما يعادل ١٦ ٪ من مجمل إنتاج الطاقة الكهربائية الأميركية . وعلى الرغم من نظافة المعامل الهيدروليكية ، فإن هناك



★ العلماء يأملون بتحويل نبات البلانكتون إلى طاقة ★

بعض المشكلات البيئية التي تنجم عنها ، بإقامة السدود وتجميع المياه فوق أراضٍ كانت جافة يؤديان إلى تكون **الغرين** (الطمي) كما أن المنطقة قد تصبح مرتعاً للحشرات والبعوض . وإلى جانب هذه المشكلات التلويثية هناك أيضاً قضايا قانونية تتعلق بحق استعمال المياه . وقلائل هم المحامون الذين يعرفون ما فيه الكفاية عن قانون المياه .

الطاقة المد جزرية
Tidal Power

يرجع استعمال الطواحين المد جزرية في بريطانيا وفرنسا وإسبانيا إلى القرن الحادي عشر . وإحدى هذه الطواحين تقع في منطقة مصب نهر **دين** ظلت تعمل لمدة ٨٠٠ سنة بعد إنشائها . **وكانت الطواحين المد جزرية تستخدم لإنتاج القدرة الميكانيكية فقط** ، ولم تتعد قدرتها التوليدية من (٣٠) إلى (١٠٠) قدرة حصانية ، وهي تعتمد على نظام معقد للطاقة يدخل فيه **دوران الأرض ، وجاذبية الشمس والقمر** ، وفي فرنسا تقوم اليوم على مصب **نهر رانس** أكبر منشأة مد جزرية تنتج توربيناتها ما يقارب (٣٥٠) ميغاواطاً من الطاقة ، وهناك توربينات شبيهة بها في أمكنة كثيرة من العالم مثل روسيا والأرجنتين .

وكما هو الحال بالنسبة للطاقة الأرضية ـ الحرارية والمائية فإن القدرة على تجاوز المعدل الحالي لإنتاج الطاقة المد جزرية تبدو متواضعة . فحركات المد والجزر تستطيع أن تساعد على سد جزء كبير من متطلباتنا الكهربائية . ولكن هناك مناطق جغرافية يمكن فيها الاستفادة من الطاقة المد جزرية فائدة قصوى . ومع أن هذه الطاقة نظيفة ولا تؤدي إلى التلوث إلا أنها ليست اقتصادية ، حتى الآن على الأقل .

الطاقة البحرية ـ الحرارية

هنالك طرق عديدة للحصول على **الطاقة من البحر** ، ولكن أهمها الطاقة الحرارية المنبعثة من الحرارة الشمسية المختزنة في الماء . وفي عام ١٩٢٠م ، نجح **جورج كلود** في إنشاء معامل بحرية للطاقة الحرارية قادرة على توليد كميات معقولة من الطاقة . **وسوف تجيب السنوات القادمة عما إذا كان البحر الذي وفر وسيلة السفر والمتعة وقدم الغذاء للإنسان وألهم الشعراء يستطيع أيضاً أن يمدنا بالطاقة .**

الطاقة الريحية

الريح حقيقة واقعة يعرفها كل الناس من البحارة ، إلى الطيارين ، إلى الأشخاص العاديين ، ولكن **فكرة كون الريح طاقة شمسية غير مباشرة تبدو غريبة** ، ولا بد من مرور وقت كاف حتى نستوعبها ونألفها ، ولكن قليلاً من التفكير يبدد الشكوك : فالشمس هي التي تسخن التربة ، والتربة بدورها تسخن الهواء وبالتالي الريح . وعندما تنساب أشعة الشمس لا يمتص منها الجو إلا القليل من الحرارة ولكن الماء أو التربة التي تسخنها أو تدفئها أشعة الشمس تنقل السخونة أو الدفء إلى الهواء بعملية التوصيل . أما الطاقة الريحية فهي شكل من أشكال الطاقة الحركية ... وهي الطاقة الناجمة عن تحرك الذرات الغازية التي تسبب ردود فعل لدى اصطدامها بأي شيء . وتعمل **الطواحين الريحية** بالطريقة نفسها التي تعمل بها الطواحين المائية ، والفرق فقط في الدرجة ، فكثافة الماء تزيد بمقدار (٨٠٠) مرة عن كثافة الهواء ، وهذه زيادة محسوسة جداً ، فالهواء قليل الكثافة إلى درجة تجعلنا لا نحس به أو نشعر بوجوده إلا في المناسبات ... كمناسبة دراسته في هذا الفصل من الكتاب مثلاً !

وتزيد نسبة الطاقة في القدم المكعب الواحد من الماء عن نسبتها في القدم المكعب من الهواء بمقدار ٨٠٠ مرة أيضاً أو ربما أكثر من ذلك بقليل . وبما أن الرياح قوية بشكل خاص في **المناطق القطبية** ، فقد كانت هذه أكثر المناطق التي شيدت فيها

الطواحين الهوائية . ومن المعلوم أننا لا نستطيع الاستفادة من مثل هذه الطواحين إلا في الأماكن التي تشتد فيها الرياح . أما النسيم الهادئ فإنه قد ينشط الجسد ويلهب الخيال ويلهم القريحة ولكنه لا يصلح لتسيير العنفات الهوائية . ففي هذا المجال فقط يمكن تفضيل الريح العاتية على النسيم العليل !

وقد بدأت إقامة الطواحين الهوائية في المناطق القطبية منذ عام ١٩٢٥م ، وتنتج الواحدة منها من (٤٠٠) إلى (٥٠٠) كيلوواط ساعي كل شهر . ومن الأمور الطريفة أن الطاحونة الهوائية هي التي قادتنا نظرياً إلى استعمال الطائرة فقد عكس العلماء عملية تحويل الريح إلى طاقة وجعلوا الطاقة الميكانيكية تولد ريحاً ! ومع تعالي أزيز الطائرات في أسفارنا وحياتنا اليومية هدأ صوت الطواحين الهوائية وتقلص استعمالها ؟

الشمس

إن الشمس هي مصدر الرؤية والتدفئة والغذاء ومركز النظام الكوكبي فليس غريباً أن تكون مصدراً للطاقة النظيفة والمفيدة والمأمونة . **وهناك ثلاثة أشكال للطاقة الشمسية :**

١ ـ الطاقة الحرارية : thermal power ويستحصل عليها بتحول ضوء الشمس إلى حرارة ومن تطبيقاتها المعروفة التدفئة المنزلية بالماء الساخن .

٢ ـ الطاقة الكهرضوئية : photo Voltaic وهذا النوع أكثر تعقيداً من سابقه . ومن تطبيقاته : الخلايا والبطاريات الشمسية .

٣ ـ الطاقة الضوكيميائية : photo chemical وتمثل أعقد أشكال الطاقة الشمسية ومن تطبيقاتها : **التصوير الشمسي والتحليل الضوكيميائي للماء . ومع أن الطاقة الشمسية هي من أهم المصادر البديلة عن الطاقة التقليدية وأكثرها بعثاً على الأمل فإن هناك مشكلات كثيرة ترتبط بها كمشكلات التخزين والتجميع والتحويل ،** فاستثمارها يحتاج إلى أجهزة معقدة جداً ومرتفعة التكاليف في الوقت الحاضر . ولكن المستقبل يبدو واعداً .

تحويل الفضلات إلى طاقة

خلال تاريخ الإنسان الطويل كانت الطاقة دائماً تتحول إلى فضلات ونفايات ، ولكن الاتجاه يسير الآن نحو العكس : **تحويل النفايات إلى طاقة !** وفي بلد كالولايات المتحدة تذهب التقديرات إلى أن كمية الفضلات المتبقية فيها كل عام تبلغ زهاء (٢) بليوني طن ، ويقول أنصار طريقة تحويل الفضلات إلى نفط إن الكمية المذكورة يمكن تحويلها إلى ما يعادل (٢,٥) بليون برميل من النفط ، أي ما يقارب نصف إنتاج أميركا السنوي منه ! ! ولكن للخبراء رأياً آخر ! فهم يقولون إن نصف كمية الفضلات المذكورة تتشكل من الماء ! ! وهذا يجعل كمية من الطاقة المحتمل استخراجها (١,٢٥) بليون برميل بدلا من (٢,٥) بليون برميل .

والأمر لا ينتهي عند هذا الحد . فهناك دراسات أخرى تبين أن ٨٠ ٪ من النفايات المذكورة غير صالحة للاستثمار لأسباب شتى . وهكذا يبقى (١٥٠) مليون طن فقط من الفضلات قابلة للاستثمار ! وبدلا مما يعادل طاقة (٢,٥) بليون برميل من النفط يرى المتحمسون إمكانية استثمارها من الفضلات هناك فقط من الناحية العملية على ما يؤكد **الخبراء البتروليون** (١٧٠) مليون برميل ، ناهيك أيضاً عن مشكلة النقل ... أي نقل النفايات من الغابات والمزارع إلى مصانع التحويل .

وعلى كل حال فحتى تقديرات الخبراء المتشائمة تشير إلى أن الفضلات يمكن أن تغني أميركا عن ١٢ ٪ من مستورداتها النفطية . ويرى مؤلف الكتاب أن هذا الرقم لا بأس به ويستحق المضي قدماً في خطط تحويل النفايات إلى نفط . وما يسري على الولايات المتحدة ينسحب على بلدان أخرى كأقطار أوروبا واليابان .

الخلاصة

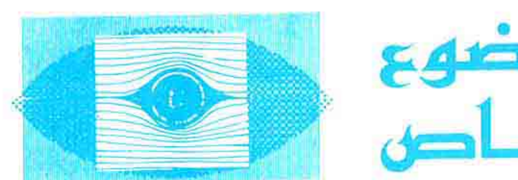
إن كتاب (الأرض والماء والريح والشمس بدائلنا عن الطاقة) يقدم لنا صورة وافية عن الإمكانات التي تتضمنها المصادر المكملة لمصادر الطاقة الحفرية التقليدية . وهي جميعها لا تغني عن الإمدادات البترولية ، وهذه حقيقة ذات دلالة هامة بالنسبة للدول العربية النفطية . فعلى هذه الدول أن تحسن استغلال ثرواتها النفطية استغلالا ذكياً ، وأن ترسم استراتيجية بترولية محنكة تنأى عن الخضوع والاستكانة والاذعان لمطالب الدول الكبرى من جهة ، وعن التصلب والتعصب من جهة أخرى ... فالعرب بحاجة إلى سياسة بترولية معتدلة وحكيمة تتيح لهم الاستفادة إلى أقصى حد من إمكاناتهم النفطية مالياً واقتصادياً وسياسياً دون الاضرار بسيادتهم . فكما أن الدول الكبرى كثيراً ما تفرض شروطاً لصالحها عندما تبيعنا السلاح الذي نحن بأمس الحاجة إليه فإن علينا أيضاً أن نفرض عليها شروطاً لصالحنا عندما نبيعها نفطنا الذي هي بدورها في أمس الحاجة إليه . ورسم مثل هذه السياسة أو لنقل الاستراتيجية البترولية يستلزم تضافر جهود السياسيين والاقتصاديين وخبراء البترول في آن واحد .

الهوامش

(١) الرطل = ٤٥٣ غراماً .

(٢) وحدة لقياس العمل تساوي ما يحتاج إليه لرفع (٥٥٠) رطلاً إلى ارتفاع قدم واحدة في ثانية واحدة .

موضوع خاص





فطر عيش الغراب

بقلم : د . احمد نبيل ابو خطوة

★ أحد الأنواع التي تتميز بثمار ذات شكل قمعي مفتوح .. يكثر وجوده في الغابات والمراعي ★

★ عيش غراب صالح للأكل يتميز بلون الخوذة الأبيض الناصع والملمس القطيفي ★

★ عيش غراب «متوهج». أخذت هذه الصورة أثناء الليل دون اصطناع للضوء .. ولكن اعتمد على الضوء الذي يصدره هذا النوع من عيش الغراب المضيء ★

★ «المروحة الجميلة»، ينمو على جذوع الأشجار طوال السنة .. الأعناق التي تراها هي أفرع الشجرة .. لاحظ وجود «الخياشيم» ذات التركيب المتباعد ★



تعريف ودورة الحياة

فطر «**عيش الغراب**» أو «الفجع» كما يطلق عليه أحياناً باللغة العربية الدارجة في بعض مناطق الجزيرة العربية، هو مجموعة من النباتات المترممة الخالية من مادة الكلوروفيل الخضراء .. ولذا فهي لا تحتاج إلى أشعة الشمس من أجل بناء غذائها كما تفعل بقية النباتات. **وفطر «عيش الغراب» كغيره من الفطريات يتميز بخلوه من الأوراق والجذوع والجذور .. كما يعد من أقدم الكائنات الحية التي وجدت على سطح الأرض. ويعتقد أن تاريخ وجوده عليها يرجع إلى نحو ستمائة مليون سنة!** وبالرغم من كثرة عدد أنواع الفطريات المعروفة حتى الآن والبالغ عددها نحو **مائة ألف نوع**، فإن ما تضمه هذه المجموعة من أنواع «عيش الغراب» المختلفة لا يتعدى عدة مئات. **وتنمو معظم أنواع «عيش الغراب» في الأجزاء الشمالية من الكرة الأرضية خاصة كندا ونيوزيلندة وأميريكا وأنحاء مختلفة من القارة الأوروبية.**



★ عيش غراب « العسل » .. سمي كذلك نسبة إلى لون الخوذة المميز . يسبب هذا النوع تدميراً شديداً لكافة أنواع الأشجار نتيجة لتطفله عليها .. مما يؤدي إلى قتلها في النهاية ★

وتبدأ دورة حياة « عيش الغراب » بسقوط « جراثيم » الفطر التي تنتجها ثماره المختلفة الشكل على سطح الأرض .. فتنمو مكونة « **الميسيليوم** » وهو الجزء الخضري الذي يخترق بسهولة سطح التربة .

وقد يعيش « الميسيليوم » ساكناً لعدة سنوات دون نمو حتى تتهيأ له الظروف المناخية المناسبة . وتكوين ثمرة « عيش الغراب » تبدأ بظهور عقدة طرفية مكونة « زراراً لحمياً » مغلفاً بغطاء رقيق ما يلبث أن ينفجر ليظهر ما به من أجزاء الفطر المختلفة وهي الساق والقلنسوة والخياشيم والصفائح التي تشبه سيقان « مظلة المطر » . ويغطي سطح الخياشيم خلايا تناسلية تسمى « بازيديا » .. وهي التي ينتج عنها جراثيم الفطر التي تحملها الرياح إلى أماكن بعيدة مختلفة لتعيد دورة الحياة من جديد .

ويحصل « عيش الغراب » على غذائه بطرق مختلفة : إما بطريقة « رمية » بامتصاص المواد العضوية الناجمة عن تعفن جذوع الأشجار الميتة والأوراق المتساقطة .. أو بطريقة « متطفلة » حيث تهاجم فيها جذوع وفروع الأشجار الحية ، أو بطريقة « تبادل المنفعة » مع النباتات الخضراء .. وهنا يحدث تشابك « ميسيليوم » الفطر مع جذور النباتات تحت سطح التربة من أجل تبادل المواد الغذائية بينهما .



★ أحد الأنواع الشديدة السمية التي تنمو في الغابات .. لاحظ وجود نبات « الأشن » الأخضر ذي التفرعات الكثيفة الذي عادة ما ينمو مع هذا الفطر ★

«عيش الغراب» كغذاء

تعد رسومات « عيش الغراب » ، التي عثر عليها منذ ٣٠٠٠ سنة داخل مقابر **قدماء المصريين** ، من أوائل السجلات التي أوضحت أشكال « عيش الغراب » المختلفة . ولقد كتب **الرومان**

والإغريقيون ، قبل ظهور **المسيح عليه السلام** ، الكثير عن « عيش الغراب » .. كما زودوا هذه الكتابات برسومات إيضاحية عديدة . **أما عن أول الرسومات التي أوضحت تركيب «عيش الغراب» الدقيق على مستوى المجهر ، فلقد كانت للعالم**

البريطاني « هوك » في عام ١٦٦٥ م ، الذي أخطأ في اعتقاده أن منشأ الفطر يرجع إلى « التوالد الذاتي » من حبيبات التربة التي ينمو عليها . ولقد أوضح **العالم الإيطالي «ملبيجي»** بعد عدة أعوام ، أن منشأ

هذه الفطريات هي الجراثيم التي تنتجها ثمارها .. وبسقوطها على الأرض تنمو عليها .

تاريخ اكتشاف «عيش الغراب»

أما عن **تاريخ بدء استخدام «عيش الغراب» كغذاء للإنسان** ، فلقد بينت المخطوطات القديمة أن سكان **منطقة شرق**

★ عيش غراب «الحصان» الذي يتميز بكبر الحجم وسعة قطر الخوذة، وهو أحد الأنواع الصالحة للأكل ★

★ أحد الأنواع المنزرعة كمحصول اقتصادي في الصين، حيث ينمو بنجاح بين نبات الأرز ★

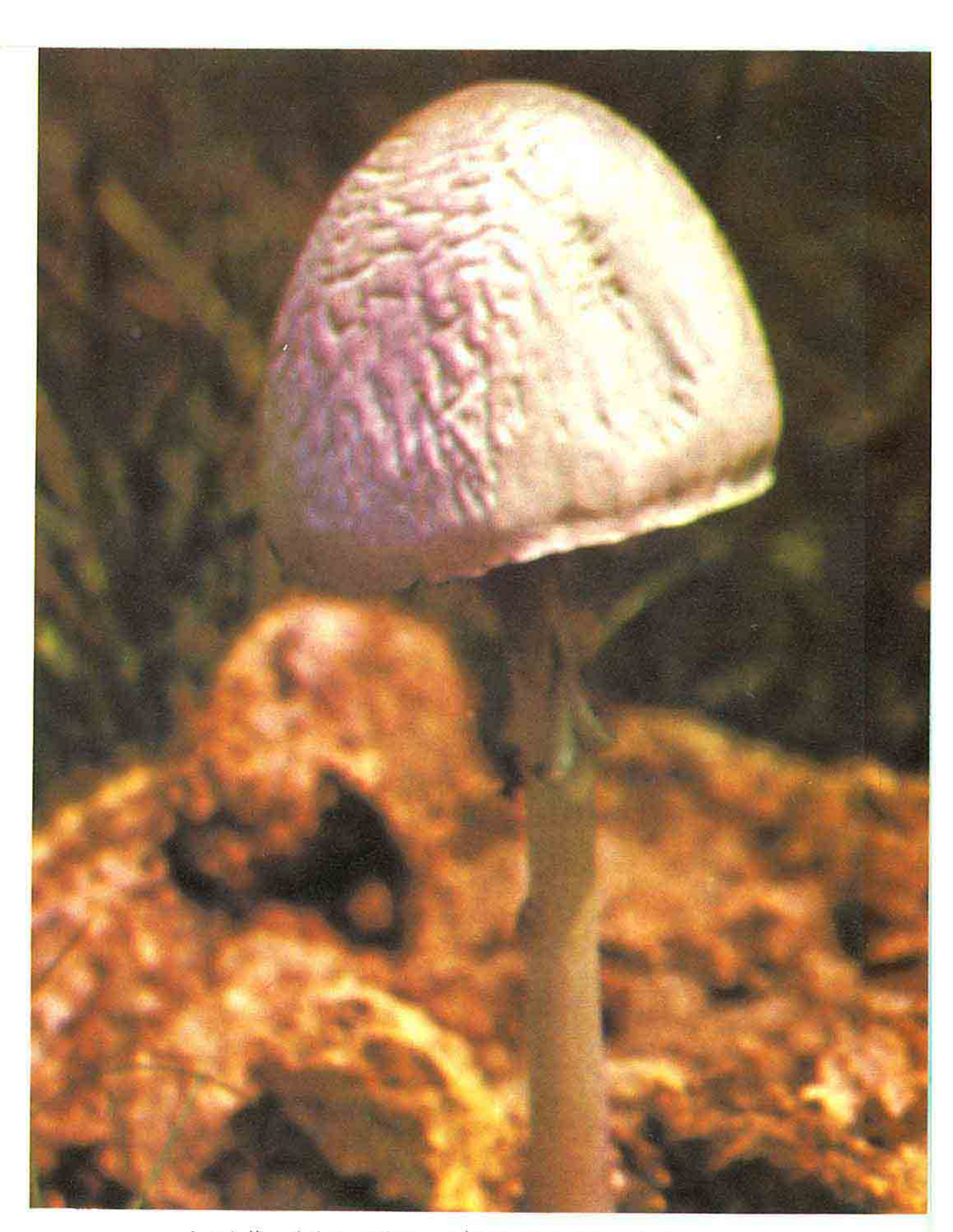


★ « الملاك المهلك » أشد أنواع عيش الغراب سمية على الاطلاق .. وهو تابع للجنس « أمانيتا » التي تتميز أفرادها بلونها الأبيض الزاهي ★

البحر الأبيض المتوسط (ربما إيران) كانوا يستخدمون « عيش الغراب » في غذائهم .. بعد أن تمكنوا من التفرقة بين الأنواع السامة منها والصالحة للأكل . كذلك اشتهر **الرومان والإغريقيون** باستخدام « عيش الغراب » .. وكانوا يعتبرونه من أشهى وأطيب الأطعمة التي لا تقدم إلا على موائد الأثرياء والنبلاء . وكان الرومان يحصلون على « عيش الغراب » بكميات كبيرة من **ليبيا** ومناطق أخرى مختلفة في شمالي إفريقيا .

وفي عام ١٦٠١ م ، **نشر أول كتاب مصور في إيطاليا عن الفطريات السامة والصالحة للأكل** . وبعد هذا الوقت بقليل أبدى **الفرنسيون** اهتماماً شديداً « بعيش الغراب » وزرعوه على نطاق تجاري واسع ، وخاصة نوعاً منه يسمى « **كيبة** » في فرنسا ، « **وبوركيني** » في إيطاليا . ويباع الآن في فرنسا وحدها عدة ملايين من الكيلوجرامات سنوياً من « عيش الغراب » .

وفي كثير من البلاد الأوروبية يكثر استخدام « عيش الغراب » في تحضير عدد كبير من الوجبات الغذائية اللذيذة الطعم .. فهو يضاف إلى لحوم الدواجن والطيور والأسماك عند طهيها . كما يصنع منه **حساء « عيش الغراب » الذائع الصيت** .. علاوة على كثرة استخدامه في عمل **شطائر « البيتزا »** المشهورة . وبالرغم من أن « عيش الغراب » يعد من النباتات الكثيرة الشيوع التي تنمو برياً في الأماكن المشجرة من الوطن العربي ، إلا أنه نادراً ما يستخدمه العرب في طعامهم رغم مذاقه الطيب المستساغ .



★ عيش غراب يتميز بثمار على هيئة «خوذة» أو «جرس»، لا ينمو هذا النوع إلا على تربة طينية غنية. وهو نوع سام به سم «البسيلوكايبين» أحد سموم الأعصاب التي تحدث «هلوسة» ! ★

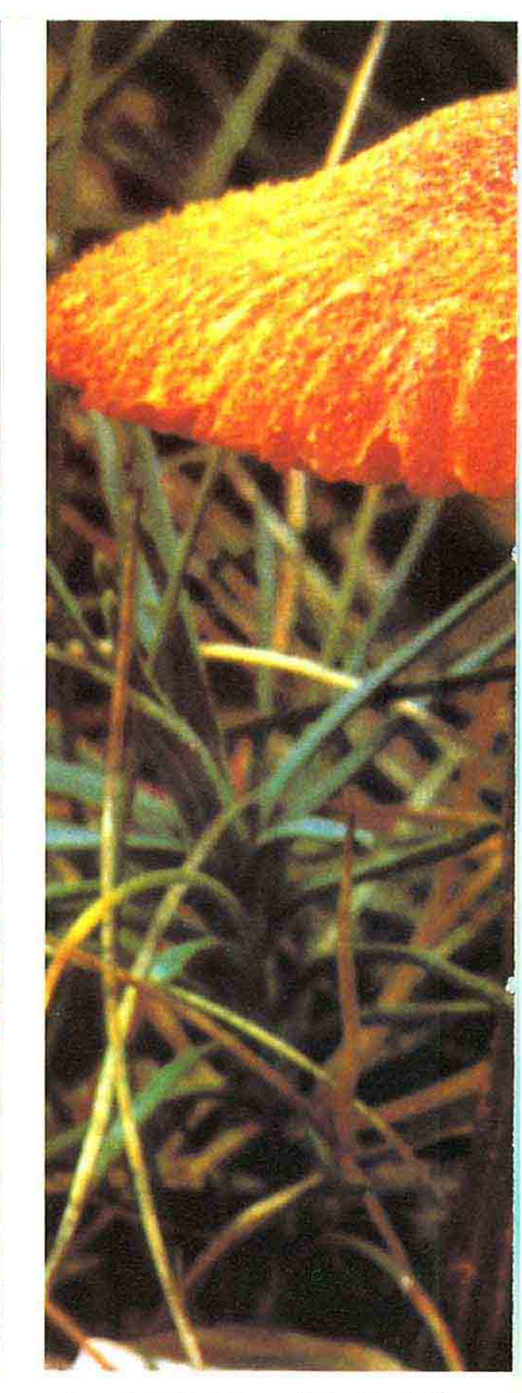
★ عيش غراب على هيئة «مظلة» يحتوي على سم «الماسكارين» التنفس وزيادة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم. ومن أهم

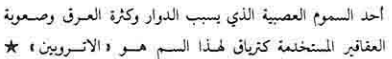
القيمة الغذائية «لعيش الغراب»

بالرغم من أن ثمار «**عيش الغراب**» تحتوي على نحو ٩٠٪ من وزنها ماء، إلا أنها تعد مصدراً هاماً للمواد البروتينية التي تصل نسبتها فيه إلى نحو ٤٪. أما كمية «**السعرات الحرارية**» في «عيش الغراب» فهي قليلة للغاية وتتشابه مع تلك الموجودة في الخضروات، ولكنها أقل من اللحوم والأسماك. ومن أهم الفيتامينات الموجودة بها مجموعة «**فيتامين ب**» وخاصة «**ب١**» بالإضافة إلى «**فيتامين د**». أما «**فيتامين ج**» فيكاد يخلو منه «عيش الغراب». علاوة على هذا يعد الفطر غنياً ببعض المعادن التي من أهمها **الحديد والنحاس**. لهذا كله أصبح «عيش الغراب» من الأطعمة المفيدة لهؤلاء الذين يرغبون في تقليل أوزانهم.

«عيش الغراب» السام

بالرغم من وجود العديد من أنواع «عيش الغراب» الصالحة للأكل، إلا أن بعضها يعد شديد السمية، وقد يتسبب عن أكلها حدوث الوفاة. **وأخطر أنواع «عيش الغراب» وأكثرها سمية هي تلك التابعة للجنس «أمانيتا»**. ويحكي التاريخ أن **الإمبراطور الروماني «كلوديوس الأول»** (١٠ قبل الميلاد ــ ٥٤ ميلادية) مات مسموماً بسبب أكله لنوع سام من «عيش الغراب» قدمته





أحد السموم العصبية الذي يسبب الدوار وكثرة العرق وصعوبة العقاقير المستخدمة كترياق لهذا السم هو « الاتروبين » ★

★ أحد أنواع عيش الغراب الزاهية الألوان .. لاحظ لون الخوذة الحمراء المشوبة ببقع بيضاء .. وهي بقايا الغلاف الأبيض الذي كان يغلف الثمرة قبل تفتحها . يسمى هذا النوع « بقاتل الذباب » لأنه يجذب إليه الذباب ليقتله في الحال ★

له زوجته الرابعة « **أجرينا** » .. ويرجح أن يكون هذا النوع تابعاً للجنس « أمانيتا » . ويرجع حدوث أكبر نسبة من الوفيات (٩٠ ــ ٩٥٪) بسبب أكل « عيش الغراب » البري في **أوروبا** إلى التغذية على أحد الأنواع التابعة لهذا الجنس . وتدل الاحصاءات على أن معدل الوفاة سنوياً في **أميريكا** بسبب أكل « عيش الغراب » السام يصل إلى ٥٠ حالة وحالتين على الأقل في بريطانيا .

تظهر أعراض التسمم من أكل « عيش الغراب » السام عادة متأخرة بعد ٢٤ ساعة .. وتتلخص أعراض التسمم في حدوث تدمير شديد **للكلى والكبد مع شلل للأعصاب وزغللة وفقدان البصر ..**

وهذه الأعراض كثيراً ما يتبعها **تشنجات عصبية وهلوسة** ، وقد يؤدي الأمر في النهاية إلى الوفاة . ومن هذه السموم العصبية التي أمكن عزلها من أنواع مختلفة من « عيش الغراب » السام والتعرف عليها هي « **الأمانيتين** » و« **المسكارين** » و« **البسيلوكايبين** » .. وهي كلها مركبات عضوية معقدة التركيب الكيمائي .

جمع « عيش الغراب » كهواية

أصبحت هواية جمع « عيش الغراب » الآن كثيرة الشيوع في بلدان أوروبا وأميريكا .. وعادة ما يتوافد محبي جمع « عيش الغراب » البري في



★ عيش غراب سام يصبغ اليد بلون أصفر عند اللمس .. كما يتميز برائحته غير المستساغة ★

وقت الربيع إلى ولاية « **ميتشجان** » **الأمريكية** كل عام ، بقصد تجميع « عيش الغراب » .. وأثناء هذه الفترة تنظم عدة مسابقات يشترك فيها الصغار والكبار ، حيث يتم توزيع الجوائز على هؤلاء الذين قاموا بجمع أكبر قدر من « عيش الغراب » البري .

وبالرغم من أن عملية جمع « عيش الغراب » تعد هواية مسلية ومفيدة ، إلا أنها لا تخلو من الأخطار بسبب وجود بعض الأنواع السامة منها والتي كثيراً ما تنمو جنباً إلى جنب مع الأنواع الصالحة للأكل . والنصيحة العامة التي يقدمها خبراء « عيش الغراب » هي ألا ينبغي لأي إنسان المجازفة بأكل « عيش الغراب » البري بأي حال من الأحوال إلا بعد التأكد تماماً من عدم انتمائه إلى تلك الأنواع السامة ، خاصة وأنه لا توجد طريقة بسيطة للتمييز بين الأنواع السامة والصالحة للأكل . وعلى أي حال هناك العديد من الكتب سهلة الأسلوب والأشكال الإيضاحية والصور الملونة التي تمكّن الصغير والكبير من التعرف على نوع « عيش الغراب » البري الذي يعثر عليه .. وبذا يمكن تفادي السام منها .

المراجع

1- W. Litten; **Scientific American,** 91 (1972).
2- B. Nylen; **Scanorama,** Ang.-Sept. (1979).
3- H.L. Pursey; The Wonderful World of Mushrooms and other Fungi (1977).

★ أحد أنواع عيش الغراب التي تنمو برياً في الحدائق العامة، وكانت تستخدم في الماضي في صناعة الحبر، وهي من الأنواع الصالحة للأكل ★

★ أحد الأنــواع غير السـامة الموجودة بكثــرة في الحـدائق والمـراعي ★

لوحة و فنان





- من مواليد مدينة مكة المكرمة عام ١٣٧٠ هـ .
- خريج أكاديمية روما للفنون الجميلة ١٩٧١ م .
- وكيل ثانوية الصديق بجدة .
- أقام أربعة معارض شخصية في الداخل والخارج .
- اشترك في البينالي الدولي الثاني « روما ١٩٧١ م » .
- اشترك في المسابقة الوطنية الخامسة لفن روما العاصمة ١٩٧١ م .
- اشترك في معارض جماعية بالداخل والكثير من المعارض والمسابقات الدولية .
- حصل على جوائز متقدمة دولية في الرسم ، والعديد من الجوائز وشهادات التقدير بالداخل والخارج .
- حاز على درجة الشرف والميدالية الذهبية كأحسن طالب في قسم الرسم ١٩٧١ م .
- يعتبر من الرعيل الأول للحركة التشكيلية بالمملكة .

○ الموسيقي العجوز ○

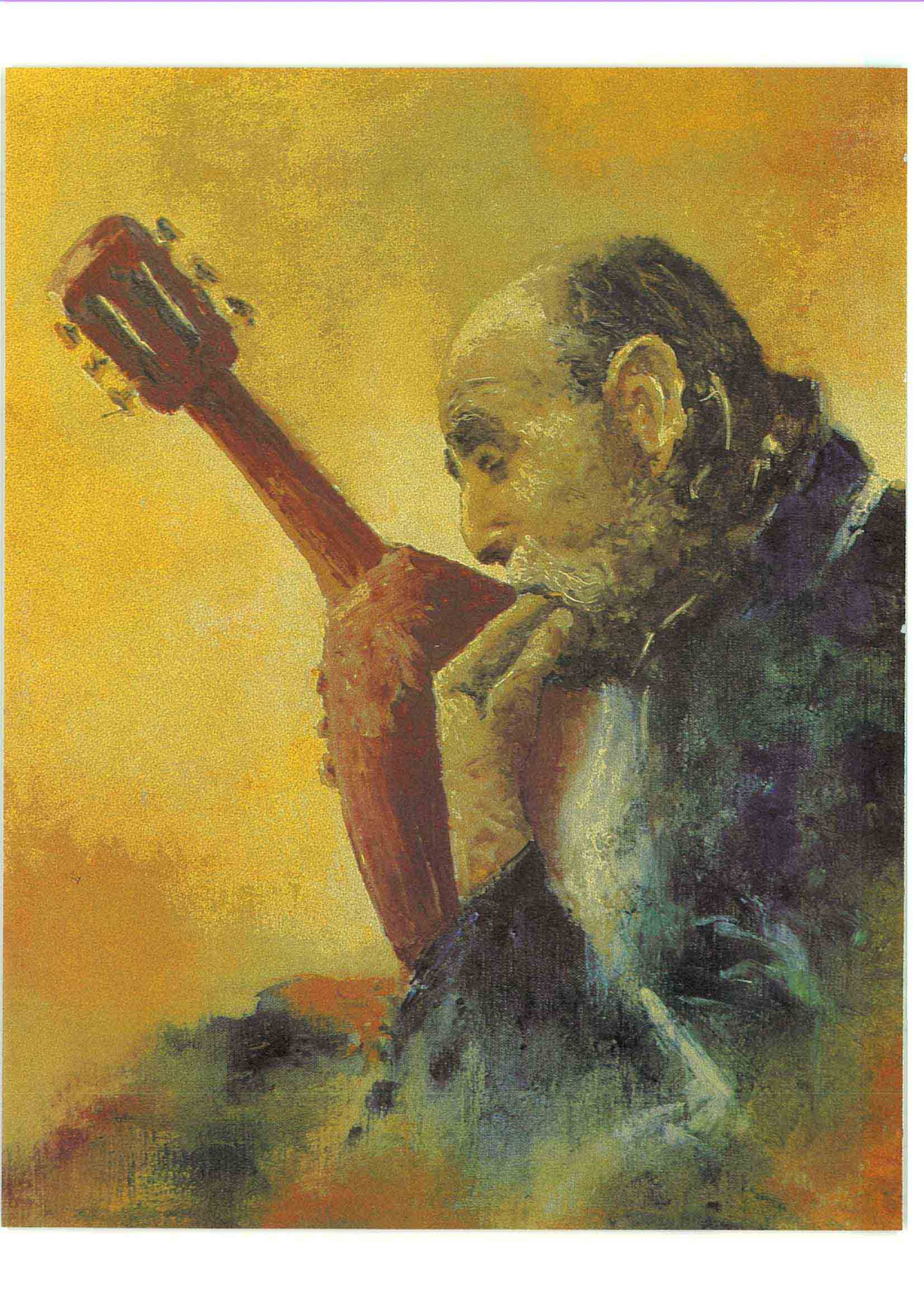
● يصور الفنان أحمد فلمبان في لوحته المنشورة هنا « **الموسيقي العجوز** » تأثير الزمن على ذلك **العازف** ، الذي يبدو في لحظة تأمل ، أو استغراق في **التفكير** ، أو محاكاة **الزمن** في لحظة حوار معه .. وهو يتمسك بنتاج حياته .. **حبه للفن والموسيقى** ، وذلك يتضح من احتفاظه أو تمسكه بآلته الموسيقية « **العود** » رفيق حياته وعمره .. فبها سجل لحظات حياته .. شعوره وأحاسيسه وانفعالاته .. دقائق عمره .. ومن خلالها ترك بصمته الوحيدة الرائعة للحياة .. ويريد بذلك الفنان أن نشارك الموسيقار تلك اللحظة من حياته .

● يصور الفنان ذلك بأسلوب بسيط معبِّر ، يعتمد على الحس والتعبير ، وجمال اللون وتأثير ذلك على المتلقي .. وكذلك **ايقاع الكتلة** ، وهي المشخص وآلته في اللوحة وما تحدثه من فراغ حولها .. وتأثير **الضوء والظل** وما يحدثه من **حس درامي** في اللوحة بالإضافة إلى **درامية الموضوع** .

● يتفاعل الفنان مع الموضوعات الإنسانية ، فنجد أغلب موضوعاته ذات صبغة إنسانية ، وهذا يتضح من مسميات لوحاته « صرخة — الأيتام — حطام مركب — شيخوخة — الأمومة المعذبة — من أجل الحياة — ليت الشباب يعود يوماً — الموسيقي العجوز » .

● أسلوبه الفني ينتمي إلى **المدرسة الانطباعية** ، فهو يتفق معها في معناها بإحساسه بالسرعة والتغيير ، ويتفق معها في مفهومها بتسجيل اللحظة نظراً لكونها متغيرة ، أي تسجيل اللحظة في الحركة الدائمة للوجود .. فنجده يسجل لحظة زمنية بعينها ، وهي لحظة تأمل أو تفكير الموسيقار في مرحلة متقدمة من العمر .

● يتفق مع الانطباعية أيضاً في رؤيتها ، وهي تحويل ما هو **ثابت** متماسك إلى **تحولات** متخذة طابعاً متجزئاً .. فهو قد صور **الضوء** ، وحول السطح إلى بقع لونية وضربات فرشاة سريعة محللة ، فعبَّر بذلك عن العالم المتحرك المتغير .







أول من كسى الكعبة في الجاهية

★ هو أسعد الحميري أحد ملوك اليمن ، كما قام بعمل باب لها . . وقد قال في ذلك :

وكسونا البيت الذي حرم الله ... ملاءً معضداً وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشراً ... وجعلنا لبابه أقليدا

وخرجنا منه نؤم سهيلاً ... قد رفعنا لواءنا معقودا

المشربية

★ كانت تستعمل في **العمارة الإسلامية** ، وهي نوع من المعالجات المعمارية ، الغرض منها تغطية الشبابيك والبلكونات والفتحات ، حيث تسمح بدخول الهواء بعد القيام بتلطيفه أثناء مروره منها ، كما تمنع من دخول الشمس نسبياً وتحد من قوة الضوء . . وهي مصنوعة من الخشب . . ومنها ما يسمى بـ « **التشاميك** » ، نوع من المشربيات الواسعة ، التي تستعمل في الأجزاء المرتفعة من المنازل ، وعامل مساعد للتهوية .

أما المشربيات ذات الخرط الضيق ، فالغرض من استعمالها ، هو التقليل من الضوء القوي وكسر حدته ، كما أنها تمنع الرؤية ، لذلك فقد كانت تستعمل على الدوام في الأجزاء السفلى من الفتحات القريبة من العيون .

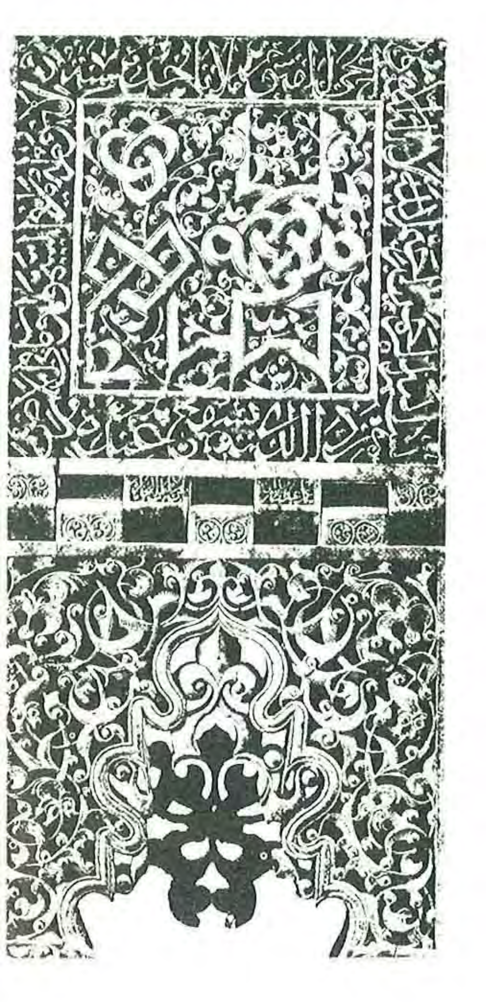
وقد تطورت صناعتها بعد ذلك عن طريق ــ أوروبا ــ بحيث أصبحت تصنع من الجبس والأسمنت المسلح . . أو الأحجار الصناعية ، وقد أطلق عليها اسم « **الكولاسترا** » . . أو « **كاسرات الشمس** » ، لكنها أتت بنسب مختلفة وغير مدروسة ، ولذلك فقدت المضمون ، وأصبحت تلك المشربيات الجديدة أو « الكولاسترا » ، تزيد من حدة الضوء ★

الحفر على الخشب

★ « الحفر على الخشب » ، واحد من الفنون القديمة التي عرفها العرب والمسلمون ، وقد تألق هذا الفن وظهرت دقته في تركيا ــ القرنان ، الثاني والثالث عشر الميلاديان ــ حيث كان الفنان يعتمد في زخارفه على الوحدات الهندسية الدقيقة .

وهذا « الكرسي » الذي نراه ، من صناعة « **عبد الواحد بن سليمان** » ، وهو لمصحف كان موجوداً في مسجد علاء الدين بـ « قونية » .

وفيه نرى اهتمام الفنان بالاعتماد في زخارفه على إيقاعات الزخارف النباتية والحروف ، المحفورة بعمق ودقة ★

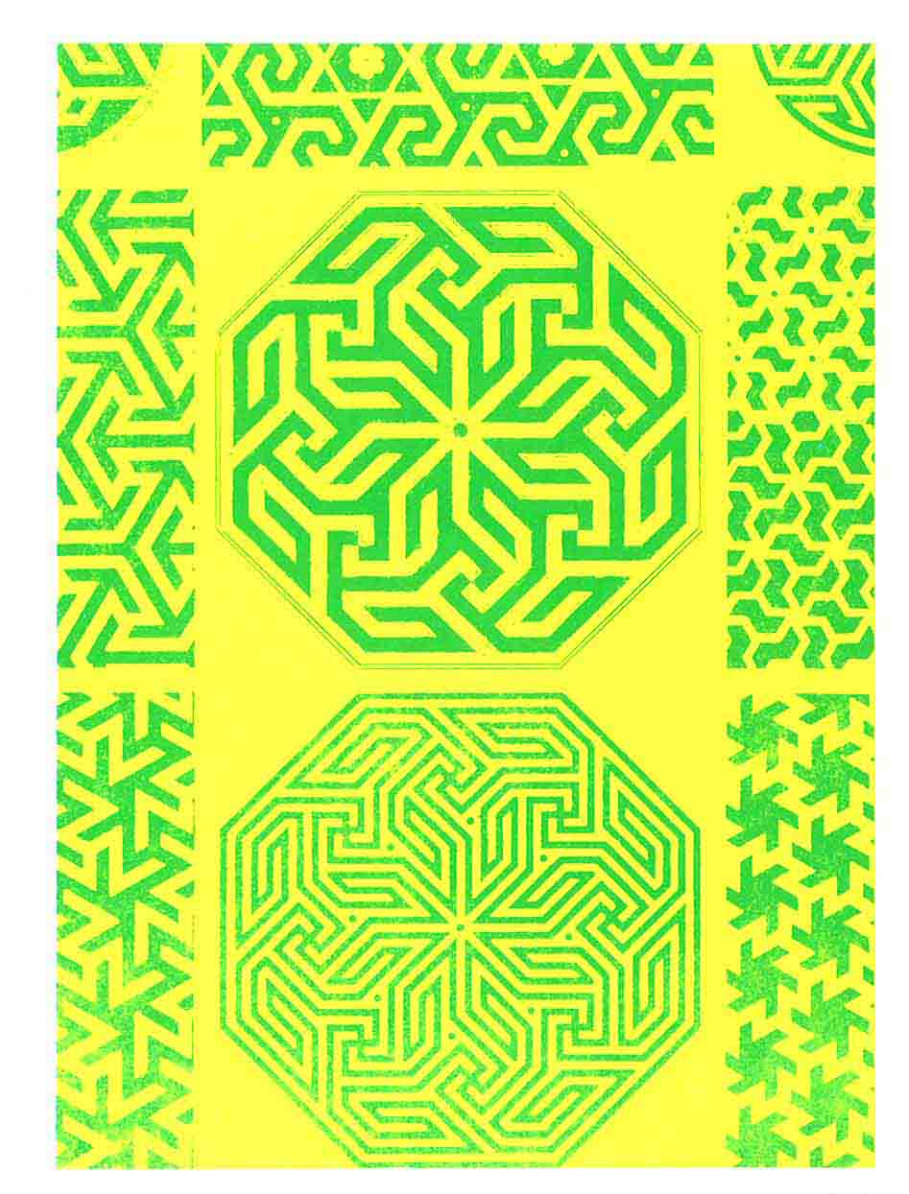


حقيقة الأرقام العربية

★ إن الأرقام التي يستخدمها جميع العرب ــ باستثناء تونس والجزائر والمغرب ــ ليست أرقاماً عربية ، وإنما قد تسربت عن طريق « **الفرس** » ، وهي أرقام هندية .

فالعرب الأوائل كانوا يستخدمون كتابة الأرقام بطريقة « الزوايا » ، فرقم « ١ » بزاوية واحدة . ورقم « ٢ » بزاويتين ، وهكذا .

حتى إن أوروبا تشهد بأن الحروف التي تستعملها هي حروف يرجع تاريخها إلى العرب القدامى . . وهي حروف عربية الأصل ★



★ شكل يوضح زخارف هندسية، يرجع تاريخها إلى القرن الحادي عشر الهجري، وهو عبارة عن وحدات متنوعة، متتابعة لمعالجة الفراغ في الخلفية ★

أطول جراحة :

- **الاسم :** فيكتور زاجويتا .
- **العمر :** ١٩ عاماً .
- **السنة التي أجريت له العملية :** (١٩٧٢م) .
- **المستشفى :** «سان دييجو» في كاليفورنيا .
- **اسم الجراح :** جون الكسن .
- **مكان العملية :** الدماغ .
- **الوقت الذي استغرقته العملية :** (٣١ ساعة) .

أطول رحلة :

سيراً على اليدين .

- **الاسم :** جوهان هورلينجر .
- **موطنه :** النمسا .
- **السنة التي قام فيها بالسير على يديه :** (١٩٠٠م) .
- **المكان :** المسافة التي تفصل ما بين ڤيينا وباريس .
- **المسافة التي قطعها :** (٥٥ يوماً) .
- **بمعدل كل يوم :** (١٠ ساعات) .

أطول حيوان معاصر

- **اسمه :** حوت الروركال .
- **طوله :** ٣٣ متراً ونصف المتر .
- **وزنه :** ١٦٦ طناً .

الزهرة المضيئة !

★ زهور «**عباد الشمس**» .

لونها أصفر، وتنمو في بعض المناطق المعتدلة .. وفي المناطق الدافئة .

كثير من الناس يستخدمونها لأغراض الزينة .. ولكن بذرتها مفيدة، حيث تستعمل في الطهي .. وفي بعض البلدان يأكلونها بديلاً عن «**اللب**» .. كما يستخرج من نفس البذور نوع من الزيوت قريب الشبه من زيت الزيتون، وبعد عملية استخراج الزيت، تبقى القشور التي تستخدم طعاماً للماشية .

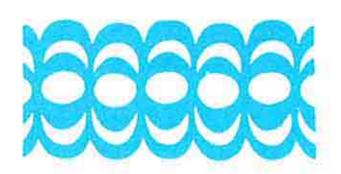
ويذكر التاريخ المعاصر، أن الفنان التشكيلي «**فينست فان جوخ**» استطاع أن يصور زهرة عباد الشمس في العديد من لوحاته، فقد كان معجباً بهذه الزهرة .

وعندما أقيم له معرض في باريس .. وكان الوقت ليلاً، كتب أحد النقاد : «**إن اللوحات التي بها زهرة عباد الشمس تضيء في لون ذهبي وتملأ صالة العرض بنور له رائحة الدفء**» ★



★ الدنيا مطيتك .. إن ركبتها حملتك .. وإن ركبتك، قتلتك ★

حسن البصري



المخطوط العربي

دراسة في نشأته وملامحه الببليوجرافية

بقلم : د. شعبان عبد العزيز خليفة

التدوين والتأليف وحركة الترجمة عند العرب

من المتفق عليه أنه لم يكن للعرب في جاهليتهم علم ولا فن ولا أدب مكتوب ، وكانت الروايات والأشعار والأخبار والأنساب تتداول بينهم شفاهة عن طريق التواتر ، ذلك أنهم عاشوا في **شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام** في عزلة تقريباً عن العالم الخارجي . نعم لقد كانت لهم اتصالات **بالروم** في الشمال **والفرس** في الشمال الشرقي إلا أنها كانت اتصالات بسيطة قاصرة على التجارة وحراسة القوافل ولم تكن بالاتصالات الفكرية التي تساعد على الإبداع والتطور والتغيير .

حقاً لقد كانت لدى العرب بعض العلوم الأدبية والعملية ، إلا أنهم لم تكن لديهم سجلات مكتوبة أو كتب أو شيء من هذا القبيل ، لأن حياة البداوة والترحال الدائم ، جعلتهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً على الذاكرة . وكانوا يجتمعون بالأسواق الموسمية يتبادلون هذه المعلومات ، وأشهر هذه الأسواق سوق **عكاظ وذو المجاز والمجنة** . ونستثني من هذه الظاهرة العامة بعض **النقوش** التي ترجع إلى ما قبل الإسلام ، وأهمها **نقش النمارة** الذي وجد مكتوباً على قبر **امرئ القيس** ، لدى عرب الشمال ، وكذلك النقوش الكثيرة التي وجدت لدى عرب الجنوب (١) .

ولما بزغ فجر الإسلام لم يكن في قريش من يحسن القراءة والكتابة إلا حوالي عشرة أفراد في مكة المكرمة . ويذهب **الأستاذ محمد كرد علي** في كتاب « **الإسلام**

والحضارة العربية » أن حرباً وابنه أبا سفيان هما اللذان نقلا الخط العربي إلى الحجاز قبل ظهور الإسلام[٢] .

وما أن انتشر الإسلام شرقاً وغرباً ، استتبع ذلك نزوح العرب إلى الأقطار الداخلة في الإسلام ، وتأثروا تأثراً مباشراً بالثقافات التي كانت موجودة في تلك المناطق . وهذه الثقافات هي أساساً **اليونانية والفارسية** . ومن المعروف أن المسلمين قد تأثروا بالثقافة اليونانية في **سورية ومصر** تأثراً كبيراً ، ونقلوا عنها الشيء الكثير ـ وسوف نعود إلى هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد ـ كما تأثروا بكتب ومكتبات الفرس .

بدايات التدوين عند العرب

ومن هنا لا نستطيع أن نؤرخ للتدوين والتأليف عند العرب إلا بعد الإسلام . ولقد كان المسلمون الأول يعتمدون على الذاكرة في استظهار وحفظ **القرآن الكريم** ، ولكن وجد في عهد **الرسول** ﷺ بعض **الصحابة** الذين سجلوا القرآن الكريم وبعض **الأحاديث النبوية الشريفة** بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : **« لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، ومن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه »** ، وكانت هذه الكتابات تتم على سعف النخيل ورقاق الحجارة والعظام . وسوف نفصل القول في مواد الكتابة بعد ذلك ، وكان عدد كبير من الصحابة يحفظ القرآن غيباً ، ولما استشهد نفر كثير منهم خاف **أبو بكر الصديق** على القرآن من الضياع ، فاستشار الصحابة في جمع القرآن في طرس واحد ، فوافقوا على ذلك ، وشكلت لجنة لهذا الغرض يرأسها **زيد بن ثابت** فكتب القرآن على رق[٣] .

ولما كان زمن **عثمان بن عفان** ورأى اختلاف الأمصار في قراءة القرآن ، أمر بكتابة نسخ رسمية من القرآن وتوزيعها على الأمصار لجمعها على قراءة واحدة ، فنسخت خمس نسخ من القرآن وأرسلت إلى **مكة والمدينة والكوفة والبصرة** ، وبقي لدى عثمان بن عفان مصحف عرف بالمصحف الإمام[٤] . وظل الناس يقرأون في مصحف عثمان هذا أكثر من أربعين سنة ، إلى زمن **عبد الملك بن مروان** ، ثم بعد دخول العجم في الإسلام كثر **التصحيف** في تلاوته ، مما أدى إلى إدخال **الشكل** في المصحف عن طريق **النقط** أولاً ثم دخل الإعجام بعد ذلك . وقد انتشرت مهمة نسخ المصاحف منذ ذلك التاريخ . ومن هنا يمكن القول بأن **المصحف هو أول كتاب عربي يدون[٥]** .

بعد تدوين القرآن في المصاحف وبعد انتشار المسلمين في الأمصار التي فتحوها واتساع الآفاق العلمية والثقافية أمامهم وتزايد الخبرات والتجارب ، أصبح من العسير عليهم الاعتماد على الذاكرة ، فبدأوا في **تدوين العلوم** . وبداية التدوين في هذه العلوم غير معروف لنا بالضبط ، لأن التاريخ لم يحفظ لنا أوليات الكتب ، بل اندثرت ولم نسمع بها إلا من كتب أخرى اعتمدت عليها . ويكاد المؤرخون يجمعون على أن **العصر الأموي** قد خلا من التأليف أو الترجمة ووصفوه بالإمحال والجدب الفكري ، ويؤكدون أن التأليف والترجمة لم يبدأ إلا في **العصر العباسي** . فيذكر **حاجي خليفة** في « كشف الظنون » أن أول من عني بالعلوم العباسيون في عصر الخليفة الثاني **أبو جعفر المنصور** الذي كان بارعاً في **الفقه والفلسفة** (ج ١ ، ص ٣٤) . وذكرت بعض المصادر أن **أقدم مخطوط عربي عثر عليه مكتوباً على ورق بردي** من سبع وعشرين صفحة ويرجع إلى سنة ٢٢٨ هـ (٨٨٤م) ، وليس على شكل لفافة بل على شكل كراسة .

وليس لنا أن نتجنى على العصر الأموي ، فإن النهضة الفكرية التي وجدت في العصر العباسي لا بد أنها كانت امتداداً لبذرة وجدت في العصر الأموي ، فالعلوم التي كانت أجنة في بطون أمهاتها في ذلك العصر خرجت إلى النور في العصر العباسي ، إذ يذكر **ابن النديم** في الفهرست (ص ٣٣٨) ، أن **خالد بن يزيد بن معاوية** ، بعد أن عجز عن الوصول إلى الخلافة ، اشتغل بالعلم وكان له فضل البدء في نقل الكتب من اللغات اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية .

وقد استمرت حركة الترجمة هذه زمن بقية الخلفاء الأمويين وصدر الخلافة العباسية . ويجب أن نتذكر جيداً أن الدواوين قد عربت عن اليونانية في سورية على يد **عبد الملك بن مروان** ، ومن الفارسية بالعراق ومن القبطية واليونانية في مصر .

ومن المؤكد أنه قد وجد مؤلفون كثيرون في العصر الأموي على الرغم من عدم وصول مؤلفاتهم إلينا . نذكر منهم ثلاثة كان لهم أثر كبير في التأليف هم :

● **الإمام مالك** صاحب « **الموطأ** » وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يعود في تأليفه إلى العصر العباسي إلا أن المؤلف في الأعم الأغلب قد استوفى مادته العلمية من مؤلفات سابقة عليه كما يتضح ذلك من الكتاب نفسه .

● **عبد الحميد الكاتب** الذي **كان كاتباً لمروان بن محمد** آخر خلفاء بني أمية ، وتذكر المصادر أن رسائله بلغت ألف ورقة[٦] .

● **عبد الله بن المقفع** الفارسي الأصل الذي كان تلميذاً لعبد الحميد الكاتب وهو الذي نقل إلى العربية كتاب « **كليلة ودمنة** » ، وألف كتباً أخرى كالأدب الكبير والأدب الصغير .

ولعل أهم موضوعات التأليف في **عصر صدر الإسلام** هو تسجيل جميع الحوادث التي لها علاقة برسول الله ﷺ وبالحديث الشريف . وذلك أن الرغبة في ضبط الحديث وضبط رواته فيما عرف بالتعديل والتجريح قادت إلى العناية بالسير والتراجم ، كما أدت إلى تسجيل **سيرة الرسول** ﷺ ومغازيه ، حتى لقد قيل إن علم التاريخ نشأ وشب وترعرع في أحضان مدارس الحديث وعلى أيدي المحدثين .

وعلى الرغم من أن أقدم سيرة للرسول هي **سيرة ابن إسحاق** برواية **ابن هشام** التي تعود إلى أوائل العصر العباسي ، إلا أنه ليس هناك شك في أن ابن إسحاق قد استقى معلوماته من كتب ومصادر أخرى ترجع إلى العصر الأموي . ولعل أهم محدث اهتم بتدوين سيرة الرسول وأحاديثه هو **عروة بن الزبير** المتوفي ٧١٢م .

وقد بدأ المسلمون بعد ذلك في العناية بالأنساب وأشجار العائلات ، فقد كان الزمان زمان عصبيات قبلية . وهذا أيضاً يدخل في عداد التأريخ .

كذلك كان الشعر والأدب العربي في تلك الفترة من موضوعات التأليف ، فقد كان القوم يجتمعون **بالمربد (قرب البصرة)** ، ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون ويتهاجون بجميع أنواع الشعر قديمه وحديثه ، وقد برز عدد من الشعراء أهمهم : **جرير والأخطل والفرزدق** .

وقد حدث اختلاف شديد في أول من دون وألف ، فيذكر **محمد كرد علي**[٧] **أن أول من أمر بتدوين القصص والأخبار والتواريخ هو معاوية بن أبي سفيان** الذي جمع حوله الرواة وأهمهم **(عبيد بن شريه)** وأمر بتدوين ما يلقونه من أخبار وتواريخ وأشعار .

وعلى الرغم من ذلك يذكر حاجي خليفة (في كشف الظنون) أن **أول من صنف في الإسلام الإمام عبد الملك بن عبد العزيز جريج البصري** المتوفي ١٥٥هـ وذلك بالحجاز ، وقيل إن أول من ألف بالعراق هو **أبو نصر سعيد بن أبي عروبة** المتوفي ١٥٦هـ ، وقيل **ربيع بن صبيح** سنة ١٦٠هـ .

حركة الترجمة

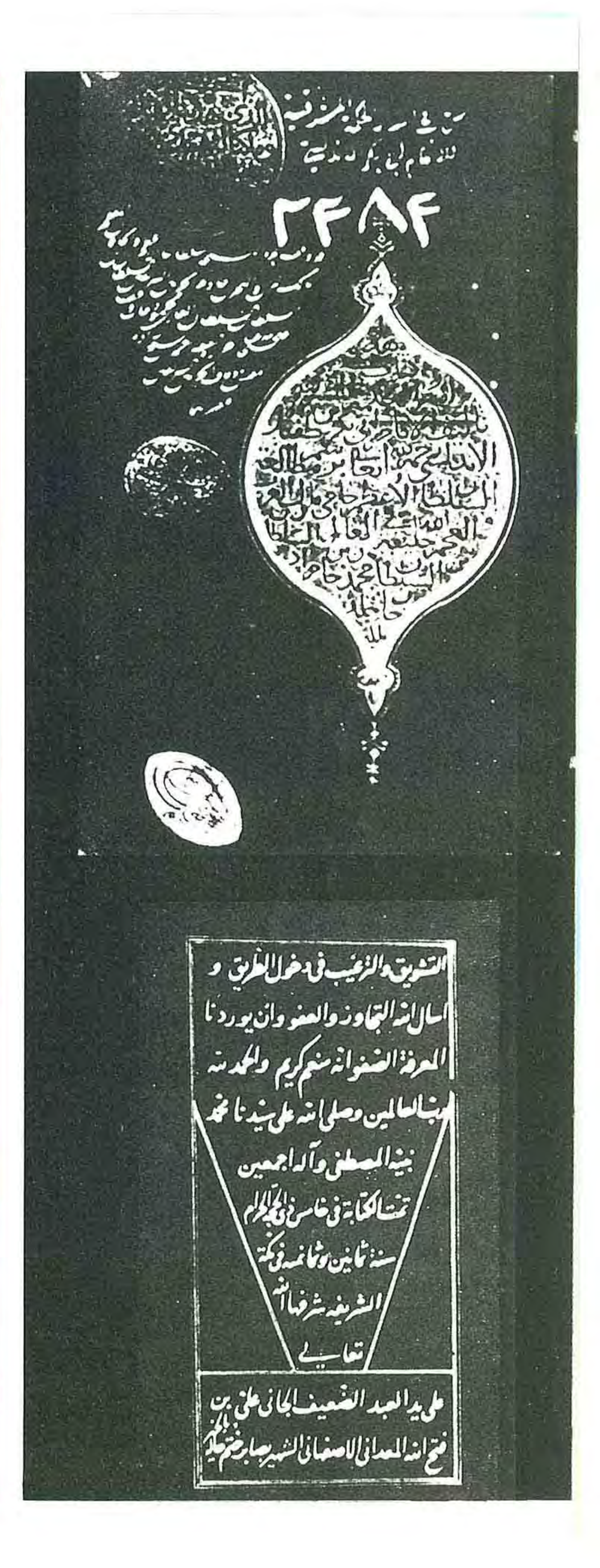
ولما انتقلت الخلافة من بيت أمية إلى بيت العباس وانتقلت الخلافة من دمشق إلى بغداد واشترك الوالي في الحكم ، ازدادت رقعة التأليف والترجمة ، فقد أولى الخلفاء العباسيون حركة الترجمة عناية كبرى ، وكانت هذه الترجمة من عدد من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والسريانية إلى اللغة العربية .

وقد بدأت حركة النقل من اللغات اليونانية والفارسية إلى اللغة العربية في عصر الخليفة العباسي الثاني المنصور . وكان هذا الخليفة يهتم بالطب ، لأنه كان ممعوداً وكان جورجيوس بن جبرائيل يعالجه ، ونقل له كتباً كثيرة من كتب الطب إلى اللغة العربية .

ويعتبر عصر الرشيد وابنه المأمون **العصر الذهبي** للترجمة إلى اللغة العربية . فقد كانت الترجمة عملاً رسمياً تتولاه الدولة وتنفق عليه بسخاء من ميزانيتها العامة ، وقد أسس الخليفة الرشيد مؤسسة كبرى للقيام بهذه الحركة العلمية . وهذه المؤسسة تعرف في تاريخ المكتبات باسم **(بيت الحكمة)** ، وقد كانت أكاديمية تحتوي قسماً للترجمة وقسماً للتأليف ومكتبة ومرصداً فلكياً .

وكانت غزوات الخلفاء العباسيين للدول الأخرى تعود ومعها غنائم من كتب ، كذلك كان الخلفاء يرسلون البعوث للبحث عن كتب الأولين . ومن أشهر المترجمين لدى المأمون **حنين بن إسحق** الذي كان يشرف على عملية الترجمة من اليونانية إلى العربية[٨] .

وقد ترجمت كتب كثيرة في العلوم والطب والفلك ككتب **جالينوس وأبقراط**



وبطليموس وغيرهم ، كذلك نقلت كتب في الفلسفة والسياسة مثل كتب **أرسطو** . وقد أدخل حنين بن إسحق كثيراً من التعديلات على طريق الترجمة . ومن المشهور المعروف أن حنيناً كان يأخذ زنة ما يترجمه ذهباً .

هذا وقد سار التأليف جنباً إلى جنب مع حركة الترجمة والنقل هذه ، فقد زخر ذلك العصر بالعلماء والمفكرين الذين ألفوا في مختلف العلوم : الدينية والفقهية ، والحديث والتاريخ واللغة والأدب ، والعلوم البحتة والتطبيقية . يدلنا على ذلك حياة **الجاحظ** الأدبية الزاخرة في تلك الفترة . ومن المعروف أن **الخوارزمي** قد ابتدع **علم الجبر** والمقابلة في زمن المأمون ، كذلك قام **أبناء شاكر** بقياس محيط الأرض وذلك عن طريق قياس دائرة نصف النهار في **صحراء سنجار** ، وكان تقديرهم قريباً من الطول الحقيقي لها .

وقد ساعد على انتشار التأليف والترجمة وازدهار الحياة الفكرية بصفة عامة على نحو لم يسبق له مثيل انتشار الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي ابتداء من عصر الرشيد والمأمون [٩] .

الـوراقـة والـوراقـون

استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب .. هؤلاء يطلق عليهم **(الوراقون)** ، وما يؤدونه من عمليات النسخ وبيع المخطوطات والورق يسمى **(الوراقة)** ، وقد لعبوا دوراً هاماً جداً في تاريخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية . وذلك أن الوراقين ، في ذلك الزمان ، كانوا يقومون بما يقوم به الناشرون في زماننا هذا ، فهم الذين يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها وبيعها للناس .

وقد اشتغل بالوراقة علماء لهم شأنهم ولهم خطرهم ، وانتشرت **دكاكين الوراقين** في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها ، وقد بلغ انتشار هذه الدكاكين حداً جعل لها أحياء خاصة بها تعرف باسمها . فقد **ذكرت كتب التاريخ أن عدد حوانيت الوراقين في ربض وضاح من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مئة دكان** (القرن ٣ هـ) ، والأمثلة كثيرة في مصر وسورية . وكان يطلق على الوراق أحياناً اسم **« دلال الكتب »** .

وقد وجد من الوراقين أشخاص أساءوا إلى هذه المهنة الجليلة ، فقد كانوا يزورون الحقائق التي ينقلونها أو ينسبون كتاباً إلى غير مؤلفه أو يدسون معلومات من عندهم إلى الكتاب أو يضعون اسم مؤلف كبير على كتاب ليس من تأليفه رغبة في ترويجه .. وهكذا .

وكانت دكاكين الوراقين ، في بعض الحالات ، مكاناً لالتقاء الأدباء والعلماء ، ومنتدى تجري فيه المناقشات والمناظرات العلمية والأدبية .

ولعل أهم شروط النسخ والناسخ هو جودة الخط ووضوحه وصحته .. وكانت هناك طريقتان للنسخ ، **الأولى :** أن ينسخ ناسخ واحد المخطوط بدون مساعدة من أحد ، وبعد الانتهاء من النسخ يراجعه للتأكد من عدم نسيانه سطوراً أو كلمات أو وقوع أخطاء (انظر طريقة التصويب في الملامح المادية للمخطوط بعد) ، نتيجة لتعب جسماني أو سهو أو نسيان وما إلى ذلك . **والثانية :** هي أن يقوم بالنسخ عدد من الأشخاص في وقت واحد يملي عليهم شخص آخر ما يكتبون .

وقد اختلفت أجور النسخ بطبيعة الحال من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان ، وتبعاً لأقدار النساخ وحجم الكتاب ، وأن أقل أجرة وجدتها في المصادر المختلفة هي سبعون درهماً عن نسخ مصحف ، وأكبر أجر هو خمسون ديناراً ، إلا أنهما معاً يمثلان طرفي نقيض ، وكان الأجر العادي يتراوح بين خمسة دنانير وخمسة عشر ديناراً (وكان ابن البواب المشهور بحسن الخط يتناول مثل هذا الأجر) [١٠] .

وفي بعض الأحيان كان الأجر يحسب على أساس عدد الأوراق ، وهو معيار ثابت ودقيق نسبياً ، فقد كانت أجرة نسخ عشرة أوراق عشرة دراهم كل ورقة بدرهم .

مـواد الـكـتـابـة عـنـد الـعـرب

كانت المواد التي يكتب عليها العرب من وحي البيئة في بادئ الأمر ثم اختلفت باختلاف الزمان بعد ذلك ، فقد كتب العرب **في الجاهلية وسنين الإسلام الأولى —**

كما مر بنا من قبل ـ على المواد الآتية :

(١) العسب والكرانيف : وكانت أكثر مواد الكتابة شيوعاً نظراً لتوفرها في البيئة الصحراوية . والعسب جمع عسيب : وهي السعفة أو جريدة النخل حين تجف وينزع خوصها ، أما الكرانيف فهي جمع كرنافة : وهي أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة .

(٢) الأكتاف والأضلاع : وهي عظام الكتف والضلوع في الإبل والأغنام .

(٣) اللخاف : وهي الحجارة الرقيقة البيضاء .

(٤) الرق والأديم والقضيم : وهي كلها أنواع من الجلود .

(٥) المهارق : صحف بيضاء من القماش مفردها مهرق ، وهو في الواقع لفظ فارسي ، وهو ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (١١) ، وكما مر بنا ظل استخدام هذه المواد على عهد رسول الله ﷺ وصحابته في كتابة القرآن .. إلا أنه بعد **فتح مصر** دخلت مواد جديدة ، أهمها من مصر :

(٦) البردي : ومعروف أن البردي نبات كان ينمو في **مصر القديمة والوسيطة** على **ضفاف النيل** يبلغ في بعض الأحيان مترين طولا ، وكان الورق يصنع من ساق النبات حيث تقسم الساق إلى شرائح طولية ثم ترص عليها شرائح أخرى أفقيه وتغطى بشيء ثقيل ، فتساعد المادة الصمغية الموجودة بالنبات على الالتصاق ، ثم تطرق وتصقل ، وكانت القطعة تلحق بالقطعة لتصير لفافة كبيرة تبلغ ثلاثين ذراعاً أحياناً في عرض شبر ، ويكتب على أوراق البردي من وجه واحد وهو الوجه الذي تكون فيه الألياف أفقية لتساعد القلم على المضي في الكتابة . وقد انتشر ورق البردي من مصر إلى الدول الأخرى ، وقد ظل البردي هو المادة الرئيسية في الكتابة طوال العصر الأموي ، وخلال الفترة الأولى من العصر العباسي . وكانت أوراق البردي على شكل **لفائف** ROLLS ، ومن هنا كان شكل الكتاب ، ولم يتحول الكتاب العربي من اللفافة إلى الشكل الدفتري إلا زمن **أبي العباس السفاح** (ت ١٣٦ هـ) ، على يد وزيره **خالد بن برمك** (ت ١٦٣ هـ) (١٢) .

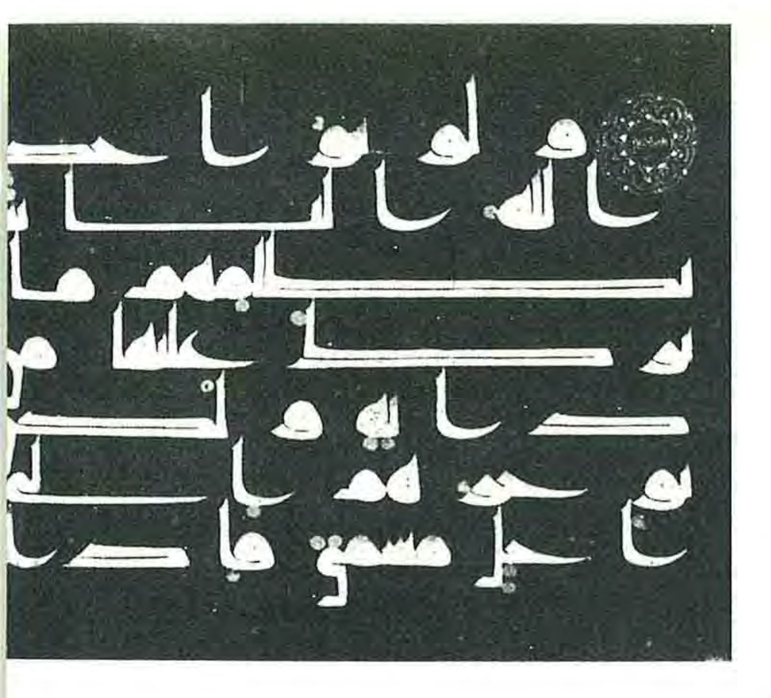
(٧) الورق : وفي عصر الرشيد دخل الورق كمنافس خطير للبردي . ومن المعروف أن الصينيين هم أول من اخترع الورق ، فقد **اخترعه الصيني (تساي لون)** في عصر **الإمبراطور (هو تي)** سنة ١٠٥ م . وكان العرب يحتلون **سمرقند** سنة ٧٥١م ، عندما حاولت جيوش الصين طردهم منها ، لكن الغزو الصيني رد على أعقابه ووقع في الأسر كثير منهم كانوا يجيدون صناعة الورق فتعلمها العرب منهم ، فأسس مصنع للورق في سمرقند ، ثم انتقلت هذه الصناعة بعد ذلك إلى **بغداد** ، حيث أسس **الفضل بن يحيى البرمكي** وزير الرشيد مصنعاً للورق ، ثم انتقلت هذه الصناعة بعد ذلك إلى **الشام وفلسطين** ، ثم انتقلت إلى **المغرب العربي** ، ثم منها إلى الأندلس ، ثم إلى بقية أنحاء **أوروبا** عن طريق الأندلس ، ثم إلى **الولايات المتحدة الأمريكية** بعد ذلك . وقد انتهى البردي كمادة للكتابة حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي بعد أن طغى استخدام الورق ، وقد تعايشا فترة من الزمن تقدر بحوالي نصف قرن (١٣) .

أدوات الكتابة

(١) القلم : كان العرب في الجاهلية ـ كما كان الإنسان البدائي ـ يستعملون أدوات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة أو الخشب ، وفي بعض الأحيان كانوا يكتبون بالفحم أو الطباشير أو نوع من الرصاص الذي يجدونه في الصحراء ، ولم يجهل العرب القلم بدليل ما ورد في **القرآن الكريم** من ذكر للقلم ، كما ورد ذكر القلم في **الشعر الجاهلي** ، وقد عرف القلم بأسماء كثيرة منها **اليراع والمذبر** . وكانت الأقلام ، في بادئ الأمر ، تصنع من السعف أو الغاب أو القصب ، وكان الغاب أو القصب يقط ويبرى أو يقلم ، ومن هنا كان اشتقاق اسم القلم من التقليم أو البري . ومن لوازم الناسخ والأقلام في العصور الوسطى العربية :

(أ) المدية : وهي السكين التي تبرى بها الأقلام وكانوا ينصحون بعدم استخدامها في غرض آخر سوى البري .

(ب) المقط : أو المعصمة ، وهي قطعة صلبة من الحجارة أو الرخام يبرى عليها القلم لاستواء البري .



(ج) المقلمة : وهي المكان الذي توضع فيه الأقلام سواء كان من نفس الدواة أو منفصلاً عنها .

(د) المفرشة : قطعة من خرق الكتان أو الصوف تفرش تحت الأقلام وتكون في بطن الدواة .

(هـ) الممسحة : وكانت تسمى الدفتر أيضاً ، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صدف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش يمسح به القلم عند الفراغ من الكتابة حتى لا يجف عليه الحبر فيفسد .

(٢) المداد : اشتق اسمه من الفعل يمد أي كل ما يمد به أي ما تمد به الدواة الكاتب ، وقد يسمى **حبراً** من الفعل يحبر الشيء أي يترك عليه أثره ، وقد يكون مشتقاً من الحبار أي الأثر .

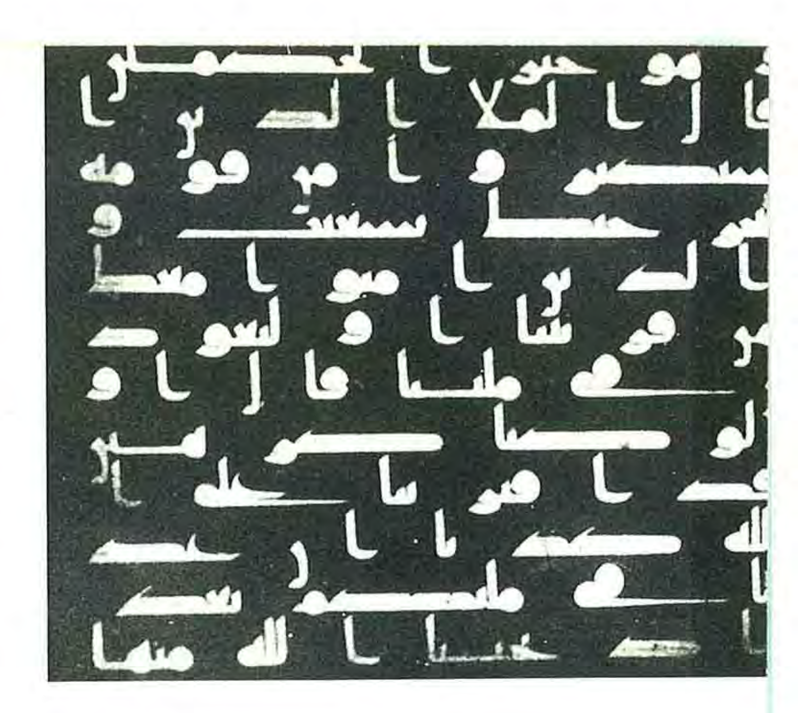
وكان المداد أو الحبر في أول الأمر يستورد من الصين ، كما كان يصنع في بلاد العرب من **العفص والزاج والصمغ** ، أو من **السناج** (الدخان) وأجود الدخان ما أخذ من سخام النفط . والعفص حمل شجر البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً ، وهو مادة سوداء غنية بحامض التنيك إذا نقعت في الخل سودت الشعر . أما الزاج الأخضر فهو كبريتات الحديد .

أما المقادير وطريقة الصناعة فكانت على النحو التالي :

٣ أرطال سخام النفط (تنخل وتصفى) .
٣ أمثال ماء .
١ رطلاً من العسل .
١٥ درهماً من الملح .
١٥ درهماً من الصمغ .
١٠ دراهم عفص .

ويمزج هذا كله في وعاء ، ويوضع على النار حتى يصير قوامه متماسكاً ، وبعد ذلك يبرد ويستخدم .

(٣) الدواة والمحبرة بمعنى واحد : وفي العصر الجاهلي وفي القرون الأولى للهجرة كانت الدوى تصنع من **الخشب** وربما صنعت من **الفخار** ، وبعد أن تقدم الزمن أصبحت تصنع من **المعادن كالنحاس والحديد** ، وأحياناً من الزجاج . وامعاناً في التألق كانت الدوى تصنع من **الأبنوس المحلى بالذهب ..** وكانت مجالس الكتّاب والعلماء تزخر بالدوى ، حتى لقد أحصى بعض المؤرخين الدوى التي وجدت بأيدي الكتّاب في أحد المجالس بأكثر من خمسمائة دواة .



الملامح المادية للمخطوط العربي

بعد أن استعرضنا في العجالة السابقة حركة التأليف والترجمة وتطورها ، ومواد الكتابة وأدواتها ، وحركة الوراقة والوراقين (النشر والناشرين بمفهومنا العصري) .. لا بد من **تحليل المخطوط العربي أي من دراسة ملامحه المادية** . وسوف نعالج عناصر المخطوط العربي الأولية على النحو التالي :

(١) صفحة العنوان

ظل المخطوط العربي طيلة حياته بدون **صفحة عنوان** ــ على النحو الذي نصادفه في المطبوعات في وقتنا هذا ــ وصفحة العنوان بالمعنى الذي نفهمه الآن هي واجهة للكتاب ، تشتمل على عنوان الكتاب ، واسم مؤلفه وناسخه ، ومكان وتاريخ النسخ ، بل كان عنوان الكتاب واسم مؤلفه يأتيان في مقدمة الكتاب بعد قسم كثير من الكلام ، أو كانا يأتيان في نهاية المخطوط على النحو الذي سنراه فيما بعد .

وكان المخطوط في العادة يبدأ بورقة بيضاء لحماية النص من التلوث في المخطوطات غير المجلدة بصفة خاصة . وقد دأب من تملكوا المخطوطات أو ناسخوها في عصور متأخرة على إضافة عنوان الكتاب على هذه الورقة البيضاء وبخط مخالف أغلب الظن .

(٢) الاستهلال

وكان **الاستهلال** inception أو بداية النص ، يبدأ عادة بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي ثم الهدف من تأليف الكتاب ومحتوياته أحياناً بل المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في كتابة مؤلفه هذا ، ويذكر اسمه ، والعنوان الذي اختاره لكتابه .

يقول **د . عبد الستار الحلوجي** إن الاستهلال هذا كان يؤدي ثلاثة أغراض في الكتاب المطبوع في عصرنا الحاضر وهي : (أ) صفحة العنوان ، (ب) قائمة المحتويات ، (ج) مقدمة الكتاب [١٤] ، ونضيف كذلك قائمة المصادر في بعض المخطوطات ، وهذه الأخيرة قصد بها إعطاء أهمية عملية للكتاب من حيث اعتماده على مصادر أخرى ، وكذلك تفيد من يريد الاستزادة من المادة العلمية في هذا الموضوع .

(٣) عناوين الفصول والعناوين الفرعية

والحقيقة أن فصول المخطوط العربي لم تكن لترد في صفحة مستقلة أو سطر مستقل أو في منتصف السطور على النحو المعمول به في أيامنا في الكتب المطبوعة ، وكذلك العناوين الفرعية ، بل كانت عناوين الفصول والعناوين الفرعية تنداح داخل النص دون تمييز لا في لون الحبر ولا في حجم الخط ، بل كان الفصل يبدأ بكلمة فصل ثم يأخذ الكاتب في سرد المادة العلمية .. ثم وجد أن هذا الأمر منفر لمن يريد البحث عن فصل معين أو باب بالذات ، فبدأوا يميزون عناوين الفصول والعناوين الفرعية بتضخيم الخط أولا ، أو بمغايرته لخط النص ، ثم بعد ذلك استخدموا لوناً مغايراً من الحبر لتمييز هذه العناوين .

ولعل السبب في ذلك هو الرغبة في استغلال كل المساحة وعدم التبذير فيها ، نظراً لارتفاع ثمن البردي والرق ، ثم الورق بالتبعية وبحكم العادة .

(٤) الهوامش

ولقد كان النّاسخ العربي يحرص على ترك **هوامش** أربعة ، وكانت هذه الهوامش تتمشى مع حجم المخطوط ، فكلما كان حجم الكتاب كبيراً كانت الهوامش أكبر مما لو كان حجم الكتاب صغيراً ، وهذا هو منطق الأمور . وكان **النساخون** يحرصون على تساوي الهامش الواحد ، فيحرصون على ألا تخرج السطور عن بعضها حتى لا تشوه منظر الكتاب ، كذلك كان حرصهم على أن تكون المسافات بين السطور Leading على نسب متساوية .

وبمرور الزمن دأب قراء المخطوطات ــ المثقفون منهم خاصة ــ على كتابة تعليقات وحواشٍ وتقريرات على هوامش المخطوطات أثناء قراءتهم مما يعتبر تأليفاً جديداً ، وكلمة حاشية نفسها مأخوذة من هذا المعنى (أي ما يكتب في هامش الكتاب أي أطراف الكتاب) ، حتى إذا استقلت هذه الحواشي في كتاب مستقل بذاته أخذت نفس الاسم . ونصادف هذه الظاهرة في أواخر المخطوطات بصفة خاصة ، وقد قلدتها أوائل المطبوعات العربية فنصادف ثلاثة كتب أو أربعة في مجلد واحد ، كتاب أو كتابان في المتن ، وكتاب أو كتابان على الهامش ، والأمر لا يخرج عن كونه تقليداً للمخطوطات وليس له أي علاقة بالطباعة .

(٥) مسطرة المخطوط

ولم يكن ثمة معدل ثابت لعدد السطور في الصفحة الواحدة بل أحياناً (قليلة) كان **عدد السطور** يختلف من صفحة إلى صفحة في المخطوط الواحد . وإن كان المعدل هو في **القطع الكبير ٢٥ ــ ٣٠** سطراً ، وفي **القطع المتوسط ٢٠ ــ ٢٥** سطراً ، وفي **القطع الصغير ١٢ ــ ١٥** سطراً .

وأغلب الظن أن النساخين لم يكونوا يسطرون أوراق المخطوط قبل البدء في الكتابة كما يقول د . عبد الستار الحلوجي ، حتى يتحكموا في عدد السطور واستوائها ، وإن كان ذلك جائزاً في المخطوطات الصغيرة والمتوسطة ، إلا أن ذلك لم يكن الوضع في المخطوطات الضخمة الحجم ، كالمصاحف الكبيرة ونحوها التي يحتم اتساع صفحاتها تسطيرها . ولم يعرف العرب في مخطوطاتهم تقسيم الصفحة الواحدة إلى فقرات تبدأ كل منها على بعد معين عن بقية السطور .

(٦) علامات الترقيم

ولم يعرف العرب من علامات الترقيم في القرون الأولى للهجرة سوى النقطة أو ما يقوم مقامها كأداة للفصل بين الجمل ، ويذكر **أدلف جرومان** [١٥] أن النساخين العرب قد استعاروا الدائرة ، ونصادفها بأشكال مختلفة في المصحف ، من **اللغة البهلوية** ، وكانت النقطة عبارة عن دائرة . وقد لاحظ الدكتور الحلوجي أن الدائرة كانت تستخدم مجردة أحياناً ، وفي أحيان أخرى يكون بداخلها نقطة ، وفي أحيان ثالثة يخرج خط من منتصف الدائرة ، ـــo ، أو دائرتان متماستان OO ، وربما كانت النقطة أو العلامة التي نصادفها بداخل الدائرة أو خارجة عنها من صنع القراء لتحديد المكان الذي وقفوا عنده في القراءة في بادئ الأمر ، ثم أصبحت تقليداً بين النساخ بعد ذلك تأنقاً وتزيداً .

وفي المخطوطات المتأخرة نصادف اختفاء الدائرة وظهور النقطة فقط للفصل بين الجمل ، ونصادف أيضاً ــ ولكن في أحيان قليلة ــ وجود فصلات ونقطتين : .

(٧) الاختصـــــارات

وكان الكتّاب العرب يختصرون الكلمات التي تتكرر كثيراً في النص حدثنا (ثنا ـ نا) أخبرنا (أنا) انتهى (أ هـ) . وكان اختصار الصلاة على النبي مكروهاً ولم نصادفه في المخطوطات الباكرة .

(٨) التصويبات والتصحيحات

وعندما كان الناسخ يخطئ في كتابة المخطوط ويعرف ذلك فإنه كان يشطبه ويكتب الصواب بعده . أما إذا اكتشف الخطأ بعد الانتهاء من نسخ المخطوط فإنه كان يشطبه ويعيد الكتابة فوقه بالصواب على النحو الذي نقوم به في أيامنا هذه .

وكانت الكلمات المنسية تضاف في مكانها بين السطور إذا كانت قليلة والمسافة بين السطور تسمح بذلك . أما إذا كانت كثيرة لا تتحملها الفراغات بين الكلمات فإنها كانت تسجل في الهامش أمام الموضع الطبيعي لها ، مع وضع علامة أو خط يدل على مكانها .

(٩) ترقيم أوراق المخطوط

وقد ظل المخطوط العربي ردحاً طويلاً من الزمن بدون ترقيم لأوراقه أو صفحاته حتى نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً . ولما كان يخشى من انفراط عقد أوراق المخطوط والصعوبة في ترتيبها ظهرت طريقة كتابة أول كلمة في الصفحة اليسرى في الهامش الأسفل للصفحة اليمنى فيما يعرف بالتعقيبات .

وفي العصور المتأخرة جرى ترقيم أوراق المخطوط بالورقة وليس بالصفحة . وفي أواخر أيام المخطوطات وقبيل ظهور الطباعة مباشرة كان المخطوط العربي يرقم بالصفحة .

(١٠) خاتمة المخطوط

وتعتبر **خاتمة المخطوط العربي** Explicit جزءاً هاماً منه ، ففيه تذكر عبارة تدل على انتهاء النص واسم الناسخ ، وفي أحيان قليلة يذكر مكان النسخ ، وفي أحيان كثيرة يذكر تاريخ النسخ باليوم والشهر والسنة الهجرية . وقد تكون السطور الأخيرة في النص مكتوبة على شكل هرم مقلوب تسمى بحرد المتن Colophon .

أما إذا كان المخطوط ينتظم أكثر من مجلد فإنه تذكر في نهاية كل مجلد عبارة تفيد الربط بين المجلد والمجلد الذي يليه . (انتهى المجلد كذا ويليه المجلد كذا وأوله ....) .

(١١) التمليكات والإجازات والسماعات

ونصادف في أول المخطوط أو آخره بعض عبارات تفيد ملكية الكتاب لشخص معين أو لمسجد بالذات أو لمكتبة معينة على النحو المعمول به في زماننا هذا بالنسبة للكتب المطبوعة ، وهذه العبارات تعرف بالتمليكات .

ومن المعروف أن **نظام التعليم في الإسلام** كان يقوم أساساً على **أستاذ** يشرح كتاباً وتلاميذ يتحلقونه ويسمعون عليه الكتاب ولا بد من اثبات أن فلاناً قد سمع هذا الكتاب على الشيخ الفلاني ليكون ثقة بعد ذلك في مادة هذا الكتاب ، ويكون هذا الاثبات على الكتاب نفسه ويعرف هذا **بالسماعات** . وكذلك كان لا بد لكي يقوم التلميذ بالتدريس في مادة ذلك الكتاب بعد ذلك أن يجاز له بالقيام بهذا العمل ، ولا بد من اثبات ذلك أيضاً على الكتاب نفسه فيما يعرف **بالإجازات** على النحو المعمول به اليوم في رسائل الماجستير والدكتوراه مع تغير الظروف والأسلوب .

(١٢) أحجام المخطوطات

والحقيقة أنه **لم يكن للمخطوطات العربية أحجام ثابتة** على النحو المعمول به في أيامنا في الكتب المطبوعة بمقاييس معلومة نتيجة صناعة الورق المنظمة الآن . كذلك لم يكن يهتم في القرون الأولى بصفة خاصة بأن تتساوى أوراق المخطوط الواحد وإن كنا نصادف بعد ذلك حرصاً متزايداً على تساوي أوراق المخطوط الواحد .

وقد أشار د . الحلوجي إلى وجود حجمين متقاربين للمخطوطات العربية في القرون ا جرية الأولى حوالي ٢٥ × ١٨ سم ، والثاني حوالي ١٨ × ١٢ سم ، وإن كانت أحجام المخطوط العربي لا تخضع لمقاييس ثابتة عادة .

(١٣) الصور والرسوم

وكانت الصور في المخطوطات العربية تتم بعد الانتهاء من نسخ المخطوط وكان الناسخ يترك فراغات لملئها بالصور والرسوم . وهذا يؤكد لنا أن **الرسام** كان شخصاً مختلفاً عن الناسخ ، يدلنا على ذلك أن الصور في بعض المخطوطات العربية تتجاوز المساحة المتروكة لها وتطغى على النص أعلاها وأسفلها [١٦] . كما وصلتنا مخطوطات وبها مساحات بيضاء تركت للصور والرسوم ، لكنها لم ترسم .

وأغلب الظن أن العرب قد عرفوا التصوير عن طريق الفرس ، **فالمسعودي** يذكر أنه رأى عندما زار **مدينة اصطخر** سنة ٣٠٣ هـ ، كتاباً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأنبيائهم وساستهم «مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان» [١٨] .

كذلك كان كتاب «كليلة ودمنة» مصوراً بصور الطيور والحيوانات التي جرت على ألسنتها حوادث ذلك الكتاب .

وكانت الصور والرسوم في المخطوطات العربية تتمشى مع طبيعة موضوع الكتاب ، فكتب الجغرافيا كانت محلاة بالخرائط ، وكتب الهيئة **(علم الفلك)** كانت تشتمل على صور للكواكب والنجوم ، وكذلك كانت كتب الموضوعات الأخرى كالهندسة والفروسية والكيمياء وغيرها .

وكان الرسامون العرب إلى ـ جانب **استخدام اللون الأسود** ـ يستخدمون ألواناً مختلفة في التصوير ، لكنها من ناحية أخرى كانت محدودة العدد جداً ، فكانت الألوان الأحمر والأخضر والأزرق هي الغالبة .

والحق أن الصور والرسوم هنا كان يقصد بها خدمة النص والموضوع ولم تكن تقصد في حد ذاتها .

(١٤) زخرفة المخطوطات وتحليتها وتذهيبها

أما الحليات والزخارف فقد كانت تقصد بذاتها لتحلية المخطوط وزخرفته . وكانت هذه الزخارف في بداية الأمر مجرد خطوط بسيطة لم تلبث أن تعقدت بعد ذلك إلى رسوم هندسية لها أصول وقواعد ، وأحياناً تتخذ أشكالا نباتية فيما عرف بالارابيسك . والحقيقة أن المصاحف كانت مجالا خصباً لهذه الزخارف ، لأن الرسامين تحرجوا من رسم أشكال آدمية وحيوانية فيها فتوسعوا في استعمال الأشكال الهندسية والنباتية المختلفة وتأنقوا في استخدام الذهب والألوان كالأحمر والأزرق والأخضر .

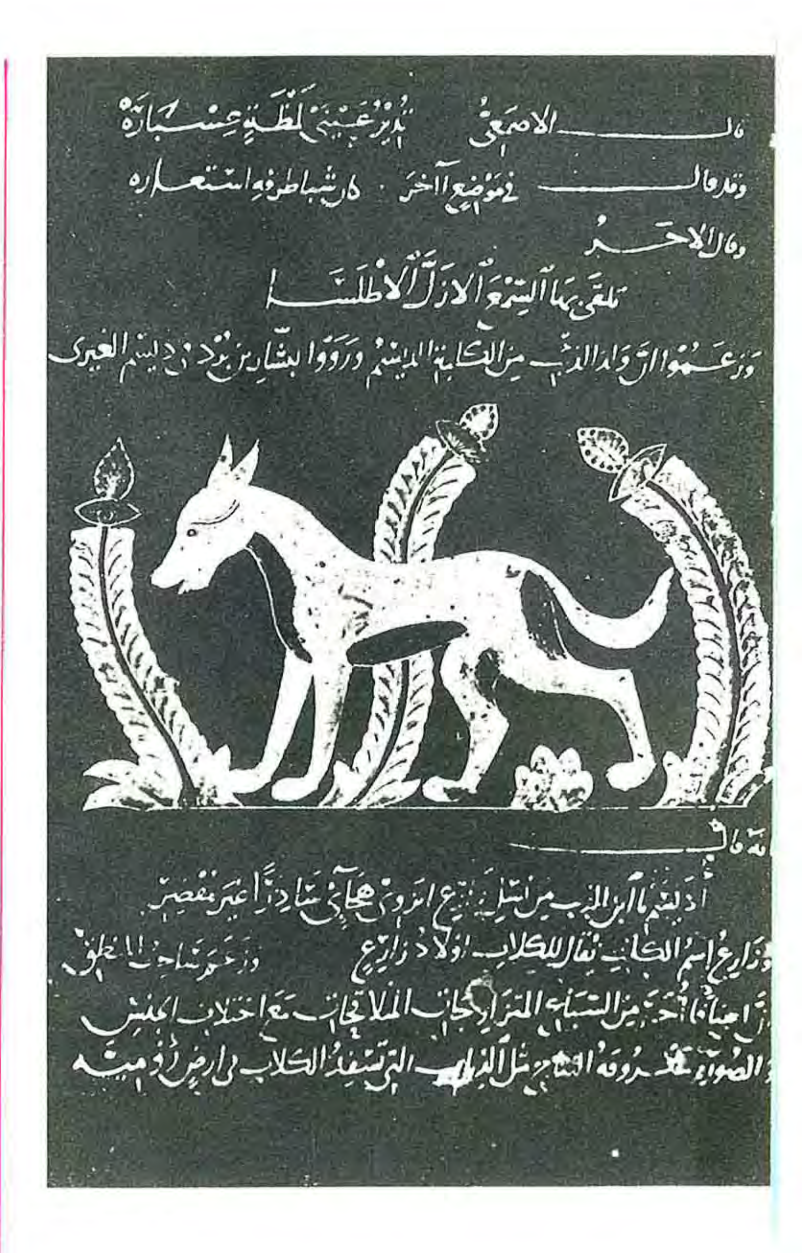
ولعل هذا يقودنا إلى الحديث عن التذهيب ، فإنه أول ما وجد بالمصاحف ، وفي مواضع الزخرفة منها على وجه الخصوص ، ولم يلبث العرب أن نقلوه إلى الكتب الأخرى وأغرقوا في استخدامه ، فكتبوا المصاحف بماء الذهب .

ولم يقتصر عمل المذهبين العرب على تذهيب صفحات المخطوطات فقط وإنما تعدى الأمر إلى تذهيب الجلود أيضاً . **وكان فن التذهيب هو أول الفنون التي تعلمها الإيطاليون قبل كل شيء من أساتذتهم المسلمين فيما يذهب سفندال .**

ولقد كان التذهيب عادة المرحلة الثالثة في صناعة المخطوط بعد مرحلتي الكتابة والتزيين بالصور والرسوم . وكانت وظيفة المذهب تأتي مكملة لوظيفة الخطاط والرسام .

(١٥) تجليد المخطوطات

أما فيما يتعلق بتجليد المخطوط فقد كان المصحف الشريف هو أول كتاب يجلد حتى منتصف القرن الثاني الهجري ، لأنه كان أول كتاب عربي يصنع على شكل **دفتر** Codex ، ولما أخذ شكل المصنفات شكل الدفتر هذا بعد أن ظل فترة طويلة على



شكل **لفافة** Roll ، منذ ذلك الوقت أخذ ميدان التجليد يتسع ويجذب الناس إليه .
وقد عدد ابن النديم أسماء سبعة من المجلدين على رأسهم **ابن أبي الحريش** الذي كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون .

ويقال إن العرب قد أخذوا فن التجليد عن **الأحباش** ، ويقال أخذوه عن **أقباط مصر** ، وكان المصريون يستخدمون ورق البردي المقوى في تجليد الكتب صغيرة الحجم والخشب في تجليد الكتب كبيرة الحجم . ولما زال البردي من الوجود استخدم الورق كبديل في التجليد .

كان هذا حتى القرن الثاني ، أما في بداية القرن الثالث الهجري فقد أخذ الجلد يدخل في صناعة التجليد بالتدريج في **لصق الكعب** أولا ، ثم بعد ذلك توسعوا في استخدامه لتجليد كل الكتاب وخاصة المصاحف وكان لتوفر الجلود أثر طيب في هذا الاتجاه .

وكان من الطبيعي ألا تترك جلدة الكتاب بدون زخرفة ، فكانت في أبسط حالاتها إطاراً يطوق الجلدة على شكل زخارف هندسية أو نباتية بسيطة ، ثم تأتي بعد ذلك الزخاف الهندسية تملأ الفراغ الموجود في هذا الإطار . وقد سجل **جرومان** في كتابه Islamic Book صوراً رائعة لجلود عربية من **مجموعة الأرشيدوق رايتر في فيينا** [١٩] .

ولما جاء القرن الرابع الهجري استحدث المجلدون نظام اللسان في الجلدة وكانت وظيفته تغطية أطراف الأوراق ، وكذلك لتحديد الموضع الذي يقف عنده القارئ أثناء قراءة الكتاب .

وكان المجلدون العرب يبطنون الكتب من الداخل بالبردي والرق أو الورق ، وربما بالغوا في ذلك فبطنوها بالقماش أو الحرير [٢٠] .

ولم يكتف المجلدون العرب بزخرفة الجلود الخارجية فقط ، بل تعدوا ذلك ظهر الجلد الداخلي ، فغطوه بزخارف لا تقل عن الزخارف الخارجية روعة وجمالا .

ويلحق بالحديث عن التجليد الحديث عن ترميم الكتب ، وعلى الرغم من أنه لم تصلنا معلومات كافية عن ذلك ، فإن **المقريزي** يذكر أن ميزانية **مكتبة دار الحكمة** في القاهرة (التي أنشأها **الحاكم بأمر الله ٣٩٥ هـ**) ، كان بها بند لترميم الكتب التي تتلف من كثرة الاستعمال . . وأغلب الظن أن عملية الترميم لم تكن تخصصاً قائماً بذاته ، لكنها كانت عملية بسيطة يقوم بها المجلدون من أنفسهم باستعمال الصمغ أو النشاء في لصق ما قد يتمزق من الأوراق .

صيانة المخطوطات وترميمها

هناك العديد من العوامل والأسباب التي تؤثر تأثيراً شديداً في أوراق المخطوطات التي وصلتنا عبر السنين ، لذلك فلا بد من حمايتها منها الابقاء عليها أطول مدة ممكنة . وأهم هذه العوامل : (١) **الضوء** ، (٢) **الهواء** شديد الجفاف أو شديد الرطوبة ، (٣) التغيرات الفجائية في **درجات الحرارة أو درجات الرطوبة** ، (٤) **زيادة نسبة الغازات** الضارة في هواء المكتبة مثل **ثاني أكسيد الكبريت والأوزون** ، (٥) **الأتربة** ، (٦) **الطفيليات** كالفطر والحشرات .

وسوف نتناول بشيء من التفصيل كل عامل من هذه العوامل بنفس هذا الترتيب :

(١) فمن المعروف أن الأوراق المصنوعة من لب الخشب والألياف السليولوزية والأوراق التي تزيد فيها نسبة الأحماض هذه تتأثر أكثر من غيرها إذا تعرضت فترات طويلة للضوء ، ولذلك **ينبغي حفظ المخطوطات بقدر الإمكان بعيداً عن ضوء الشمس والضوء الصناعي** ، خاصة ما كان منها مصدراً **للأشعة فوق البنفسجية** بكميات كبيرة ، ومن هنا يكون الحفظ المثالي لها في مكان مغلق بأقل قدر من النوافذ ، ويضاء عند الضرورة بالضوء الصناعي بالقدر الذي يسمح بالرؤية ولمدة محدودة .

(٢) ومن المعروف أيضاً أن المخطوطات إذا تعرضت لدرجات عالية من الحرارة ولو لمدد قصيرة ، فإن أوراقها تصفر ويسرع إليها التقصف وتصبح هشة ، ولذلك **لا بد من الاحتفاظ بدرجة حرارة معتدلة داخل مكتبة (أو مخزن) المخطوطات** . ودرجة الحرارة المناسبة لذلك هي ما تراوحت بين ٢٠ ــ ٢٤ درجة مئوية . ويجب البعد تماماً عن استعمال أجهزة التدفئة في مكتبات المخطوطات أو مخازنها .

كذلك **ينبغي الاحتفاظ بدرجة رطوبة معقولة داخل مخازن المخطوطات** ، فلا يجب أن تنخفض عن ٣٠ ٪ ، لأن أقل من ذلك سوف يساعد على جفاف الأوراق ومن ثم تقصفها . ولو زادت عن ٧٥ ٪ ولو لمدة قصيرة ، فإن هذا الجو يساعد على نمو الفطر على أوراق المخطوطات وتغير لونها وتكون بقع سوداء أو بنية اللون عليها . ولذلك ينبغي حفظ نسبة الرطوبة في المخازن بين درجتي ٣٠ ٪ و ٧٠ ٪ حتى تساعد على حفظ المخطوطات .

(٣) وقد وجد أن التغير المفاجئ الواسع المدى في **درجات الحرارة أو البرودة** يؤدي إلى الاضرار بألياف الورق ، ذلك أنها تتقلص وتتمدد مع تغيرات الحرارة ، وهذه الحركة الداخلية في الورق قد تتسبب في تكسر هذه الألياف وإحداث تلفيات بالورق . ومن ثم لا ينبغي أن يكون التغير في درجة الحرارة بالرفع أو الخفض عن طريق التكييف إلا بمقدار درجتين تحت ، أو درجتين فوق المعدل الطبيعي .

(٤) وقد وجد أن **غازات** مثل الأوزون أو ثاني أكسيد الكبريت الذي ينتج عن احتراق الفحم واحتراق الزيوت والبترول ويصل إلى معدلات عالية في المدن موطن تجمع المخطوطات ، وفي فصل الشتاء على وجه الخصوص ، هذا الغاز يمتص بسهولة في ألياف الورق حتى ولو لم تصل نسبته إلى نصف في المليون من الهواء . وهذا الغاز يتحد مع

الأكسجين وبخار الماء الموجودان في **الهواء** ومع مركبات **الحديد** في الورق ، فيتكون من ذلك **حامض الكبريتيك** ، وهذا الحامض يتفاعل مع ألياف السيليولوز ويتلف الأوراق في المخطوطات ، وبازدياد نسبة هذا الحامض في الورق تزداد سرعة تحلله .

ومعالجة هذا الغاز تتم باستخدام **جهاز تكييف** يمر فيه الهواء عن طريق أنابيب بها ماء بارد . وهذا الماء يوضع به محلول قلوي لمنع الصدأ عن الأسطح المعدنية التي يمرر عليها الهواء بعد ذلك . هذا المزيج القلوي ينقي الهواء الداخل إلى مخازن المخطوطات من ثاني أكسيد الكبريت .

(٥) كذلك تعتبر **الأتربة** من أعداء المخطوطات وفضلاً عن أضرارها المباشرة فإنها تساعد كثيراً على تواجد الحشرات واختفائها ، ولذلك كان لا بد من تنقية جو مخازن المخطوطات من الأتربة باستمرار عن طريق استخدام شفاطات الأتربة المستخدمة في المكتبات والأجهزة الحديثة التي تستخدم لهذا الغرض .

(٦) والحشرات من أعدى أعداء المخطوطات وذلك أن بعض الحشرات وأنواعاً من الفطر تعيش وتنمو على المواد الداخلة في تجليد المخطوطات كالنشاء والمواد الصمغية المختلفة بل والجلود نفسها . وهذه الحشرات تتسبب في ثقوب بأوراق المخطوطات وتصل إلى حد كبير قد تصبح معه خطوطاً غير منتظمة تحدث تلفاً شديداً في المخطوطات .

ولا بد إذن من **تبخير المخازن** على فترات منتظمة ، ورش الرفوف بمواد قاتلة لهذه الحشرات يمكن أن يجنب المخطوطات كثيراً من أضرار هذه الحشرات . وباستخدام **الصوديوم** أو خليط من **حامض البوريك** والنشاء على الرفوف يمكن القضاء إلى حد كبير على هذه الحشرات . هذه العوامل التي تصيب المخطوطات عوامل طبيعية ، يضاف إليها عوامل أخرى مثل الحريق الذي ينبغي تجنب أسبابه بشتى الطرق ، لأن الكتاب المخطوط لا يمكن تعويضه ولا يقدر بثمن ، على عكس الكتاب المطبوع الذي يمكن تعويضه بنسخة أخرى . كذلك يجب على أمين المخطوطات أن يراعي عزل المخطوطات المصابة أولا بأول لترميمها ، وذلك بالفرز الدوري للمجموعات ، كما يلاحظ الاستخدام السليم للمخطوطات من جانب القراء فلا يستخدمون الأقلام في وضع خطوط أو علامات تحت سطور أو كلمات في المخطوط الذي يقرأ .

ويتصل بصيانة المخطوطات أيضاً طريقة حفظها في المكتبة ، فالمخطوطات يجب أن توضع على رفوف معدنية ، ذلك أنها أسهل تنظيفاً وأدعى لعدم نمو الحشرات ، كما هو الحال في الرفوف الخشبية التي تساعد على نمو الحشرات ولا يمكن تنظيفها بدقة ويسر .

ومن المستحسن أن توضع المخطوطات الضخمة على الرفوف في وضع أفقي وليس في وضع رأسي حتى لا تلتوي جلدة المخطوط وأوراقه .

ويقودنا هذا بطبيعة الحال إلى الحديث عن **ترميم المخطوطات** . والمقصود بالترميم هنا هو إصلاح ما يصيب أوراق المخطوط وجلدته من تلف أو تمزق أو تآكل ، وقد سبق أن ذكرنا أنه على أمين المخطوطات أن يقوم بفرز المخطوطات بصفة دورية ، وعزل المخطوطات التي تحتاج إلى ترميم بسبب إصابتها بآفة من الآفات أو بسبب تمزقها من جراء الاستعمال غير السليم .

والوضع الطبيعي **أن يكون بمكتبة المخطوطات قسم خاص لترميمها** ، لأنه من الخطأ الجسيم أن يسمح بترميم المخطوطات خارج المكتبة . وقسم الترميم هذا يجب أن يجاور مخازن المخطوطات ، وهو يحتاج إلى الكثير من الأدوات والخامات ومنها المواد اللاصقة والسوائل اللازمة لتنظيف الأوراق والجلود كالكحول والبنزين .

وتمر عملية الترميم بأربعة إجراءات هي :

(أ) بسط الأوراق المطوية أو المثنية وذلك بتعريضها لبخار الماء في غرفة خاصة تصل درجة رطوبتها إلى ٩٠ ٪ ، وتبسط الأوراق على مناضد زجاجية نظيفة جداً ثم تجفف الأوراق بوضعها بين طلاحي من الورق النشاف الأبيض .

(ب) تقوية الأوراق أو الضعيفة وذلك عن طريق غمسها بمحلول النشاء أو الجيلاتين المخفف وتركها لتجف ووضعها بعد ذلك في مكابس لبسطها .

(ج) تغطى الأوراق بغطاء شفاف من الورق (السلوفان) أو القماش الرقيق أو النايلون .

(د) في حالة الأوراق المكتوبة من وجه واحد يمكن لصقها على ورقة أخرى بقصد تقويتها ، وينصح بعدم استخدام الغراء لأنه غليظ القوام ويفسد الورق بلونه وتشققه بعد الجفاف . ويفضل استعمال النشاء مع نسبة صغيرة من (الجلسرين) . تحفظ عليه ليونته ومرونته .

فهرسة المخطوطات

من الواضح أن فهرسة المخطوطات على نطاق العالم كله لم تلق نفس العناية التي لقيتها فهرسة الكتب المطبوعة ، وليس ثمة تقنين متفق عليه في فهرسة المخطوط شأنه شأن المطبوع . وكل مكتبة لديها مجموعة من المخطوطات تجري فهرستها بطريقتها الخاصة ، ومن أسف أن **دار الكتب المصرية** التي لديها رصيد هائل من المخطوطات لم تقم حتى اليوم بفهرسة شاملة لما تقتنيه من هذه المواد .

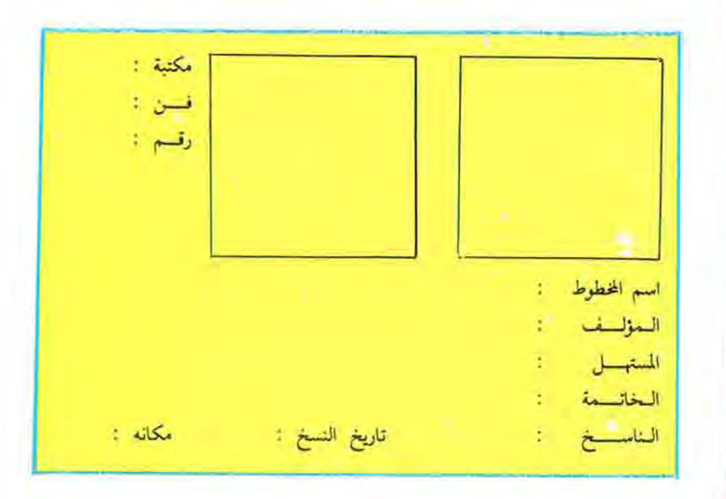
إذن فإن محاولتنا هنا لوضع **نظام لفهرسة المخطوط العربي** ستكون محاولة خاصة ويجب أن تؤخذ على هذا النحو ، ولسوف تتفق هذه المحاولة من بعض جوانبها مع فهرسة المطبوع ، وبطبيعة الحال سوف تختلف في جوانب أخرى . فمن المعروف أن الفهرسة تعني وصف الكيان المادي للعمل المفهرس ، ولما كان الكيان المادي يختلف في المخطوط عن المطبوع فلا بد أن تتأثر الفهرسة بذلك أيضاً .

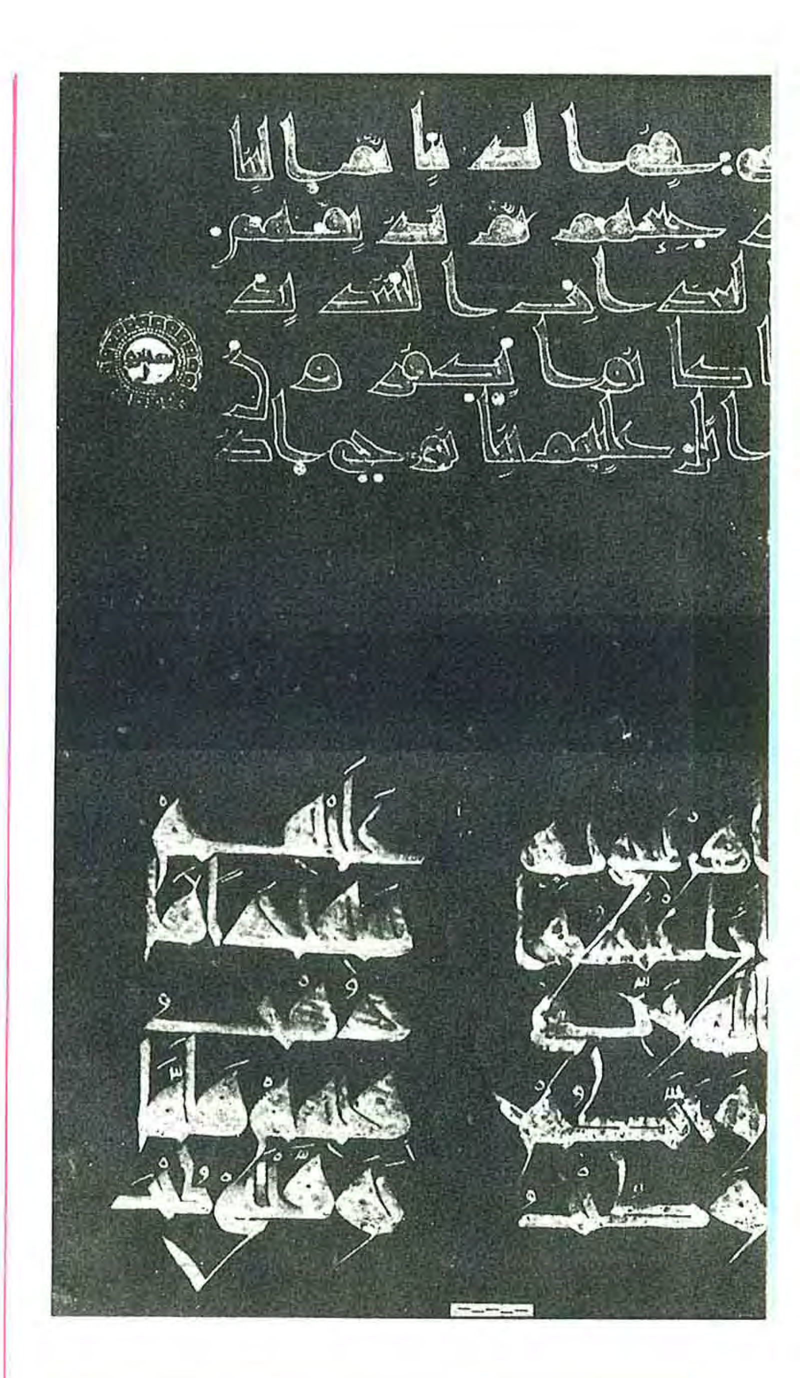
ولقد قام أحد خبراء **اليونسكو** في تونس [٢١] ، بوضع نموذج لبطاقة فهرسة المخطوط ، ويمكن تلخيص هذه المحاولة في النقاط الآتية :

- أولا : ــ مساحة البطاقة ١٨ × ٢٤ سم عرضاً وتكتب من وجهيها .
- ثانياً : ــ تبين على وجه البطاقة العناصر المعتادة التي نجدها على بطاقة المطبوع مثل اسم المكتبة وفن الكتاب ورقم المخطوط بالمكتبة وعنوان المخطوط ومؤلفه ومستهله وخاتمته ، واسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه . ويضاف صورتان شمسيتان مصغرتان ٦ × ٩ للصفحتين الأولى والأخيرة من المخطوط ، وتوضع هاتان الصورتان في الركن الأيمن من النصف الأعلى من وجه البطاقة **(انظر نموذج البطاقة)** .
- ثالثاً : ــ يخصص ظهر البطاقة لتسجيل البيانات التي تساعد على تكوين صورة واضحة المعالم عن المخطوط مثل : المادة المكتوب عليها المخطوط (بردي ، رق ، ورق) ، ونوع الخط والحبر ، وحجم المخطوط ، ومسطرة المخطوط ، وعدد الأوراق والزخارف والتجليد .

كذلك يسجل في هذا المكان محتويات المخطوط باختصار ، ثم نسب المخطوط ، وذلك بذكر النسخ الأخرى من المخطوط ومكان وجودها ، وتاريخ نسخها ، وكذلك الطبعات المنشورة من المخطوط ، إن كان قد نشر ، مع بيانات ببليوجرافية كاملة عنها ، وكذلك تسجل أهم الإجازات والسماعات في هذا المكان أيضاً .

- رابعاً : ــ لما كانت الفهرسة عملية فنية ودقيقة وتحتاج إلى درجة عالية من الكفاية ، فإن اسم المفهرس واسم المراجع يدرجان بالبطاقة .





صفة المخطوط ـ المادة :	الخط :	المداد :
القطع :	المسطرة :	عدد الأوراق :
التذهيب :		
التجليد :		

دراسة محتويات المخطوط :

نسب المخطوط (النسخ الأخرى/ الطبعات المنشورة/ الإجازات والسماعات الخ .)

المفهرس :   المراجع :

ومن الواضح من العرض السابق أن البطاقة المذكورة كبيرة المساحة جداً وتحتاج إلى أدراج فهارس خاصة خارجة عن المألوف المشهور في عالم صناعة الأدراج . كما أن ادراج صورتين فوتوغرافيتين لكل مخطوط بالبطاقة أمر فوق طاقة عدد كبير من مكتبات المخطوطات ، ولا يقدر عليه إلا المكتبة القومية فقط . كما أن الكتابة على وجهي البطاقة سيضطر القارئ إلى إخراج البطاقات من أدراجها ، وغير ذلك من الصعوبات التي يمكن تتبعها في البطاقة المقترحة سابقاً .

إذن فلنحتذي بطاقة الكتاب المطبوع ، مع عدم الإخلال بالمعلومات والبيانات اللازمة ، للتعرف على المخطوط وتمييزه . وأقدم فيما يلي الخطوط العريضة لفهرسة المخطوط .

يمكننا أن نقسم بطاقة فهرسة المخطوط إلى عدد من الفقرات :

●● الأولى : **فقرة المدخل** ـ ويجب أن يكون المدخل الرئيسي للكتاب باسم المؤلف مبتدئاً بالجزء الأشهر من الاسم متبوعاً بالأسماء الأولى للمؤلف مع إعطاء تاريخي الميلاد والوفاة بعد الاسم بالهجري والميلادي كلما أمكن ذلك .

●● الثانية : **فقرة العنوان** ـ وهنا يعطى عنوان المخطوط الرئيسي والفرعي إذا وجد ، وكذلك العناوين التي اشتهر بها المخطوط (ولنصطلح على تسميتها بالعناوين البديلة Alternative title) ، ثم بعد العنوان يسجل مكان النسخ واسم الناسخ وتاريخ النسخ .

●● الثالثة : **فقرة التوريق** (أو بيانات المقابلة) ، وفيها تسجل مادة المخطوط (بردي ، ورق ، رق) ، ثم عدد الأوراق ، ثم مسطرة المخطوط (أي متوسط عدد السطور في الصفحة) ، ثم نوع الخط المكتوب به المخطوط ، ثم الإيضاحيات (أي الصور والرسوم) ، ثم نوع التجليد ثم حجم المخطوط بالطول والعرض بالسم .

●● الرابعة : **الاستهلال** inception ، ونعني به بداية النص بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي . **والخاتمة** Explicit ، ونعني به نهاية النص قبل حرد المتن .

●● الخامسة : **محتويات المخطوط** ، وتسرد بايجاز شديد ، أو في عبارة وصفية مركزة .

●● السادسة : **نسب المخطوط** ، ونعني به النسخ الأخرى الموجودة من المخطوط في مكتبات أخرى وكذلك الطبعات المنشورة من المخطوط ، وأهم الإجازات والسماعات المسجلة في المخطوط .

●● السابعة : هي **فقرة المتابعات** Tracings ، ونعني بها المداخل الأخرى أو البطاقات الإضافية للمخطوط ، ولنبدأ كما هو الحال في المطبوعات ، بمتابعة الموضوع ، ثم متابعة العنوان (أو العناوين) ، ثم متابعة الناسخ .

ويمكن أن تكون مساحة البطاقة أكبر من مساحة البطاقة المقننة دولياً للمطبوعات (٣ × ٥) بوصة (٧,٥ × ١٢,٥ سم) ، يمكن أن تكون (٥ × ٧) بوصة (١٢,٥ × ١٧,٥ سم) ، على أن تكمل البيانات على بطاقة ثانية إذا لم تكف واحدة . ويحرم بتاتاً الكتابة على ظهر البطاقة منعاً لفوضى استخدام الفهرس .

الإعداد المهني لأمناء المخطوطات

من المتفق عليه أن **الإعداد المهني لأمناء الكتب المطبوعة أيسر بكثير من الإعداد المهني لأمناء المخطوطات .** وعلى سبيل المثال فإن فهرسة الكتاب المطبوع بواسطة أمين مكتبة متمرس قد لا يستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة ، بينما فهرسة المخطوط الواحد قد تستغرق أسبوعاً وأحياناً شهراً كاملاً . كذلك يلاحظ أن جهات كثيرة

قد حملت عن أمين المطبوعات عبئاً كبيراً فيما يتعلق بالفهرسة والتصنيف فيما يعرف بالفهرسة في المنبع ، والفهرسة المركزية ، والفهرسة التعاونية ، وأخيراً الفهرسة أثناء طبع الكتاب مما يتيح لأمين المطبوعات بطاقات جاهزة يدرجها في فهارسه ويتفرغ للخدمة المكتبية ، وهو أمر لم يتيسر ولن يتيسر لأمين المخطوطات .

والإعداد المهني لأمناء المخطوطات يختلف من بلد إلى بلد كما هو الحال في كل شيء ، ففي **فرنسا** يتوفر معهد خاص بتخريج أمناء الوثائق والمخطوطات والمطبوعات معاً ، وفي **ألمانيا** يتم الإعداد المهني لأمناء المخطوطات بالجامعة وليس في معهد مستقل .

وفي **إنجلترا** يتم الإعداد في مدرسة خاصة بالوثائق والمخطوطات معاً . وفي **مصر** تدرس مادة المخطوط العربي في السنة الرابعة بقسم المكتبات والوثائق ، يساندها مادة الكتابة العربية في السنة الثالثة من نفس القسم ، وتحظى كل من المادتين بساعتين فقط أسبوعياً ، وإلى جانب هذه الدراسات الرسمية المنتظمة يتوفر **معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية** على تنظيم دورات تدريبية في مجال المخطوطات لمدة شهرين تقريباً ، ويلتحق بها أشخاص من كل الدول العربية .

ومركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ، بدأ بداية طيبة في مجال تدريس المخطوطات ، إلا أنه بعد ذلك حصر نفسه في تحقيق بعض المخطوطات على أن يتدرب الباحثون أثناء عمليات التحقيق .

ونحن والوضع هكذا ، لم ينشر من المخطوطات العربية إلا أقل القليل ، وما زال الطريق شاقاً وطويلاً أمام استكمال نشر المخطوطات العربية لا نملك إلا أن نأسو لعدم وجود معهد أو قسم في كلية للنهوض بهذا الواجب القومي . وأنا **أقترح أن ينظم معهد المخطوطات ـ وهذه وظيفته وواجبه ـ دراسة منتظمة ورسمية** ـ كما هو الحال في **معهد الدراسات والبحوث العربية** ـ على أعمال المخطوطات لمدة سنتين على الأقل ، ويلتحق بها حملة الليسانس والبكالوريوس ممن لهم اهتمام بهذا المجال .

وأعطي فيما يلي الخطوط العريضة للمواد والموضوعات التي يمكن أن تدرس في هذا المعهد :

(١) تاريخ فنون الكتاب :

وهنا نصادف مواد الكتابة كالبردي والرق والورق ، وطرق صناعتها وانتشارها والمقارنة بينها ، دراسة كل ما يتصل بأدوات الكتابة كالقلم والمداد والدوى ، دراسة الكيان المادي للمخطوط العربي ، دراسة فنون التذهيب والتجليد والتصوير وما إلى ذلك .

(٢) الكتابة العربية :

وهنا نصادف **تطور الخط العربي** عبر العصور المختلفة ، أشكال الحروف والإعجام ، وكذلك يمكن أن يدرس مشاهير الخطاطين **كابن مقلة وابن البواب** ، وغيرهما ممن أضافوا إلى الخط العربي .

(٣) البيبليوجرافيا :

هنا نصادف كل ما يتصل بطرق **إعداد القوائم البيبليوجرافية** ودراسة القوائم البيبليوجرافية الموجودة بالفعل وخاصة منها ما يتعلق بالتراث العربي كالفهرست **لابن النديم** ومفتاح السعادة **لطاش كوبري زاده** وغير ذلك وهو كثير .

(٤) مصادر التاريخ العربي :

إلى جانب الخلفية التاريخية للعالم العربي ، والتأليف والترجمة والتدوين عند العرب ، يجب الاهتمام في هذه المادة بدراسة أمهات الكتب التي تعالج التاريخ العربي والحياة الفكرية لدى العرب عبر العصور .

(٥) المراجع :

وهنا يجب الاهتمام بنوعين هامين من أنواع المراجع وهما : كتب التراجم ، لأنها لازمة أشد اللزوم لرجل المخطوطات في عمله اليومي ، وكذلك القواميس لأنه يرجع إليها كثيراً استيفاء لمعاني الكلمات وتصحيحها .

(٦) الفهرسة والتصنيف وإعداد الكشافات :

لعل إعداد فهارس المخطوطات ووضعها في خدمة الباحثين والمحققين هي الثمرة والمحصلة النهائية والهدف المنشود من الإعداد المهني المقترح ، ولذلك لا بد من الاهتمام بدراسة طرق فهرسة وتصنيف المخطوطات ، وإعداد الكشافات اللازمة للمخطوطات ولفهارس المخطوطات على السواء .

(٧) صيانة المخطوطات :

وهنا نصادف دراسة أساليب صيانة المخطوطات ضد عوامل التلف الطبيعي ، كالحريق والماء والقوارض ، ثم الحشرات والضوء والأتربة وما إلى ذلك . وهنا أيضاً نصادف دراسة طرق ترميم المخطوطات وأحدث الأساليب في هذا الأمر على النحو الذي مر بنا .

(٨) تحقيق المخطوطات :

كي يساعد أمين المخطوطات المحققين في القيام بعملهم على خير وجه لا بد أن يعرف طبيعة عملهم ، بل وحتى كي يصبح محققاً هو بعد ذلك بحكم عمله وسط المخطوطات ، فلا بد من تدريس مادة تحقيق المخطوطات .

ويجب أن نؤكد أن الجانب العملي التطبيقي يجب أن يستغرق ثلثي الوقت المتاح على الأقل .

الهوامش

(١) من أجل معلومات أكثر تفصيلاً في هذا الصدد انظر المصادر الآتية :
ا ـ المقريزي ، تقي الدين ، إمتاع الأسماع ، وخاصة في جزئه الأول ، ص ١٠١ وما بعدها .
ب ـ ابن سيد الناس . عيون الأثر ، ج ١ ، ص ٣١٥ وما بعدها .
جـ ـ روزنتال ، فرانتز . مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦١م ، ص ٢٣٠ .

(٢) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ط ٢ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٠م ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٣) القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي «صبح الأعشى في صناعة الانشا» ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٩م ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .

(٤) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام ، دمشق ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٠م ، ص ٣٧ .

(٥) عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ونشرها ، ط ٢ ، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٥م ، ص ٩ ـ ١٠ .

(٦) ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

(٧) محمد كرد علي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٨) محمد كرد علي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٠ . وانظر أيضاً عبد السلام هارون ، المصدر السابق ، ص ص ١١ ـ ١٣ .

(٩) لمزيد من المعلومات عن الورق في تلك الفترة انظر القلقشندي ، أبو العباس أحمد «صبح الأعشى في صناعة الانشا» ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

(١٠) من العلماء الذين كانوا يعيشون من النسخ أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم المتوفي سنة ٤٣٠هـ ، وأبو موسى الحامض ، وأبو عبد الله الكرماني . انظر القفطي في أخبار العلماء ، ص ١٥٥ ، والفهرست لابن النديم ، ص ١١٧ وما بعدها ، وارشاد الأديب لياقوت الرومي ، ج ٢ ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(١١) ابن النديم ، محمد بن إسحق : الفهرست ، ص ٣١ .

(١٢) عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي (رسالة دكتوراه) ، ص ٩٥ .

(١٣) Encyclopedia Britannica. art. Paper.

(١٤) عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي (رسالة دكتوراه) ، ص ١٢٢ .

(١٥) Grohmann, Adolf. Islamic Book. P.23.

(١٦) Grohmann, Adolf. Islamic Book. PP. 3-4.

(١٧) عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي (رسالة دكتوراه) ، ص ١٤٩ .

(١٨) Islamic Book PP. 47-49.

(١٩) Ibid. PP. 50-51.

(٢٠) هو الأستاذ الدكتور توفيق إسكندر ، رئيس قسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة الأسبق .

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل

(من معلقة امرؤ القيس الكندي عام ٨٠ ق . هـ)

للاكتئاب ، مع الإنسان ، تاريخ طويل ، وقصة حزينة كاسمه ، لولا أنها مشرقة في نهايتها . عانى الإنسان منه زمانه ، تاركاً في تاريخه أثراً متجدداً . . تناقلته **الأساطير والروايات** ، وسجلته المعابد والأديرة . . وقرأنا عنه في **تراجيديات وملاحم الإغريق ثم الرومان** . ولم يسلم منه **العرب قبل وبعد إسلامهم** .

عزاه الطبيب الأول « **أبوقراط** » عام ٣٠٠ ق . م ، و« **ابن سينا** » عام ألف ميلادية ، إلى **زيادة العصارة السوداء في الكبد** Melancholy . ووصفه **د . ريتشارد بيرتون** في القرن السابع عشر فأجاد تفصيله على الصورة التي نعرفها الآن . ومع كل فلا يعرف الاكتئاب كالذين أصابهم ثم خرجوا منه سالمين .

الإكتئاب

أعراضه .. أنواعه .. علاجه

بقلم : د . عبد الرؤوف ثابت

ماهية الاكتئاب

فما هذا المرض الذي أصاب الإنسان في كل زمان ؟ . وما غايته منا ، إذا سلمنا بأن للأمراض غاية قد تغيب عنا حكمتها . إنه ، في بساطة ، **قصور في الاستجابة** Unresponsiveness ، أو **قصور في الطاقة الحيوية** Libido كما يسميها البعض . يقل تدفقها وقد تتوقف Stuper ، ثم تعود في نهاية فترة المرض إلى سريانها الطبيعي — وكأنها عادت تعمل — وأحياناً أكثر تدفقاً . واستمع معي إلى شكوى أحد المرضى ، وهم غالباً من الأذكياء :

« عندما أصابني الاكتئاب ، فقدت الأشياء لمعانها وكأنما كستها ظلال . ثم فقدت الحياة مذاقها حتى أصبحت بلا طعم أو معنى . أهملت واجباتي بعدما أصبح أقل فكر أو مجهود عبئاً ثقيلاً . وفقدت نفسي عمقها ، فأصبح الناس كالصور الباهتة تتحرك أمامي وتضايقني . حتى تمنيت لو أكون وحدي وأترك وشأني . فلما رحل عني أقبلت على الدنيا ، كأني ولدت من جديد . . على أن للاكتئاب بعد أن زال عني حنين يصعب وصفه . كأنه الذي قاسيت منه فلما انقضى حننت إليه » .

في هذا المعنى الأخير الذي ذكره المريض الذكي كتبت إحدى الكاتبات كتاباً مشهوراً بعنوان « **مرحباً بالاكتئاب** » .

أعراض الاكتئاب

ومن **صفات مرض الاكتئاب أو أعراضه** التي تأتي على ألسنة مرضاه ، **الهبوط ، الكآبة ، الاظلام ، الفراغ الداخلي ، اللاشيء ، القنوط ، العزلة ، الوحشة** ، وفي الحالات القصوى ، **السكون واللوعة والندم** * ، **ومما يصفه ذوو المرضى عنهم ، الحزن ، العبوس ، العزوف ، الخمول ، الوجوم ، اللامبالاة** ، وأخيراً **السكون والتوقف** .

ومع أن **الاكتئاب يصنف ضمن أمراض العاطفة** affect ، إلا أنه ليس حزناً ــ ولا هو شدة الحزن ــ الذي قد يصاحبه . فالحزن ، مثل الفرح والخوف والغضب ، عاطفة عامة وطبيعية لا يخلو منها إنسان في وقت ما . وأوضح مثال للحزن وما يصاحبه من تفاعلات جسمية هو ما نشعر به عندما نفقد عزيز لدينا ، عند سماع الخبر ، يشعر « المصاب » بخدر عام كأنما الدنيا فرغت من حوله . . ويحس بانقباض في بطنه أو صدره ، ويجف حلقه . . ويخيل إليه أنه في حلم مزعج وأن شيئاً منه يرفض تصديق الخبر . لكنه ، مع ذلك ، يسأل عن « الترتيبات » ويسأل غيره عن من يستحقون عطفاً أكثر منه كالأم أو الأطفال . فإذا خلا لنفسه ، عاش في لوعة من التفكير فيمن رحل حتى تؤرقه ذكراه . ثم لا يلبث أن يعود بعد فترة مراسم الحداد إلى شؤون دنياه ويعاوده بالتدريج اهتمامه بعمله . وشيئاً فشيأ تعمل العمليات العقلية اللاشعورية ، **كالتعويض والاحلال** ، عملها حتى تملأ الفراغ الذي تركه الفقيد في نفسه . . يذكره قليلاً ، فدون القليل ، فنادراً ، ولا يمر شهر أو شهران على الأكثر حتى يكون قد أسدل على الفقيد ستار من النسيان .

مثل الحزن في هذا كمثل « **الجرح** » الذي يلتئم مهما كان عمقه ، وقد يترك أثراً لفترة ما ، وقد لا يمحى أثره ، لكنه على كل حال ، أثر . ومن المعروف أنه كلما حسنت العلاقة في الحياة بين الحي والراحل ، قصرت فترة الحداد . أما إذا شابتها الشائبات والعقد بينهما فقد يطيل الشعور بالذنب أو الندم فيما بعد من مدتها ، وقد لا ينقشع الحزن إلا بعد مدة طويلة ، لكنها لا تعدو عامين في أغلب الأحيان ، أو تتعقد الأمور على النحو التالي :

فقدت إحدى الشابات زوجها فجأة على أثر مرض لم يمهله أيام . وترك لها طفلاً في السادسة من عمره . حزنت الزوجة على فقيدها طويلاً . وبعد عامين من موت زوجها مات الطفل وحيدها فجأة في حادث سيارة ، فامتد بها الحزن سنتين أخريين . لم يبق لها أحد في هذه الدنيا إلا أهلها الذين ، فيما يبدو ، برموا بها وبرمت بهم ولكل شأنه ومشاغله . وفي النهاية لجأوا إلى الطبيب النفسي على أنها حالة من الاكتئاب المزمن ، ولم يكن الأمر كذلك . كانت حزينة على نفسها وتتطلع ، **لا شعورياً ثم شعورياً** فيما بعد ، إلى من يحل محل الراحلين .

أما مرض الاكتئاب ، أو الهبوط كما يسميه الغربيون Depression ، **فهو شيء آخر غير الحزن . وقوامه فقدان الاستجابة كما أسلفنا** . كالآلة حينما تبطئ ، أو حتى ، تتوقف . وليس في الإمكان تقريب الاكتئاب إلى الأذهان بغير هذا التشبيه إذا التزمنا الدقة . والكثير مما يعرف عن هذا المرض إنما هو في الواقع من نوع المضاعفات التي تصاحبه ، كالحزن والبكاء والخوف أو القلق ــ وليس المرض ذاته ــ وما يشكو منه المريض ، أو على الأصح ذووه ، من فقدان الشهوات كالأكل والنوم والجنس والأمان ، وهي التي تلجئ بالمريض ، أو أهله ، إلى طلب العلاج .

وقد يضعف تفكير المريض فيعتقد أن ماضيه كان مليئاً بالأخطاء أو المعاصي أو الفشل وقد يتوهم أن مستقبله والذين يعولهم في كف القدر ، ويعظم الاكتئاب مع الفجر والصباح ويتحسن نسبياً في المساء .

شقاء كهذا لا تحدثه الظروف مهما كانت المسببات . **ولا يعرف للاكتئاب سبب جوهري . فهو يجيء ويذهب بلا مقدمات أو انذارات . وهو يصيب ، أكثر ما يصيب الإنسان في أواسط العمر ، أو في سن متقدمة قليلاً ، وما يسمونه بسن اليأس !** وهو يكثر في بعض الشعوب عنها في شعوب أخرى ، وقد يكون لنوع الحياة التي يحيونها أو الجو الذي يعيشون فيه دخل في هذا . **ويكثر الاكتئاب بين الطبقات العليا والمتوسطة في المجتمع وبين المهنيين أكثر من ذوي الحرف ، وبين أهل المدن الكبيرة عنهم في المدن الصغيرة والقرى . وللوراثة دخل كبير في حدوثه قد تصل إلى ثمانين في المئة .**

والاكتئابيون ، في غالبيتهم ، أناس سمت نفوسهم وعلت همتهم وعظم مقصدهم . حياتهم مليئة بالنجاح ، أو العلو والانخفاض . وقد يكون الاكتئاب بالنسبة لهم « تجميد » مؤقت Hypernation لطاقاتهم وقدراتهم الممتازة حتى لا تتعرض للخطأ أو الفشل أو الضياع . ونادراً ما يكون في الاكتئاب نهاية لحياتهم . فإذا قدرنا أن النفوس معادن ، فللاكتئابيون نفوس نبيلة وثمينة .

أنـــواع الاكتئـــاب

ولمرض الاكتئاب أنواع ، **الحقيقي** endogenous وهو ما شرحناه حتى الآن ، وهو الوحيد الذي يصح أن نسميه بالاكتئاب . **والثانوي** reactive ويحدث عقب الخسائر والكوارث . ويختلف عن النوع الحقيقي بأنه يتحسن بزوال المؤثر أو الانشغال عنه ، وبالتعويض أو الاقناع أو الصحبة الحسنة . وتزيد شدته إذا قرب المساء ويكون المريض أروح بالا في الصباح ، ولا يفقد المريض استجاباته ولا يهمل واقعه والمهم من أموره إلا قليلاً بحيث لا يضره .

ونوع آخر من الاكتئاب يصيب الشباب . ويشكون من هذه الحياة وما غايتها ؟ وماذا بعد الشهادة الجامعية والعالم مليء بالشهادات ؟ وهل جعلت لهذا العمل ؟ وهل أنا على الطريق الصواب ؟ وهذه الحالات هي في الواقع نوع من **التوقف الوجودي** (غير الملحد) existential black وليست اكتئاباً حقيقياً . لكنها ، مع الأسف ، تتسبب في رسوب عدد لا بأس به من الشباب . وأنصح الشباب في هذه الحالة بأخذ اجازة طويلة من الجامعة يقضوها في مجال آخر يختارونه ويكون عملياً . وعادة يعود الشاب بعد الاجازة إلى كليته وقد استعاد نشاطه وميله إلى مواصلة الدراسة .

ويوجد نوع من الاكتئاب يعرف **بالاكتئاب العصبي** neurotic ، غالباً ما يأتي في صورة أوجاع أو شكاوى عضوية تحير المريض وطبيبه العام . ومرضاه لا يشكون من أعراض نفسية ، وإنما

يشكون مما يعانونه من أوجاع جسمية **كالصداع والروماتيزم العضلي ، وآلام أسفل الظهر أو الصدر والذراع الأيسر** خاصة عند السيدات أكثر من الرجال ، ولا ننسى أمراض البرد والانفلونزا وتفسير حدوث هذا النوع من الاكتئاب على هذه الصورة لا يخلو من الطرافة ، إذا كان في المرض طرافة . إذ يبدو أن كثيراً من الناس قد سمعوا عن « **التلكس** » أو « **الفيديو** » ولم يسمعوا عن الطبيب النفسي .

والنفس ، لمن لا يعرفها ، هي مجموعة الأداء الفكري والعاطفي . قليلون من يعرفون هذا وكثيرون من يعرفون ، خطأ ، أنه إذا اضطرب الفكر فهو المرض العقلي ، وإذا اضطرب الأداء فهذا هو الضعف وخاصة الجنسي أو الروماتيزم العضلي أو المفصلي أو الأعصاب . أما العاطفة ، وهي في الغالب ما يعبر عنها العامة بالنفس ، وقد تكون العين أو العمل « وقى الأرض شر مقاديره » ، فأمرها متروك « لقلوب في البريد » أو « اسألوني » . وليس للأطباء صنعة فيها . خاصة ما يدعون بالنفسانيين في هذه الأيام ، لهذا اعتاد الناس على الذهاب إلى الأطباء « العموميين » شاكين لهم من البطن (وهم يقصدون القلب) أو نقص **الفيتامينات** ، أو الاجهاد ، أو الروماتيزم . وثمة عامل آخر هو النوم إنه من طبيعة الإنسان الخجل من اظهار عاطفة الحزن حتى لا يوصف بالضعف أو المهانة . لهذا يكبت الناس عاطفتهم ما وسعهم حتى تظهر في شكل أمراض جسمية وما يدعى « بلغة الأجسام » organ language حتى يكون في ذلك تعويضاً لهم ومبرراً للذهاب إلى الطبيب . ولكن مع الأسف لا يسأل الطبيب العام عن عواطفهم ويصف لهم الفحوصات الكثيرة ثم الدواء الذي عادة لا ينفع .

ولا يخلو حديث عن الاكتئاب دون التعرض لموضوع **الانتحار** . وهنا أعود فألفت نظر القارئ إلى **أن موضوعنا هذا عن الاكتئاب الحقيقي الذي يشكل أقل من ١ ٪** من المجموعة التي ذكرناها قبلاً عن الأنواع ، والصحيح أن العلاقة بين النوع الحقيقي من الاكتئاب والانتحار علاقة مباشرة ولكن نسبته بينهما ضعيفة جداً إذ لا تعدو نسبة الانتحار في أكثر الشعوب تعرضاً له عن ثلاثة ونصف من العشرة في المئة ألف . ونسبته في عالمنا العربي ضئيلة جداً (لا توجد إحصائيات دقيقة وإنما مجرد معلومات من الجهات المعنية) .

ومما يزيد من حوادث الانتحار وجود أمراض وعوامل أخرى غير الاكتئاب كالفصام والسلوك المنحرف . والعفوية وجلب الانتباه . ويقبل نوعان من الناس على الانتحار ، جاد وغير جاد وبالتالي يكون حدوث الانتحار محققاً أو محتملاً .

وهناك حالات (اصطناع) الانتحار التي قد تؤدي مع الأسف إلى ما لا يحمد عقباه ، وضحايا النوع الجاد المحقق غالباً من الرجال في أواسط العمر ولهم مكانتهم الاجتماعية غير متزوجين لسبب من الأسباب غالباً ما يكون الترمل . . يعيشون بمفردهم وقد يكونون مصابين بمرض عضال ، ومنه الاكتئاب ، أو فشل من نوع ما .

أما النوع الثاني غير المحقق ، أو المحتمل فغالبيتهم من الشباب والعاشقين والزوجات ، الذين ينعمون عادة في رغد ذويهم وليسوا مصابين بأي مرض على الاطلاق ، ويشكون من خيانة أو غدر أو عوزهم ، لبطرهم ، إلى المال . وليس من الصعب الكثير منع حدوث الانتحار خاصة المحقق ، إذا فتحنا أعيننا عليه وعالجنا الاكتئاب أو المشاكل في حينها وقبل أن تطول أو تستفحل .

علاج الاكتئاب

يعالج الاكتئاب بنجاح **باستعمال العقاقير المضادة للاكتئاب كالتوفرانيل والتربتزول أو البارنيت أو البارستالين .** والاكتئاب الحقيقي يشفى تماماً على العلاج **بالجلسات الكهربائية** E.C.T. من أربع إلى ست جلسات في مدى أسبوعين أو . . ثلاثة . بالإضافة إلى علاج العقاقير أو بدونها أحياناً . ويمكن علاج المرضى **بالكهرباء** في العيادات الخارجية ، وهو ، على فائدته القصوى ، علاج بسيط للغاية ، ينام المريض على فراش في غرفة هادئة ، ثم يعطى مخدراً لطيفاً في الوريد ، يعقبه في نفس المحقن دواء لاسترخاء العضلات . ثم يمرر الطبيب تياراً كهربائياً خفيفاً بين الصدغين أو على الجانب الأيمن من الرأس . وبعد خمس دقائق يفيق المريض ويذهب إلى بيته . ولا خطر أو ضرر من علاج الكهرباء على الاطلاق . وهذه ملاحظات إحدى المريضات بعد أخذها للعلاج .

« . . . بعد الجلسة الأولى عادت شهيتي للطعام وكانت نفسي قد عافت **الشكولاته** ، ووجدتني أتطلبها واتذوقها . وبعد الجلسة الثالثة زاد نشاطي ونومي وتركتني أفكاري الحزينة . وعاد إليَّ حبي لزوجي وأولادي وبدأت أعتني بهم وأهتم بشؤونهم . » .

ولا يقتصر علاج الأنواع الأخرى من الاكتئاب على العقاقير فقط ، ولا مجال للعلاج بالكهرباء في هذه الأنواع ، إذ يلزمه بالإضافة إلى العقاقير أو بدونها نوعاً خاصاً من **العلاج النفسي** . وعادة ما تتعقد حياة هؤلاء المرضى بسبب مرضهم أو أن مرضهم يحدث نتيجة تعقيدات وصعوبات في حياتهم . أو بسبب ظروف خارجة عن إرادتهم .

توفيت والدة أحد المرضى فحزن عليها حزناً شديداً . إذ فقد معها حناناً وتعاطفاً لم يجدهما عند زوجته أصلاً . وطال به الحزن على والدته حتى ضاقت زوجته به وطلبت منه أن ينفصلا لمدة طويلة . ثم شاء أن يغير عمله الذي أضجره . ومن المدينة الأخرى التي عمل وعاش فيها وحيداً ، أرسل خطاباً إلى زوجته يطلقها فيه ويعفيها من ارتباطها . وأخيراً هداه حزنه المضاعف إلى الطبيب النفسي .

يلجأ كثير من المرضى إلى **التداوي بأنفسهم** وبطرق شتى ، أو بعد مشورة من صديق أو قراءة إعلان في الصحف ، ومنهم من يقبل على تناول العقاقير الملطفة والمنبهات وخاصة **الامفيتامينات** . ومنهم من يلجأ إلى الأدعياء ومستحضري الأرواح ومنهم من يقيم علاقة أو زواج بمن لا تليق به ، أو يبعثر أمواله فيما لا ينفع أو يقامر بعمله أو مستقبله .

أرسل إليَّ أحد الأصدقاء بطاقة بريد من أوروبا كتب عليها العبارة التالية « بكل تداوينا . . . » لقد كان مكتئباً .

أخي المواطن

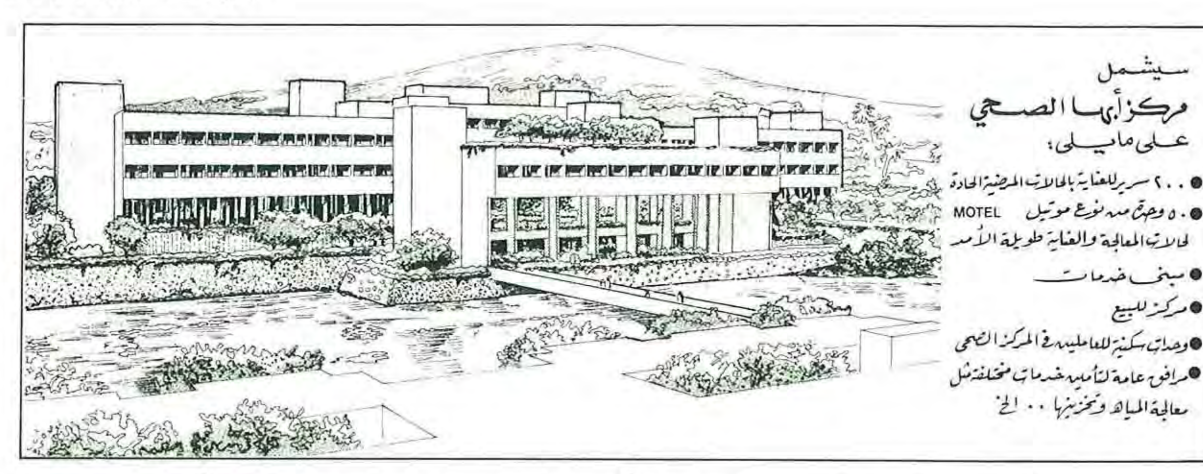
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرّني أن أعرض على أنظاركم أن جمعيّة البرّ بالجنوب قد قررت أن تنشئ مستشفى في مدينة أبها يتسع لمائتي (٢٠٠) سرير وبه سكن للعاملين يتسع لستمائة (٦٠٠) شخص من الأطباء والممرضين والممرضات وملحق به فندق صغير لمراجعي المستشفى وسيكون العلاج فيه مجاناً للفقراء وبرسم للأغنياء والقادرين. وتقدّر تكاليف هذا المستشفى بأكثر من خمسمائة ٥٠٠ مليون ريال جمع منها حتى الآن خمسون (٥٠) مليون بالإضافة إلى الأرض وسيطلق على المشروع (مركز أبها الصحّي).. والجمعيّة إذ تعرض هذا الأمر على أنظاركم فإنها لا تستغني عن دعمكم ومساعدتكم له بما يجود به كرمكم وروحكم الإسلاميّة النبيلة مساعدين جمعيّتنا لنكون يداً واحدة في خدمة بلدنا ومواطنينا في سبيل رفعته وتقدّمه وتخفيف الآلام عن الذين يقاسون من أبناء أمتنا ..

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .. وفقكم الله وهداكم إلى طريق الخير وفي انتظار ردكم .. تقبلوا أطيب تحياتي

رئيس جمعيّة البرّ بالجنوب

خالد الفيصل بن عبد العزيز



مشروع مركز أبها الصحّي





إن مركز أبها الصحي بفضل ما سيشتمل عليه من منشآت ومرافق، وبواسطة العاملين المتخصصين فيه، سيتمكن من تقديم العناية الصحية على نطاق واسع لسكان تلك المنطقة. وسيقدم المركز جميع خدمات الإسعاف في حالات الطوارئ، وكذلك خدمات التمريض الداخلي والعناية بالحالات ذات المعالجة طويلة الأمد. بالإضافة إلى مساكن لائقة ومؤقتة لعائلات المرضى

سيتمكن مستشفى مركز أبها الصحي من استقبال حالات الإسعاف والطوارئ وذلك لما يقارب ٣٠٠٠ حالة إسعاف. هذا وسيولي المستشفى أهمية خاصة لمرضى الحالات الداخلية. وستوزع الأسرّة في المستشفى على النحو التالي:

١٤٤ سريرا للمعالجة الطبية / الجراحية / أمراض النساء .
١٢ سريرا لحالات العناية المشددة / أمراض القلب .
٢٤ سريرا لحالات التوليد .
٢٠ سريرا لأمراض الأطفال .
٢٠٠ المجموع .

بالإضافة إلى ثلاثين حاضنة للرضع حديثي الولادة. بالإضافة إلى وحدات العناية بالمرضى فإن خدمات المستشفى سوف تشمل برامج متواضعة للتعليم الصحي مثل: التدريب الصحي المساعد، تدريب الممرضات للمعالجة السريرية، برامج تثقيفية للعاملين بالمستشفى، برامج تثقيفية لعموم المقيمين بالمستشفى وهذه البرامج سوف تساعد في المحافظة على مهارة العاملين في المستشفى بل وتحسنها ولهذه الأغراض فستقام في المستشفى قاعة اجتماعات تتسع لـ ٦٥ مقعدا وقاعة أخرى أصغر منها وكذلك عدة غرف للاجتماعات والمناقشات.. هذا وقد أخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المستشفى، التخطيط لتوسعها في المستقبل .

قسم الموتيلات MOTELS للمعالجة طويلة الأمد .

لقد أنشئ هذا القسم لخدمة غرضين رئيسيين أولهما تقديم السكن المناسب لعائلات المرضى أو لأحد قائم منهم لا يقطنون تلك المنطقة بل يعيشون في مناطق بعيدة عن المستشفى مما يترتب عليهم السفر كلما أرادوا زيارة مريضهم. ولهذا الغرض فقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية. هذا وربما نصح بعض أفراد العائلة الزائرين أن يقيموا في غرف المستشفى مثل قسم الأطفال والغرض الثاني من إنشاء هذا القسم هو تقديم السكن المناسب للمرضى الذين انتهت معالجتهم في أقسام المستشفى المختلفة ولكنهم لا يزالون يحتاجون للعناية والملاحظة بالقرب من المستشفى وعندما يتوفر لأفراد عائلة المريض وهو في هذا القسم، أن يكونوا بالقرب من مريضهم فسيقدمون له العون والمساعدة لكي ينفذ البرامج الغذائية أو غيرها مما يطلبه الأطباء المشرفون على المعالجة. ولقد خصصت ٢٥ وحدة سكنية أخرى لهذا الغرض ..

مركز البيع: يقدم هذا المركز خدمات وتسهيلات لجميع زوار المركز وموظفيه ومرضاه ويشتمل على محل لبيع الهدايا وزاوية مخصصة لتناول القهوة والمرطبات. وبرغم أن هذا المركز لا يقع ضمن بناء المستشفى كما لا يقع ضمن بناء الموتيلات إلا أنه قريب منهما وفي متناول النزلاء والزوار جميعا .

الموظفين والعاملين بالمركز: تشير الدراسة الأولية ان العاملين في مستشفى أبها يصنفون كما يلي: الأطباء العاملون والإدارة العليا وعددهم ٧٠ - الفنيون والممرضات وعددهم ٢٠٠ موظفو الصيانة والخدمات العامة وعددهم ١٥٠ - كتبة ١٨٠ - المجموع = ٦٠٠ وتبلغ المساحة الإجمالية لمبنى المستشفى دون المباني الخاصة بسكن الأطباء والموظفين (١٧٨٤٥) م٢ سبعة عشر ألفا وثمانمائة وخمسة وأربعون مترا مربعا .



الربيع العيد

شعر: طاهر زمخشري

أهلَّ الحسنُ وضّاح الجبين
فأغرق في السنا لجج الدجونِ
وغرَّد صوت فرحتنا فأسرى
صدى الإنشاد بالنغم الحنونِ
ليعرب عن صفاء الود فينا
على رغم التجافي والظنونِ
وفي الأعماقِ قد جاش التياع
فحرك في الحشا نار الشجونِ
وأبرد حرٌّ لاهبها لقاء
له الإحساس غرد بالحنينِ

★ ★ ★

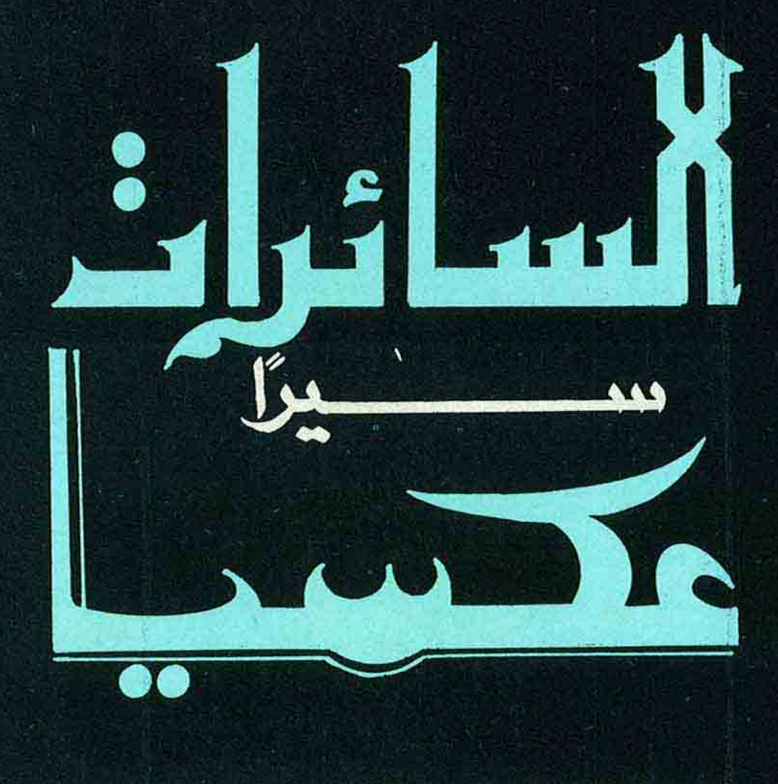
وكان البعد يلذع باشتياقٍ
فباحَ القرب بالسرِّ الدفينِ
وضمد في الحنايا كل جرح
وأخرس بالرضا رجع الأنينِ
وعاد لنا ربيع الحرف نضراً
يصفق بالبشاشة والفتونِ
يناغم بالشذا قلب المعنَّى
ليخلص من جَواه المستكينِ
وأطياف المسرة قد تهادت
وطافت بالرؤى عبر السكونِ
وناغت كل جارحةٍ بلحن
يعيد نشيده همس الجنونِ

★ ★ ★

وكنت أهيم في بحر التصابي
وآلامي بلجته سفيني
وفي الأثباج أشرعتي تهاوت
ومجدافي تكسر في يميني
وإعصار الهموم يضج حولي
وقد جرفت زوابعه سنيني
وإني قد عبرت جسور صبري
إلى لقيا أبرّ بها يقيني



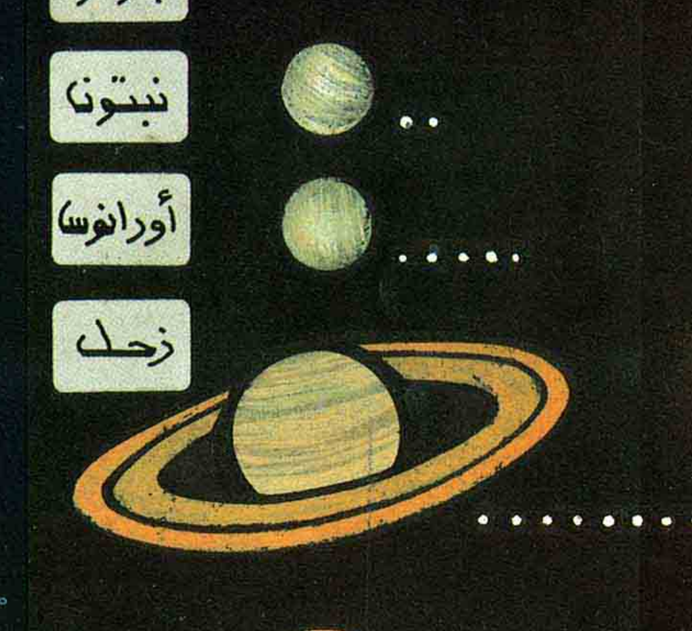
لقد أتقن **علم الفلك الحديث** فهم النظام الشمسي اتقاناً رائعاً . وكيف لا يفهم هذا النظام وهو الذي نعيش فيه . ومع **تطور التقنية واختراع الآلات الدقيقة** ، أصبح بعد جهد طويل ودراسات متواصلة على معرفة بعدد **الكواكب** التي تدور حول **الشمس** وأبعادها وحجومها وأقمارها وكيفية دورانها ، وقياساته الدقيقة وآلاته التي لا تخطئ بحيث أعطته فكرة قريبة من الحقيقة . فأصبح يعرف أبعادها إلى أقرب كيلومتر ، ويقيس مواقعها في السماء ، لا يكتفي بالدرجة ولا بالدقيقة بل بالثانية وأجزاء الثانية .



السائرات سيراً عكسيا

(شكل ٢)

★ نسبة حجم الشمس إلى حجوم الكواكب ونسبة حجوم الكواكب بعضها إلى بعض مع ظهور الأقمار التي تدور حول كل كوكب ★







بقلم : د . عبد الرحيم بدر

كان كل شيء يبدو أمام عينيه كأنه ظاهرة طبيعية ، وكل ما بدا شاذاً استطاع أن يجد له تفسيراً معقولا .

كانت **الزهرة** التي عبدها **الإغريق** على أنها إلهة الحب والجمال ، وعبدها العرب في **الجاهلية** وأطلقوا عليها اسم « **العزى** » هي الكوكب الوحيد الذي لم يعرفوا مدّة دورانه حول نفسه ولا اتجاه دورانه . على أية حال ، فقد افترضوا أنه مثله مثل غيره من الكواكب .

وهذه الدقّة التي يسير بها النظام الشمسي سائرة كأي ظاهرة طبيعية أخرى بتدبير الخالق سبحانه وتعالى .

وفي سنة ١٩٦٢م ، ١٣٨٢هـ ، اكتشف العلماء أن هذه الإلهة الكاذبة التي خدعت الإغريق والجاهلية ، قد خدعت علماء الفلك أيضاً . وجدوا أنها تحت مظهرها البرّاق اللامع تخفي حقيقة لم يكونوا يتوقعونها ... حقيقة بسيطة .. وهي أنها تدور حول نفسها في عكس

الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب الأخرى ، بحيث جعلت كلّ النظريات القائمة لتفسير نشوء النظام الشمسي تنهار دفعة واحدة /... ليس ذلك فقط ، بل لم يعد هناك مجال لقيام نظرية عقلانية جديدة تستطيع أن تفسّر النظام الشمسي .

عودة إلى النظام الشمسي

سبق أن قلنا إن الشمس في مركز النظام الشمسي ، تدور حولها كواكب تسعة في مدارات محدّدة معيّنة . ويبدو أننا الآن بحاجة إلى التوسع قليلاً .

الواقع أن هذه الكواكب تدور كلّها حول الشمس في نفس الاتجاه . ولو اتيح لنا أن نلقي نظرة من مكان أعلى من النظام الشمسي كلّه ، لرأينا أن الكواكب كلها تدور حول الشمس في اتجاه هو عكس اتجاه عقارب الساعة (كما في الشكل رقم ١) .

وسنرى أن مدارات هذه الكواكب على مستوى واحد تقريباً ، اللهم إلا مدار الكوكب التاسع البعيد جداً ــ **بلوتو** ــ فإنه ينحرف انحرافاً ملحوظاً عن المستوى .

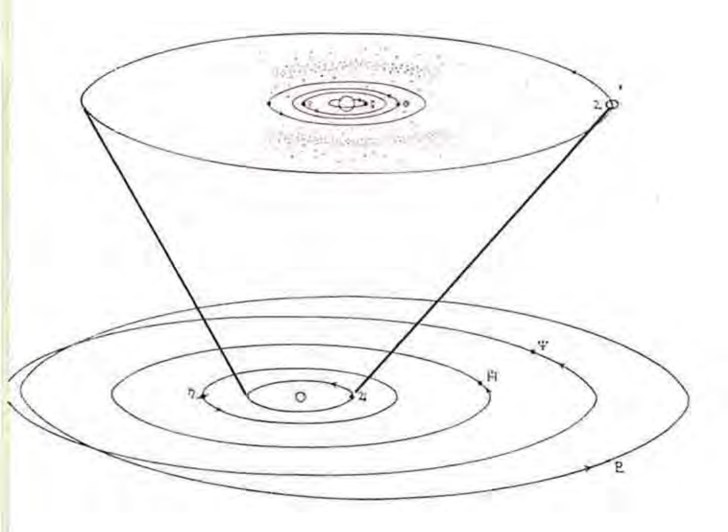
ومعظم هذه الكواكب لها أقمار تدور حولها ، أي أن كل قمر يدور حول كوكبه . ونحن نعرف مثلاً أن للأرض قمراً واحداً ، هو الذي يتغنى به **الشعراء والأدباء** ، ومن دورته حول الأرض يعطينا الشهر القمري . ومعظم الكواكب لها أكثر من قمر واحد . وسنجد أن معظم هذه الأقمار ، وليس كلها ، تدور حول كواكبها في الاتجاه نفسه ، وتدور حول نفسها في الاتجاه نفسه أيضاً .

أحجام الكواكب

عندما نحاول أن ننظر إلى أحجام الكواكب نجد اختلافاً ظاهراً بينها . سنجد أن **الكواكب الأربعة القريبة من الشمس ــ عطارد والزهرة والأرض والمريخ** ــ صغيرة الحجم إذا ما قيست بالكواكب الأبعد . وليس ذلك فقط ، بل إن تكوين أجسام هذه الكواكب القريبة يختلف أيضاً . فهي تتكوّن في الأساس من مواد صلبة مثل التراب والصخور والمعادن ، وقد يحيط بها غلاف رقيق السمك من جو غازي . ونظراً لتكوينها هذا ، يطلق عليها اسم **الكواكب الترابية** .

أما **الكواكب البعيدة عن الشمس ــ المشتري وزحل وأورانوس ونبتون** ــ فهي ضخمة جداً ، وتتكوّن أجسامها في الأساس من غازات وأبخرة . ويطلق عليها اسم **الكواكب الغازية** لهذا السبب .

ويرى القارئ أننا لم نذكر أقصى الكواكب وهو **بلوتو** ، وذلك لأن المعلومات الأكيدة غير متوفرة عنه ، نظراً لبعده السحيق عنا وعن الشمس . ولكن يعتقد أنه أصغر من الأرض حجماً بقليل ، وأن جسمه ترابي . (الشكل ٢ ــ حجوم الكواكب) .



(شكل ١)

★ الشمس هي الكرة الصغيرة الموجودة وسط النظام والخطوط الاهليليجية حولها مدارات الكواكب الطرفية . الرموز المكتوبة هي الرموز التي يعطيها الفلكيون لكل كوكب ★

أبعاد الكواكب عن الشمس

إن الكواكب حين تسير حول الشمس في اتجاه واحد ، يتخذ كل كوكب مداراً معيّناً يسير فيه ، على بعد معروف من الشمس ، لا يغيّره . وشكل هذا المدار ليس دائرياً تماماً ، وإنما هو مفلطح قليلاً ، أو كما يقولون في التعبير العلمي « **اهليليجي** » . ولا تتقاطع هذه المدارات مع بعضها البعض ، اللهم إلا إذا استثنينا مدار بلوتو ، هذا الكوكب البعيد الشاذ .

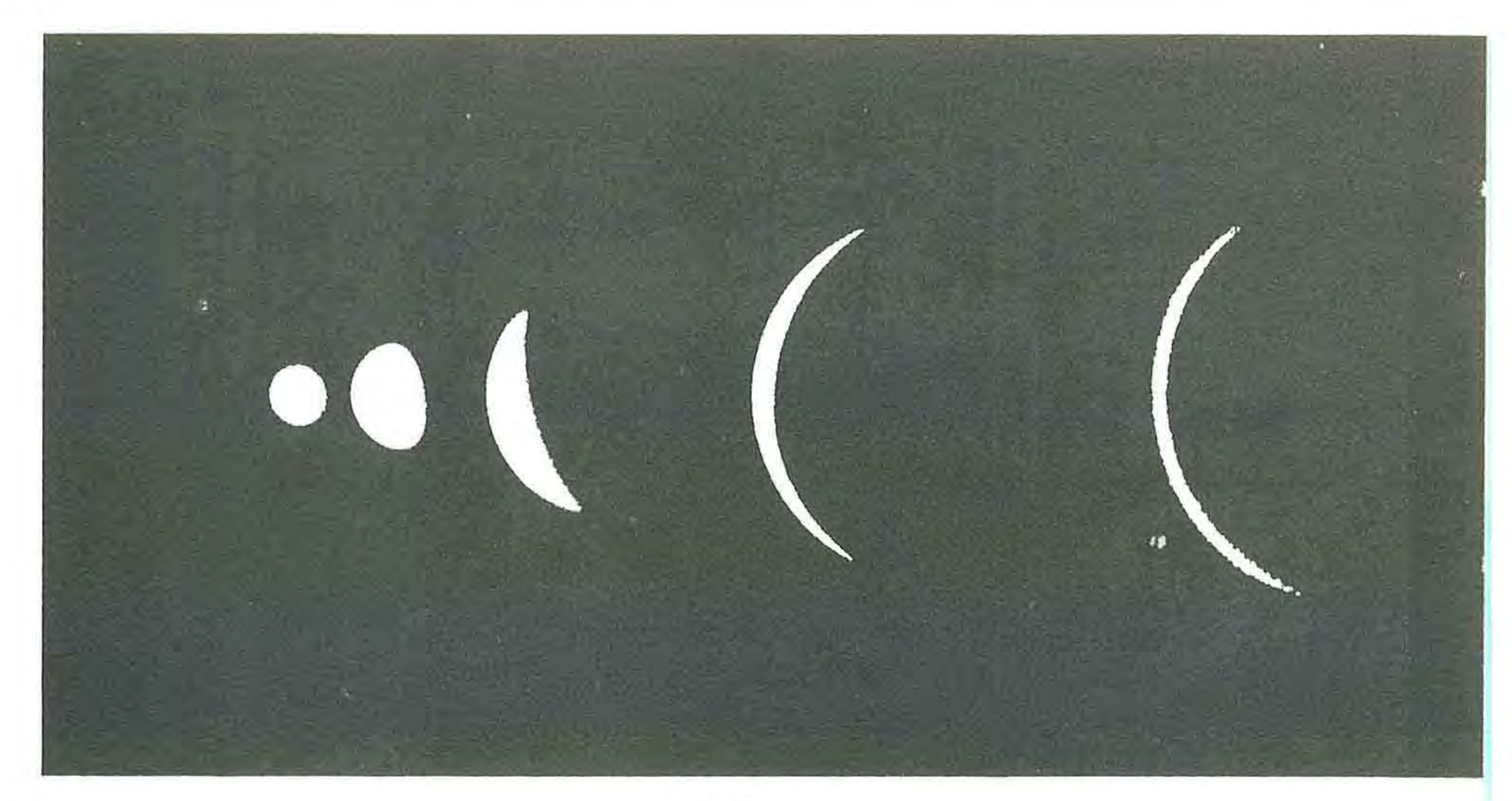
وأبعاد هذه الكواكب عن الشمس ليست أبعاداً عفوية ، وإنما تتخذ تناسقاً حسابياً هندسياً بحسب قانون اكتشفه عالم اسمه « **بود** » (بتضخيم الواو) ، فسمي بناء على ذلك « **قانون بود** » .

ولكي نعرف هذا القانون ، نمسك بالرقم ٣ ، ونضاعف هذا الرقم في سلسلة . وينتج لدينا ما يلي : ٠ ، ٣ ، ٦ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ١٩٢ ، ٣٨٤ ، ٧٦٨ ... الخ .

والآن نبدأ من الصفر ، نضعه في أول هذه السلسلة ، ونضيف إلى كل رقم فيها العدد ٤ . فنحصل على الأرقام التي تدلنا على نسبة أبعاد هذه الكواكب ...

٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٩٦ ، ٣٨٨ ، ٧٧٢ .

والواقع أن هذا الجدول حين وضعه بود في القرن الثامن عشر ميلادي كان ذا قيمة كبيرة . وقد اعتمد عليه العالم الذي اكتشف نبتون ، ووضعه في حسابه وأخذ يفتش عن نبتون بناء عليه . لكنه عندما اكتشف نبتون ، وتأكد علماء الفلك منه ، وجدوا أنه لا يتمشى



(شكل ٣)
★ الزهرة تبدو لنا في وجوه مختلفة كما يبدو لنا القمر ★

مع الجدول في قانون بود . فمن المفروض أن يكون عند الرقم ٣٨٨ ، ولكنهم وجدوه في الرقم ٣٠١ . حينئذ بدأ الشك في قانون بود . وزاد الطين بللاً حينما اكتشف الكوكب التاسع ــ بلوتو ــ بوجدوه يشذ شذوذاً كبيراً عن القانون ، وأصبح قانون بود مزعزعاً .

على أية حال ، فإننا إذا ألقينا نظرة على الجدول ، نرى أن هناك فجوة بين المريخ والمشتري فارغة لا يوجد فيها كوكب في موضع الرقم ٢٨ . وأخذ العلماء يبحثون ، فاكتشفوا أن هناك أجساماً صغيرة عديدة تدور في هذا النطاق ، أطلقوا عليها اسم « الكويكبات » . وقد وجدوا آلافاً منها ، أكبرها يبلغ قطره حوالي أربعمائة ميل . من المنتظر أن تكون هذه الكويكبات بقايا كوكب تحوّل إلى فتات قبل أن يتكوّن ، أو تكوّن وتحوّل إلى فتات بعد ذلك لسبب لا نعلمه . على أية فرضية من الفرضيّات ، فإن هذه الكويكبات تملأ الفراغ في قانون بود .

وإذا صرفنا النظر عن الحديث في **الشهب والنيازك** ــ وهذه ذات كتل ضئيلة تافهة في هذا النظام ــ نكون قد أعطينا صورة شبه كاملة عن النظام الفلكي الذي نعيش فيه .

ثغرات صغيرة نستطيع تفسيرها

لقد أخذت البشرية حوالي أربعة قرون من الزمن (أي بعد **كوبرنيكس**) في دراسة النظام الشمسي ، حتى وصلت إلى الشكل الذي وصفناه فيه . وكان العلماء يسيرون سيراً وئيداً بخطوات متزنة في اكتشافاتهم هذه ، بحسب ما يستجدّ من أدوات حديثة تساعدهم في البحث . وكانوا يجمعون هذه الحقائق مع بعضها البعض لاكمال الصورة . وهم في الواقع **لم يكتشفوا القمر التاسع من أقمار زحل إلا سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) ، ولم يكتشفوا القمر الثالث عشر للمشتري إلا قبل سنتين ، أما اكتشاف القمر الوحيد للكوكب بلوتو فقد تم في السنة الماضية فقط .**

مهما يكن من أمر ، فإن الصورة النهائية الموجودة أمامنا كانت بحاجة إلى تفسير عقلاني ، كما هي عادة من يؤمنون بالعقل وحده .

إن هناك بعض الثغرات التي تشوّه بعض اللقطات في الصورة . . .

وقد تكون الثغرة الأولى هي شذوذ قانون بود عند تطبيقه على الكوكبين البعيدين : نبتون وبلوتو . لكن قد يكون حدث شيء في النظام أخلّ بجاذبيته ، فحاد هذان الكوكبان عن المدار الذي كان مقرراً لهما . . . إن هذه النقطة لا تحتاج إلى كثير من التفكير وانشغال البال . . ويمكن أن نمرّ عليها مرور الكرام .

ولكن هناك نقطة أخرى ، قد تكون أقسى من هذه قليلاً .

قلنا إن معظم الكواكب لها أقمار تدور حولها . ومعظم هذه الأقمار تدور في نفس الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب في مداراتها وفي نفس الاتجاه الذي تدور فيه الكواكب حول نفسها .

ولكننا نجد عدداً غير قليل من هذه الأقمار تدور حول كواكبها في اتجاه معاكس لا ينسجم مع الدورات التي نعهدها .

إن الكوكب **أورانوس** له أقمار خمسة ، كلّها تدور في اتجاه معاكس . ولكن الرد على هذه القضية بالذات أمر بسيط . فإن زاوية الميل التي يميل فيها أورانوس عن مستوى مداره حول الشمس أكثر من زاوية قائمة ، فنحن إذن نراها من الناحية الأخرى ، ولهذا تبدو أنها تسير



(شكل ٥)

★ الخطوة الأولى من نظرية «كانت ـ لابلاس» سديم لا يستطيع أن يحافظ على شكل متناسق ★

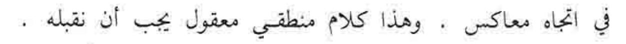
(شكل ٤)

★ أشباح غيوم غبارية أمام خلفية مضيئة منتشرة هنا وهناك وبين النجوم في المجرات ★





(شكل ٦)



★ الخطوة الثانية من النظرية تشكيل حلقات معينة من التيارات التي كانت تدور حول المركز ★

في اتجاه معاكس . وهذا كلام منطقي معقول يجب أن نقبله .

لكننا عندما ننظر إلى المشتري نجد أن أقماره ثلاثة عشر قمراً . . تدور حول الكوكب بالاتجاه المتوقع ما عدا الكواكب : الثامن والتاسع والحادي عشر والثاني عشر . أي أن أربعة أقمار من أقماره تدور في اتجاه معاكس .

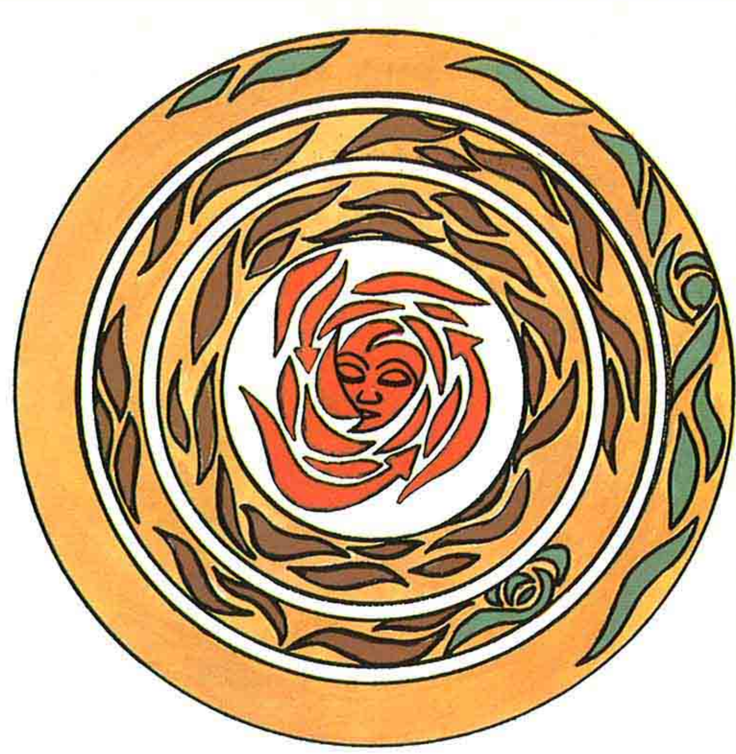
أما زحلّ ، صاحب الأقمار التسعة ، فالقمر التاسع يدور دورة عكسية وحده ، دون سائر الأقمار الأخرى . والكوكب نبتون ، صاحب القمرين ، فإن الأول منهما يدور في الاتجاه المعاكس ، أما الثاني فيمشي على القاعدة .

لماذا تسير هذه الأقمار في عكس الاتجاه الذي نتوقعه منها ؟

هناك ردّ يورده الفلكيون يحلّ هذه المعضلة . وهو أن هذه الأقمار لم تكن في أصلها أقماراً لكواكبها ، وإنما هي أجسام كانت تسير في الفضاء ، وربما تكون من الكويكبات ، ابتعدت بسبب عوامل الجاذبية عن النطاق الذي كانت تسير فيه واقتربت من هذه الكواكب الضخمة ذات الجاذبية الكبيرة ، فجذبتها هذه الكواكب إليها ، وجعلتها تدور حولها .

وهذا تفسير فيه شيء كثير من المنطق . وليس لنا إلا أن نقبله ، لأنه لا يوجد تفسير غيره .

وعلى الرغم من وجود هذه الثغرات البسيطة نسبياً ، فإن الصورة جميلة تتمشى مع العقل ، وفي استطاعتنا أن نفسّر كلّ شيء فيها بناء على خصائص المادّة وصفاتها الطبيعية . ونحن نستطيع من الصورة الموجودة أمامنا أن نبحث كيف تطوّرت هذه المادّة في النظام الشمسي إلى أن



(شكل ٧)

★ الكتلة الموجودة في المركز ترتفع حرارتها لتشكل الشمس في بدايتها لتبدأ بالإشعاع ولكنها أقل حرارة من الشمس التي نعرفها اليوم ★



(شكل ٨)

★ الخطوة الأخيرة من النظرية .. الشمس وقد انكمشت على نفسها جاذبة إليها كل ما هو قريب منها من الغاز وارتفعت حرارتها ★

اتخذت شكلها الحاليّ الجميل . وبحثنا هذا سيكون قائماً على الناحية العقلية فقط . . . وهي الناحية التي سارت عليها كل العلوم الأخرى منذ عصر النهضة الأوروبية .

ولكننا قبل أن نتطرّق إلى آراء العلماء في هذا الشأن ، علينا أن نلقي نظرة أخرى على الحبّ والجمال .

الزهرة

منذ أن بدأ الإنسان يرنو إلى السماء ويلاحظ ما فيه من أجرام ، عرف أن الشمس والقمر هما أشد تألقاً وسطوعاً من غيرهما . وهذا لا جدل حوله ، فنحن نرى ذلك بأم أعيننا . ولكن الجرم الثالث الذي يليهما في التألق والسطوع هو الزهرة .

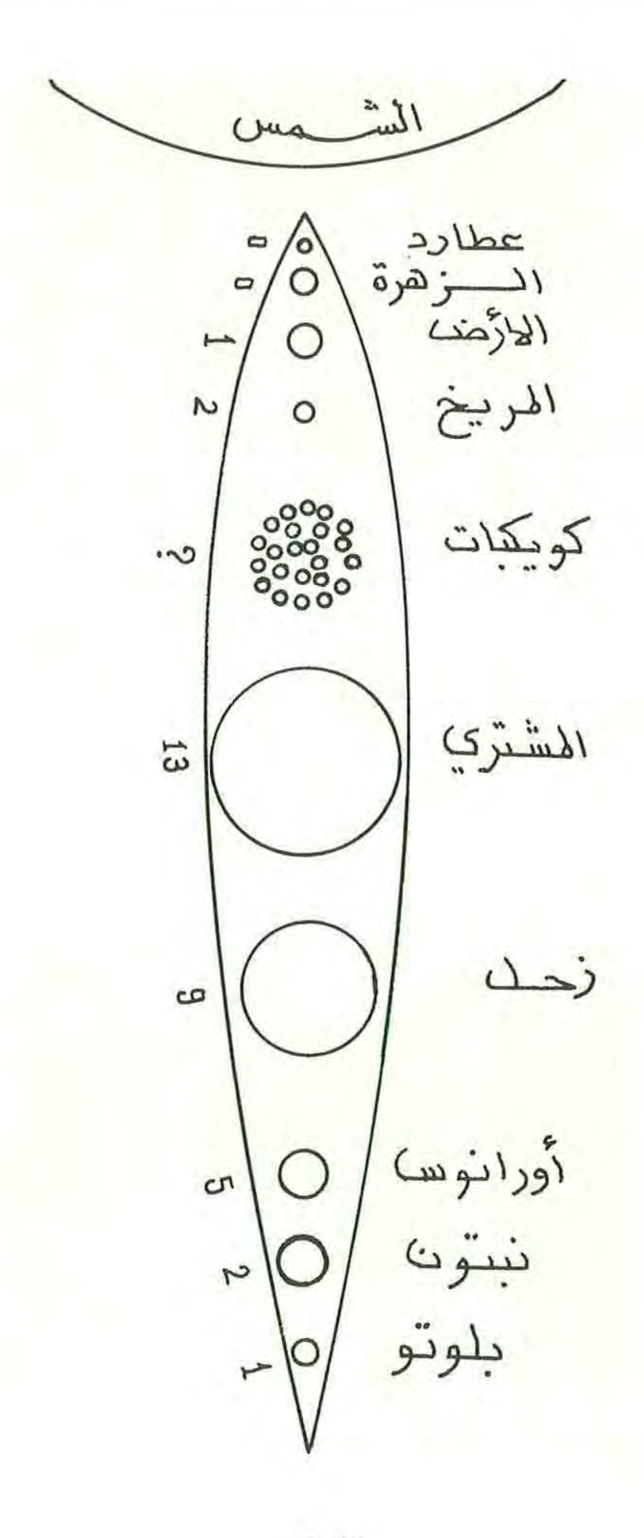
فهي في أوقات تألقها تكاد تخطف الأبصار . وإذا نظر إليها الإنسان في ليل مظلم غاب فيه القمر ، فإنه يجد أنها ترمي له ظلاً على الأرض . إن هذا اللمعان والبريق هو الذي جعل أنظار الأقدمين تضفي عليها نوعاً من القداسة ، قبل مجيء الأديان السماوية ، فسماها **البابليون** (عشتروت) ، وكانت عندهم تتقمص روح آلهة الحب والجمال . وسماها **الإغريق** (افروديت) ، وكانت عندهم إلهة الحب والجمال بنفسها ، ونقل التقديس عنهم **الرومان** وسمّوها (فينوس) إلهة الحب والجمال . أما **العرب في الجاهلية** فقد أطلقوا عليها اسم (العزّى) (مؤنث الأعز) وكان لها صنم خاص بها .

ولم يتركها الشعراء . فهي عندهم **نجمة الصباح** إذا كانت تشرق في الصباح ، وهي نفسها **نجمة المساء** إذا كان موعد اشراقها في المساء . وإذا أصبحت عند القارئ رغبة في رؤيتها بعد هذا الحديث يستطيع أن يراها في الصباح الباكر ، قبل طلوع الشمس إذا نظر إلى الشرق . إنه سيراها تتلألأ فوق الأفق . ولن يخطئ في معرفتها . وكان متاحاً للقارئ حتى الشهر الحادي عشر (ذي القعدة) من السنة الماضية ١٣٩٩ هـ . أما بعد هذا التاريخ فإنها ستنتقل وتصبح نجمة مساء . وفي هذه السنة (١٤٠٠ هـ) يستطيع أن يراها بعد غروب الشمس في الناحية الغربية من السماء .

إن منظر الزهرة الجميل راجع في الحقيقة إلى أن جوّها كثيف ملبّد بالغيوم والأبخرة التي تعكس ضوء الشمس فتعطيها هذا اللألأ الرائع . وجوّها كثيف إلى درجة كبيرة ، تحرم الفلكيين من رؤية سطحها الترابيّ الموجود تحت الجوّ . ويعرف الفلكيون أنها كوكب ترابيّ من قياس وزنها ، باستعمال **قوانين جاذبية نيوتن** ، ويعرفون أيضاً أنها تدور حول الشمس في الاتجاه نفسه الذي تدور فيه الكواكب الأخرى . ويعرفون أيضاً نوع الغازات التي يتكوّن الجوّ منه باستعمال المحلّل الطيفي ، ويعرفون درجة الحرارة فيها . أما أكثر من ذلك فلا يعرفون شيئاً .

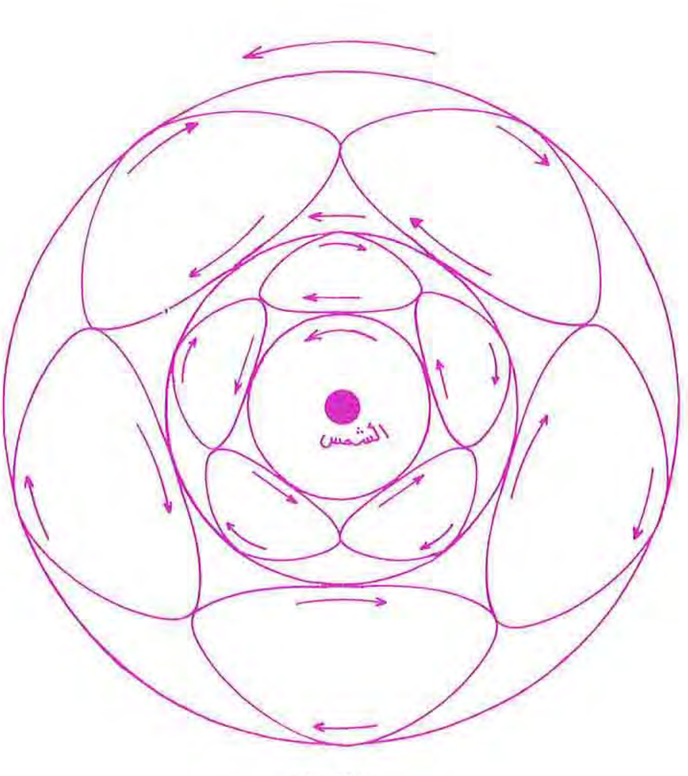
فهم إذا سلّطوا مراقبهم لا يرون سوى هذا البريق الخاطف الذي يصدر عنها ، وسيرون في المرقب أن شكلها مستدير إذا كانت في التقابل ، أو هلالا إذا كانت مائلة . فهي تمرّ بدور الهلال والقمر الذي يمرّ فيه قمر الأرض .

ومع أن الزهرة أقرب كوكب إلينا ، إلا أن معلوماتنا الفلكية عنها هي أقلّ المعلومات . إننا لا نرى سطحها ولا نعرف الزمن الذي تدور



(شكل ٩)
★ نظرية جيمس جينز ★

فيه حول نفسها . لكن الشيء الذي لم يتطرّق إليه الشكّ في يوم من الأيام ، هو أنها يجب أن تدور حول نفسها في نفس الاتجاه الذي تدور فيه بقيّة الكواكب . ودورة الكوكب حول نفسه هي يوم ذلك الكوكب . فالأرض تدور حول نفسها في أربع وعشرين ساعة ، ولهذا نقول إن يوم الأرض أربع وعشرون ساعة . فما هو يوم الزهرة ؟ وقد صدرت تقديرات لعلماء فلكيين مختلفين عن مدة هذا اليوم ... ولكن ... (شكل ٣ ــ صورة الزهرة) .



(شكل ١٠)
★ النطاقات والحلقات في نظرية وايزاكر ★

الــــرادار

بعد الحرب العالمية الثانية ، توسّعت نوعية الآلات التي يستخدمها علماء الفلك في أبحاثهم . أخذت **المراصد** ما تبقى من أجهزة لاسلكية ورادارات من الحكومات التي لم تعد بحاجة لها ، ونشأ **علم الفلك الراديوي ، وهو يرصد الأصوات اللاسلكية القادمة من الفضاء ، واستعمل الرادار لإرسال موجاته التي تنعكس عن الأجرام السماوية فتخبرنا عنها أشياء كثيرة لم نكن نعرفها .**

وكان أن سلّط الرادار على الزهرة ، فهو الجهاز الوحيد الذي يستطيع أن يخبّرنا عن سطحها المختبئ تحت الجوّ الكثيف . وأصبحنا نعرف أن فيها سلاسل من جبال وأودية وسهول ... وعرفنا ارتفاع السلاسل الجبلية وكيفية امتدادها ... وأخذنا فكرة لا بأس بها عن تضاريسها .

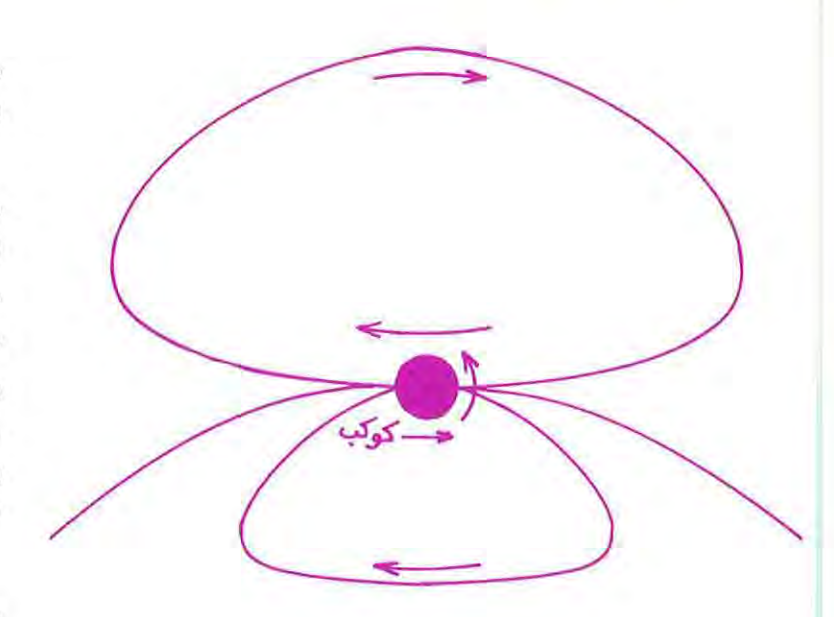
ولكن جاءتنا من الرادار أيضاً أخبار مزعجة للعلماء . مزعجة جداً .

ذلك أن الزهرة تدور حول نفسها ... لكن في اتجاه معاكس لكل الكواكب ...

كان هذا الاكتشاف سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) .

كيف نشأ النظام الشمسي

إن التفكير في الأسلوب الذي نشأ به النظام الشمسي ، كان قد بدأ



(شكل ١١)

★ تشكل الكواكب في نظرية وايزاكر ★

منذ أن عرفنا هذا النظام على حقيقته الهندسية ، وهو موضوع قد دار في عقل كل علماء الفلك ، وكتب فيه الكثيرون .

وقد طرحت نظريات عديدة في هذا الموضوع ، كان العلماء اللاحقون يقومون بتعديلها لكي تنسجم مع الحقائق التي كانوا يكتشفونها ، أو كانوا يهملونها إذا لم تكن قابلة للتعديل بحسب مقتضى المعلومات التي كانت تتوفر لهم تباعاً .

وقد يكون من أشهر هذه النظريات تلك التي قدّمها **الفيلسوف الألماني عمانويل كانت** . فقد قال بأن النظام الشمسي كان في البدء غيمة ضخمة مدوّمة من الغبار والغاز . وهذا كلام لا يزال مقبولا حتى الآن ، وإنما يحتاج إلى زيادة في التفصيل . فالفضاء في مجرّتنا مليء بمثل هذه الغيمة الضخمة ، وإنما تنتشر بين النجوم هنا وهناك ، ولا نرى منها إلا ما كان واقعاً أمام منطقة متلألئة . أما الغيوم نفسها فلا نراها لأنها سوداء لا يصدر منها ضياء . (شكل ٤ ــ أشباح غيوم غبارية أمام خلفية مضيئة) .

وجاء **العالم الرياضي الفرنسي بيير سيمون لابلاس** ، فمشى شوطاً آخر بنظرية (كانت) . وقال بأن الغيمة كانت تدور حول نفسها ، وتتقلّص في الوقت ذاته ، فانطلقت منها على فترات أقنعة رقيقة تشكلت منها الكواكب . أما الكتلة الموجودة في المركز فقد انكمشت وتكوّنت منها الشمس . (شكل ٥ ــ الخطوة الأولى في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٦ ــ الخطوة الثانية في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٧ ــ الخطوة الثالثة في نظرية كانت لابلاس) ، (شكل ٨ ــ الخطوة الأخيرة في نظرية كانت لابلاس) .

ومع أن الذي وضع اللمسات الأخيرة على هذه النظرية هو عالم رياضيّ ، إلا أن فشلها رياضياً هو الذي قضى عليها في القرن العشرين . ولكنها كانت هي النظرية السائدة قبل ذلك .

ومن النظريات الشهيرة في نشوء النظام الشمسي تلك التي طوّرها وقدمها السير **جيمس جينز** ، العالم البريطاني في مطلع هذا القرن الميلادي . وقد ظلّت هي السائدة في العقود الأربعة الأولى منه . وتقوم هذه النظرية على أن الشمس كانت وحيدة فريدة في الفضاء لا كواكب لها في الأصل ، وحدث إن مرّ بالقرب منها نجم آخر . وتقابل النجمان عن بعد . وحيث إن النجوم غازية كما نعرف في الفلك ، فقد أثر الجذب المتبادل بين النجمين الضخمين ، فجعل انتفاخ مدّ في الناحية المقابلة للنجم الآخر . وقد زاد هذا الانتفاخ باقتراب النجمين أكثر فأكثر ، إلى أن انفصلت كتلة من جسم الشمس تريد أن تتبع النجم الآخر ، ولكن النجم الآخر كان قد ابتعد . فأخذت هذه الكتلة الغازية الضخمة بالدوران حول الشمس وانقسمت بعد ذلك فكوّنت الكواكب . (شكل ٩ ــ نظرية جيمس جينز) .

وقد ظلّت نظرية جينز مسيطرة حتى سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) ، فهي تفسّر حجوم الكواكب وتفسّر اتجاه دورانها ودوران أقمارها أكثر من غيرها من النظريات . لكنها لا تفسّر لنا أبعادها بحسب قانون بود .

ولكن في سنة ١٣٦٥ هـ ، طلع علينا **العالم الفلكي الألماني فون وايزاكر** بنظرية تكاد تفسّر كلّ الظواهر التي مرّت بنا ، تفسيراً معقولا قائماً على حسابات هندسية وكيماوية وفلكية وفيزيائية . وقدّم لنا نموذجاً رائعاً للطريقة التي تصوّر أن النظام الشمسي نشأ فيها ، وفيه الرد تقريباً على جميع المشاكل التي كانت تعترض النظريات الأخرى .

عاد (وايزاكر) إلى البداية التي ابتدأ بها (كانت) . وقال إن الكواكب تشكلت من غلاف غازيّ مسطح كان يدور حول الشمس ، قد يكون من بقايا الغاز الكوني الذي تكاثفت الشمس في الوسط منه . وهذا الغلاف الغازيّ ــ الذي نستطيع أن نسمّيه قرصاً لأنه مسطح ــ قد لا تزيد كتلته عن واحد في العشرة من كتلة الشمس . وكانت الغازات الخفيفة مثل **الهيدروجين والهيليوم** تتبعزق منه نظراً لضعف الجاذبية فيه ، فيذهب معظمها إلى الشمس . وهذا يفسر لنا قلّة الهيدروجين والهيليوم في الكواكب . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الأجزاء الداخلية من القرص ، القريبة من الشمس ، ستنجذب إليها . وفي مدّة قد لا تزيد عن عشرة ملايين سنة لا يبقى في القرص إلا عشرة في المئة من كتلته الأصلية . وهذا كلّه يتفق مع الواقع من حيث كتلة الشمس وتكوينها العنصري بالنسبة إلى مجموع كتلة الكواكب وتكوينها .

ويشرح (وايزاكر) ما يحدث في **القرص الغازي** ، فيقول : «إنه على الرغم من عدم ثباته العام ، إلا أن حركات دائرية تنشأ فيه ، تصبح ثابتة دائمة» ، واستطاع أن يثبت أن الذرّات والجزيئات داخل القرص ــ الدائر حول الشمس ــ تشكل حلقات داخلية دائمة ، تدور فيها . وهذه الحلقات تتكوّن في وقت غير طويل قد لا تتحمّل أكثر من بضعة قرون من الزمن . وستدور كل حلقة حول مركزها على شكل

دوّامة ، ومراكز هذه الدوامات تدور حول الشمس . (الشكل ١٠ ــ النطاقات والحلقات في نظرية وايزاكر) .

وسيحدث احتكاك بالطبع ، بين كل نطاق من الحلقات والنطاق المجاور له ، سواء الداخلي أم الخارجي . فتتجمع كتل الجزيئات عند مواضع الالتقاء ، ويتزايد حجمها . وفي أثناء سيرها على الخط الفاصل بين نطاقين ، تلتحم مع مثيلاتها من الكتل لتشكل الكواكب (الشكل ١١ ــ كتل الجزيئات تتشكل عند التقاء النطاقين) .

وإذا فرضنا أن في كل نطاق من هذه النطاقات تتكوّن خمس حلقات ، فإن الخطوط التي تفصل بينها ــ وهي تلك التي تنشأ فيها الكواكب ــ سيكون بعدها عن المركز بحسب قانون بود تماماً . إذن فهذه النظرية تعطينا التفسير لأبعاد الكواكب عن الشمس .

والنظرية نفسها ــ كما يستنتج القارئ ــ تفسّر لنا لماذا تدور الكواكب كلّها في اتجاه واحد حول الشمس ، ولماذا تدور كلها حول نفسها في الاتجاه نفسه .

وقد قدّر وايزاكر أن العملية كلّها لا تستغرق أكثر من مئة مليون سنة .

على أية حال ، لا تزال هناك اعتراضات على النظرية لكنها بسيطة لا تطعن في صلبها . فالكواكب التي تشذّ عن قانون بود يمكن تفسير شذوذها هذا ، بأن عدد الحلقات التي كانت تسير في النطاق كان أكثر من خمس حلقات . وهي بهذا تعطينا رقماً آخر غير الذي يفترضه قانون بود . والأقمار التي تدور في اتجاه معاكس يمكن أن نفسّرها بأنها أجسام جاءت من الخارج .. كما سلف أن مرّ في النظريات السابقة .

المهم ، أن الأمور الأساسية كلّها قد وجدت تفسيراً معقولا في هذه النظرية . ولنا الحق في أن نعتبرها نظرية صلبة متماسكة ، وأن نعتبر أننا توصلنا ــ أو كدنا أن نتوصل ــ إلى معرفة كيفية نشوء النظام الشمسي .

طلع وايزاكر على العالم بنظريته هذه ــ كما قلنا ــ سنة ١٣٦٣ هـ . وقد عاش الفلكيون في هذا الحلم البديع تسعة عشر عاماً .

وما كادوا يتمتعون بهذا الحلم حتى طلعت علينا الزهرة بسرّها الرهيب .

وإذا بالرادار اللعين ، يحدّثنا بأنها تدور حول نفسها في اتجاه معاكس ....

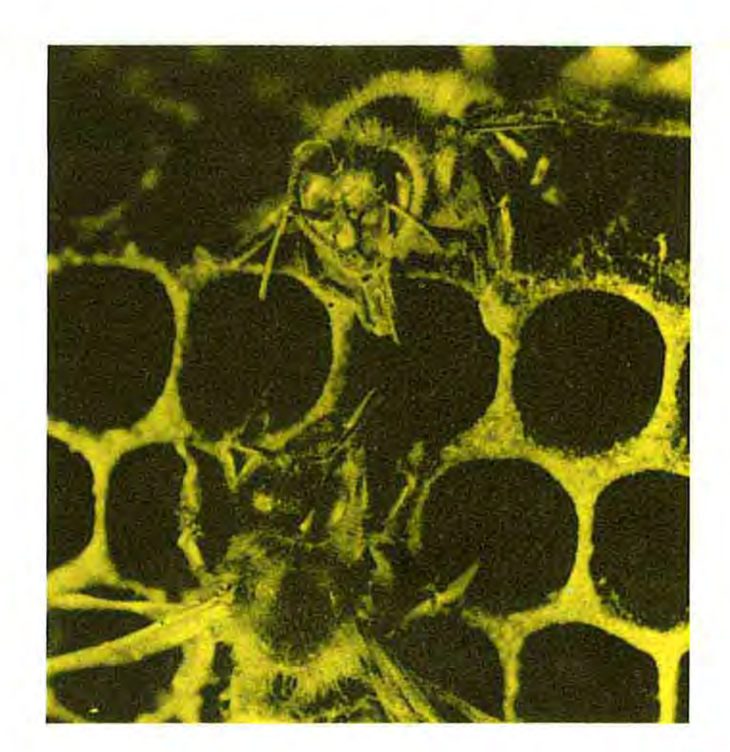
هذا الخبر يبدو بسيطاً في مظهره ، ولكنه يحطم كل نظريات نشوء النظام الشمسي ، من (كانت) ، إلى (لابلاس) ، إلى (جينز) ، إلى (وايزاكر) ...

لقد انهارت هذه النظريات وتهاوت ركاماً .. في كومة من الأنقاض .. بضربة واحدة .

ليس ذلك فقط ، بل يبدو أنها أغلقت الأبواب أمام أية نظرية من هذا القبيل بعد الآن ... ولم يعد هناك مجال لعالم من العلماء أن يطرح نظرية أخرى .

جدول بعض الصفات في الكواكب

اسم الكوكب	قطره بالأميال	كتلته بالنسبة للأرض	بعد مداره عن الشمس بفرض أن بعد الأرض (١٠)	بعده عن الشمس بملايين الأميال	عدد أقماره
عطارد	٣١٠٠	٠,٠٦	٣,٨٧	٣٦	
الزهرة	٧٧٠٠	٠,٨٢	٧,٢٣	٦٧,٢	
الأرض	٧٩٢٧	١	١٠	٩٢,٩	١
المرّيخ	٤٢٠٠	٠,١١	١٥,٢٣	١٤١,٥	٢
الكويكبات	عددها بالآلاف		٢٨		
المشتري	٨٨٧٠٠	٣١٨,٣٦	٥٢,٠٢	٤٨٣,٣	١٣
زحل	٧٥١٠٠	٩٥,٢٢	٩٥,٥٤	٨٨٦,١	٩
أورانوس	٣٠٩٠٠	١٤,٥٨	١٩٢,١٨	١٧٨٣	٥
نبتون	٣٣٠٠٠	١٧,٢٦	٣٠١,٠٩	٢٧٩٣	٢
بلوتو	؟	؟	٣٩٦,٠	٣٦٧,١	١





"فيه شفاء للناس"

بقلم: د. عبد المحسن صالح

★ أشار علي طبيب صديق أن أتناول صباح كل يوم - وعند استيقاظي من النوم - ملعقة من عسل النحل مضافاً إليها عصير ليمونة واحدة، فهذا - على حد ظنه - كفيل بأن يعيد إلي بعض الحيوية التي بدأت تأفل في جسمي، وتحد من نشاطي، كما أن هذا الخليط قد يفيد في التهاب الزور الذي يجعلني أسعل بين الحين والحين! ★

وطبيعي أنني توجست في قول صديقي هذا مزاحاً، خاصة وأنه طبيب، والطبيب عادة لا يصف إلا حبوباً منمقة، أو حقناً وكبسولات معبأة، أما أن يركن إلى هذه الوصفات الطبية الشعبية، فذلك أمر يدعو إلى الشك، ويثير الريبة.

ومع ذلك، وبشيء من المنطق، جالت بالخاطر فكرة، إذ ليس في العسل ضرر، ولا كذلك في عصير الليمون، بل العكس هو الصحيح تماماً، ففي كليهما عناصر غذائية لا يستغني عنها الجسم أبداً في أي طعام وشراب، فماذا لو جربنا ما أشار علينا به صديقنا، خاصة وأننا لن نخسر شيئاً؟.. ثم إن التجربة هي الحد الفاصل دائماً بين ما نظنه حقاً أو باطلاً، أو ما نحسبه واقعاً أو خيالا!

ولا شك أننا بحكم عقيدتنا، فقد تحمست للفكرة، خاصة وأنه قد **ورد ذكر عسل النحل في القرآن الكريم ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾.**

وتوكلنا على الله، وبدأنا نطبق النصيحة، فبمجرد استيقاظي من النوم، وقبل أن أتناول الطعام والشراب التقليدي، كنت أتناول ملعقة كبيرة من عسل مع عصير ليمونة واحدة، هذا وحجم الليمونة متروك لتقديرك، وطبيعي أن الإنسان يستعجل الخير أو الشفاء دائماً، ومع ذلك فقد صبرت أسابيع تلو أسابيع على هذه العادة الطيبة، فلقد كفتني طعام الافطار التقليدي وشرابه، وكأنما هي بمثابة وجبة غذائية كاملة.

وبالفعل اختفى السعال، وعادت الحيوية، وجال بالنفس تساؤل جديد: وما يدريك أن هذه الخلطة السكرية الحمضية (أي العسل مع الليمون) هي التي فعلت ما فعلت؟.. أوليس من المحتمل أن يكون للعقيدة دخل فيما نحس به من نشاط؟.. وهل الفضل يرجع لهذه الخلطة، أم أن هناك عرضاً قد حل بالجسم، وكان من الممكن أن يزول تلقائياً حتى ولو لم أتناول هذه الخلطة؟... الخ. والواقع أن هذه التساؤلات أو الشكوك تنبع من طبيعة المجال الذي نعمل فيه، فنحن في علومنا لا نستطيع أن نقفز إلى الاستنتاجات قفزاً، بل لا بد من تحري الحقيقة بالبحث والتطبيق، فإن أعطت نفس النتائج مع عدد كبير من الناس، فإننا - بلا شك - نكون مصيبين في نظرياتنا أو اعتقاداتنا.

لكن لا علينا من كل ذلك، فالناس لا تجمع على باطل، وهم جميعاً يتحدثون عن فوائد عسل النحل تارة، وعن فوائد عصير الليمون تارة أخرى، ولقد دفعني هذا إلى البحث في مراجعي وكتبي، علني أعثر على رأي يمكن الاستناد إليه في هذا المجال.

مضاد لتكاثر الميكروبات

فأول الحقائق التي نعرفها **أن عسل النحل جاء بتركيز خاص، وبحيث لا يسمح لأي ميكروب أن يعيش عليه..** صحيح أن أطعمتنا - نحن معشر البشر - قد تفسد في ساعات أو أيام (على حسب درجة حرارة الجو) ما لم نأخذ حذرنا، ونستنبط الوسائل الفعالة لحفظها (بالغليان أو التبريد أو التجفيف أو الاشعاع أو تعقيمها وعزلها عن الميكروبات)، لكن هذا الطعام - طعام النحل الذي استحللناه طعاماً لنا - لا يفسد حتى ولو تعرض لكل أنواع الميكروبات، والفضل يرجع في ذلك إلى «حكمة» النحل، فكأنما هو قد أدرك فائدة التركيز المناسب، ليبقى له طعامه دون أن يمسسه سوء ولو بقي على حاله شهوراً طويلة.

صحيح أننا نحن معشر البشر نقوم أيضاً بصنع مربات وأطعمة مجففة، وبحيث لا تنال منها الميكروبات، أو لا تستطيع أن تعيش عليها، لكن ذلك يستلزم عقلاً مفكراً، أو تكنولوجيا تسبقها بحوث وتطبيقات أو ما شابه ذلك، ومع هذا فلا نستطيع أن نقول إن النحل قد امتلك أفكاراً مثل أفكارنا، رغم أنه يقوم بضبط التركيز في الحدود التي تحفظ له طعامه، إذ لو أضفت قليلاً من الماء لعسل النحل، لوجدت أنه يتخمر، والتخمر دليل على حياة، والحياة لميكروبات استطاعت أن تعيش على العسل، وتعيث فيه تخمراً وفساداً!

ففي **جامعة كولورادو**، وفي **كلية الزراعة** هناك، أجرى **دكتور**

ج . **ساكيت** أحد علماء **البكتيريولوجيا** تجربة معينة ، إذ أحضر بعض أنواع الميكروبات المسببة للأمراض (**التيفود والبارتيفود والدوزنطاريا والسل ... الخ**) ، وزرعها في عسل النحل ، وانتظر ساعات ، أو على أكثر تقدير تسعين ساعة ، ثم حاول أن يعيدها إلى الأوساط الغذائية التي تهواها ، فوجدها قد ماتت . . بعضها هلك في غضون خمس ساعات ، أو عشرة أو ٢٤ ساعة ، والذي قاوم ، لم يستطع ذلك إلا لأربعة أيام ، وبعدها هلك !

ولقد تكررت التجربة ذاتها في **واشنطن** وفي **كندا** وفي معامل أخرى ، فأشارت إلى النتائج نفسها ، لكن ذلك لا يعني أن العسل يحتوي على مواد مضادة للبكتيريا ، أو أنه يصلح لمحاربة هذه الأمراض في أمعائنا ، بل يعني أن النحل قد صنع غذاءه وركزه للدرجة التي لا يسمح بها لأي ميكروب أن يعيش عليه ، بل هو مقبرة حقيقية للميكروبات طالما هو باق على حاله ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، فالعسل يسحب بشدة ماء الميكروبات الكامن فيها ، ومادام الكائن قد فقد ماءه فلا بد أن يخسر حياته . . إذ لا حياة بدون ماء . . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ .

مخزن لكل العناصر الحيوية

والذين قاموا بتحليل العسل وجدوه يحتوي أساساً على سكريات بسيطة ، وبحيث تستفيد منها الكائنات الحية استفادة مباشرة ـ أي تمتصها دون حاجة إلى هضم أو تحليل إلى جزيئات أبسط ، ومن أهم السكريات الموجودة سكر العنب وسكر الفاكهة (دكستروز وليفيلوز) . . كما **يحتوي على نسب قليلة من سكر القصب والشعير ، وقليل من البروتينات** (الانزيمات) **والفيتامينات والدكسترينات** (مواد صمغية خاصة) **وحبوب اللقاح والأملاح المعدنية والأصباغ والمواد الراتنجية الشمعية والأحماض العضوية** (حامض النمليك والخل والماليك والستريك والسكسينيك) **والأحماض الأمينية** ... الخ .

وعن مخزون العناصر المعدنية الموجودة في العسل يقول **البروفيسور هـ . أ . سكويت** الأستاذ بقسم الكيمياء **بجامعة ويسكونسين** : « من العناصر الضرورية الموجودة في العسل يبرز **النحاس والحديد والمنجنيز** ، وهذه العناصر الثلاثة توجد بتركيزات أكبر في العسل ذي اللون الغامق عن العسل ذي اللون الفاتح . . وفيما يختص بأهمية هذه العناصر للجسم ، يبرز الحديد ، لأنه يدخل في تكوين **مادة الهيموجلوبين** التي تعطي للدم صبغته المعروف بها ، والتي تشارك في نقل **الأوكسجين** إلى الخلايا والأنسجة » .

ثم يأتي عنصر **النحاس** . . صحيح أنه لا يوجد في العسل إلا بتركيزات جد ضئيلة ، إلا أنه قد جاء بالنسب المضبوطة التي تحتاجها أجسامنا في بعض عملياتها الحيوية ، ومهمة النحاس في أجسامنا ـ على ما يبدو ـ مهمة غامضة ، إلا أنه قد يساعد في فتح مغاليق الأمور أمام الحديد ، فهو مثلاً ـ أي النحاس ـ يعيد الهيموجلوبين إلى محتواه الطبيعي خاصة عند المصابين بالأنيميا ، أو بمعنى أبسط يبدو أن النحاس يحث الحديد في وظائفه داخل الأجسام الحية ، فيسري كل شيء بحساب ومقدار !

ومهمة **المنجنيز** أيضاً أكثر غموضاً ، لكن ذلك لا يعني أنه غير لازم لحياتنا ، بل هو ضرورة من ضروريات الحياة ، إذ لو غاب منها ، لظهرت فينا بعض الأمراض ، ولهذا يذهب بعض العلماء إلى القول بأن المنجنيز يتبادل العمل مع النحاس والحديد بطريقة لسنا ندريها بعد .

وبالإضافة إلى هذه العناصر الأساسية الثلاثة توجد في عسل النحل عناصر أخرى ضرورية لحياتنا ، أو ربما لحياة النحل أيضاً ، فهي غذاءه الأوحد الذي عاش ولا يزال يعيش عليه منذ زمن طويل ، أي قبل أن نظهر نحن على الأرض بعشرات الملايين من السنين . . ومن هذه العناصر **الكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والفوسفور والألمنيوم والماغنسيوم والكوبالت السيليكا والكلور** ... الخ ، فلو أنك ـ على سبيل المثال ـ قد تناولت دواء من الأدوية التي سجلوا عليها أنها غنية بالأملاح المعدنية ، لوجدت أن هناك توافقاً بين ما تحتويه ، وما يحتويه عسل النحل من تلك العناصر . . صحيح أن نسبة هذه العناصر قد تختلف من عينة عسل إلى عينة أخرى (يتوقف ذلك على البيئة الزهرية) ، إلا أن العناصر الأساسية تبدو متقاربة .

وحافظ للفيتامينات

على أن أهم ما يتميز به هذا الإنتاج الطبيعي أنه يحتفظ بنسبة عالية من فيتامين ج ـ أعلى من الموجود في كثير من الفواكه والخضروات . . وكلما زاد محتوى العسل من حبوب اللقاح ، زادت فيه نسبة ذلك الفيتامين .

هذا ومن المعروف أن **الفاكهة والخضروات** تفقد نسبة من فيتاميناتها بالتخزين ، وكلما زادت فترة تخزينها ، زاد تبعاً لذلك معدل فقدها لفيتامينها ، إلا أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للعسل . . **فالسبانخ** على سبيل المثال تفقد حوالي ٥٠٪ من فيتامين ج بعد قطفها بأربعة وعشرين ساعة ، إلا أن العسل يحتفظ بهذا الفيتامين لفترات طويلة ، وهذا ما يعطيه أصالته في التغذية الصحيحة .

أضف إلى ذلك أن العسل يحتوي على **فيتامين ب المركب** (الريبوفلافين والثيامين وحامض النيكوتينيك والفوليك والبيريدوكسين والبيوتين) بل ويعتبره علماء التغذية واحداً من أهم الأطعمة التي تحتوي على معظم الفيتامينات التي تحتاجها أجسامنا .

والواقع أن السكريات التي يحتويها العسل جاهزة للامتصاص مباشرة ، فهي لا تحتاج إلى خمائر هاضمة ، ومن هنا كانت طاقتها ميسرة ، هذا بعكس الأطعمة الأخرى التي تحتاج إلى هضم وأعباء تقع على أمعائنا ، ثم ما يتبع ذلك من نفايات ضارة ، لكن عسل النحل ليس له أية نفايات ، وربما كان لهذا السبب غذاء مثالياً .

فوائده الطبية

ومن فوائده الطبية يسوق لنا **دكتور د . س . جافريس** تسع فوائد بالمقارنة لفوائد السكريات :

١ ـ فهو لا يسبب أي تهيج لجدار الجهاز الهضمي .

٢ ـ وسهل الامتصاص والتمثيل الغذائي .

٣ ـ وسريع في اطلاق الطاقة الحيوية اللازمة للخلايا .

٤ ـ ويعيد الحيوية والنشاط بسهولة للذين فقدوها أثناء المجهودات الجسمانية الكبيرة .

٥ ـ وسكريات العسل هي أنسب السكريات التي تتعامل معها الكلى أثناء الترشيح .

٦ ـ وللعسل أثر طبيعي ملين وملطف للأمعاء .
٧ ـ وذو أثر مهدىء وملطف للجسم .
٨ ـ ويمكن الحصول عليه في أي وقت نشاء .
٩ ـ ونسبياً غير مكلف ، كما هو الحال في الأدوية !

ويعلق الدكتور جافريس على هذا بقوله : ومع ذلك فإن أمجاد عسل النحل وشهرته تكمن في فائدته الطبية ، وبما أنني رجل مهنتي الطب ، فإنه من الطبيعي أن ينصب اهتمامي على مادة أقنعتني الدراسات والتجارب على أنها صالحة للحياة من المهد حتى اللحد . . **فأين يستطيع الانسان منا أن يجد طعاماً يومياً له خاصية مهدئة للجسد والأعصاب في عصر تنطلق فيه كالخيول الجامحة ، فإذ بهذا الطعام ـ يعني العسل ـ يفيد الجسم ولا يضره على الاطلاق ؟!**

ويذكر الدكتور جافريس بعض الفوائد التي يمكن لعسل النحل أن يترك بها بصماته عى الأجسام الحية ، فهو ـ على حد اعتقاده ـ يجعل حياة الشيخوخة والكهولة أكثر سهولة وليونة ، ويخفف من حدة السعال ، ومن الآلام الناتجة من التهاب المفاصل ، ويجعل نومنا أكثر هدوءاً ، وحياتنا أقل قلقاً .

وغذاء أمثل للأطفال

وفي واحد من البحوث الكثيرة التي أجراها العلماء على فوائد سكر العسل في تغذية الرضع والأطفال بالمقارنة مع السكريات الأخرى التي تضاف إلى رضعاتهم أو طعامهم يذكر كل من شولتز والدكتور نوت من قسم طب الأطفال **بجامعة شيكاغو** أنهما جهزا وجبات مناسبة لأطفال رضع تتراوح أعمارهم ما بين شهرين وستة أشهر ، ولصبيان وبنات تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات وثلاثة عشر عاماً ، ثم قدما لنصف عدد هؤلاء غذاء به عسل نحل ، وللنصف الآخر غذاء به سكريات تقليدية وبنفس التركيز الموجود في الوجبات التي تحتوي على العسل ، وقاما بعد ذلك بأخذ عينات من الدم كل ١٥ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٩٠ ، ١٢٠ دقيقة بغرض دراسة الاستفادة من عناصر الغذاء (السكريات على وجه التحديد) في كلا الطعامين .

ومن هذه التجارب اتضحت بعض نتائج مثيرة ، إذ تبين أن سكر عسل النحل قد امتص بمعدلات أسرع ، لكنه لم يتجمع في الدم كما تجمع السكر الممتص من الطعام الذي لا يحتوي على العسل ، ويبدو أن وجود سكري العنب والفواكه في العسل بتركيزات خاصة قد أثر على امتصاصهما في الأمعاء بطريقة جعلت محتوى الدم متوازناً ، وبالقدر الذي يسمح بتمثيله داخل الجسم تمثيلاً مضبوطاً ، وهذا ما لم يحدث في سكريات الأطعمة التقليدية .

ويوصي كل من الدكتور شولتز والدكتور نوت بأفضلية العسل في تغذية الأطفال . . صحيح أنه أغلى ثمناً لكنه ـ بالمقارنة ـ أعظم قيمة ، فهو يحتوي على اثنين من السكريات التي يمتصها الجسم بسهولة ، وله في امتصاصهما توازن يذكر ، كما أنه يحتوي على كثير من العناصر التي يحتاجها الجسم أثناء نموه ، هذا بالإضافة طبعاً إلى العناصر الأخرى المضافة في طعام الأطفال (بما في ذلك اللبن والبروتينات) .

ويقال إن الأطفال الذين يتناولون عسل النحل في طعامهم نادراً ما يصابون بالمغص المعوي ، إذ إن سرعة امتصاص السكريات لا يؤدي إلى عمليات تخمير يكون من جرائها انطلاق الغازات !

وهناك اعتقاد شعبي بأن بعض الأطفال الصغار الذين يتبولون ليلاً وهم نيام قد يقلعون عن هذه العادة إذا ما تناولوا ملعقة من عسل النحل قبل النوم ، ويقال إن ذلك ربما يهدىء جهازهم العصبي من ناحية ، ومن ناحية أخرى يحتفظ بالسوائل في الدم بقدر الامكان ، ولا يسبب بذلك عبئاً على الكلى أو المثانة !

وفوائد أخرى

هذا ويذكر لنا الدكتور جافريس في كتابه « **الطب الشعبي** » أن فوائد عسل النحل قد حققها بنفسه مع حالات كثيرة ، وثبت أنها تخفف من شدة بعض الأمرض .

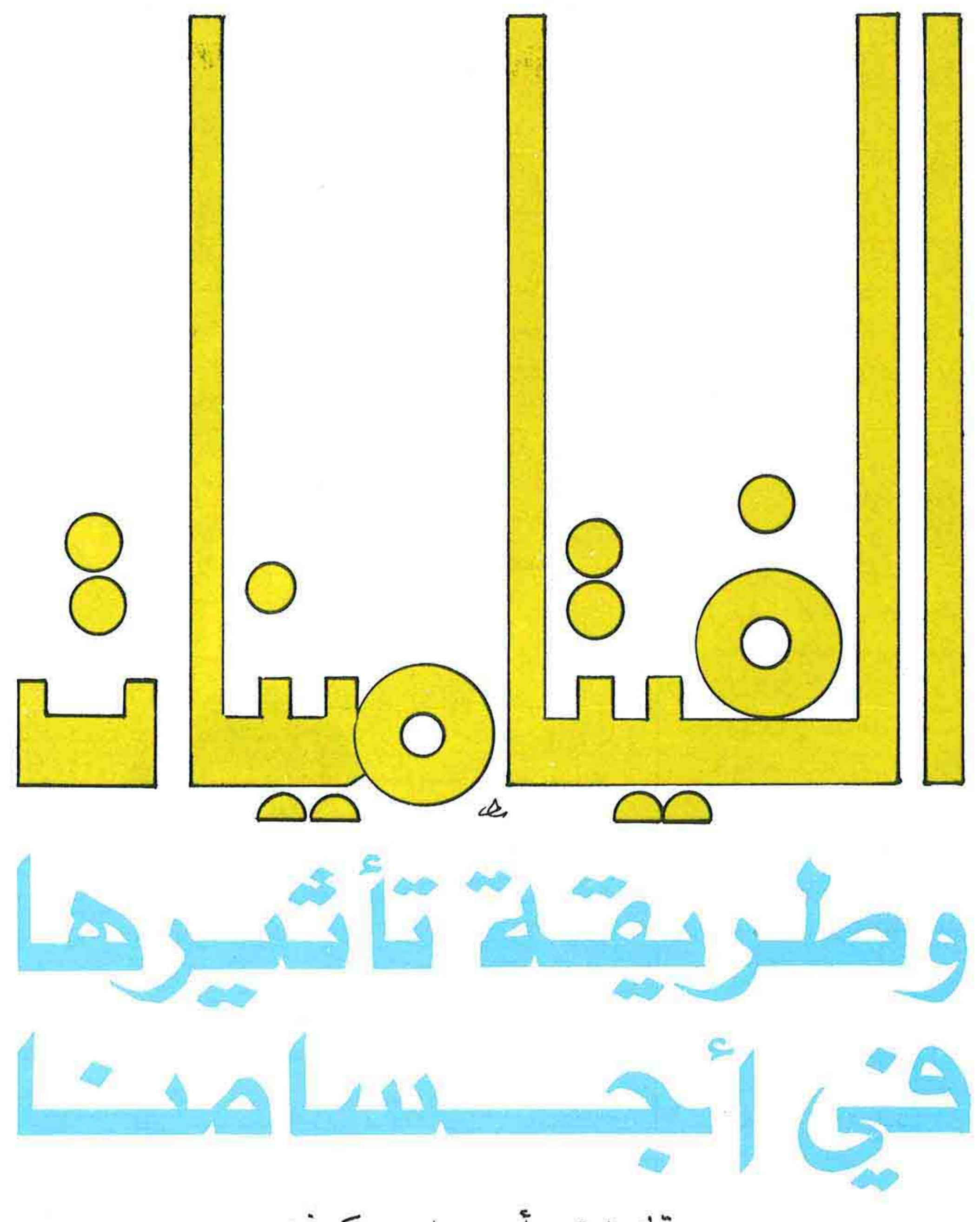
فإذا حل بك **قلق** ، وجافاك النوم ، فإن ملعقة من عسل النحل تكفي لاراحة الأعصاب المتوترة ، وقد يؤدي ذلك إلى نوم هادىء ومريح ، لكن ذلك لا يعني حقاً أن عسل النحل أكيد المفعول مع كل الناس ، بل إن ذلك يرجع إلى عوامل وظروف تختلف باختلاف طبيعة الناس ومشاكلهم .

والواقع أن التجربة هي أعظم ما يعتمد عليه العلم في مجالاته ، ولهذا فلا زالت عادة تخفيف حدة السعال أو شفائه بواسطة عسل النحل من الأمور التي يعترف الناس بصحتها منذ أجيال طويلة ، ولقد كانت لي معها تجربة كما سبق أن أوضحنا في صدر هذه الدراسة ، على أن الدكتور جافريس يذكر أن تجهيز الخلطة الصحيحة يتطلب غلي ليمونة غلياناً هادئاً لدقائق عشر ، ثم شقها نصفين وعصرها عن آخرها ، ويوضع العصير في كوب من أكواب الشراب ، ويضاف إليه ملعقتين صغيرتين من الجليسرين (أو بما يساوي حوالي ٢٥ جراماً) ، ثم يقلب الخليط جيداً ، ويملأ الكوب بعسل النحل ويتم خلط هذا مع ذاك ، ومن هذا الخليط تؤخذ ملعقة كاملة في الصباح والمساء ، أو كلما حلت نوبة السعال ، أما إذا كانت نوباته شديدة ، فمن الأفضل تناول ملعقة منه ست أو سبع مرات يومياً ، وعلى فترات متساوية ، وهذا المزيج صالح للصغار والكبار ، فهو ـ زيادة على أنه يحتوي على عناصر غذائية فإنه لا « يقلب » المعدة ولا يسبب لها مضايقات ، كما هو الحال مع الأدوية الأخرى !

ولعسل النحل فوائد أخرى في التغلب على توتر العضلات أو تصلبها (الكرامب) ، وفي علاج بعض الحروق ، وفي تغذية الأجسام الهزيلة ، والتهابات المسالك الهوائية ، وحمى الهشيم أو القش . . . الخ .

على أنه يجدر بنا ـ مع اعترافنا ببعض فوائد عسل النحل ـ أن نشير هنا إلى أن عسل النحل ، أو مشتقاته ، لا يصلح للشفاء من كل الأمراض ـ كما يعتقد عامة الناس ـ بل قد يصلح بعض الخلل الوظيفي ، أو يخفف من بعض الأمراض ، ومن هنا تحفظت الآية الكريمة في ذكر عسل النحل ولم تذكر أو تعمم أن فيه **الشفاء** ، بل قالت « **فيه شفاء** » .

على أية حال ، فليس في تناول العسل ضرر ، بل هو غذاء طبيعي وطيب ، ولم تتدخل فيه أية ألاعيب أو تحويرات بشرية ، والغذاء الطيب لا يؤدي إلا لصحة طيبة ، وهذا هو المراد من رب العباد الذي قال ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ . . صدق الله العظيم .



الفيتامينات وطريقة تأثيرها في أجسامنا

بقلم : د . أحمد كرزه

كثيراً ما نسمع في حياتنا اليومية تعبيراً يطلقه الكبير والصغير والمتعلم وغير المتعلم والطبيب والمريض ... هو الفيتامينات . فما هذه المركبات الكيميائية ، وأين توجد ، وكيف تؤثر في أجسامنا ؟ .. وفي هذا المقال أردت الإجابة عن بعض المسائل المتعلقة بالفيتامينات بصورة مبسطة ، بحيث يستطيع معها القارئ العادي استيعابها وتفهمها .

تعاريف عامة

إن تعبير فيتامينات « Vitamins » مشتق من **الأصل اللاتيني** Vita amine ويعني **الأمين الحياتي** ، أي المركب الآميني الضروري لحياة الإنسان . **ومن الناحية الكيميائية تعرف الفيتامينات** بأنها مركبات عضوية مختلفة ذات حجم صغير نسبياً ، ولكل فيتامين بنية كيميائية تختلف عن الآخر . ولا تصطنع هذه المركبات عادة في جسم الإنسان ، وإنما تصطنع بصورة رئيسية في النسج النباتية . وبشكل طبيعي يحتاج جسم الإنسان إلى كميات ضئيلة من الفيتامينات التي يجب أن تأتيه من الوسط الخارجي مع الراتب الغذائي اليومي . أما نقصها أو انعدامها من الأغذية فيؤدي حتماً إلى اضطرابات في عمليات استقلاب المواد داخل الجسم ، وبالتالي ، إذا استمر هذا النقص أو الانعدام ، يؤدي إلى ظهور بعض الأعراض المرضية . هذا وتسمى عادة **الأمراض الناتجة عن نقص الفيتامينات باسم** Avitaminoses ، أي أمراض النقص الفيتاميني . وهناك في الوقت الحاضر عدد كبير من هذه الأمراض معروفة ، من الناحية الطبية ، أعراضها وطريقة علاجها .

لمحة تاريخية

لقد عرف في **العصور الوسطى** بأن البحارة الذين يمضون فترة طويلة في البحار ، تصيبهم أعراض مرضية لا تصيب الأشخاص العاديين . ولقد كان هؤلاء البحارة يعتمدون في غذائهم بصورة رئيسية على الأغذية المجففة والمحفوظة ، وكانت وجباتهم الغذائية خالية تماماً من الخضار والفواكه واللحوم الطازجة . إضافة إلى ذلك كانت تظهر على أطفال العائلات ، الذين يعيشون حياتهم الأولى في أجواء بعيدة عن الشمس والضوء ، ويعتمدون على راتب غذائي ضعيف جداً ، أعراض مرضية وتشوهات في أشكال أطرافهم السفلية . أما أسباب ظهور مثل هذه الأعراض المرضية عند البحارة والأطفال فلم تكن معروفة في ذاك الوقت .

إلا أن الدراسات العلمية الجادة لمعرفة أسباب ظهور هذه الأعراض قد بدء بها اعتباراً من عام ١٨٨١ م ، على يد **الباحث لونين** Lunin ، الذي **يعتبر من المؤسسين الأوائل لعلم الفيتامينات** . ولقد كانت تجاربه الأولى في هذا المضمار يجريها على **الفئران** ، حيث كان يقدم إليها غذاء مؤلف من **الكازيئين** (وهو بروتين مستخلص من الحليب) المفسول والسكر ، ونوع معين من الزيوت النباتية وبعض الأملاح بنسب تشبه مما هي عليه في الحليب . وكان في الوقت ذاته يقدم إلى فئة أخرى من الفئران حليب طازج . فكانت ملاحظته الأولى بأن الفئران التي حصلت على الحليب الطبيعي خلال تربيتها بقيت على قيد الحياة ، بينما تلك التي قدم إليها حليب تركيبي على النحو المذكور فقد مرضت ونحل جسمها وماتت بعد فترة من الزمن . إن مثل هذه التجارب قد دعت الباحث المذكور إلى القول بأنه يوجد في الحليب الطازج بعض المواد الإضافية (والتي لا توجد في الحليب التركيبي) إذا ما حذفت من الغذاء لفترة طويلة من الزمن أدت إلى هلاك الفئران .

تصنيف الفيتامينات

إن أول من اقترح تسمية المركبات الضرورية لحياة الإنسان والحيوانات بالفيتامينات هو **الباحث فونك** Funk في عام ١٩١٢ م . **وفي الوقت الحاضر تصنف جميع الفيتامينات المعروفة في الطبيعة إلى زمرتين رئيسيتين** وذلك بالاعتماد على خاصة انحلالها . فتعرف **الزمرة الأولى** باسم **الفيتامينات المنحلة في المواد الدسمة** (الشحوم) ، **والزمرة الثانية** باسم **الفيتامينات المنحلة في الماء .** وفي الجدول المرفق تصنيف الفيتامينات إلى هاتين الزمرتين ، وكذلك التركيب الكيميائي لكل فيتامين وتأثيره في الجسم كعامل مضاد للأمراض . هذا ولقد اصطلح منذ بداية نشوء علم الفيتامينات على تسميتها بالأحرف الأجنبية ، كأن تقول مثلاً الفيتامين (A) والفيتامين (B) والفيتامين (D) . . . الخ .

دور الفيتامينات في جسم الإنسان

لإعطاء فكرة واضحة عن دور الفيتامينات في أجسامنا لا بد من التعرض لشرح بعض المبادئ البيوكيميائية الأولية .

●● **عمليات الاستقلاب :** يقصد بتعبير الاستقلاب Metabolism وعملياته بأنه مجموع التحولات التي تطرأ على المركبات الحيوية خلال وجودها ضمن الخلية ، وكذلك عمليات التبادل ما بين العضوية والوسط الخارجي . إن جريان هذه العمليات هو الذي يعطي لأجسامنا وجودها بصورة طبيعية في هذا العالم وملاءمتها وتكيفها مع ظروفه الطبيعية . ولتقريب الموضوع بصورة أوضح إلى ذهن القارئ نورد المثال التالي : إن جميع **البروتينات** الداخلة إلى الجسم مع الأغذية المختلفة تتعرض أولا في القناة الهضمية إلى عمليات تفكك تؤدي بالنتيجة إلى تحطيم جزيئاتها العملاقة وتشكيل نواتج أقل تعقيداً في بنيتها من البروتينات تعرف باسم الحموض الآمينية (التي هي الوحدات الأولية في بناء جميع البروتينات الموجودة في الطبيعة) البالغ عددها حوالي العشرين . تمتص فيما بعد **الحموض الآمينية** بواسطة الجدران المعدية ويحملها الدم إلى الكبد والأعضاء الأخرى في الجسم . وهناك تسلك هذه الحموض خلال تحولاتها عدداً من الطرق : قسم منها يستخدم لاصطناع بروتينات جديدة خاصة بهذه الخلية أو بهذا النسيج ، وبالتالي خاصة بهذا الجسم . وقسم آخر يستخدم لاصطناع عدد من المركبات التي لها دور فيزيولوجي معين في الجسم (منها اصطناع **هرمون الأدرينالين** Adrenalin — هرمون الطبقة الداخلية للغدد الكظرية — **وهرمون التيروكسين** Thyroxine — هرمون الغدة الدرقية — **ومركب الكولين** Choline — أحد المركبات الهامة في الجملة العصبية — وغيرها من المركبات . أما القسم الثالث فإنه يتفكك ليعطي نواتج تنطرح فيما بعد من الجسم إلى

الوسط الخارجي . وهذه النواتج بشكل رئيسي هي البولة وغاز ثاني أوكسيد الكربون والماء . إضافة إلى ذلك هناك كمية من الطاقة تتشكل خلال هذا التفكك .

إن مجموع هذه العمليات في استقلاب البروتينات ما هي إلا عبارة عن تفاعلات كيميائية تجري بصورة منتظمة داخل الجسم الحي . ونقول عادة بأن لكل تفاعل كيميائي يجري في أي كائن حي مهما كان نوعه وفي أي جزء من الخلية الحية أو في الجسم لا بد وأن يكون له **أنزيم** Enzyme **(أو كما يعرف باسم الخميرة)** يشرف على انجازه وبالتالي ينظم سرعة جريانه .

●● **الأنزيمات :** هي مركبات ذات بنية بروتينية (أي مؤلفة من حموض آمينية مرتبطة مع بعضها البعض) تصطنع داخل الجسم الحي وتقوم بتسريع التفاعلات الكيميائية . وبتعبير آخر يمكن القول بأن الأنزيمات هي عبارة عن وسائط حيوية لها خواص تسريع **التفاعلات البيوكيميائية** الجارية داخل الجسم الحي ، وكقاعدة عامة بأن لكل تفاعل كيميائي واحد أنزيم معين فقط يقوم بانجازه ، أو أحياناً يمكن لأنزيم واحد أن يحقق عدداً محدوداً من التفاعلات الكيميائية المتشابهة .

وهكذا ، ونظراً للعدد الكبير من التفاعلات الجارية في أجسامنا ، هناك أعداد كبيرة من الأنزيمات أيضاً . وبالفعل لقد استحصل في الوقت الحاضر على عدد كبير منها بشكل نقي مبلور وذلك من مصادر بيولوجية مختلفة (إنسان ، حيوان ، نبات ، جراثيم) . ولقد صنف البيوكيميائيون هذا العدد الكبير من الأنزيمات إلى ستة صفوف وذلك لتسهيل دراستها والتعرف عليها ، ولا مجال في هذا المقام بالخوض في تفاصيل أكثر عن هذه الوسائط الحيوية وتصانيفها .

أما من الناحية الكيميائية التركيبية فتقسم الأنزيمات إلى زمرتين : الأولى تلك التي تتألف جزيئاتها من **بروتينات** فقط ، أي أن جزيئة الأنزيم بكامله عبارة عن بروتين فقط ، وبالتالي تعطي عند تفككها حموضاً آمينية فقط . تعرف هذه الزمرة باسم **الأنزيمات البسيطة** . أما الزمرة الثانية فتلك التي تتألف جزيئاتها من قسم بروتيني يدعى **بالجزء الحامل** (أو بـ Apoenzyme) ومن قسم لا بروتيني يدعى **بالجزء الملحق** (أو بـ Coenzyme) . تعرف هذه الزمرة باسم **الأنزيمات المعقدة (أو المركبة) .**

●● **العلاقة ما بين الفيتامين والأنزيم :** بعد هذا العرض الموجز لطبيعة التفاعلات الكيميائية الجارية في الجسم بتأثير أنزيماتها الخاصة ، بقي أن نقول بأن هناك كثيراً من الفيتامينات تدخل في تركيب الجزء الملحق اللابروتيني الخاص بالأنزيم . ومن هذه النقطة بالذات تأتي **العلاقة الوثيقة بين الفيتامينات وبين الأنزيمات ،** وبالتالي ما بينها وبين التفاعلات الكيميائية . وبشكل عام يمكن القول بأن جميع الفيتامينات المنحلة في الماء تشكل زمراً ملحقة لعدد كبير جداً من الأنزيمات التي تحقق انجاز تفاعلات هامة في الجسم الحي . بينما فيتامينات الزمرة الأولى (أي المنحلة في الشحوم) فنادراً ما تشكل زمراً ملحقة لبعض الأنزيمات .

●● **مثال عن التأثير الفيتاميني :** لايضاح أكثر لطبيعة العلاقة ما بين الفيتامينات وتفاعلات الاستقلاب نذكر مثالا واحداً لذلك وهو الفيتامين B_1 (أو ب ـ ١) وتأثيره في الجسم . من المعروف بيوكيميائياً بأن **سكر العنب** (الجلوكوز Glucose) في خلايا النسج العضلية أو العصبية أو في أي نسيج آخر يمر خلال أكسدته (لنقل تفككه ، أو احتراقه ، تجاوزاً) بعدد من التفاعلات الكيميائية تقدر بحوالي ٢٠ تفاعلاً وذلك حتى تشكيل النواتج النهائية لهذه العملية وهي غاز **ثاني أوكسيد الكربون** والماء وكمية محدودة ومعروفة بصورة دقيقة من الطاقة . إن هذه التفاعلات العشرين تكون ضمن مرحلتين : تعرف الأولى باسم **مرحلة التحليل الجليكوزي** Glycolysis (أو التحليل السكري) ، وتعرف الثانية باسم **مرحلة حلقة كريبس** (أو حلقة حمض الليمون) . فتفاعلات المرحلة الأولى تنتهي عند تشكيل مركب يعرف كيميائياً باسم حمض البيروفيك . إن هذا الحمض لكي يتابع تفككه في المرحلة الثانية يجب أن يتعرض مسبقاً لتفاعل كيميائي يحققه أنزيم مؤكسد خاص ينسب إلى زمرة الأنزيمات المعقدة ، حيث زمرته الملحقة هي مشتق للفيتامين B_1 . وعن طريق هذا الفيتامين بالذات (المرتبط طبعاً مع أنزيمه) يتحقق تفاعل الأكسدة ويستطيع حمض **البيروفيك** أن يدخل في تفاعلات حلقة كريبس ليتابع تفككه . فلو انعدم دخول هذا الفيتامين إلى الجسم من الوسط الخارجي لأدى ذلك إلى اضطرابات بالغة الأهمية في سير عمليات الاستقلاب السكري ، وبالتالي لما استطاع سكر العنب (السكر الرئيسي الذي يمد الجسم بالطاقة) أن يتفكك لإعطاء النواتج النهائية .

إن هذا مثال واحد من بين المئات بل الآلاف من التفاعلات الكيميائية الأنزيمية الجارية في الجسم والتي تشترك في تحقيقها الفيتامينات المختلفة .

●● **كلمة لا بد منها :** إن الناظر إلى الخلية الحية ، مهما كان نوعها سواء أكانت في جسم الإنسان أو في الحيوان أو في النبات أو الخلية الجرثومية ، وما يجري فيها من تفاعلات كيميائية ذات العدد الكبير والمتنوعة الاتجاهات والتي كل واحد منها يجد ذاته مجالا واسعاً من العلم والمعرفة وذلك لما يتضمنه من مركبات تدخل لتحقيقه وشروط وعوامل متعددة تشترك في انجازه . وكذلك الناظر إلى الاختلافات ما بين تفاعلات تجري في خلية عضلية وخلية عصبية ، والطرق المختلفة لتنظيم سير جميع هذه التفاعلات .... إن الناظر المتعمق إلى هذه الأمور كلها سيصل بفكره العلمي إلى حقيقة أزلية وهي أن وراء كل ما يجري في الخلية الحية بصورته المنظمة إلى أبعد حدود التنظيم والدقة الفائقة خالق عظيم مبدع ومسير لجميع هذه الأمور . وصدق قوله تعالى في محكم تنزيله : **﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** . وما زلنا نكتشف في كل ما يمر بنا أشياء جديدة عن حياة هذه الخلية وما يجري فيها من أعمال وأفعال .

جـدول : تصنيف الفيتامينات وبنيتها الكيميائية ودورها كعامل مضاد للأمراض ومصادرها الطبيعية

الزمرة	الفيتامين	البنية الكيميائية	دوره كعامل مضاد للأمراض	أهم مصادره الطبيعية
الفيتامينات المنحلة في الدهون	A	مشتقات الريتينول	عامل مساعد لعملية الرؤية في العينين .	زيت السمك ، الزبدة ، الخضار الحمراء والمصفرة (مثل الجزر) .
	D	مشتقات الستيرول	عامل مضاد لمرض الخرع عند الأطفـال .	الحليب ، صفار البيض ، الـدهون .
	E	مشتقات البنزوبيران	عامل مساعد لعمليات الإخصاب الجنسي عند الإنسان والحيوانات .	الحليب ، الزبدة ، بذور الحبوب ، أوراق النباتات الخضراء .
	K	مشتقات الكوينون	عامل مساعد لعملية تخثر الدم .	أوراق النباتات الخضراء .
	F	مجموعة من الحموض الدسمة غير المشبعة	عامل مساعد للنمو ولمنع جفاف الجلد وسقوط الشعر .	الزيوت النباتية .
الفيتامينات المنحلة في الماء	B_1	التيآمين	عامل مضاد لمـرض البري — بري .	قشور الحبوب (النخالة) .
	B_2	الريبوفلافين	عامل مساعد لنمو الحيوانات حديثة الولادة .	الحليب ، صفار البيض ، الكبـد .
	B_3	حمض البانتوتينيك	عامل ضروري لنمو الجسم بصورة طبيعية .	الحليب ، صفـار البيض ، الخميرة ، أوراق النباتات الخضراء .
	PP	مشتقات حمض النيكوتيك	عامل مضاد لمرض البيلاغرا	نخالة الحبوب ، الكبد .
	B_6	مشتقات البيريد وكسال	عامل مضاد لبعض الأمراض الجلدية .	نخالة الرز ، اللحوم ، الكبـد .
	B_{12}	مشتقال الكوبال أمين	عامل مضاد لفقـر الـدم .	صفار البيض ، الحليب ، اللحوم ، الكبد .
	B_C	مشتقات حمض الفوليك	عامل مضاد لفقـر الدم وعامل ضروري لنمو الحيوانات بصورة طبيعية .	أوراق النبات الخضراء ، اللحوم ، الثمار الخضراء ، الحليب ، البيض .
	C	حمض الأسكوربيك	مضاد لمرض الاسقربوط .	الفواكه الطازجة ، الحمضيات ، البنـدورة .
	H	مشتقات البيوتين	عـامل مساعد لعدم تساقط الشعر والتهابات الجلد عند بعض الحيوانات .	البيض ، الخميرة ، اللحوم ، الأغذية النباتية .

من الأدب الألماني المعاصر
تأليف: هورست بينك
ترجمة: د. مصطفى ماهر



أصوات في الظلام

كلمة عن هورست بينك

★ ولد هورست بينك في ٧ مايو / أيار من عام ١٩٣٠م، في مدينة جلايفيتس، بمنطقة سيليزيا العليا (التي كانت جزء من الأراضي الألمانية حتى عام ١٩٤٥م، ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية إقليماً بولونياً)، وأقام حيناً في پوتسدام وبرلين الشرقية. وقد عرف عن هورست بينك شغفه بمسرح برتولت بريشت، واتصاله بالأديب المسرحي الكبير اتصال التلميذ بالأستاذ، وفي عام ١٩٥١م، قبضت عليه السلطات وحاكمته، وحكمت عليه بالسجن خمسة وعشرين عاماً، قضى فترة منها في سجون موسكو، وفي معتقلات نائية عند المحيط المتجمد الشمالي. وظل هورست بينك في ظلمات سيبريا حتى عام ١٩٥٥م، حيث صدر عفو عنه بعد موت ستالين. وفي عام ١٩٥٦م، نزح إلى ألمانيا الغربية، وعمل هناك في إذاعة منطقة هيسن، ثم عمل بعد ذلك كاتباً ومحرراً ومراجعاً في دار نشر بميونيخ، وأخرج مجلة «صفحات وصور» لتشجيع أدب وفن الطليعة. وله إلى جانب نشاطه الأدبي نشاط في الإخراج السينمائي.

نذكر من أعماله: كتاب أحلام سجين (قصائد) ١٩٥٧م، قطع ليلية (قصص) ١٩٥٩م، أحاديث مع بعض الكتاب عن أعمالهم وكيف ينشؤنها ١٩٦٢م، ماذا كان وماذا يكون (قصائد) ١٩٦٦م، الزنزانة (رواية) ١٩٦٨م، قصائد وجدتها (شعر) ١٩٦٨م، الزنزانة (فيلم سينمائي) ١٩٧٠م.

وتحتل خبرة السجن والاعتقال مكاناً هاماً في أدب هورست بينك، الذي يدعو إلى الحرية في أسمى صورها منطلقاً من صور الأسى والمعاناة، التي يجيد رسمها وينفذ بها إلى حواس القارىء وقلبه وعقله، حتى يظن أن الكاتب غارق في الحزن واليأس، ولكنه يعرف كيف يسلك به في هدوء فلسفي إلى طريق الأمل: فهو القائل في قصيدة «الزمان الذي يليه»:

«ونستأنف المسير
على الطريق من زمان
إلى الزمان الذي يليه».

وقصة «أصوات في الظلام» ظهرت لأول مرة مطبوعة في عام ١٩٥٦م، ثم ضمها فيما بعد إلى مجموعة «قطع ليلية» ★



أن يكون في سجن مظلم ظلام الليل ، فتلك فكرة بدت **لروبرت** مضحكة وسخيفة ، حتى أنه مسح بيده على وجهه : وكم كانت دهشته عندما وجد على ذقنه شعراً قصيراً خشناً له وخز كالإبر ، ونهض وهو ما يزال في حيرة الإدراك ، وتحسس طريقه إلى الأمام على الحائط البارد الرطب . وما كاد يخطو خطوتين ، حتى تعثر في جوالق من القش كان ممدوداً على الأرض . فهوى وارتطم رأسه ارتطامة عنيفة بجسم رجل ، صحا من نومه فجأة مفزوعاً ، وصرخ صرخة عالية كصرخة الحيوان . فقفز روبرت إلى الخلف ، والتصق بالحائط وهو يرتعد . وهنا خطرت بباله التفصيلات كلها مرة أخرى : القبض ، والتحقيقات ، المحكمة ، الحكم ، ثم هذه الزنزانة الآن ، التي لم يكن هناك من يعلم هل هي زنزانة حقاً ، فلم يكن بها سوى ظلام دامس ، وحُلكة مُطبقة في كل الاتجاهات تطبق على جسده كالثوب الضيق ، وتنفذ إليه من خلال أنفه وفمه وأذنيه ، فلم يعد يحس شيئاً سوى الحلكة المريرة المسرفة . ثم ها هودا الآن يحس أصواتاً مختلطة تصافح أذنه ، ويتبين صوت خربشة وزحف ، ثم يسمع بعد ذلك أصواتاً ترتفع ، وترتفع مطالبة بالهدوء . وسكت الرجل الممدد فوق القش شيئاً فشيئاً . واستند روبرت إلى الحائط منحنياً ، منطوياً على نفسه ، مثل إنسان خائف . ولكنه لم يكن خائفاً ، بل كان يجد في ذاته رغبة في اختراق الظلام بعينيه ، فإن لم يستطع ، فبأذنيه . وقال الرجل الذي كان قد صرخ منذ قليل شيئاً ، قاله بصوت لا يزال الفزع يتردد فيه :

— رباه ، ماذا حدث؟ ماذا جرى ؟

فلم يرد عليه أحد . كذلك روبرت لم يرد عليه . كل ما في الأمر أن روبرت دهش لسماع صوت بشري ، ولغة فهمها . فقد ظن ، عندما سمع الصراخ منذ قليل ، أن الحيوان عندما يقتل يصرخ على هذا النحو . وحبس روبرت نفسه حتى لا ينكشف أمره . وكانت الأصوات التي صافحت أذنيه قد انخرست ، وعاد السكون ، فخيم على المكان كاملاً . إلا الرجل الذي تكلم منذ قليل ، فقد أخذ يتلوى قلقاً ، فزعاً ، فوق جوالق قشه ، وظل يتمتم على نحو خفيض مبهم حيناً ، ثم سكن هو الآخر سكوناً كاملاً .

وزحف السكون بالسيوف على روبرت ، وتزايد الألم الذي كانت تحدثه به الحلكة كلما تزايد سكونها . ورأى أن عليه أن يقول شيئاً . . أن عليه أن يحطم هذا الصمت . فلم يعد يطيق ذلك السكون الذي امتد فيه هذا المكان غير المحدد إلى ما لا نهاية .

— أنت هناك ! لقد صرخت منذ قليل ، أليس كذلك ؟

قال هذه الكلمات متلعثماً ، وأحس كأن كل كلمة من كلماته اصطدمت بالحيطان ، وارتد إليه صداها . فلم يتلق جواباً . إلا أن الرجل الذي كان قد صرخ منذ قليل ، عاد فتلوى من جديد فوق جوالق قشه . فوجد روبرت في ذلك ما شجعه على الاستمرار في الكلام :

— لا بد أن أعتذر إليك . فقد أفزعتك . لقد خطوت بضع خطوات فعثرت في جوالق قش . وعند ذاك ... وعند ذاك ...

وسكت فجأة . وأحس بالآخر ينهض . حقيقة أنه لم ير ذلك رأي العين ، ولكن كان يعرف حق المعرف أن الرجل الآخر قد قعد الآن ، وأخذ ينظر إليه .

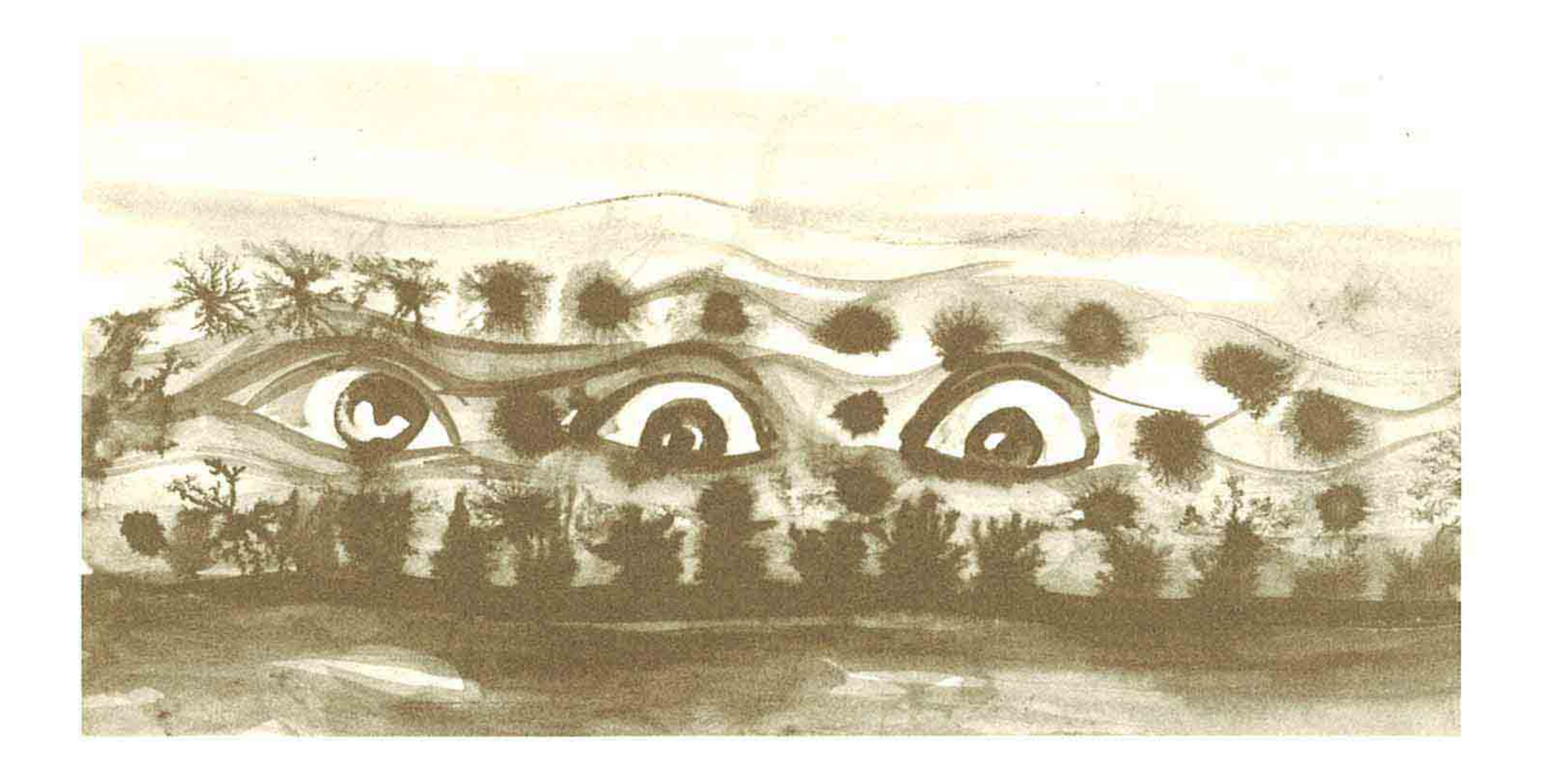
وقال الآخر في بطء وتؤدة :

— ما أشد الظلام !

● نعم . إن الإنسان لا يستطيع أن يرى حتى يده ، مهما قربها من عينيه .

لقد أحدثت هذه الكلمات في وسط الظلام طنيناً كطنين الحشرات .

— أين نحن هنا ؟



● هذا هو بالضبط السؤال الذي كنت أريد أن أوجهه إليك .

وأحس الاثنان أن أفضل ما يفعلانه هنا هو الصمت . فمن لا يستطيع الإجابة على هذا السؤال ، لا يستطيع الإجابة مطلقاً . ولكنهما استمرا برغم ذلك في الكلام ، وتشبثا بكلمات فارغة غريبة حتى لا يغرقا في الظلام .

— هل يوجد هنا شباك ؟

● لا . لكن هناك سرادب للتهوية . في هذه الناحية .

ويبدو أن الآخر أشار بيده إلى اتجاه ما . ونسي أن أحداً لن يستطيع رؤيته .

— ... ونحن نسمع أحياناً من خلال السرداب صرخات تأتي من أعلى . وصوت تصفيق أبواب . ولقد سمعت منذ أتيت إلى هنا ثلاث مرات صوت اطلاق أعيرة نارية .

● هل أنت هنا منذ مدة طويلة ؟

— لا أعرف . وأنا أتصور أحياناً أن سنوات لا بد قد مضت منذ حبسوني هنا . وأتصور في أحيان أخرى ، أنني هنا منذ ساعات معدودة . وأنا في الحقيقة لا أعرف .

وسكت روبرت هنيهة ثم عاد يسأل :

— ألا يدخل النور إلى هنا أبداً ؟ أعني ، ألا يعلم من هنا أبداً ، متى يكون نهار ، ومتى يكون ليل ؟

● هنا ليل دائم . هذا ما نعرفه . هذا هو الشيء الوحيد الذي نعرفه .

وعض روبرت شفتيه . ولم يعد يعرف كيف يسأل . وقد بدا له أن الآخر يعرف المزيد . ولم يكن بد من أن يستخرجه منه . فسأل متردداً :

— وماذا عن الطعام ؟

● ليس رديئاً . وهم يقدمون إلينا نوعاً واحداً دائماً ، فلا نعرف الصباح من المساء . وهم يدفعون إلينا الطعام من خلال طاقة ، ولكن الممر الخارجي مظلم كذلك ، لا يرى الإنسان فيه شيئاً .

— ولكنهم عندما يدفعون إلى هنا بنزيل جديد ، أو عندما يأخذون منا واحداً إلى الخارج ، لا بد يفتحون الباب فنستطيع أن نرى من يقوم بحراستنا .

● أنا لم أر حتى الآن حارساً . فهذا الذي تتحدث عنه ، يحدث فجأة عندما ينام الجميع ، فينفتح الباب ، ويدفعون بالنزيل الجديد إلى الداخل . كما فعلوا بك منذ قليل . فلا يتسرب إلا بصيص قصير من النور ، وتيار بارد من الهواء ـ هذا كل ما في الأمر .

وقال روبرت موجهاً الكلام إلى نفسه أكثر مما وجهه إلى الآخر :

— رباه ، هذا شيء رهيب !

ثم قال بصوت مرتفع :

● إنك لا تفتأ تقول «نحن» فهل هنا آخرون ؟

— نعم . أظن أننا الآن خمسة . والآخرون يرقدون إلى الخلف . وليس منا من يعرف على وجه التحديد عدد من هنا . فقد أخرجوا في الفترة الماضية أكثر مما أدخلوا .

وأحس روبرت برجفة ساخنة في بدنه . وقبض بيديه في عنف البياض الجيري الرطب المتفتت . واستحالت الحلكة السوداء إلى حلكة بنفسجية وأخذت تتراقص .

وسمع الرجل الآخر يقول :

● ارجع إلى الخلف خطوتين تجد جوالقاً من القش خصص لك . وإذا أصبت بغثيان ففي الركن دلو .

وترنح روبرت خطوتين إلى الخلف ، وهوى فوق جوالق القش . ودهش إذ

وقع على شيء طري ، ودهش أكثر لأن الرجل الآخر ، كان يعرف الأشياء معرفة دقيقة . فكيف استطاع أن يرى في الظلام الحالك جوالق القش ، وكيف استطاع أن يعرف مكان الدلو ؟ ربما كانت الظلمة ، الظلمة الخانقة الراجفة المؤلمة ، له وحده . أو ربما كان أعمى ؟ وهنا استبد به الخوف . لقد عاد يحس بالخوف ينساب في عروقه لأول مرة منذ وقت طويل . لم تكن التحقيقات والحكم والطلقات النارية ، هي التي أعادت إليه الشعور بالخوف . أما أن يكون قد أصيب بالعمى ، فلم يعد يستطيع الرؤية في وقت ظل فيه يستطيع التفكير ، فكان الشيء الذي أخافه وأفزعه . وتلمس عينيه ، وشعر بجفنيه يرتجفان . وصرخ :

— أترى أصبت بالعمى ؟

وجاء صوت الرجل الآخر هادئاً عاقلاً . وأرهف روبرت السمع :

● **لا ، إن الظلمة الحالكة في هذا الجحر هي التي تعمينا .**

وعندما يمضي عليك حين في هذا المكان ، ستتعلم الرؤية في الظلام . لقد اعتدنا جميعاً عليه .

ونهض الرجل . وسمع روبرت حركته ، فاعتدل وحملق ناحيته . وظن أنه يرى شبحاً عندما سمع وقع أقدام زاحفة . فقد ذهب الرجل إلى الدلو ففتحه وتبول فيه . وسمع روبرت الماء يترجرج ، فخطر بباله على الرغم منه أن الرجل كان قد صرخ منذ قليل كالحيوان وفكر في أن الغزال يصرخ على هذا النحو عندما يقتلونه . وعاد الرجل إلى مكانه .



ورقد روبرت وضم ذراعيه تحت رأسه . وشل التعب أفكاره بضع ثوان . وفجأة أحس على نحو واهن مشتاق بحنين إلى إحداث ضوضاء ، إلى إحداث ضجة عالية تصم الآذان ، لا هذه الزحزحة الخفيضة والخربشة التي تتناهى إلى السمع من أقصى الخلف . أحس برغبة في الاستمتاع بضجيج قاعة تمتلىء بالآلات ، أو دوي وابل من القنابل . وانطوى على نفسه . وسأل بصوت خفيض :

— ما اسمك ؟

ولم يرد الرجل الآخر . فقال روبرت :

— سأسميك غزالا . فأنت عندما صرخت ، خطر ببالي أن الغزال يصرخ على هذا النحو عندما يقتلونه .

وأضاف :

— هل أدنت ؟

فرد الغزال :

● كل من هنا مدانون .

— هل أنت أيضاً . . . ؟

فقاطعه الغزال قائلاً :

● لا . لقد قتلت إنساناً . ولكن نفس العقوبة . . أنت كثير الأسئلة .

وسكت روبرت . أما إلى الخلف في وسط الظلام ، فقد أحدثت الخفافيش حفيفاً . كانت تتهامس وتتشاور . وبسط أحد الخفافيش جناحيه على سعتهما وانطلق يئز خلال المكان . ورأى روبرت طيفاً أكثر ظلمة من الظلام . أم هل خدع بصره ؟ وتوقع أن يلمسه جناح . وانتظر الإشارة . انتظر أن ينير الظلام . لا دفعة واحدة ، كمن يدير المفتاح ، فإذا بالفراغ حواليه قد استحال إلى مكان ، بل توقع أن يتلون شيئاً فشيئاً . ربما باللون الأزرق أولا ، فيصبح الهواء كالحرير ، ثم يزداد نصاعة فيصبح الهواء ، كالدخان الذي يتحلل ، وأخيراً يصبح الحائط الأصفر أصفر بالفعل ، والأرض السوداء سوداء حقيقة ، وتتزاحم الخفافيش في الأركان وتحطم في فزعها نسيج العناكب . وقعد الطيف الذي كان يقترب كالخفاش عند جوالق القش : لقد جلس إنسان من البشر وتكلم معه :

● **أنت الجديد ، أليس كذلك ؟**

وحملق روبرت فيمن ظنه طيفاً ، في ذلك الذي جلس قريباً من رأسه ، يكاد يلامسه وهز رأسه . وخطر بباله أن الآخر لا يقدر على رؤية إماءته . فقال بصوت عال :

— نعم ، لم يمض عليَّ وقت طويل هنا . وأنا لا أعرف أين أنا .

وبدا على الآخر كأنه يفكر . ثم سأله :

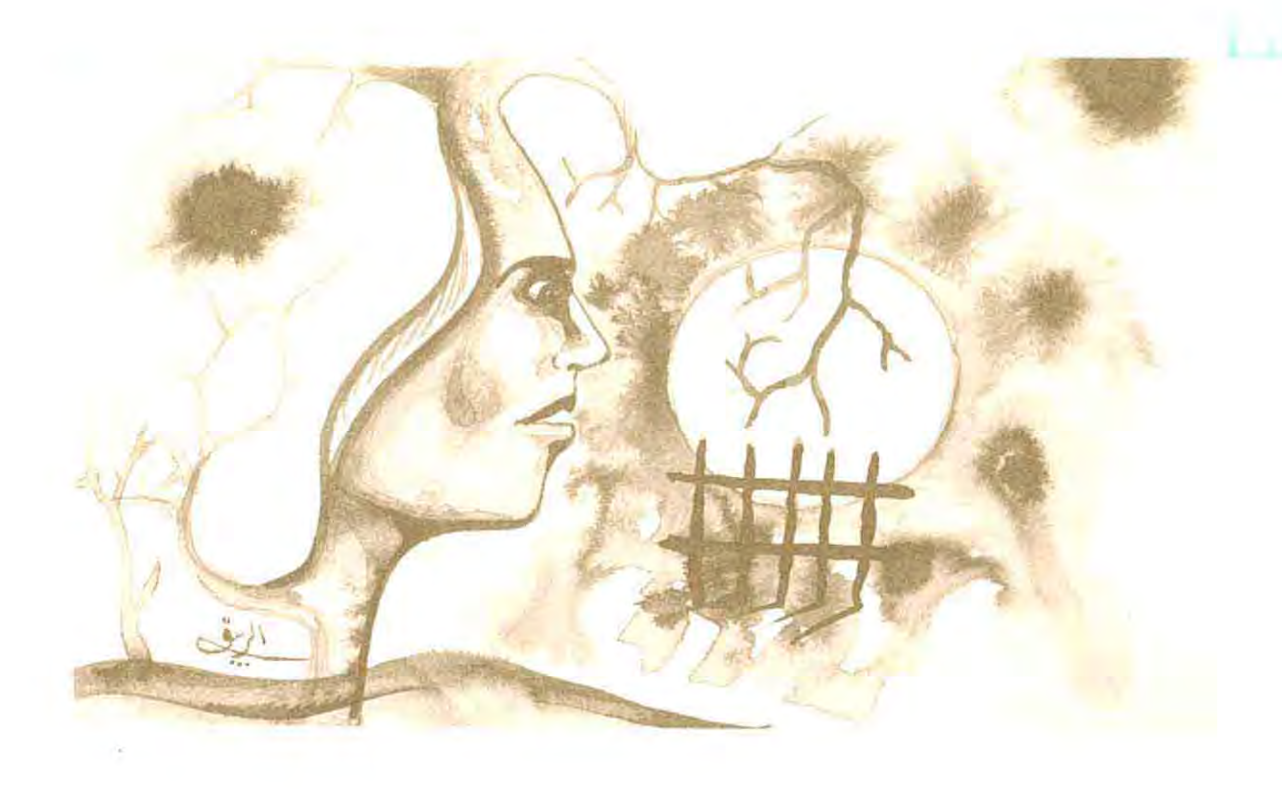
● **أتراك أتيت من فوق ؟ هل قابلت أخي ؟**

ثم أضاف ، وكأنه يهدف إلى التوضيح :

● فأنا أبحث عن أخي .

وجلس روبرت . وأحس إحساساً واضحاً بمن أمامه . بل لقد تصور أنه يستطيع وصفه ، لشدة اعتقاده في أنه كان يراه بوضوح : لا بد أنه كان صغير السن ، لا يزيد على العشرين ، قصير الشعر ، رقيق الوجه ، لين القسمات وإن ظللها الحزن ، كبير الفم ، أحمره ، فكأنه جرح ينزف ، يرتدي سترة سوداء مشقوقة مقفلة حتى أعلى الرقبة : هكذا عاش في خيال روبرت .

وسأل روبرت :



— ومن أخوك ؟ أنا لا أعرف من تكون ؟

وأسرع الآخر شارحاً :

● أنا أركادي ، وأوليفر أخي . إنه يكبرني بعامين . ولكنه يشبهني جداً . إلا أن فمه أصغر من فمي وأكثر منه انقباضاً . وهو صموت جداً . ولا بد أنك رأيته فوق .

وحاول روبرت أن يتذكر . فلم يختلط منذ اعتقاله إلا بالقليل من الناس . فأجاب بالنفي .

— أنا لا أعرف هل أتيت من فوق . كل ما أعرفه أنني كنت في زنزانة انفرادية .

وقال الآخر الذي يبحث عن أخيه مؤكداً :

● كلهم يأتون من فوق . وهم يدفعون بنا إلى أسفل فأسفل . حتى يخبو الأمل .

عندما كانوا يجرون روبرت إلى التحقيق تلو التحقيق سمع عن رجل أراد الهروب فأطلق الحرس عليه النار في الخارج . كان الناس يتحدثون عنه ، ويتحاكون قصته بالدق على جدران الزنزانات جميعها . وتذكر روبرت القصة فجأة ، وخطر الاسم بباله : أوليفر . لقد كان الرجل الذي قتلوه على الأرجح أخاه . ويبدو أن الخبر لم يصل إلى هنا بعد . فهل يقصه عليه ؟ أكان من المستطاع فتح هذا الجرح النازف أكثر مما فُتح ؟ ذلك الفم الذي ذبل من كثرة الموت .

وسمع الآخر يقول له :

— يمكنك أن تقول كل شيء دون ما قلق . فنحن هنا جميعاً من قطاع السياسة . إلا هذا هناك (وقام بحركة ما في الظلام) فهو قاتل . ولكنه إنسان طيب . وأخي بريء ، أتعلم هذا . لقد نسبت أنا كل شيء إلى نفسي . ولعلهم قد أطلقوا سراحه ؟

وقال روبرت مضطرباً كل الاضطراب :

● نعم .

ربما لم يكن أوليفر هذا قد مات . وربما كان هو ، روبرت ، ذلك الشخص الذي قتلوه في أثناء الهرب . فقد كان دائم التفكير في الهرب . وربما كان الموت الحقيقي على هذا النحو : ظلمة أبدية مطبقة صفيقة . وفي هذا المكان اللانهائي بعض الملعونين ، قد غُلّوا إلى الليل البهيم فلا فكاك لهم منه . فهل لو قال له إن أخاه مات ، يكون قد قال له الحقيقة ؟ وصمت .

وقال الشاب :

— أنت إذن لا تعرف شيئاً . لقد كنا ، أنا وأخي ، متحابين ، يحب الواحد منا الآخر كل الحب .

وظل روبرت صامتاً . ومسح بيده على جمجمته التي نبت عليها بعض الشعر القصير الخشن . وقام بعضهم في أقصى الخلف محدثاً ضجيجاً ، وخطا خطوات ثقيلة إلى الدلو . لقد سار في الظلام مطمئناً اطمئناناً أثار دهشة روبرت . وبدا عليه لبعض ثوان أن تفكيره تشتت ، ثم اتجه مرة أخرى إلى الشاب وسأله :

● هل تستطيع أن تراني ؟

فأجاب الشاب في غير تردد :

— نعم . منظرك كمنظر كلب كبير . ولقد كان عندنا في البيت كلب حراسة أسود كان يشبهك .

وأراد روبرت أن يضحك . ولكنه فزع من نفسه . ومسح تلقائياً على وجهه ، وتحسس بكفه أنفه وفمه وذقنه . ثم مد يديه إلى أمام ، كأنما أراد أن يصد عن نفسه شيئاً . وغطى بعضهم في الخلف الدلو ، وسار بأقدام ثقيلة عائداً أدراجه . وسأل روبرت :

● من هذا ؟

— إنه فلاح مسن . يدعي أنه دخل السجن منذ كان شاباً . ونحن نسميه بكل بساطة حصاناً لأنه يخب كالحصان القبيح .

وضحك الشاب ضحكة قصيرة ، كانت نغمتها توحي بأن شيئاً لم يرد له أن يخرج من ذات نفسه قد انساب معها . وساد صمت طويل .

كان الشاب لا يزال يقعد إلى روبرت ملتصقاً به . وإذا به يهمس :

● سيأتي الطعام بعد قليل . لقد سمع العجوز صلصلة الأواني ، فله سمع حاد كسمع القطط . ابق هنا قاعداً حتى أناديك . ويمكنك أن تسميني خفاشاً . والجميع هنا يسمونني خفاشاً ولا أعلم السبب في ذلك . ولكن من الأفضل ألا يعرف أحد الاسم الحقيقي .

ثم انطلق .

وهز روبرت رأسه . وقام واقفاً وسار ببطء في الاتجاه الذي ظن أن الدلو سيكون فيه . وعقد النية على ألا يعود إلا إذا وصل إلى الدلو . ولمست قدمه شيئاً طرياً . كان ذلك هو الموضع الذي رقد فيه الرجل الذي أسماه غزالا . واستأنف السير . واعتقد أنه يرى من تحته أجساماً دافئة تتنفس كأنها حيوانات مظلمة في مرعى بهيم . وتجاوزها ، وسار مئة خطوة ، ألف خطوة ، دون أن يصطدم بحائط ، ودون أن يصل إلى الدلو . ولكن أصوات النائمين ظلت حوله ، قريبة ، شديدة القرب منه ، وأحس أنه تاه في أدغال الظلام . كانت الأجساد الحيوانية المظلمة تقفز وتتدافع . وكان هو يتبع الأصوات . فاصطدم برجل كان يثني ذراعيه . فوقف روبرت خلفه ، وتحسس رأسه ورقبته وجسده : لقد كان إنساناً . وهنا تلقى لكزة في جنبه ، فانتفض . ودفع بنفسه إلى الأمام ، فوصل إلى فتحة ينساب منها تيار . وقدمت إليه ذراع نحيفة ، باهتة البريق صحناً يتصاعد منه بخار . فتناول الصحن ، وحاول أن يلقي نظرة من خلال الفتحة ، ولكن بعضهم لكزه من الخلف ، فابتعد بصحنه ، ووجد طريقه الآن إلى جوالق قشه في غير صعوبة .

وقعد هناك وأكل . وسمع الآخرين يقلبون في حسائهم أو يتجرعون بصوت عال . وقال في نفسه : رباه ، هل ستبقى هذه الظلمة أبداً ؟ ثم قال في نفسه : إنني سأجن هنا . ثم قال في نفسه : هذا هو الجحيم .

وأتى الخفاش بعد الطعام وأخذ الصحون . وتمدد روبرت فوق جوالق القش ونام . وكان الخفاش قد حمل إليه غطاء قديماً مهلهلاً وغطاه به .

فلما صحا سمع الثلاثة يتكلمون في الخلف . كان الغزال يرقد غير بعيد ويغني لنفسه بصوت خفيض ، وقد فتح شفتيه فتحة صغيرة . وامتدت الأصوات في بحر الظلام كأنها أحبال النجدة . ووجد فيها ما طمأنه . لقد تبددت العزلة . ونهض وسار بخطوات لم تزل مضطربة ، ولكنه سار مستقيماً إلى الدلو . ووجده في الحال .

فلما عاد أمسك الغزال بسرواله فأوقفه وقال له بصوت خفيض كالصفير :

— هه يا . . . اقعد هنا .

وقعد روبرت على ركن من أركان جوالق القش . وظل الآخر ممسكاً به . وسأله الغزال بصوت خائف :

● **هل تعتقد أننا سنخرج من هنا يوماً ما ؟**

ودق قلب روبرت بشدة دون أن يعرف السبب ، وقال بسرعة :

— لا أعرف . لا أعرف . ولكنني سأجن إذا لم يحدث هذا عما قريب .

وأحس كأن الظلمة شلال ينهمر فوقه . وأحس كأنه مخدر . ودوى هدير القنابل ، وارتج الهواء . صرخ روبرت عندما نظر في الهاوية تحته ، ورأى الحيوان يحملق فيه بألف عين : الجنون . وأحدث الهواء طنيناً ، وفاحت منه رائحة الرمة ، واستحال الهواء إلى إبر ، وأخذ الحيوان يلعقه بألسنة دامية .

فلما التحمت الهاوية ، كانوا يجلسون حواليه ، وسمعهم روبرت يتكلمون . كانوا يتكلمون بصوت خفيض . كانوا يحكون عن يوم الأحد ، وعما كانوا يعملونه فيه ـ عندما كانوا في الخارج ينعمون بحرية يوم يضيء بنور الشمس . كانت الكلمات تتصاعد كدخان من بيوت ساكنة وترسم صوراً مخترعة . وذهب إلى جوالق قشه ، وارتقى الجزيرة . ومن خلفه تضاريت أمواج الألم .

ولم يبرح روبرت جوالق قشه إلا نادراً . كان يرقد مرتكزاً على يديه ، ويحملق بعينين متألمتين في الظلام . لم يكن ينتظر إلا تلك اللحظة التي قد ينفتح فيها الباب فيدخل شعاع من ضوء . كان ينتظر لحظة النور هذه . وكان التعب يغلبه أحياناً ، فيهوي رأسه ، ويستغرق في نوم كالغروب ينتزعه منه أوهى صوت . فقد كان الخوف من أن ينفتح الباب في غيبة منه يحدث في مخه طنيناً كطنين حشرة خبيثة .

ولقد حدث ذلك عندما كانوا جميعاً نائمين . فقد تحرك مفتاح في القفل . وسحب المزلاج ، وانفتح الباب . وقطع شعاع أبيض من النور الظلام بسكين حادة . وجمد النور في الزنزانة ، فكأنه جدار مائل من الرخام الأبيض . وانحنى روبرت على جوالق القش وحملق في النور بعينين محمومتين . ووقف بالباب جندي على رأسه خوذة عالية . وسرت في جسد روبرت قشعريرة ، وأحس بنفسه وحيداً ، عارياً ، منعزلا . وسمع الجندي يصرخ . وسمعه يسب ويلعن . ثم رأى أجساد الحيوانات المظلمة تقفز إلى شعاع النور . وجذب النور المعاندين كما يفعل المغناطيس . وتقدم الحصان متثاقلاً يغلبه النعاس ، وتدلى العرف الرمادي القذر الطويل إلى الخلف ملبداً على رقبته النحيلة . أما جسمه ، فكان قد عَجُف وأخذ يتأرجح بين ساقين مشلولتين . لقد كان الحصان حصاناً فعلاً . وتبعه الخفاش ، وقد تدلى رأسه الصغير إلى جانب ، ولم ينتشر جناحاه إلا إلى النصف ، ولكنهما كانا كبيرين على نحو يثير الرعب . وأحس روبرت لحظة أن عيني أركادي اتجهتا نحوه ، وكان يعرف أنه تصورهما على هذه الهيئة ، كان يحس كأن حشرات مؤذية تحيط به أسراباً أسراباً ، والدود يأكل من لسانه . وتحركت عضلات فكيه ، وخشي أن يتقيأ في أية لحظة . وهنا رأى الغزال . كان الغزال كبيراً رمادي اللون . وقد تدلت أذناه واهتنين إلى جانبي رأسه الذي طأطأه . وترنح الغزال في النور كحيوان أعمى ، وتعثر في أرجله ، وانكفأ على رجليه الأماميتين . ودفعه الجندي بحذائه الطويل وبغير رحمة خلال الباب ، فانزلق الجسد على الأرض . وقبل أن يغلق الرجل الذي يلبس الحلة الرسمية الباب من الخارج ، جرى حيوان صغير أسود إلى الخارج بقفزات سريعة ، ولم يستطع روبرت أن يتبين من هو . ثم أغلق المزلاج في عنف . وعلا زبد الظلمة وطوته كموجة من أمواج البحر .

ثم تسلل السكون ، ذلك الحيوان الهائل النهم الصموت ، وهجم على روبرت . فصرخ وهوى في المكان الذي كان يقيم فيه الرجل الذي أسماه غزالا . كان جوالق القش خالياً . ونادى روبرت على أركادي ، وانطوى صوته على نفسه ، فلم يخرج من حلقه سوى نباح مبحوح . وقفز إلى الخلف ونهبش في جواليق القش الأخرى . كانت كلها خالية . كان هو وحده الذي بقي في هذه الظلمة اللعينة الجنونية الفتاكة . هو وحده . وأحس بالدود في فمه ، والقرف يخنقه . وأخرج لسانه كما يفعل الكلاب ، وانتظر أن يأتي من يناديه بالسباب واللعنات .



بقلم : سُمي الفاروق



لم يكن يمر علينا يوم ونحن صغاراً ، لا نلعب فيه الكرة ، كما يفعل معظم الأطفال عندما يجتمعون ، وكنا نمتاز عن الآخرين بأن كافة مبارياتنا منظمة ، نقيمها في شكل دوري ونصف دوري .

كان كل أفراد فريقنا من طلبة الثانوي ، وكنا نطلق على أنفسنا اسم « **فريق سللو** » ـ بكسر السين ـ وذلك لأننا كنا متشابهين في ضآلة الجسم ، وبروز عظام القفص الصدري ، وفي نفس الوقت فنانين في اللعب ، متفاهمين مكملين لبعضنا البعض ، فزنا في أغلب مبارياتنا وخاصة تلك التي كانت ضد فريق « **الورشة** » أقوى الفرق .

كان فريق الورشة يتكون من صبيان الورشة والعاملين باليومية في إحدى الشركات التي كنا نلعب في الطريق المجاور لها في ظلال أشجار الصنوبر التي ذبحوها أخيراً .

كانت كل مباريات فريق الورشة ، سواء أمامنا أو أمام غيرنا ، تقام بين الساعتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وقت الراحة والغداء ، وكان يتجمع لتشجيعهم أعداد غفيرة من العمال الذين كانوا ينقطونهم بالمال . . وكانوا يكافئونهم أولا بأول ، لذلك كانت مباريات فريق الورشة ، وخاصة ما هو ضد فريقنا ، من أقوى المباريات .

كما كانت مبارياتنا معهم مباريات قمة ، كانت مباريات تناقضات . . فبينما هم عمالقة ، كنا نحن أقزاماً . . وبينما كانوا يعتمدون على القوة والخشونة في لعبهم ، كنا نعتمد على الفن والذوق . . وبينما كانوا يلعبون ارتجالياً ، كنا نلعب بخطط مرسومة ومحكمة ، نقضي الأوقات الطوال في إعدادها والتدرب عليها .

يضم فريق الورشة بين ما يضم من لاعبيه « **عمر القرمة** » الذي كان يلعب حافي القدمين ، ولا يفرق بين ركل الكرة أو قطعة من الحجر ، ومما اشتهر عنه ، أنه لم ينظر إلى الكرة مرة وهو يسددها بقوة ، فسدد في الأرض وشق ظفر إصبعه الأكبر ونزف منه الدم غزيراً ، فما كان منه إلا أن انحنى على إصبعه ، ونزع الأظفر وألقى به جانباً وأكمل اللعب ، وكأن شيئاً لم يكن .

كنا نناضل في مبارياتنا ضد عمر القرمة وزملائه . . وكانت الجماهير تضحك لذلك ـ حتى مشجعيهم ـ عندما نهزأ بهم لعباً . . وهو ما كان يُطيّر صوابهم ويدفعهم أكثر إلى تعمد الخشونة واستعراض الألعاب الفدائية ، فلم يكن يهمهم إلا الفوز بأي ثمن .

وفي إحدى مبارياتنا ، التقطت أذني ، ونحن مندمجين في اللعب من أحد المشجعين كبار السن قوله : « ربنا يسترها اليوم ، لا بد أن اليوم سينتهي بقتيل . . » ، أفزعتني الكلمات ، وكدت أوقف اللعب لأحذر زملائي ، فقد جئنا لنلعب لا لنقاتل فيموت منا أحداً ، وعلقت بهذا المعنى عندما ارتطم بي **المعلم رشاد** ، أكبر لاعبي فريق الورشة ، وعلق هو على كلامي بأن قال : « يا عم قل يا باسط . . لا أحد يموت ناقص

عمر . . » .

استمر اللعب بعدها واشتد ، واضطررنا إلى تهدئة اللعب ، وتبادل التمريرات الطويلة تضييعاً للوقت ، وكنا ننتهز الفرص لنسدد كرات قوية من بعيد تمكنا معها من إحراز عدد من الأهداف ، وهو ما طير صوابهم أكثر ، وجعلهم كالحيوانات الهائجة وسط الملعب فتعمدوا الخشونة القاتلة .

وبينما المباراة كذلك والمشجعون مندمجين على الجانبين ، اخترقت أرض الملعب دراجة يقودها رجل مسن ، سار وكأنه لا يرى تجمهرنا ، وسار هكذا بدون مبالاة . . قذفت الكرة قريبة منه فتراجع أحد مدافعي فريق الورشة ليوقفها ، ولم ير الدراجة خلفه فارتطم بها ، وأسقط الرجل المسن على الأرض يئن وهو فوقه ، وغاب الرجل عن الوعي . . غلب ظني بأن الرجل قد مات ، فتحرك نظري لا شعورياً إلى الرجل الذي قال منذ قليل يا رب استر . .

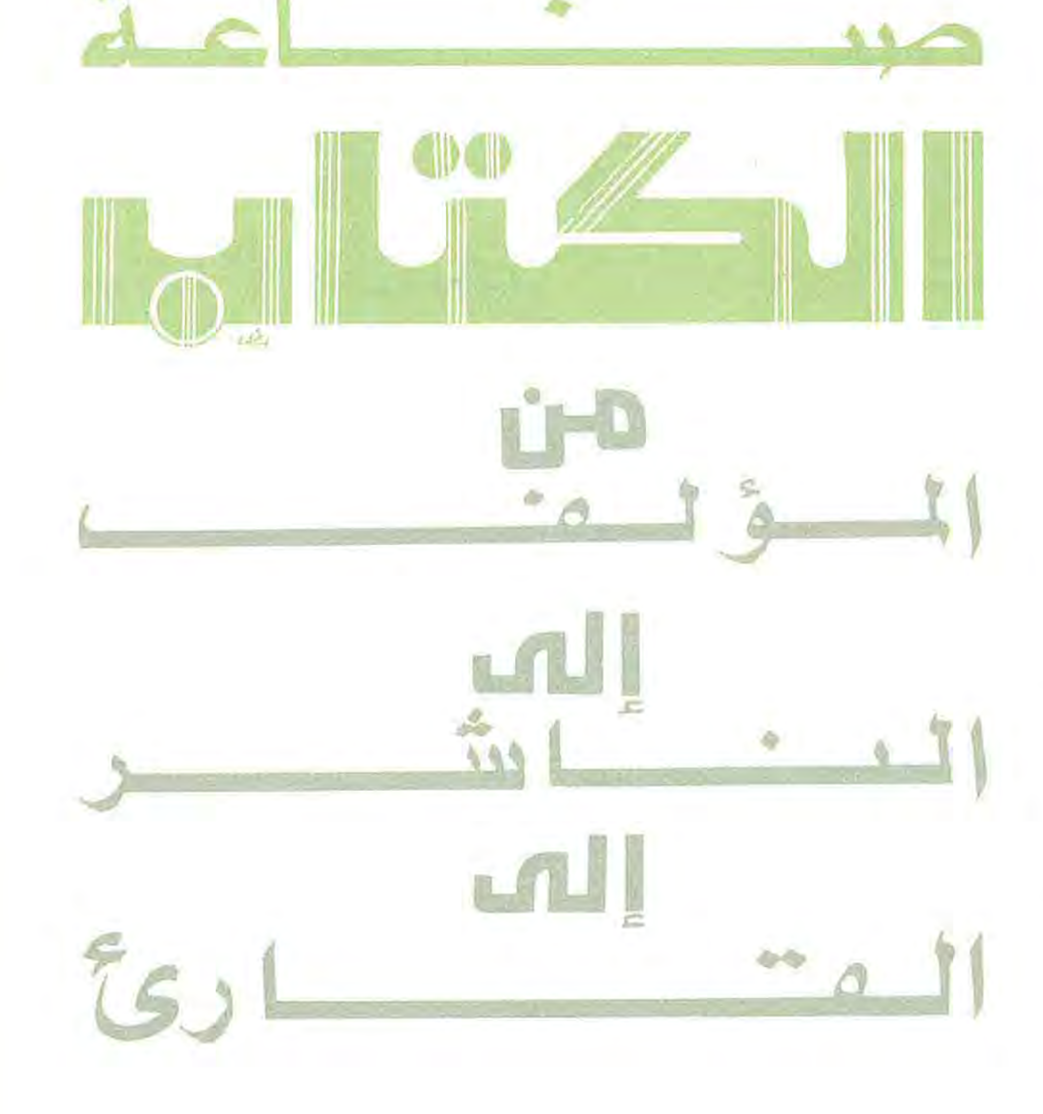
وهممت أقول له . . لقد تحققت نبؤتك ، إلا أن رجلاً كبيراً من بين المشجعين أمسك بيد الرجل وقال : « إلينا بالإسعاف فلا يزال ينبض » . . وجرت عدة محاولات للاسعاف طلب خلالها الاسعاف تليفونياً ، وبعد فترة أفاق الرجل ، ووقف من فوره يبحث عن الدراجة ويحاول ركوبها . . ولما سألناه أن ينتظر حتى تحضر **سيارة الإسعاف** ، حتى لا يتهموننا بالإبلاغ الكاذب وإقلاق السلطات ، استرحمنا أن نتركه يذهب ، فابنته تحتضر وهو ذاهب ليبحث لها عن الدواء الذي لا يمتلك شيئاً من ثمنه . . رفضنا خوفاً من المسؤولية . . إلا أن الرجل الكبير الذي جس نبضه في البداية ، وطلب إلينا في صيغة الأمر أن نرحم الرجل ونتركه لحال سبيله ، وسوف يحل هو محله أمام رجال الإسعاف عندما يحضرون . ودس الرجل الذي كان يرتدي جلباباً أبيض كشعر رأسه ، مبلغاً في جيب الرجل المسن وساعده حتى سار بالدراجة وجلس هو على حافة الطريق ينتظر معنا .

ولما تبادرت أصوات أجراس سيارة الإسعاف إلى أسماعنا ، سارع الرجل واستلقى على الأرض ، وأغمض عينيه إمعاناً في قيامه بدور المغمى عليه . . ووقفت سيارة الإسعاف أمامنا في سرعة . . وقفز منها رجل الإسعاف ممسكاً بحقيبته ، اخترقنا وجثا على ركبتيه بجوار الرجل المتمدد على الأرض ، ونحن نكتم ضحكاتنا على هذه التمثيلية الهزلية التي اضطرتنا الظروف إلى المشاركة فيها . .

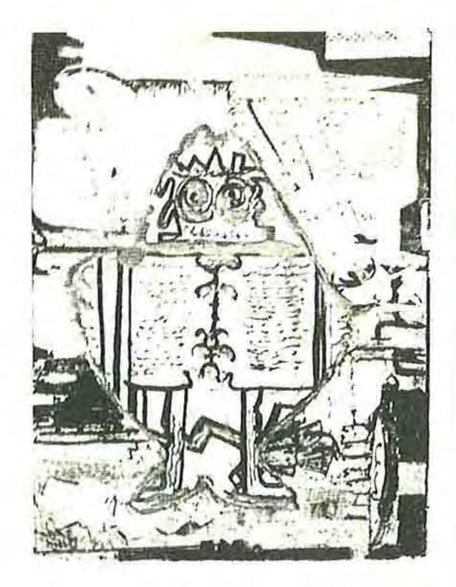
أمسك رجل الإسعاف بمعصم الرجل المستلقي بعد أن مس جبهته ، وفي حركة ثقيلة مد يده وأغلق حقيبته ، ووقف وهو يقول . . آسف . . لا أستطيع عمل شيء ، ولا حتى حمله ، فالقانون يمنعنا من حمل الموتى . .

صحنا جميعاً : **مستحيل ، فالرجل يمثل ، يقوم بدور من تركيبنا** !! وعاد رجل الإسعاف يتأسف ويقول إن الرجل فعلاً ميت . . وعدنا نحن نضرب كفاً على كف ونقول . . **مستحيل** .





صناعة الكتاب من المؤلف إلى الناشر إلى القارئ



مطالعات... في الكتب

المؤلف :
داتيس س. سميث

عرض وتلخيص :
فاروق صالح باسلامة

الحقيقة أننا كمثقفين في دول نامية بدأت تفتح أعينها على مجالات علمية وثقافية وفكرية وأدبية وصحفية جديدة في آفاق الحاضر النامي والمستقبل المأمول، أقول إننا والوضع كذلك، بحاجة إلى أن نتعرف على ثقافات غيرنا من المجتمعات في الدول المتقدمة في مختلف مجالات العلوم والمعرفة.

وهذا كتاب جديد في موضوعه يتحدث - كما هو معروف عند الوهلة الأولى من اسمه - على كيفية تأليف وصناعة الكتاب بدءً من لدن **المؤلف** نفسه مروراً **بالناشر** الذي يتولى طبع الكتاب وبالتالي **توزيعه** عبر المكتبات وبائعيها ومن ثم يصل إلى يد **القارئ**.

والكتاب ممتع وهو مترجم إلى العربية، **ألفه داتيس س. سميث** الذي عرف بأنه «**السفير الأمريكي للكتب**» والذي كان يشتغل رئيساً **لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر** لفترة امتدت أكثر من أربعة عشر عاماً، وهي المؤسسة الثقافية المعروفة. أما مترجمو الكتاب فهم **الدكتور محمد علي العريان** دكتوراه في التربية من جامعة كولومبيا سنة ١٩٥٢م، والأستاذ **عصمت أبو المكارم** ماجستير في المحاسبة عام ١٩٤٩م، والأستاذ **محمود عبد المنعم مراد** دبلوم المعهد العالي للصحافة والتحرير والترجمة عام ١٩٥٢م. وقد بدأ الكتاب بتصدير بقلم الأستاذ **أحمد رياض أباظة** المدير العام لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر الذي يقول عن إسناد عمل ترجمة الكتاب إلى المترجمين المذكورين: «ولعلي أطمئن بهذا أنني اعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها - على حد قول المثل العربي -».

وبعد التصدير كانت المقدمة بقلم الدكتور السيد **الصادق أبو النجا** الذي يستهل مقدمته بقوله:

«يعجبني في هذا الكتاب أنه وضع يده في «زكيبة الفحم» من أول صفحة. لم يكتف بالمبدأ والنظر، وإنما عالج التطبيق والممارسة.. لم يقل للقارئ «ماذا» وإنما قال «كيف». لم يطف فوق السطح، بل جال في الأعماق» (ص ٣).

يشتمل كتاب (صناعة الكتاب.. من المؤلف.. إلى الناشر.. إلى القارئ) على خمسة أجزاء في مجلد واحد، يضم نص الكتاب دون التصدير والمقدمة ٣٤٠ صفحة، في ٢١ فصلاً.

نشر الكتاب والتنمية

الجزء الأول وهو باسم : نشر الكتب والتنمية القومية ، ويشتمل على فصلين :

● **الفصل الأول - فن التدبير والمآرب العامة .**

ويستهل المؤلف هذا الفصل بقوله :

« في أي بلد سواء أكان مكتمل النمو أم في سبيل النمو والتطور ، فإن صناعة الكتب تعتبر صناعة صغيرة بالقياس المالي » .

ثم يستطرد المؤلف على قوله بهذا التمثيل الجميل إذ يقول :

« ولكن تماماً مثلما يستطيع محوّل صغير أن يحرك ويضبط آلة ضخمة أو جهازاً كهربياً يحمل الطاقة إلى مناطق بعيدة ، **فكذلك نشر الكتب يعتبر أيضاً « مفتاحاً » .**

ولكن أي مفتاح ؟ يقول المؤلف إن ذلك هو مفتاح للتنمية التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم للمواطنة الصحيحة . . وأن يبلغ هذا التوضيح للرأي العام ، أو على الأقل لمن بيدهم زمام التخطيط القومي » (ص ٥) .

والمؤلف في فصله هذا يتحدث مستطرداً عن الكتاب ونشره وقراءته التي يقول بصددها :

« **والقراءة الحرة التلقائية ، تمثل أرخص ضروب التعليم ، وهي خليقة بأن تنتصر على كل الصعوبات الأخرى بما في ذلك نقص المعلمين الجيدين ، وهي قمينة بأن تؤتي أكلها إذا توافرت الكتب الجيدة التي تتناول الحقائق الميسورة الفهم والأوضاع التي تمس حياة القارئ في خبراته** » (ص ٦) .

● أما **الفصل الثاني** من الجزء الأول للكتاب الذي نحن بصدده ، فهو باسم (**شركاء في عالم الكتب**) ، ويرى المؤلف في هذا الفصل أنه لكي تكون ثمة صناعة كتب يجب اتباع عناصر أربعة : « والعناصر الثلاثة الأولى تعتبر في حكم البديهيات المقررة التي يسهل فهمها :

١ ــ المؤلف الذي يكتب المخطوط .

٢ ــ الطابع الذي يحوّل المخطوط إلى طبعة من الكتب .

٣ ــ بائع الكتب الذي يعرض الكتب التي أنتجت .

ولكن الشريك الرابع هو الذي يحتل المركز الرئيسي والذي يعتبر عمله أقل الأعمال فهماً من جانب الناس الذين هم خارج ميدان الكتب ، وهذا الشريك هو : **الناشر** ، فالناشر هو المدير والمخطط والمنظم للمشروع برمته ، وهو الذي يجمع الشركاء الثلاثة الآخرين معاً . وهو الذي يأخذ عادة بزمام المبادرة في المغامرة في مشروع نشر الكتاب » (ص ١١) .

ثم يفصل المؤلف هذه العناصر الأربعة تفصيلاً دقيقاً جيداً . ومركزاً .

عملية نشر الكتاب

الجزء الثاني : وهذا الجزء من الكتاب يحتوي على سبعة فصول هي على التوالي :

١ ــ اقتصاديات نشر الكتاب .

٢ ــ إنشاء التحرير .

٣ ــ تحرير المخطوط .

٤ ــ تصميم الكتاب .

٥ ــ إنتاج الكتاب : الطبع والتجليد .

٦ ــ بيع الكتب .

٧ ــ الترويج للكتاب : تحضيض الناس على شراء الكتاب .

والمؤلف في هذا الجزء من كتابه يحاول مجتهداً إلى استيفاء موضوع نشر الكتب منذ طباعتها مروراً بتحريرها وتصميمها وتجليدها وبالتالي فيما بعد نشر الكتب على أسس وقواعد مادية مدروسة ومنسقة ، ويلاحظ على هذه الأسس أو البناء الفني - إن صح التعبير - لموضوع نشر الكتب وسيكولوجيتها أنه بناء مصطبغ بالنظرة المادية كالفصل الأول الذي خصصه المؤلف من هذا الجزء من كتابه عن اقتصاديات نشر الكتاب . ولا أعني أن هذه النظرة المادية عيباً من المؤلف بقدر ما أريد توضيح النظرة العامة في العمل الحياتي عند الغربيين عموماً .

أنواع نشر الكتب

الجزء الثالث : ويشتمل هذا الجزء على ستة فصول . وواضح أن المؤلف ، منذ الجزء الأول من كتابه فالجزء الثاني فالجزء الثالث هذا ، وهو يتحدث ويفصل القول عن نشر الكتاب أو الكتب . وسيتحدث أيضاً عن هذا النشر في الجزء الخامس وهو الجزء الأخير من الكتاب . ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية نشر الكتب وأقصد به « عملية » النشر للكتاب وطبعه وتوزيعه وبيعه حتى قراءته بالتالي في نهاية المطاف .

وهذه قضية ثقافية أو أنها ظاهرة علمية كبيرة منتشرة انتشاراً واسعاً في دور الكتب وطباعتها في البلدان المتقدمة كأمريكا الشمالية ودول أوروبا .

أما فصول هذا الجزء فهي :

١ ــ الكتب التجارية وأنواع أخرى من النشر .

٢ ــ الكتب الدراسية .

ويتحدث المؤلف في هذا الفصل عن استحسان بعض دور نشر الكتب وتوزيعها في الغرب في بعض الأحيان لطبع ونشر الكتب والمقررات الدراسية سواء كانت الابتدائية أو الثانوية .

٣ ــ كتب الأطفال : يقول المؤلف في هذا الفصل :

« **إن كتب الأطفال هي أهم كتب في العالم طراً ، ما في ذلك أدنى ريب (كذا) ، لأسباب ودواع عديدة . .** » .

وهذا صحيح ليس فقط بالنسبة للكتب الدراسية التي تستعمل في

قاعات الدرس للتعليم والتدريب ، وإنما أيضاً بالنسبة لكتب الأطفال التي يقرؤنها للتسلية أو المتعة خارج نطاق مناهج التعليم المقررة بالمدارس » .

ويضيف المؤلف مستطرداً :

« فالكتب الدراسية ليست كافية ولا وافية بالنسبة لبلد ترتفع فيه نسبة محو الأمية على نحو موصول مع وجود نقص في المعلمين الصالحين » (ص ٢١٥) .

٤ ـ التوزيع الكبير .

٥ ـ نوادي الكتب وكتب الاشتراكات .

وبودي أن أعطي القارئ لمحة عن هذا الفصل الذي يتحدث عن نوع جديد بالنسبة لأنواع الأندية وخاصة في البلدان المتقدمة وهو **أندية الكتب** . فللكتب في البلدان الراقية نواد ومنتديات منظمة ومنسقة تماماً كالأندية الأدبية والثقافية في دولنا النامية .

فهناك **نادي كتاب الشهر** في الولايات المتحدة الأمريكية ، **ونادي الكتاب العلمي ، ونادي الكتاب الديني ، ونقابة أدب الناشئة** . . . الخ . راجع (ص ٢٣٧) من الكتاب .

أما الفصل الأخير وهو الفصل السادس من هذا الجزء من الكتاب وهو الجزء الثالث فيتحدث عن (**الترجمة : نافذة على العالم**) . ويستهل المؤلف هذا الفصل بقوله : « **إن الترجمة تفتح نوافذ على العالم ، وتسهم في تغذية العقل وإثراء الروح على نحو لا سبيل إليه بأية طريقة أخرى** » (ص ٢٤٩) .

ثم يتحدث المؤلف ـ مستطرداً ـ عن صعوبات الترجمة ومشكلاتها بالنسبة للناشر .

وفي فائدة ترجمة الكتب وجدواها يقول المؤلف : « **وطوال العصور ، كانت التراجم من بين أكثر الكتب تأثيراً ونفوذاً** » .

ويستطرد المؤلف حديثه عن ترجمة الكتب ويشير إلى الترجمات العربية في تراثنا العريق حيث يقول :

« **والعالم الغربي بصفة خاصة يدين بالفضل العميق للإثراء والإحياء والتنبيه التي جاءت إليه عن طريق التراجم التي تمت في بلاد هارون الرشيد والمأمون ، إبان العصر الذهبي لبغداد** » (ص ٢٤٩) .

ويستطرد المؤلف حديثه عن فضل الترجمات **والكتب العربية** التي نقلت عن **اليونانية** وغيرها في بناء النهضة الأوروبية ، حيث يقول في (ص ٢٤٩) أيضاً :

« **ولا جدال في أن التراجم التي نقلت من التراث اليوناني إلى العربية ثم فيما بعد من تلك التراجم ومن الأعمال الأصلية لعلماء العرب والفرس إلى اللغات الأوروبية ، قد أسهمت بنصيب يعتبر من أهم ضروب الإسهام في عصر النهضة الأوروبية** » إ . هـ .

وفي جدوى الترجمة القومية يوضح المؤلف الفوائد من ذلك بقوله :

« على أن فائدة التراجم ليست مقصورة على التبادل الثقافي بين الدول أو بين العصور القديمة والحديثة . ففي الدول الكبيرة التي تستعمل لغات كثيرة ، تستطيع التراجم من لغة محلية إلى أخرى ، أو من اللغة المحلية إلى اللغة القومية ، أن تساعد في إيجاد روح الإخاء و التفاهم في نطاق الأمة الواحدة » (ص ٢٥٠) .

وفي فصل (الترجمة) هذا يتحدث المؤلف عن :

- اختيار الكتاب (المترجم) .
- الخطوات العملية في سبيل الترجمة .
- اقتصاديات نشر التراجم .

البناء من أجل المستقبل

الجزء الرابع من الكتاب ، وهو فصلان :

١ ـ المكتبات ، ومعرفة القراءة والكتابة ، وتنمية القراءة .

٢ ـ التعاون بين الناشرين .

وفي الفصل الأول من هذا الجزء عن القراءة ومتعتها أقتطف قول المؤلف :

« **إن متعة القراءة ، بمجرد أن يكتشفها قارئ جديد ، خليقة بأن تمكنه من المضي قدماً في تعليم نفسه وتثقيف عقله حتى بدون وجود المعلمين الكافين أو الاستمرار في التعليم بالمدرسة ، بشرط أن تكون الكتب في متناول يده وبشرط أن تكون ممتعة في قراءتها لأنها تشبع حاجاته وميوله واهتماماته** » (ص ٢٦٦) .

وعن المكتبات ونشر الكتاب في هذا الفصل يقول المؤلف مستطرداً :

« فالمكتبات والتعلم وتنمية الوعي بالقراءة ونشر الكتاب ، كلها مسائل ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، وأي تحسين أو نهوض بمستوى أي عنصر منها له تأثير مباشر مؤازر في العناصر الأخرى . . والمكتبات لا يمكن أن توجد ، ما لم تكن هناك صناعة لنشر الكتاب تنتج الكتب وتغذي المكتبات بالكتب التي تحتاج إليها » (ص ٢٦٥) .

وفي الفصل الثاني (**التعاون بين الناشرين**) من هذا الجزء الرابع من الكتاب يفصل المؤلف القول عن تعاون ناشري الكتب بعضهم ببعض ، وذلك في النقاط الست الآتية :

١ ـ العلاقات الحكومية .

٢ ـ علاقات تجارة الكتاب .

٣ ـ الترويج المشترك .

٤ ـ الوسائل الميسرة لمستقبل صناعة الكتاب .

٥ ـ تنمية وعي القراءة والترويج للمدى الطويل .

٦ ـ اتحادات نشر الكتاب .

ثم وفي نهاية جولتنا مع كتاب (صناعة الكتاب) نأتي لجزئه الأخير وهو الخامس ، الذي يضم أربعة فصول وهي تتحدث عن : حقوق النشر وعقوده . وبعض الملاحظات على محاسبة نشر الكتاب . ومحل بيع الكتب بالقطاعي ثم التدريب الخاص بصناعة الكتب .



مدن وأماكن المغرب العربي



أغـاديـر :

إحدى مدن المغرب الأقصى تقع على **المحيط الأطلسي** ، عـدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة ، تعتبر **عاصمة إقليم سوس** ، الذي يبلغ عدد سكانه ما يقـارب مليـون ونصـف المليون نسمة ، يعتبر ميناء هذه المدينة منفذ إقليم سوس الفلاحي ، وقد أصبح **أول ميناء لصيد سمك السردين في العالم** مما جعل منه كذلك أول مينـاء لصـيد الأسمـاك في المغرب ، كما **يحتل كذلك الدرجة الثالثة في تصدير الحمضيات** في المغـرب ، أصاب أغادير **زلزال** مدمر سنة ١٩٦٠ م ، وقد أعاد بناءها الملك الراحل محمد الخامس .



بجـاية :

مدينة ساحلية على البحر المتوسط ، سياحية بطبيعتها الخلابة لـوجود الجبـال والغـابات بها ، فيها ميناء **من أكبر موانىء شمال إفريقيا** ، يصدر عن طريقه **زيت الـزيتـون والتين والصوف والجلود والمعادن** . وبجاية مدينة تاريخية عـريقة ، كانـت في القـرن الخامس الميلادي مدينة منيعة بحصونها التي شيدها **الفاندال** . أصبحـت **عـاصمة بـني حماد** سنة ١٠٩٠ م ، استولى عليها الفرنسيون ١٨٣٣ م ، وهـي **مـرفأ بـترولي هـام** ، ومركز دائرة **ولاية «سطيف»** ، عدد سكانها ٥٠ ألف نسمة .



تطـوان :

مدينة تاريخية **أسسها أبو عمر بن ثابت بن عبـد الله المريـني** سـنة ١٣١٠ ميلادية ، تقع على بعد ١٠ كيلومرات من شاطىء البحر المتوسط ، يبلغ عدد سكانها حالياً ٢٧٥ ألف نسمة ، اتسعت عماراتها خلال القرن التاسع الهجـري حيـث هـاجر إليهـا **الأندلسيون** الذين جددوا بناءها ، وأصلحوا الكثير مـن مـرافقها . . . **وقـد** تعـرضت تطوان إلى كل من الاستعماريين الإسباني والفرنسي ، تشتهر بشواطئها وفنـادقها السياحية ، وصناعاتها اليدوية التقليدية .



الثلاثاء (سوق) :

مركز تجاري مهم في **سهل الشياظمة** ، من الأسواق المغـربية الـكبرى تجـري فيـه المبادلات التجارية ، فيبيع فيه الفلاحون المواشي والمنتوجات الزراعية ، ويـتزودون بـكل مـا يحتاجون إليه في حياتهم اليومية من سكر وشاي ومـلابس وغـير ذلك ، وفي القـطر المغـربي أسواق كثيرة تضطلع بهذه المهمة أمثال **سوق الأربعاء** في المغرب **وسوق الأحـد** في الريف .



الجـديـدة :

كانت مركزاً تجارياً برتغالياً بين القرن ١٦ ومنتصـف القـرن ١٨ م ، كان يسـميها البرتغاليون **البريجة** تقع على ساحل المحيط الأطلسي ، بها أسـوار وقـلاع بـرتغالية . يحتـل ميناؤها المرتبة التاسعة في تصبير السمك ، وتعليبه وتحضير مصبرات الخضر ، وظيفتها تتجلى في دورها كمنفذ **لسهل دكالة** ، تصدر منه الحبـوب ، وهـي كذلك مـنطقة سـياحية بشواطئها **الوليدية** وشاطىء **سيدي بوزيد** وغيرهما . . ويبلغ عدد سكانها ١١٠ آلاف نسمة .



الحسيمة :

مدينة مغربية تقع على شاطىء البحر المتوسط، تبعد عن العاصمة الرباط بـ ٤٤٤ كيلومتراً، تشتهر بفنادقها السياحية ذات الدرجة الممتازة، يؤمها السياح من كل بلدان أوروبا، بها كذلك مطار مدني، **وتشتهر بصيد الأسماك والصناعة التقليدية .**



خريبكة :

مدينة ومركز صناعي مغربي **توجد فيه مناجم الفوسفات**، يمد المغرب بـ ٤/٥ الإنتاج، ويليه **مركز اليوسفية وابن كرير** ويصدر الفوسفات عبر ميناء **الدار البيضاء** نحو بلدان السوق الأوروبية المشتركة والاتحاد السوفياتي والشرق الأقصى، وتبعد عن العاصمة بـ ٢٠٧ كيلومترات .



الدار البيضاء :

أكبر مدن المغرب مساحة وسكاناً، تقع على المحيط الأطلسي، مساحتها ١٨٠ كلم٢، وعدد سكانها مليونا نسمة، وتعتبر العمالة الأولى في المغرب، **وهي عاصمته الاقتصادية والتجارية والمالية**، بها **أكبر ميناء في شمالي إفريقيا**، تشتهر بمعرضها الدولي الذي يقام كل سنتين، وبها مؤسسات بنكية وتجارية، وهي منفذ لناحية الشاوية الغنية بمحصولاتها الزراعية بالإضافة إلى الصناعات الأخرى الغذائية والمعدنية والكيميائية والنسيجية وبها **مطار النواصر** لدولي .



غذامس (واحة) :

من أهم الواحات الموجودة في الجهة الغربية من **صحراء ليبيا** تقع **عند ملتقى الحدود التونسية والجزائرية** على الحدود مع طرابلس، توجد فيها مدينة غذامس مركز متصرفية (محافظة غريان) . **سكانها خليط من العرب والبربر والزنوج**، بها زراعة **النخيل**، وفيها **صناعات يدوية**، ولهذه الواحة ماض مهم في التجارة الصحراوية مع أواسط إفريقيا .



أرزو :

مدينة **جزائرية** تقع على البحر الأبيض المتوسط، وهي تابعة لولاية **وهران**، تعتبر أهم ميناء لتصدير الغاز والبترول في الجزائر، تقوم بها صناعة بتروكيماوية، وفيها مصفاة للبترول، تمتاز بشواطئها السياحية الرملية .



زويلة :

بلدة **ليبية** توجد على ملتقى الطرق الصحراوية، وهي مركز مديرية [**محافظة** (سبها)]، فيها قبر «**دعبل الشاعر**»، سكنها **إباضيون**، راجت فيها النخاسة وتجارة الجلود، فيها حبوب وأشجار مثمرة، تقع في مجموعة واحات **الفزان .**



سوسة :

مدينة **تونسية** كانت تسمى قديماً «**هيدرومينوم**» . أسسها **الفينيقيون** نحو القرن التاسع قبل الميلاد، ومنها خرج **هنيبعل** في حملته على «سقيبيون» . اشتهرت في **العهد البيزنطي، فدعيت (يوستنيانوبوليس)**، رممها **الأغالبة** في القرن ٩م، وأصبحت مرفأ عسكرياً سنة ٨٣٧م . فيها ديماميس واسعة استعملها المسيحيون في القرنين الثاني والثالث مدافن لهم، وفيها كذلك مقبرة رومانية، وهي مركز صناعي هام، بها ميناء ثانوي يصدر الزيوت والحلفا، وهي عاصمة إقليمية للساحل ومركز لإنتاج السيارات والشاحنات والمواد الغذائية .



شفشاون :

وتسمى كذلك بالعامية «**الشاون**» مدينة مغربية تاريخية أسسها المجاهد «**علي بن راشد**» سنة ٨٧٣هـ/١٤٧١م، اشتهرت هذه المدينة منذ القدم بكونها مدينة للجهاد ومنطلقاً للأبطال الذين حملوا راية التحرير ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي الذي تعرضت له، لها أهمية اقتصادية تتجلى في صناعاتها التقليدية والفولكلورية، وهي مدينة سياحية لجمال طبيعتها وهدوئها .



صور الغزلان :

مدينة **في الجزائر** تقع على سفح **جبال البيبان**، مركز دائرة (**ولاية المدية**)، وهي سوق ريفي لتسويق الحبوب والزيوت والألبان . هي «**أوزيا**» القديمة **في العهد الروماني**، وتعتبر هذه المنطقة جبلية كلسية تخترقها ممرات أبواب الحديد .



الضاية (مرتفعات) :

منطقة في الناحية الشمالية الغربية من **الجزائر**، تقع فيها مدينة **تلمسان** بالقرب من الحدود المغربية، توجد بها **تلال** كثيرة تحيط بها **غابات** كثيفة، يرتكز اقتصادها على الحبوب وبجوارها إلى الجنوب توجد مساحات شاسعة من نباتات الحلفا .



طنجة :

مدينة مغربية تقع في الضفة الجنوبية لبوغاز **جبل طارق** بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي أسسها الفينيقيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ثم اتخذها **الرومان** عاصمة لمستعمراتهم بالشمال الإفريقي، أصبحت منطقة دولية سنة (١٩٢٣ - ١٩٥٦م)، فكانت مقراً لقناصل الدول الأجنبية، تلقب «بعروس الشمال» . بها ميناء تجاري

وسياحي ، وهي عاصمة المغرب السياحية ، بها صناعات تقليدية فخارية وجلدية ، توجد بها آثار قديمة كضريح الرحالة المغربي **ابن بطوطة** وكهوف **هرقل** ، **وجبل «مارشان»** وغيرها .



الظهرة (جبال) :

بلاد جبلية **جزائرية** يبلغ ارتفاعها ألف متر عن سطح البحر ، تقع على الشريط الشمالي المطل على البحر المتوسط بين **مليانة ومستغانم** المدينة التي تشتهر بالصناعات الغذائية كالسكر ، وفيها معامل كذلك لمعالجة الشمندر ، سكان هذه المنطقة من البربر .



عنابة :

كانت تسمى سابقاً **(بونة)** مستعمرة قرطاجية ، وعاصمة ملوك **نوميديا** ، ومقر أسقفية القديس **«أوغسطينس»** وكانت تدعى **«هيبون»** ، وهي عاصمة ولاية عنابة تطل على البحر الأبيض المتوسط ، مركز اقتصادي وصناعي ، تصدر الحديد والفوسفات ، والحمضيات ، والحلفا . بها صناعة المنسوجات والتبغ والقاطرات الحديدية ، بها مركب لصناعة مشتقات الفوسفات كالحامض الكبريتي ، وبها إنتاج زراعي ، وموارد معدنية كالرصاص والزنك والنحاس .



غارداية :

مدينة **جزائرية** تلقب **«بجوهرة الواحات»** ، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ ٦٠٠ كيلومتر على طريق معبد ، توجد في سهل **وادي ميزاب** وسط أشجار النخيل الباسقة ، تنتشر قراها وضواحيها على مسافة ٢٠ كيلومتراً تقريباً ، وهي مدينة سياحية في فصل الربيع لجوها المعتدل وزهورها الجميلة ، وهي مركز تجاري نشيط لوجود أسواق كثيرة بها ، تقوم فيها صناعات فولكلورية خاصة صناعة البسط ذات النقوش البديعة .



صفاقس :

تعتبر **المدينة التونسية الثانية من حيث السكان** ، بعد تونس العاصمة ويبلغ عدد سكانها ٧٥ ألف نسمة ، ويعتبر ميناؤها من أفضل الموانىء تجهيزاً في كل النصف الجنوبي من القطر التونسي ، وهي مركز مهم **للصيد البحري** ، كما يوجد بها **معدن الفوسفات** ، وهي منطقة فلاحية تشتهر بإنتاج **الزيتون واللوز .**



القنيطرة :

مدينة **مغربية** تقع على المحيط الأطلسي ، عاصمة سهل الغرب وأكبر مدنه ، تقع على مجرى **نهر سبو الأسفل** ، يحتل ميناؤها المرتبة الثالثة في البلاد ، وهي مركز تجاري وصناعي هام بها صناعة المعلبات والنسيج والورق المقوى وصناعات غذائية كصناعة الزيت وعصير الليمون ، ويعود تاريخ تأسيسها إلى ١٩١٥م ، وهي منطقة سياحية في فصل الصيف لوجود مصطاف **المهدية** بقربها .



الكاف :

مدينة في **تونس** على الناحية الغربية مع الحدود الجزائرية ، **كانت مركزاً فينيقياً** قديماً يعرف بـ **«سيكافيناريا»** ، اشتهرت بهيكل آلهتها الشرقية . جعلها **«أغسطس»** مستعمرة رومانية ، ويبلغ عدد سكانها ٢٣ ألف نسمة ، وأهم منتوجاتها الفلاحية زراعة **القمح والحبوب .**



طرابلس (الغرب) :

عاصمة جمهورية **ليبيا** تقع على البحر المتوسط ، وهي عاصمة اقتصادية وسياسية وأكثر مدن ليبيا حيوية ونشاطاً ، يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ ألف نسمة ، وميناؤها رئيسي في البلاد ، بها آثار قديمة ، وأبنية عصرية حديثة ، تشتهر بمعرضها الدولي السنوي ، تحتل المرتبة الأولى في الصناعة ، لكن بها مؤسسات صناعية صغيرة وإنتاجها يقتصر على بعض السلع الضرورية للاستهلاك المحلي ، من مرافقها العامة الجامعة الطلابية .



المدية :

كانت هذه المدينة الجزائرية إحدى حصون وقلاع الثورة الجزائرية ، أسست في عهد **«الصنهاجيين»** ، إحدى ولايات القطر الجزائري ، تبعد عن العاصمة الجزائر بـ ٩٠ كليومتراً ، تنتشر فيها **صناعات القرميد والآجر وصناعة الأحذية والكلس** بالإضافة إلى صناعة المضخات ، كما أن هناك صناعة تقليدية ، وهي مدينة زراعية تنتج محاصيل مختلفة **كالقمح والشعير والفواكه** ... مع الاهتمام **بتربية الأبقار والأغنام والدواجن** ، من منشآتها الحديثة **مركب أولمبي** لمختلف الرياضات .



نفطة :

مدينة توجد في تونس ، كانت تسمى عند الرومان **«نبتة»** بلدة وواحة تقع في **غربي تونس** قرب **شط الجريد** ، مركز معتمدية **«قفصة»** تمتاز بكثرة مياهها ، ويزيد عدد النخيل فيها على مئتي ألف نخلة . عدد سكانها ١٥ ألف نسمة .



الهوقار (جبال) :

ويقال لها أيضاً الحَجَّار ، وهي كتلة جبلية بركانية في صحراء الجزائر ، يبلغ علوها ٣٠٠٠ متر ، تشتمل على أشكال تضاريسية هندسية تعبِّر عن مدى الجفاف الذي يمنع الحياة النباتية وبالتالي يحول دون تكوين غطاء من التربة فوق السفوح ، ويقطن هذه المنطقة الطوارق وهم إحدى القبائل البربرية التي تعيش متنقلة بين الصحارى الإفريقية ، وأهم مدن منطقة الحَجَّار مدينة تمنراست .



وليلي :

كانت تسمى في عهد الرومان بـ **«قصر فرعون»** تبعد عن مكناس المدينة المغربية بـ ٢٦ كيلومتراً ، تعاقب على حكمها حينما كانت مستعمرة رومانية في القديم سبعة أباطرة رومانيين وذلك ابتداء من سنة ٩٦ إلى سنة ١٩٢ ميلادية ، وكانت مقر نائب الملك وعاصمة موريتانيا طنجيتان . وهي الآن منطقة سياحية تاريخية بها أطلال رومانية **«كقوس نصر»** و **«طريق ماكسموس»** .



يفرن :

مدينة في **ليبيا** تقع في الناحية الشمالية الغربية على الحدود مع تونس ، وهي مركز متصرفية **(محافظة غريان)** ، تقوم بها صناعات يدوية وبها زراعة بعلية وفيها مراع للسهوب ، وإلى الجنوب منها يوجد **جبل (نفوسة)** الذي هو عبارة عن جرف كبير يتراوح ارتفاعه بين ٩٦٠ و ٩٧٠ متراً ، وسكان هذا الإقليم من البربر ويعتمد نشاطهم على الزراعة الشجرية .. **«نخيل زيتون وتين»** .

مناقشات و تعليقات

المسلمون في يوغوسلافيا

كانت مجلة **(العربي)** قد نشرت استطلاعاً عن **مسلمي يوغوسلافيا**، وردت فيه بعض النقاط التي تستدعي الملاحظة وتستوجب التعليق، وحيث إنني أمضيت في تلك البلاد خمسة أعوام كاملة ـ أثناء خدمتي الدبلوماسية ـ كنت خلالها على اتصال مستمر بمسلميها، فقد رأيت من واجبي أن أبادر إلى تسجيل ملاحظاتي على ذلك الاستطلاع، وبعثتها لتنشر في المجلة نفسها. إلا أنني فوجئت بعددها الصادر في شهر آب (أغسطس) ١٩٧٨م، بتعليق يحمل توقيعي، لكنه تضمن فقط بعض ملاحظاتي التي صادفت هوى في نفس هيئة التحرير!! وقد حزَّ في نفسي أن تسمح مجلة عربية كبرى لنفسها بالتصرف فيما يردها من تعليقات دون أن تشير ـ على الأقل ـ إلى أنها اختصرتها أو اجتزأت منها، بل إنها نشرت ما نشرت وكأنه هو تعليقي كاملاً غير منقوص، وفوق ذلك ذيَّلته بتوقيعي!! وكان بوسعها مثلاً أن تقول: «وردنا تعليق من (فلان) تضمن بعض الملاحظات على استطلاعنا عن مسلمي يوغوسلافيا نقتطف منه ما يأتي... الخ» مراعاة للأمانة الصحفية، لكنها لم تفعل!!

لهذا أجد نفسي الآن في حلٍّ من نشر ذلك التعليق خدمة للحقيقة وتنويراً للقراء، فأقول:

من واجبي وواجب كل مسلم أن يشكر لمجلة «العربي» إلتفاتاتها الكريمة بنشر استطلاع عن «**الحضارة العربية الإسلامية في يوغوسلافيا**». ولكم كنت أتمنى أن تعير صحافتنا العربية ووسائل إعلامنا شيئاً من الاهتمام لإخواننا المسلمين المرابطين في أعماق القارة الأوروبية. ولكن الاستطلاع الذي نشرته «العربي» في عددها الصادر في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٨م، خلافاً للاستطلاعات القيمة الغنية التي عودتنا عليها، جاء هذا الأخير مخيباً للآمال! فقد كان استطلاعاً سطحياً جمع فيه كاتبه معلومات قليلة مما يدور على الأفواه، ثم إنه ركز على معلومات معينة وتجاهل معلومات أخرى.

ولعل من المفيد أن أوجز ملاحظاتي عن الاستطلاع في نقاط محددة، منعاً للاستطراد الذي قد يجرنا إليه الحديث، والحديث ذو شجون:

١ ـ من النقاط الأساسية التي أغفلها الاستطلاع، المقدمة التاريخية التي تلقي الضوء على **دخول الإسلام إلى البلقان ويوغوسلافيا بالذات**، إذ لا يكفي أن يقال إن **التجار العرب** قد عرفوا شواطئ يوغوسلافيا وتاجروا مع أهلها، وإن بعض هؤلاء أعجبوا بالإسلام فاعتنقوه! كما لا يكفي أن يقال إن **الجيوش العثمانية** قد فتحت أقاليم يوغوسلافيا، وإن بعض أهلها اعتنقوا الإسلام بسبب ذلك الفتح. هذا بالتأكيد لا يكفي، ولا بد من مقدمة تاريخية مركزة مدعمة بالحقائق والتواريخ، وإن لم يزد حجمها عن نصف صفحة، فتنير الطريق أمام القارئ، وتعرفه بأن الإسلام قديم في البلقان، حتى إن **ياقوت الحموي** لقي بعض **مسلمي المجر** في أوائل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وكانوا على **مذهب أبي حنيفة**[1]. **وهكذا فإن الإسلام في تلك المناطق الأوروبية أقدم بكثير من الفتح العثماني**[2]. بل إن **أبا حامد الغرناطي** المتوفى سنة ١١٦٩م ـ وهو عالم مسلم ورحالة عاش في المجر وتولى **مشيخة الإسلام** فيها ـ تحدث في كتابه «**تحفة الألباب ونخبة الآداب**»[3] عن المسلمين هناك قبل ياقوت بحوالي قرن من الزمان. وهكذا فإن العثمانيين عندما دخلوا يوغوسلافيا، وجدوا تربة صالحة لنشر الإسلام بدون اكراه[4]، ولا سيما في **منطقة البوسنة والهرسك**. أقول إن مثل هذه المقدمة ضرورية للقارئ العربي، للتعرف على إخوانه المسلمين، الذين هم في غالبيتهم العظمى من **العنصر السلافي** الذي اعتنق الإسلام ولم يكونوا من المهاجرين الأتراك أو غيرهم، كما قد يتوهم البعض، وهم بالفعل لا يزالون يتكلمون لغة سلافية لا تختلف عن لغة **صربيا أو كرواتيا أو الجبل الأسود**، وليس لهم لغة غيرها، إلا أنهم يصرون على أن قوميتهم هي «**الإسلام**»، ولا قومية لهم غيره، وقد اعترفت الحكومة اليوغوسلافية لهم بهذه القومية.

٢ ـ كان من واجب كاتب الاستطلاع، أن يشير إلى **التنظيمات الإسلامية في يوغوسلافيا**، فيشير إلى وجود إدارة مركزية في **سراييفو** برئاسة رئيس علماء مسلمي يوغوسلافيا (وهو الآن **الشيخ نعيم الحاج عبديتش**)، وهو المفتي الأكبر، وإلى جانبه مجلس من كبار العلماء يتولى الإشراف على المساجد والمدارس الدينية والبعثات وإدارة الأوقاف. وأن في كل جمهورية من جمهوريات يوغوسلافيا الست رئيس علماء يدير شؤون مسلميها، ومثل ذلك في **إقليم (كوسوفو)** الذي يتمتع بالحكم الذاتي، والذي يقطنه أغلبية من **الألبان**. وهذا الوضع يجعل مسلمي يوغوسلافيا أعظم جماعة إسلامية منظمة في أوروبا، لذلك فهي أصلح قاعدة إسلامية لنشر الدعوة الإسلامية في أوروبا[5] بالنظر لتنظيماتها وموقعها الجغرافي.

٣ ـ أغفل الاستطلاع **التعليم الديني في يوغوسلافيا**، فلم يحدثنا عن **مدرسة الغازي خسروبك في سراييفو**، التي حلت محلها «**كلية الدراسات الإسلامية**» الجديدة، كما لم يتناول المدارس الثانوية الدينية الموجودة في بعض المراكز المهمة مثل سراييفو وبرشتينه، وهي التي تخرج الأئمة والخطباء، ومن بين خريجيها يرسل المبعوثون للدراسات العليا في الخارج. هذا علاوة على **الكتاتيب** في المساجد، وهي التي يذهب إليها الأطفال في صبيحة كل يوم أحد، بينما يذهب إليها البالغون في أمسيات اليوم المذكور، لتعلم **القرآن الكريم واللغة العربية والفروض الدينية**. من ذلك مثلاً أنه **كان في سنة ١٩٧٤م، وفي منطقة واحدة ٤٢ مسجداً لتحفيظ القرآن الكريم، و ٢٥ مدرسة لتعليم العلوم الدينية، وهي تضم**

مناقشات و تعليقات

حوالي أربعة آلاف تلميذ [6] .

٤ ـ كذلك لم يتناول الاستطلاع **المكتبات الإسلامية** ، وفي مقدمتها مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو ، وهي التي تحوي عدداً غير قليل من **المخطوطات** العربية والتركية والفارسية والصربية ، فضلاً عن مكتبات الإدارات الدينية والمساجد [7] .

٥ ـ يوحي الاستطلاع لقارئه بأن **الدول العربية والإسلامية** مقصرة كل التقصير بحق مسلمي يوغوسلافيا ، وأن **مصر** وحدها هي التي تقدم المنح لأبناء المسلمين اليوغوسلاف . . وهذا غير صحيح ، وأنني كممثل دبلوماسي خدم في يوغوسلافيا خمس سنوات كاملة ، أستطيع أن أصحح هذه الأفكار ، **فأقول** بأن الدول العربية لم تكن مقصرة إلى الحد الذي يوحي به الاستطلاع ، فإن **العراق** ، مثلاً ، قدم ثلاثين منحة للطلبة المسلمين لدراسة الشريعة الإسلامية في **بغداد** ، مع سبع منح للبنات المسلمات ، وهذا ـ في ظني ـ

حدث تاريخي لعله يقع لأول مرة في تاريخ مسلمي أوروبا ، إذ تتصدى سبع بنات لدراسة الشريعة ! (وقد لقي الأستاذ سقا أميني بعض هؤلاء في يوغوسلافيا بعد تخرجهم) . أقول وهذه المنح هي غير المنح التي تقدمها العراق للطلبة اليوغوسلاف عموماً على أساس اتفاقيات التعاون الثقافي بين البلدين ، وهي مفتوحة للطلبة المسلمين وغير المسلمين على السواء .

ثم إن **الجامعة الإسلامية الليبية** كانت تقدم أيضاً منحاً سخية للطلبة المسلمين بالذات . وأود أن أقول بهذه المناسبة ، خدمة للحق ، بأن إخواننا مسلمي يوغوسلافيا كانوا يتشكون (وكان ذلك في أواخر الستينات) من أن المنح المصرية كانت تقدم بواسطة الحكومة اليوغوسلافية ولا تخصص للمسلمين وحدهم ، ولذا كانت الاستفادة منها للدراسات الإسلامية محدودة .

٦ ـ أما بالنسبة **للكتب والمجلات** ، فأقول لو أن كاتب الاستطلاع كلف نفسه عناء مراجعة **المكتبات الإسلامية** سواء في معاهد التعليم أو المساجد ، لوجد أن كثيراً من الكتب القيمة فيها مهداة من الدول العربية ، بل إنه لو تفقد **مكتبة جامع بلغراد** (وهو جامع البيرقلي ، وليس « البيرمكي » كما توهم كاتب الاستطلاع ، إذ كان يرفع على مئذنته علم (بيرق) عندما يحين

موعد الأذان أثناء النهار ، فيراه مؤذنو مساجد بلغراد الأخرى ، وكان عددها ٢٠٠ مسجد ، فيؤذنون بأذانه !) ، أقول لو تفقد مكتبة هذا الجامع لوجد فيها عدداً غير قليل من الكتب الإسلامية التي أهدتها الحكومة العراقية ، وبينها عدد من المصاحف ، بل لو سأل صديقنا **الشيخ حمدي يوسف سباهيش ، مفتي بلغراد** ، لأخبره بوجود تلك الكتب . وعلاوة على ذلك فقد تبرعت **رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة** بخمسة آلاف كتاب عام ١٩٧٤ م ، لمكتبة أحد المساجد [8] ! !

٧ ـ أن الحكومات العربية ـ وإن كان بعضها مقصراً ـ لم تتردد في دعم مسلمي يوغوسلافيا كلما دعت الحاجة ، من ذلك أن **المملكة العربية السعودية** قدمت عام ١٩٧٤ م ، مبلغ ربع مليون دولار صحبة السيد محمد صفوة سقاأميني (الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) مساهمة منها في إنشاء مبنى **كلية الدراسات الإسلامية في سراييفو** ، كما تبرعت

حكومة الكويت بخمسين ألف دولار ، **وحكومة ليبيا** بعشرين ألف دينار ليبي ، **وحكومة السودان** بعشرة آلاف جنيه استرليني [9] للمشروع نفسه ، ولم تتأخر تلك الحكومات عن تقديم العون في مناسبات أخرى ، أذكر منها ؛ أن **الزلزال** عندما ضرب **مدينة سكوبيا** (عاصمة جمهورية مقدونيا) في تموز (يوليو) ١٩٦٣ م ، وتعرضت مساجدها الأثرية للخراب ، بادرت الحكومة

هذه بضع ملاحظات عنّت لي وأنا أطالع استطلاع « العربي » وقد دفعني إلى إبدائها حرصي على وضع النقاط على الحروف ، وأملي وطيد بأن يتسع لها صدر المشرفين على المجلة العربية الغراء ، فيتقبلوها بروح التسامح ، ويعملوا على استكمال ما ورد فيها في استطلاع تال إن شاء الله .

العراقية بتقديم مبلغ كبير خصص لعمارة تلك المساجد (علاوة على العون المباشر الذي قدمته للحكومة اليوغوسلافية) ، وقد قمتُ شخصياً بتقديم المبلغ إلى المرحوم **الحاج سليمان كمورا رئيس العلماء** آنذاك . وقدمت الحكومة العراقية بعد ذلك بعامين معونة مادية سخية لمسلمي إحدى المدن التي ضربها الزلزال في **جمهورية الجبل الأسود** أو « مونتو نيغرو » كما يسميها الإنكليز (وليس « مونسجرو » وهو الاسم الوارد خطأ في الخارطة الملحقة بالاستطلاع ، علماً بأن اليوغوسلاف يسمونها « سيرنا غورا ») .

هذا وإنني أشارك كاتب الاستطلاع المحترم رأيه في أن **من واجب الدول العربية ابداء اهتمام أكبر بإخواننا المسلمين في يوغوسلافيا ، ومدهم بالعون المادي والأدبي ، ولا سيما بالكتب والمجلات على اختلاف أنواعها** لإبقاء الصلة الروحية حية بيننا وبينهم ، فإنهم كما وصف حالهم أحد كبار علمائهم : « يعيشون في غربة روحية ، وأن أي شيء يردهم من إخوانهم المسلمين ، مهما كان صغيراً ، سيساعد على تبديد تلك الغربة » .

والله ولي التوفيق .

المراجع

١ ـ ياقوت الحموي « معجم البلدان » طبعة أوروبا .

٢ ـ الدكتور إسماعيل باليتش « الإسلام في المجر » ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٣ ـ محمد صفوة سقا أميني « المسلمون في يوغوسلافيا » ، بيروت ١٩٧٤ م .

مناقشات وتعليقات

٤ ــ «محنة الإسلام في يوغوسلافيا» ، من مذكرات مؤتمر العالم الإسلامي المعقود في الصومال سنة ١٩٦٤م .

٥ ــ الدكتور سامي الصقار «مذكرات وخاطرات من يوغوسلافيا» ، لا تزال مخطوطة .

الهوامش

(١) ياقوت «معجم البلدان» ، طبعة أوروبا ، ج ٤٦٩/١ وما بعدها .

(٢) محنة الإسلام في يوغوسلافيا» ، من مذكرات مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في **الصومال** سنة ١٩٦٤م ، ص ٤ .

(٣) الدكتور إسماعيل باليتش «الإسلام في المجر» ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص ١٥ ــ ١٦ .

(٤) محنة الإسلام ، ص ٨ .

(٥) محمد صفوة السقا أميني «المسلمون في يوغوسلافيا» ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٣٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٧) وقبل نشر هذا التعليق تلقيت رسالة مؤرخة في ١٩٧٨/١٠/١م ، من الأستاذ نياز شكريج ، أمين مكتبة الغازي خسرويك في سرايبفو (وهو حاصل على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد) ، يقول فيها : «استطلاع (العربي) فيه نواقص كثيرة وتشويش حالتنا الإسلامية ، فمثلاً كاتبه لم يذكر مكتبة الغازي خسرويك في سرايبفو وثروتها من المخطوطات العربية والتركية والفارسية ــ وهي أزيد من عشرة آلاف مخطوطة ــ ما عدا الكتب المطبوعة باللغات المختلفة ، وهي المكتبة الرابعة في أوروبا من حيث المخطوطات الإسلامية القديمة» .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

د . سامي الصقار

سفير العراق في يوغوسلافيا سابقاً

ومن أساتذة التاريخ الإسلامي بجامعة الرياض (كلية الآداب)

اختراع البارود

جاء في تاريخ التمدن الإسلامي **لجرجي زيدان** ، أن اختراع البارود كان سنة ٧١٩ هجرية ، وأن العرب أسبق إلى اختراعه من الافرنج . ويقول المؤرخ **حبيب الله بهاء السلطان** في رسال له حول هذا الموضوع ، إن الشاعر الإيراني **أسدي الطوسي** المتوفي سنة (٤٦٥ هـ) وأول من ألف قاموس للغة الفارسية ، كان قد ذكر في كتابه المعروف به (**كر شاسب نامه**) ما يدل على أن في زمان (**نريمان**) جدّ (**رستم**) الفارس الشهير الإيراني ، كانوا يستخدمون المدافع المعمولة من النحاس في محاربتهم ، وأن القنابل في ذاك الزمان كانت حجارة يزيد وزنها على مئة رطل . كما هو معمول في زماننا في أوائل القرن العشرين .

وقد قام المؤرخ بهاء السلطان بترجمة الأبيات المختصة بهذا الصدد من أشعار أسدي الطوسي من الفارسية إلى العربية ، تأييداً لما ذكر في تاريخ التمدن الإسلامي ، بأن البارود كانت العرب والعجم تستخدمه في محاربتهم . ولا يصح نسبة هذا الاختراع إلى **شوارتز** في سنة (٧١٩ هـ) ، لأن العرب استخدمته قبل ذلك بنصف قرن في «**سجلماسة**» ، والفرس استخدمته قبل هذا التاريخ في محاربة نريمان مع اللصوص الذين تحصنوا في قلعة **اسبنده** . وباستخدام المدفع والبارود غلبت اللصوص على (نريمان) بعد أن حاصر القلعة ثلاث سنين متواليات . وخدمة للتاريخ نورد الأبيات المترجمة للمؤرخ بهاء السلطان :

نريمان در آن باركاه شهي ... همي بود تاشد زمر دم تهي

(نريمان في تلك الخيمة الملوكية ... بقي حتى أصبحت خالية من الناس)

شب **آخر ش** بود شب زنده داشت ... همي بيش **يز دان** سرا فكنده داشت

(فكانت آخر لياليه ، فأحيا الليل جميعاً ... وكان رأسه منحنياً أمام الرب)

مرآن خيمة بدبيش برج حصار ... درآن برج **بمو دي** شه قلعة دار

(والخيمة كانت منصوبة بإزاء برج الحصار ... وفي ذلك البرج كان سلطان القلعة)

يكي ديك منجر درآن برج بود ... كه **تير ش بد از** سنك صد من فزود

(وكان قدرٌ في ذاك البرج ... وقنبلته أكثر وزناً من قنطار)

بدارو مرآن رعد ابنا شتند ... همه روز **تا شب** نكهد اشتند

(ملأوا تلك القدر من البارود ... وأبقوه حتى الليل)

از آن برج آن سنك **آمدر ها** ... بدان اتش **ودود** جون اردهها

(فمن ذلك البرج أفلت ذاك الحجر ... بين النار والدخان كحية تخرج من فمها النار)

نريمان **در آن بار كه در** نماز ... **بدر كاه** يزد انش **بو دي** نياز

(نريمان في الخيمة كان مشغولا بالصلاة ... وكان يناجي إلى باب الله)

از آن بس **كز ان** كين **كذ شته** سه سال ... همه دشمن و دو ست وا زان ملال

(حاصروا القلعة ثلاث سنين ... وملّ الأعداء والأحباء من ذلك)

زيا لا جو آن رعد **انداختند** ... جهان **از** نريمان **بير** داختند

(فلما ألقوا تلك الصاعقة من الأعالي ... جعلوا الدنيا خالية من وجود نريمان)

فإذا اعتبرنا حكاية (نريمان) والمدفع والبارود حقيقية ، يستنتج منها أن الفرس استخدموا المدفع والبارود قبل ميلاد المسيح بقرون ، وإذا اعتبرنا هذه الحكاية خرافية أو أسطورية ، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الفرس كانوا يستخدمون البارود والمدفع في عصر (أسدي الطوسي) أو قبله .

ويقول المؤرخ بهاء السلطان : إن الشاعر الطوسي ، ذكر في أشعاره وجود **المدافع** ، وشرح طريقة استعمالها ، وكيف كانوا يطلقونها بواسطة **البارود** ، كما كانت جيوش الدول تفعل في مطلع القرن العشرين ، وإلا فمن أين عرف أسدي الطوسي وجود البارود والمدفع وطريقة استعمالها ، كما شرحها في كتابه ؟ ولا يعلل ذلك إلا بوجودهما في **إيران** قبل زمن (أسدي الطوسي) أي قبل (٤٦٥ هـ) والله أعلم .

محمد أديب غالب

دمشق ــ سورية

علوم ومصطلحات

أملي كبير في أن تحدثوا باباً متخصصاً في **العلوم الميكانيكية والرياضية والقانونية والكونية المتعلقة بدراسة الفضاء الخارجي** ، وأخيراً أرجوكم أن تشرعوا ابتداء من السنة الرابعة للمجلة في نشر موضوعات عن **الجراحة عبر القرون** . كما أرجوكم أن تحدثوا زاوية تنشرون فيها **المصطلحات العلمية** التي نحن بأمس الحاجة إليها .

قائم ليلى المختار
القنيطرة ـ المغرب

المجلة :

لقد قدمنا بعض هذه الملاحظات وبعضها الآخر سوف يقدم ضمن المخطط القادم إن شاء الله .

عظماء العالم

في بداية حديثي أقدم لكم أحر وأنبل شكري لكم ولجميع من يساهم في مجلتكم العلمية الثقافية ، ولكن أرجو منكم المعذرة لو نبهتكم إلى شيء أنتم قد نسيتموه ، وهذا الشيء هو : **أن تجعلوا بين زوايا هذه المجلة زاوية تتضمن الكتابة عن عظماء العالم ، بحيث يتضمن كل عدد نبذة عن أحد هؤلاء العظام** ، ويكون على الشكل التالي : **حياته منذ طفولته ، جهوده وحياته العلمية ، الفترة الزمنية التي عاشها** .. الخ ، ولكم تحياتي .

قاسم محمد الوادي
سورية ـ درعا ـ قرية الحارة

المجلة :

إن ما أشرت إليه موضوع في حسابنا ، وقد نشرنا عنه في أغلب الأعداد .

تصحيح

قرأت في الصفحة (١٣٦) العدد (٣٠) **(مسجد الملاوية)** لم يتبق منه اليوم سوى بعض الأنقاض .

والحقيقة أن الاسم هو **(الملوية)** وهي مئذنة لها طراز خاص قلدت في جامع **(ابن طولون)** في القاهرة ، وما زالت شامخة على سور الجامع الذي يظهر في الصورة ، وقد رمم ولم (يبق منه سوى الأنقاض) بعيد عن الصواب .

وفي الصفحة نفسها **(مسجد جاما)** ويظهر أن الصورة نسيت وأن المعلومات مترجمة ، لأن الصحيح هو **(المسجد الجامع)** كما لا يخفى عليكم . وكنت أريد أن أفصل القول في **الملوية** وجامعها ولكن كثرة ما عندكم من معلومات يمنع النشر المؤمل .

قارئ من بغداد / العراق

تهنئة وملاحظات

تحياتي وشكري لأسرة **مجلة الفيصل** الغراء على الموضوعات القيمة التي تقدمها في كل عدد من أعدادها .

وكأنها تُوعدنا ـ وهي وفيةٌ بوعدها ـ أن تقطف من بساتين العلم والأدب مع اطلالة كل شهر باقاتٍ صغيرة من الأزهار بأزهى ألوانها ، لتقدمها إلى قرائها الذين اعتادوا بدورهم انتظار مثل هذه الهدايا الثمينة .

فتارة مع **(رحلة في كتاب)** وتارة مع **(موضوع خاص)** وأخرى مع **(مدينة وتاريخ)** الخ .. ويسعدني أكثر من ذلك عندما أجد المجلة تخصص بعض صفحاتها **(مع الأصدقاء)** و **(ردود قصيرة)** لتتقبل آراء وملاحظات قرائها برحابة صدر .

ولي ملاحظتان أود ذكرهما ، أما الأولى فهي : في الصفحة (٨٤) من العدد (٢٩) الصادر في ذي القعدة ١٣٩٩ هـ/ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩ م ، وضمن موضوع (رحلة في كتاب) وموضوع الكتاب **(البدو) للبارون ماكس فون أوبنهايم** . بقلم الدكتور **مصطفى ماهر** ورد ذكر **(تل حلف)** في سياق حديثه عن البارون المذكور ومؤلف الكتاب على الشكل التالي : « وبدأ تنفيذ رحلته الكشفية الكبرى التي كان قد بدأ يخطط لها منذ عشرة أعوام : الرحلة إلى **تل حلف** ، وهو موقع أثري على الحدود بين سورية والعراق » .

ـ والحقيقة أن الموقع ليس بين سورية والعراق ، لكنه بين سورية وتركيا ، وعلى خط الحدود بالذات ، والموقع حالياً عبارة عن قرية مأهولة بالسكان تقع على ضفة نهر الخابور وهو أحد روافد نهر الفرات ، والقرية هذه (تل حلف) تقع غرب بلدة **(رأس العين)** المعروفة بمياهها الكبريتية ، وعلى بعد (٣) كم منها فقط . والجدير بالذكر أنها تقع في محافظة **الحسكة** من إقليم الجزيرة . وقد ورد ذكرها أكثر من مرة معي أثناء دراستي الجامعية لشهرتها **بالآثار الحثية** خاصة . ومن المدن المشهورة قديماً والتي تقع بين سورية وتركيا **(جرابلس)** وتسمى **كركميش** بالتركية ، وتقع على نهر الفرات وفي المكان الذي يدخل فيه الأراضي السورية ، وهي أيضاً مشهورة بالآثار الحثية ، وجرت في هذا الموقع معركة بين الحثيين والفراعنة .

ومدينة **(نصيبين)** تقع على نهر **جغجغ** شمال مدينة **القامشلي** السورية .

والملاحظة الثانية في نفس الموضوع وفي الصفحة (٨٩) عن **سيرة بني هلال** «وتحكي الملحمة الشعبية المعروفة بسيرة بني هلال في الجزء الثالث منها الأحداث التي جرت على أرض شمال إفريقيا ولقد ألفها شاعر من الحضر وانتقلت إلى البدو ، فهم يتحاكونها في جبال **كردستان وحضرموت** وفي كل مكان» .

والحقيقة أن جبال كردستان حدود طبيعية فاصلة بين العراق جنوباً وإيران شمالا من جهة وبين العراق وتركيا من الزاوية الجنوبية الشرقية لتركيا ، وتسكنها القبائل الكردية التي تتناقل وتروي فيما بينها حكايات **شهريار .. وشهرزاد** .. من حكايات **ألف ليلة وليلة** . والقبائل العربية لا تسكن هذه الجبال الوعرة ، فكان الأجدر بالكاتب بدلا من قوله (في جبال كردستان) أن يقول القبائل العربية أو البدو في العراق وسورية و . . . !

محمود النعيمي
المالكية ـ حداد ـ سورية



● **الأخ عبد العزيز عرعور ـ خان العسل ـ حلب ـ سورية**

طريق الشعر طويل وشاق يتطلب مزيداً من الاطلاع والممارسة التي تكفل لك استقامة الأوزان، أنت بحاجة إليها لنضج موهبتك ولك تحياتنا.

● **الأخ حمدي عبد السيد عبد الرحمن سليمان ـ مساكن طوسون باك ـ الإسكندرية ـ مصر**

ظهور نتيجة مسابقة أي عدد من أعداد المجلة مرتبط بمقدار الرسائل المشتركة التي تتزايد شهراً بعد آخر وتستهلك الكثير من الوقت والجهد، وبالتالي لا يجعلنا نرتبط بتاريخ محدد لظهور نتائج المسابقات.

● **الأخ محيي الدين اليافي ـ دمشق ـ سورية**

● **الأخ محمد محب الدين ـ حمص ـ سورية**

● **الأخ سيد صابر السيد ـ الإسماعيلية ـ مصر**

● **الأخ فيصل المصمودي ـ صفاقس ـ تونس**

● **الأخ محمد إبراهيم زاهر ـ القاهرة ـ مصر**

● **الأخت خديجة درويش ـ أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة**

شكراً لكم على تهنئاتكم الرقيقة وشعوركم الطيب نحو المجلة وأسرة تحريرها، وكل ما نرجوه من الله هو أن نظل أوفياء وأن نكون عند حسن ظن الجميع.

● **الأخ محمد عبد الجليل أحمد جانب ـ الدقهلية ـ مصر**

كثيرة هي الاقتراحات المشابهة لاقتراحك والتي سبق أن أجبنا عليها في كثير من الأعداد بأن المجلة لها نهج خاص تسير عليه بعيداً عن تقليد الآخرين وما زلنا نؤكد ذلك. أما بصدد ارتفاع السعر في مصر فهذا راجع إلى عدة عوامل منها ارتفاع أجور الشحن وارتفاع أسعار الورق وأشياء أخرى. ومع هذا فالسعر في مصر ما زال يعتبر أقل سعر إذا قورن بثمنها في الأقطار الأخرى.

● **الأخ إبراهيم عباس ياسين ـ بصرى الشام ـ سورية**

هذا ما نأمله منك ومن قرائنا الأفاضل، ونتمنى أن تكون علاقاتنا دائماً مبنية على الثقة المتبادلة، ولك تحياتنا.

● **الأخ نبيل حبيبي ـ سورية**

نشكرك على مشاعرك المخلصة ودعواتك الطيبة ونأسف لعدم نشر قصيدتك لأنها غير مناسبة، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● **الأخ زكريا عثمان ـ اللاذقية ـ سورية**

مرحباً بصداقتك وشكراً على إعجابك، ومع أسفنا نعتذر عن نشر قصتك لعدم مناسبتها.

● **الأخ مصطفى نجاش ـ دمشق ـ سورية**

تلقينا رسالتك وشكراً لك على ملاحظاتك التي سنعمل على تلافي الممكن منها.

● **الأخ محجوب الأمير العكي ـ مديرية الجزيرة ـ السودان**

نشاطرك حماستك وغيرتك الشديدة على ديننا الحنيف ونسأل الله أن يجعل لواءه عالياً خفاقاً. أما قصيدتك فنعتذر عن نشرها لعدم مناسبتها.

● **الأخ نور الدين المالح ـ دمشق ـ سورية**

● **الأخ صلاح حسن منصور ـ محافظة البحيرة ـ مصر**

نشكركما ونعتذر عن نشر قصيدتيكما، مع أحلى تمنياتنا.

● **الأخ أحمد الزنبركجي ـ دمشق ـ سورية**

قصتك غير مناسبة لذلك نعتذر عن نشرها متمنين لك التوفيق.

● **الأخ محمد عون اليافي ـ حمص ـ سورية**

مشاعرك الطيبة نشكرك عليها، وسؤالك سوف نحيله إلى اللجنة الدينية لتتولى الإجابة عليه وسوف تراه في أحد أعدادنا القادمة إن شاء الله.

● **الأخ السيد محمود السيد الأشقر ـ الإسكندرية ـ مصر**

بالنسبة للمسابقة تستطيع الرجوع إلى أعدادنا السابقة لتعرف الطريقة التي يتم بها توزيع الجوائز، ولعل عدم فوزك لا يجعلك تيأس من الاشتراك مستقبلاً. أما قصيدتك فنعتذر عن نشرها.

● **الأخ الهيثم المهتار ـ بيروت ـ لبنان**

نتمنى لك الشفاء لتعود إلى مواصلة دراستك ونأسف لعدم نشر موضوعك لعدم مناسبته، ولك تحياتنا.

● **الأخ البريكي عبد الإله ـ فاس ـ المغرب**

شكراً على مساهمتك الشعرية وتهانينا لك على روحك الخفيفة في هجائك الظريف ونأسف لعدم النشر لأن ذلك لا يتفق مع ما تسير عليه مجلتنا.

● **الأخت وفاء حسن ـ المملكة العربية السعودية**

بإمكانك الحصول على ما تطلبين من الجهات المسؤولة عن التعليم ولعلك تجدين ما يساعدك على بحثك مع تحياتنا.

● **الأخ صبحي أحمد عيد ـ كفر الدوار ـ مصر**

بإمكانك الحصول على الكتاب الذي طلبته من مكتبات بلادك أو عن طريق أحد أصدقائك في أي بلد عربي.

● **الأخ جمال عبد الناصر حسن ـ القاهرة ـ مصر**

لا نعتقد أن ما تقوله صحيحاً، وأن المجلة لا تؤمن بمبدأ التفرقة بين قرائها كما أن ترتيب الفائزين بالمسابقة يعتمد على القرعة، ونرجو أن يحسن ظنك بنا.

للقارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً .

وتأتي الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً . . والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا – عند الفوز – يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب . . لان الحكمة تقول : «المال تحرسه ، والعلم يحرسك» .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ويختار في أي الإجابتين أصح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، وبخط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد . . وهذه الكلمة للتنبيه . . والله الموفق . . وهو من وراء القصد .

المجلة

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ – قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي . . موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا – الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب – الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ – الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .

٢ – المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة . . وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً – إن أمكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ – ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ – أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ – ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ – من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

مـا الاسم القديم لكل من :

نهـر العـاصي ـ جبـل طـارق ـ المحيط الأطـلسي .

السؤال الثاني :

مـا اسم الخـليفة الذي أطلق عليه لقب « الخليفة المثمَّن » .. ولمـاذا ؟

السؤال الثالث :

قناة (بناما) .. أين تقع .. وماذا تصل .. ومن أين وإلى أين تتجه ؟

السؤال الرابع :

خطاط عربي ، كان والده بواب بيت القضاء في بغداد .. عرف بسعة معرفته بالفقه .. حفظ القرآن ونسخه أربعاً وستين مرة .. ابتدع الخط الريحاني ، والخط المحقق .. مـا اسمه ؟

السؤال الخامس :

شاعر وبلاغي ، ولد وقتل في بغداد .. كانت نشأته بمكة المكرمة .. تولى الخلافة يوماً واحداً .. ما اسمه ؟

السؤال السادس :

اذكر عدد الأقمار التابعة للكواكب التالية :

الأرض ـ المريخ ـ المشتـري ـ زحـل .

السؤال السابع :

أيـن تقع الأنهـار التالية :

سوباط ـ التيبر ـ الليطاني ـ الأمـازون .

السؤال الثامن :

مـا الفرق بيـن المستمع والسـامع لـغة ؟

السؤال التاسع :

مـا ألـوان قوس قـزح ؟

السؤال العاشر :

أيـن تقـع المـدن التـالية :

زبيـد ـ قرطاج ـ طبرية ـ رابغ ـ إسلام آباد .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد (٣٥)

الاسم : ------------------------------------

المهنة : ------------------------------------

العنوان : ------------------------------------

نتائج مسابقة العدد الثامن والعشرين

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف ريال سعودي الأخ محمد فريد المعطي — مهاجرين — ناظم باشا — دمشق، سورية.

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الطبيب سمير الحلو — مستوصف بلغة — المدينة المنورة.

● كما فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ السليماني عبد الغني محمد — الحي الحسني — بلوك ٧، رقم ٦٩، الناظور — المغرب.

● وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي

فاز بها كل من الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

★ الأخ عماد مصطفى الأحمر — الشركة العربية لتوزيع الصحف والمطبوعات، عمارة الأونيون، طابق ٧، الحمراء — بيروت، لبنان.

★ الأخ محمد نصري عبد الوهاب — كلية الهندسة — جامعة الخرطوم، السودان.

★ الأخ إبراهيم عبد الرحيم قدورة — الأعظمية، ص. ب ٤٠١١، قسم ١٧ تموز للوافدين العرب — بغداد، العراق.

★ الأخ مصطفى علي محمد حسن — لاهور، باكستان.

★ الأخت أروى عبد الغني عبد الهادي — جبل الحسين — عمان، الأردن.

★ الأخ عبد الله إبراهيم منصور — الرجابية — مركز السنطة محافظة الغربية، مصر.

★ الأخ الطاهر المراكشي — ١٥٥ نهج المنجي سليم — صفاقص، تونس.

أجوبة مسابقة العدد الثامن والعشرين

ج ١ أنشئ المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩م.
أنشئ المجمع العلمي العراقي عام ١٩٣٧م.
أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٣٢م.

ج ٢ أجنادين: بلدة في فلسطين جرت فيها الموقعة الشهيرة بين المسلمين والروم.

ج ٣ الأحنف بن قيس هو الذي قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه (سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه). والأحنف ولد في البصرة سنة ٣ قبل الهجرة، أسلم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ثبت على إسلامه حين ارتد قومه عن الإسلام.

ج ٤ السوسيولوجيا: علم الاجتماع. الميثولوجيا: علم الأساطير.

ج ٥ أبو الحسن علي بن عباس المجوسي: عالم عربي عرف واشتهر باسمه اللاتيني (هالي عباس)، ألف «كتاب الملكي» ضمنه آراء طبية هامة لم يسبقه أحد إليها.

ج ٦ العم سام: مصطلح يعني حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، وينسب إلى ضابط اسمه «صموئيل ولسن»، كان يقوم بتفتيش إمدادات الجيش الأمريكي عام ١٨١٢م، أثناء الحرب وكان يضع حرفي U. S إشارة إلى عبارة — United States — فحورها العمال إلى — Uncle Sam — أي العم سام مزاحاً حيث تناقلتها صحف المعارضة، وبعد ذلك أصبحت العبارة من الشهرة بمكان، الأمر الذي أدى إلى تداولها في داخل الولايات المتحدة وفي خارجها.

ج ٧ عثمان بن طلحة القرشي من عبد الدار، صحابي، أسلم مع خالد بن الوليد أثناء صلح الحديبية. شهد فتح مكة، دفع إليه النبي ﷺ مفتاح الكعبة، سكن المدينة، ومات فيها، وقيل إنه مات في مكة المكرمة.

ج ٨ أول رواد فضاء وطئت أقدامهم سطح القمر هما الأمريكيان «نيل آرمسترونج» و«أدوين ألدرين»، والمركبة التي أقلتهما إلى القمر «أبوللو ١١» التي انطلقت من سطح الأرض في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٩م، ووصلت إلى القمر في ٢٠ تموز (يوليو)، وعادت إلى الأرض يوم ٢٤ تموز (يوليو) من الشهر نفسه.

ج ٩ الجيروسكوب: جهاز يستخدم لحفظ توازن الطائرة والباخرة والصاروخ.

ج ١٠ من قادة الجيوش الإسلامية في حرب الردة على عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، خالد بن الوليد، زيد بن الخطاب، عكرمة بن أبي جهل، أبو عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص.

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh–Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف ٤٦٤١٩٦٨



EUROPE – AMERICA – ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50



البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بيسة
الأردن	٢٥٠ فلس
ج. ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100

Others : S.R. 200

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض